العنود

مجموعة الأميرة العنود البازية

شرح كتاب الرقاق

من صحيح البخاري

للإمام العلامة

عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمه الله

(١٣٣٠هـ - ١٤٢٠هـ)

مراجعة وتقريظ

فضيلة الشيخ الدكتور

حسين بن عبد العزيز آل الشيخ

إمام وخطيب المسجد النبوي

جمع وإعداد

محمد بن أبكر بن عبد الرحيم القرعاني

بالمدينة سامحه الباحث في دار الإنشاء بالرياض

طبع بإشراف

مؤسسة الشيخ عبد العزيز بن باز الخيرية

طبع على نفقة

مؤسسة الأميرة

العنود بنت عبد العزيز بن مساعد بن جلوي آل سعود الخيرية

شرح كتاب الرقاق

من صحيح البخاري

للإمام العلامة

عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمه الله

ⓒ مؤسسة عبدالعزيز بن باز الخيرية، ١٤٤٣هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الباز، عبدالعزيز بن عبدالله بن عبدالرحمن

شرح كتاب الرقاق من صحيح الإمام البخاري. / عبدالعزيز بن عبدالله بن عبدالرحمن الباز؛ إعداد: محمد بن أبكر بن عبدالرحيم القرعاني.- الرياض،١٤٤٣هـ

٣٣٦ ص؛ ٢٤ X ١٧ سم

ردمك: ٥-٥٢-٨١٨٠-٦٠٣-٩٧٨

١- الوعظ والارشاد ٢- الحديث - مباحث عامة أ. العنوان

ديوي ٢١٣ ١٤٤٣/١٨٤٠

رقم الإيداع: ١٤٤٣/١٨٤٠

ردمك: ٥-٥٢-٨١٨٠-٦٠٣-٩٧٨

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

(١٤٤٤هـ - ٢٠٢٣م)

العنود

مؤسسة الأميرة العنود الخيرية

Princess Alanood Foundation

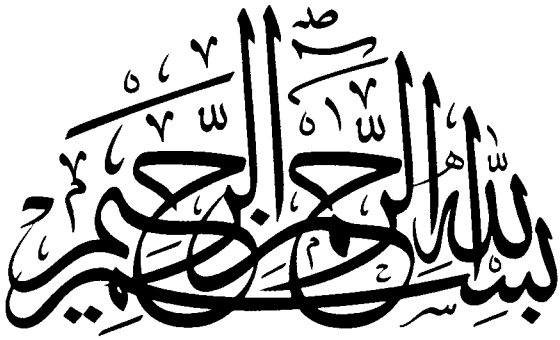
بسم الله الرحمن الرحيم

تحميل كتب و رسائل علمية
قناة عامة
معلومات
t.me/tahmilkutubwarosaililmiyah
رابط الدعوة
الإشعارات
معطّلة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمةُ المعتني بالكتابِ

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبيِّنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فمن فضل الله على العبد أن ييسِّر له البركة في العمر والوقت ليبذل منه ما ينفعه في دينه ودنياه وخدمة الإسلام والمسلمين.

وإن مما يُذكر في هذا: ما منَّ الله به عليَّ من التفرغ الكامل لخدمة علم شيخنا الإمام الفقيه المحدِّث المفسِّر الورع الزاهد سماحة الشيخ: عبد العزيز ابن عبد الله بن عبد الرحمن بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ وأورثه الفردوس الأعلى، والذي كان له فضل كبير على كلٍّ من تعلَّم على يديه، ونهل من علمه الغزيز، وتأثَّر بخلقه وسجاياه الحميدة.

وعملا بقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾ [الرحمن: ٦٠].

قمت بتفريغ كلَّ وقتي لسماع وتفريغ عدد من شروحات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ منذ فترة طويلة، وكان منها: شرح كتاب الرقاق من صحيح البخاري لسماحته رَحِمَهُ اللَّهُ.

وقد شرحه سماحته في مجالس في دروسه العلمية، في درس الفجر، والقراءة الأولى كانت في الجامع الكبير عام: ١٤٠٨هـ، والقراءة الثانية فيه عام ١٤١٩هـ، بالرياض.

بقراءة الشيخين الجليلين: عبد العزيز بن عبد الله الراجحي، وعبد العزيز ابن إبراهيم بن قاسم، حفظهما الله.

وهو شرحٌ نفيسٌ جدًّا، مُلِئ بالدرر والفوائد، والتقريرات العلميَّةِ الدَّقيقة لسماحته رَحِمَهُ اللَّهُ في بيان الآداب الإسلامية والحث عليها، والتحذير من الصفات الذميمة.

ولقد أنعمَ المولى جلَّ وعلى عليَّ أن هيَّأ لي شرف الاعتناء بهذا الشَّرحِ العظيم وإعداده بعد أخذ الإذن من مؤسسة الشيخ عبد العزيز بن باز الخيرية، جزى الله القائمين عليها الجزاء الأوفى.

وكنت ممن أنعم الله عليهم بالتتلمذ على سماحة الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ منذ عام ١٤٠٥هـ إلى وفاته رَحِمَهُ اللَّهُ.

ولأهمية هذا الشَّرح، وحاجة الأمة إلى إخراجه مطبوعًا ـ ليعم النفع به، وتكمل الفائدة، ويسهل الرجوع إلى مسائله ـ قمتُ بتحويل مسموعه إلى مكتوبٍ من الأشرطة السمعية، ومقابلة المكتوب بالمسموع، وتخريج الأحاديث، فما كان من صوابٍ فمن الله وحده، وما كان من نقص أو خطأٍ فمنِّي ومن الشيطان وأستغفر الله منه، ورحم الله من وجد خللًا فنبّهني عليه على البريد الإلكتروني لإصلاحه.

وجزى الله سماحة شيخنا الجزاء الأوفى على شرحه القيِّم لهذا الكتاب العظيم، ورحم الله الإمام محمد بن إسماعيل البخاري على تأليفه «صحيح البخاري»، وجزى الله خيرا الشيخين على قراءتهما لصحيح البخاري على سماحة الشيخ.

وأسأل الله سبحانه وتعالى أن ينفع بهذا الشرح المبارك كما نفع بأصله، وأن يجعله من العلم النافع الذي يجري أجره لسماحة الشيخ في قبره، وأن يجعله في ميزان حسناته، وحسنات من سجَّله وأخرجه ونشره، وأن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل، إنه خير مسؤولٍ، وأكرم مأمول.

وفي ختامِ هذه المقدمة أتقدمُ بالشُّكر الجزيل والعرفان الجميل لسماحة والدنا الشيخ/ عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ مفتي عام المملكة، ورئيس هيئة كبار العلماء، والرئيس العام للبحوث العلمية والإفتاء، لإشرافه المباشر على إخراج علم سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ.

كما أشكر مؤسسة العنود الخيرية، والتي تكفلت بطباعة هذا الكتاب وتوزيعه على طلبة العلم، جزى الله القائمين عليها الجزاء الأوفى.

ورحم الله الأميرة العنود بنت عبد العزيز بن مساعد بن جلوي آل سعود، وأسكنها الفردوس مع زوجها وأولادها وذريتها.

والشُّكر موصولٌ للمشايخ الفضلاء: الدكتور حسين بن عبد العزيز آل الشيخ، إمام وخطيب المسجد النبوي، وفضيلة الشيخ الدكتور علي بن عبد العزيز الشبل، المدرس بالمسجد الحرام، وفضيلة الشيخ علي بن سليمان بن عبد العزيز الفائز، الذين بذلوا وسعهم وجهدهم في مراجعة هذا الكتاب والتقديم له.

ثم الشُّكر موصولٌ لمؤسسة الشيخ عبد العزيز بن باز الخيرية، ممثلة في أمينها: فضيلة الشيخ الدكتور: أحمد بن عبد العزيز بن باز.

ومديرها: فضيلة الشيخ الدكتور: عبد العزيز بن محمد السدحان، وكافَّة العاملين في المؤسسة، على إتاحتهم لي هذه الفرصة الثمينة لإخراج هذا الكتاب المفيد النافع.

والشكر موصولٌ لمعالى الشيخ الدكتور عبد الرحمن بن عبد الله السند، الرئيس العام لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وللشيخ الدكتور علي بن عبد الرحمن الحذيفي، إمام وخطيب المسجد النبوي، وفضيلة الشيخ أحمد بن طالب حميد، إمام وخطيب المسجد النبوي، وفضيلة الشيخ الدكتور صالح بن مقبل العصيمي وفضيلة الشيخ مكي بن علي الزين، ورجلي الأعمال الدكتور: سعد والدكتور فهد ابني الشيخ عبد العزيز العجلان ووالديهما وذريتهما على التشجيع والمتابعة.

والشكر موصولٌ أيضًا لشيخنا الجليل: عبد الله بن محمد المعتاز وابنه الدكتور: محمد المعتاز على اهتمامهما بنشر علم سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ، وتشجيعهما على ذلك.

وكذلك أشكر الشيخ الفاضل: أبا معاذ محمد بن عبد الوهاب، على مراجعة الكتاب لغويا وإبداء الملاحظات.

كما أشكرُ الأستاذ الفاضل: خالد بن فهد بن عبد الله الدخيل، والأخت الكريمة: نوال بنت عبد العزيز الجبرين، وقد تبرعا بتكاليف طباعةِ الملازم وتجهيز الكتاب.

والشُّكر موصولٌ لجميع المشايخ الذين ساهموا معي في مراجعة الكتاب وإبداء الملاحظات والاستدراكات، والذين بذلوا جهدهم في إخراج هذا الكتاب القيم.

وكما أشْكرُ كل من ساهم في طباعة الكتاب، وتمويله، وأن يجعل ذلك في موازين حسناتهم يوم الدِّين.

وأسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، وأن ينفع به الإسلام والمسلمين، وأن ينفعني به في الحياة وبعد الممات؛ إنه جوادٌ كريمٌ مجيبُ الدعوات.

والحمدُ لله الذي بنعمتهِ تتم الصالحات.

وصلَّى الله على نبيِّنا محمدٍ، وعلى آله وصحبه وسلَّم تسليمًا كثيرًا.

وكتب/
محمد بن أبكر بن عبد الرحيم القرعاني
تلميذ سماحته، والباحث المتعاون
في مؤسسة الشيخ عبد العزيز بن باز الخيرية
الرياض ١٤٣٨/٤/٢٥هـ
جوال: ٠٥٤١٣١٠٦٤٦
البريد الإلكتروني:
aboanass123456@hotmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

٨١ ـ كِتَابُ الرِّقَاقِ

١ ـ بَاب مَا جَاءَ فِي الرِّقَاقِ، وَأَنْ لَا عَيْشَ إِلَّا عَيْشُ الآخِرَةِ

في نسخة: «كِتابُ الرِّقاقِ والصِّحَّةِ والفَراغِ، وأن لَا عَيشَ إلَّا عَيشُ الآخِرةِ»، ما يُخالِفُ، المَعنَى مُتقارِبٌ.

الرِّقَاقُ مَا يُرَقِّقُ القُلُوبَ.

٦٤١٢ حَدَّثَنَا الْمَكِّيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ سَعِيدٍ، هُوَ: ابْنُ أَبِي هِنْدٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ قال: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصِّحَّةُ، وَالْفَرَاغ»، وقَالَ عَبَّاسٌ الْعَنْبَرِيُّ، حَدَّثَنَا صَفْوَانُ بْنُ عِيسَى، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ أَبِي هِنْدٍ، عَنْ أَبِيهِ: سَمِعْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ... مِثْلَهُ».

الشَّرح

اللهُ أكبَرُ، لَا حَولَ ولَا قُوَّةَ إلَّا بِاللهِ، وهَذَا يُوجِبُ للمُؤمِنِ العِنايةُ بهَذَينِ الأمرَينِ، وأنْ يَستَغِلَّهُما فِيمَا يَنفَعُ: **نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصِّحَّةُ وَالفَرَاغُ**؛ يَعنِي: تَذهبَانِ عَليهِ من دُونِ فَائِدةٍ؛ فيَنبَغِي للمُؤمِن أن يَعتنِيَ بِهِما، وأن يَحرِصَ عَلَيهِما، ويَحفَظَ صِحَّتَه بِالأعمَالِ الصَّالِحةِ الَّتِي تَنفَعُه فِي

الآخِرَةِ؛ فيَجتَهِدُ فِيمَا يَعودُ عَليهِ بِالخَيرِ دُنيَا وأُخرَى؛ حتَّى لَا تَضِيعَ هَذِه الصِّحَّةُ، وهَكَذَا الفَراغُ يَعمُرُه أَيضًا بِمَا يَنفَعُ فِي الدِّينِ والدُّنيَا، يَعمُرُه بِمَا يَنفَعُه فِي الآخِرَةِ وهُوَ الأَهمُّ؛ مِن طَلبِ العِلمِ والعِبادَةِ، والذِّكرِ، وعِيادَةِ المَرضَى، والأَمرِ بِالمَعرُوفِ والنَّهيِ عَنِ المُنكَرِ، وغَيرِ هَذَا مِن وُجوهِ الخَيرِ؛ حتَّى يَكُونَ هَذَا الفَراغُ مَشغُولًا بِمَا يَنفَعُه؛ اللهُ المُستَعانُ.

(ع): وَهَذَا وَاقِعٌ مِثْلَمَا قَالَ ﷺ: ﴿نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصِّحَّةُ وَالفَرَاغُ﴾، كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ مَغبُونُونَ فِي هَاتَينِ النِّعمَتَينِ: الصِّحَّةِ وَالفَرَاغِ، وذَلِكَ بِعَدَمِ شَغْلِهِمَا بِمَا يَنفَعُ، تَذهَبُ عَلَيهِ صِحَّتُهُ وَفَرَاغُهُ فِي غَيرِ طَائِلَةٍ.

وَالمَعْنَى: الحَثُّ عَلَى شَغلِ الصِّحَّةِ بِمَا يَنفَعُ، وَشَغلُ الفَرَاغِ بِمَا يَنفَعُ: مِنَ التَّسبِيحِ وَالتَّهلِيلِ، وَالقِرَاءَةِ، وَالصَّلَاةِ، وَالدَّعوَةِ إِلَى اللهِ، وَغَيرِ هَذَا مِن وُجُوهِ الخَيرِ.

* * *

٦٤١٣ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، حَدَّثَنَا غُنْدَرٌ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ قُرَّةَ، عَنْ أَنَسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال: «اللَّهُمَّ لَا عَيْشَ إِلَّا عَيْشُ الآخِرَة، فَأَصْلِحِ الأَنْصَارَ وَالْمُهَاجِرَة». [سبق برقم ٢٨٣٤، وأخرجه مسلم، برقم ١٨٠٥]

الشَّرح

يَعنِي: لَا عَيشَ لَهُ مَعنًى كَبيرٌ إِلَّا عَيشُ الآخِرَةِ، أَمَّا عَيشُ الدُّنيَا يَزولُ، مُدَّتُه مَحدودَةٌ، الحَياةُ الدُّنيَا حَياتُها وعَيشُهَا ونَعِيمُها كُلُّه مَحدُودٌ، مَهمَا مُتِّع فِيهِ الإِنسَانُ ولَو أَلفَ عَامٍ كُلُّه مُنتَهٍ؛ لكِنَّ العَيشَ البَاقِيَ الدَّائمَ الَّذِي لَا يَنتَهِي أبدًا هُوَ عَيشُ الآخِرَةِ؛ فيَنبَغِي أن يُسعَى لهَذَا العَيشِ، ويَنبَغِي أن يُطلَب هَذَا العَيشُ الَّذِي يَبقَى، أَمَّا هَذَا العَيشُ الَّذِي يَزولُ سَواءٌ كَانَ منعَّمًا أو مُنغَّصًا فهُوَ زائلٌ،

ولو قدَّرْنا ولو فَرَضْنا أنَّهُ نُعِّم مِائةَ عامٍ، أو مِائَتَيْ عامٍ، أو ألفَ عامٍ ولَم يَحصُلْ لَهُ كَدَرٌ؛ فهَذَا كُلُّه زَائِلٌ، كَأنَّهُ أَحلامٌ بَعدَ ذَلِكَ، فيَنبَغِي للمُؤمِنِ أن يَسعَى للعَيشِ الَّذِي يَبقَى، والحَياةِ الَّتِي تَبقَى، والنَّعِيمِ الَّذِي يَبقَى، وذَلِكَ بالجِدِّ فِي العَملِ الصَّالحِ، والاستِقامَةِ عَلَى أَمرِ اللهِ، والمُحاسَبةِ لنَفسِه، وحِفظِ وَقتِه لَعلَّه يَنجَحُ، لَعلَّه يَفوزُ بِالسَّعادةِ الَّتِي لَا تَنتَهِي؛ اللهُ المُستَعانُ.

* * *

٦٤١٤ حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ الْمِقْدَامِ، حَدَّثَنَا الْفُضَيْلُ بْنُ سُلَيْمَانَ، حَدَّثَنَا أَبُو حَازِمٍ، حَدَّثَنَا سَهْلُ بْنُ سَعْدٍ السَّاعِدِيُّ قال: «كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي الْخَنْدَقِ، وَهُوَ يَحْفِرُ، وَنَحْنُ نَنْقُلُ التُّرَابَ، وَبَصَرَ بِنَا، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ لَا عَيْشَ إِلَّا عَيْشُ الآخِرَة، فَاغْفِرْ لِلأَنْصَارِ وَالْمُهَاجِرَة»، تَابَعَهُ سَهْلُ بْنُ سَعْدٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ... مِثْلَهُ». [سبق برقم ٣٧٩٧، وأخرجه مسلم، برقم ١٨٠٤]

الشَّرح

(ع): وَالمَعْنَى: مَا هُنَاكَ عَيشٌ كَامِلٌ إِلَّا عَيشُ الآخِرَةِ: ﴿اللَّهُمَّ لَا عَيْشَ إِلَّا عَيْشُ الآخِرَة﴾، هُوَ الكَامِلُ وَالبَاقِي وَالدَّائِمُ، أَمَّا عَيشُ الدُّنْيَا فَهُوَ زَائِلٌ، مَهمَا كَانَ وَمَهمَا بَلَغَ مِنَ الوَفرَةِ، فَهُوَ زَائِلٌ وَمُنتَهٍ بِمَوتِ صَاحِبِهِ أَوْ بِشَيءٍ مِنَ الآفَاتِ الأُخْرَى، لَكِنِ العَيشُ الَّذِي يَدُومُ وَيَبقَى هُوَ عَيشُ الآخِرَةِ.

﴿فَاغْفِرْ لِلأَنصَارِ وَالْمهَاجِرَةِ﴾: فِيهِ التَّرَضِّي عَنهُم ﷺ، وَالدُّعَاءُ لَهُم وَهُمْ يَحفُرُونَ الخَندَقَ.

وَفِي ذَلِكَ أَيْضًا أَخذٌ بِالأَسبَابِ؛ فَإِنَّهُ ﷺ حَفَرَ الخَندَقَ مِن أَجلِ الإِعدَادِ لِلكُفَّارِ وَصَدِّهِمْ عَنِ المَدِينَة بِالخَندَقِ، فَهُوَ مِنَ الأَسبَابِ، فَهُوَ دَاخِلٌ فِي قَولِهِ: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠]، يَجِبُ عَلَى المُسْلِمِينَ أَنْ يُعِدُّوا لِأَعدَاءِ اللهِ مَا اسْتَطَاعُوا مِنْ قُوَّةٍ، وَعَلَيهِمْ أَنْ يَأخُذُوا بِالأَسبَابِ؛ حَتَّى يَنْتَصِرُوا عَلَى أَعدَاءِ اللهِ، وَحَتَّى يَسلَمُوا مِنْ شَرِّ أَعدَاءِ اللهِ.

(الشَّيخُ): كَيفَ؟ هَذِه الرِّوايَةُ عَن سَهْلٍ؟! تَابَعَه سَهلٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ والرِّوايَةُ عَن سَهلٍ؟! نَفسُ الرِّوايَةِ الَّتِي ذَكَرْتَها هِيَ عَن سَهلٍ، كأنَّ هَذَا غَلطٌ، كأنَّ هَذَا بَعدَ رِوايَةِ أَنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أو فِي مَكانٍ آخرَ، «تابَعَه سَهلٌ» مَاذَا قَالَ الشَّارِحُ عَليهِ؟ تَكلَّم عَليهِ العَينِيُّ؟

[قَالَ الإِمَامُ العَينيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «عُمدَةِ القَارِي» (٢٣/ ٣٢)]: «قَالَ صَاحبُ «التَّلْوِيحِ»: هَذَا يحْتَاجُ إِلَى نَظرٍ، وَقَالَ غَيرُه: هَذَا لَيْسَ بمَوجُودٍ فِي نُسَخِ البُخَارِيِّ فَيَنْبَغِي إِسْقَاطُه». [انتَهَى كَلامُه].

(قارِئُ الفَتحِ): أَسقَطَه فِي «الشَّرح».

قَالَ ابنُ بَازٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: لأنَّ رِوايَةَ سَهلٍ هِيَ الَّتِي انتَهَت. مَاشٍ.

٢ ـ بَاب مَثَلِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿٢٠﴾﴾ [الحديد: ٢٠]

٦٤١٥ ـ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْلَمَةَ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ سَهْلٍ قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «مَوْضِعُ سَوْطٍ فِي الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَلَغَدْوَةٌ فِي سَبِيلِ اللهِ، أَوْ رَوْحَةٌ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا». [سبق برقم ٢٧٩٤، وأخرجه مسلم، برقم ١٨٨١]

الشَّرح

وفِي الرِّوايَةِ الأُخرَى: «**ورِباطُ يَومٍ فِي سَبيلِ اللهِ خَيرٌ مِنَ الدُّنيَا وما فِيهَا**» مِن رِوايَةِ سَهلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَيضًا[1]، مرَّت فِي الجِهادِ، وتَأتِي.

(١) أخرجه البخاري (٢٨٩٢)، عن سهل بن سعد الساعدي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(ع): هَذَا فِيهِ بَيَانُ عِظَمِ الآخِرَةِ وَفَضلِهَا، وَأَنَّ الحَيَاةَ الدُّنْيَا مَتَاعُ الغُرُورِ، مَتَاعٌ زَائِلٌ، وَلَكِنْ مَتَاعُ الآخِرَةِ مَتَاعُ الجَنَّةِ مَتَاعٌ دَائِمٌ، وَلِهَذَا يَقُولُ ﷺ: ﴿مَوْضِعُ سَوْطٍ فِي الجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيهَا﴾.

فَينبَغِي لِلمُؤمِنِ أَنْ يُؤثِرَ الآخِرَةَ، وَأَنْ تَكُونَ عَلَى بَالِهِ، وَأَنْ يَعمَلَ الأَعمَالَ الصَّالِحَةَ الَّتِي تَكُونُ سَبَبًا لِفَوزِهِ بِالجَنَّةِ وَنَجَاتِهِ مِنَ النَّارِ؛ لِأَنَّ هَذِهِ الدَّارَ دَارُ الفَنَاءِ، ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾﴾، لَكِنِ الشَّأنُ فِي الآخِرَةِ، وَنَعِيمِ الجَنَّةِ البَاقِي.

• س: أَحسَنَ اللهُ إِلَيكَ؛ يَعْنِي: غُدُوَّهَا فِي سَبِيلِ اللهِ مُقتَصِرٌ عَلَى الجِهَادِ؟

○ ج: نَعَمْ، المَقصُودُ الجِهَادُ.

٣ ـ بَاب قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ، أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ»

﴿٦٤١٦﴾ حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللهِ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ أَبُو الْمُنْذِرِ الطُّفَاوِيُّ، عَنْ سُلَيْمَانَ الأَعْمَشِ، قال: حَدَّثَنِي مُجَاهِدٌ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قال: «أَخَذَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِمَنْكِبِي فَقَالَ: «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ، أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ»، وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ يَقُولُ: «إِذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الْمَسَاءَ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ».

الشَّرح

وهَذَا أَمرٌ عَظيمٌ وخَبرٌ عَظيمٌ: ﴿كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ﴾: مَعلُومٌ أنَّ الغَريبَ والعَابِرَ السَّبيلَ يَعتَنِي بأَسبابِ الرَّحيلِ، ما يُهِمُّه إلَّا أَسبابُ الرَّحيلِ، ماشٍ، والمَعنَى يَعنِي: استَعِدَّ للْآخِرَةِ، واحْذَرِ الرُّكونَ إِلَى

الدُّنيَا وزِينَتِها وغَفْلَتِها وشَهَواتِها، لَعلَّك تَنجُو، لَعلَّك تُفلِحُ؛ ولِهَذا انتَبَه ابنُ عُمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا لهَذَا وكَانَ يَقولُ: ﴿إِذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ المَسَاءَ﴾ يَكُونُ مُستعِدًّا دائِمًا «وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ»؛ يَعنِي: اعمَلْ فِي حالِ الصِّحَّةِ ما يَنفعُكَ إِذَا جَاءَ المَرضُ، واعمَلْ فِي حَالِ الحَياةِ ما يَنفعُكَ بَعدَ المَوتِ؛ يَعنِي: استَعمِلْ هَذِه الحَياةَ وهَذِه الصِّحَّةَ قَبلَ أنْ تَزُولَا.

(ع): وَهَكَذَا يَنبَغِي لِلمُؤمِنِ أَنْ يَكُونَ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّهُ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ حَتَّى يَستَعِدَّ لِآخِرَتِهِ، فَإِنَّ الغَرِيبَ يَستَعِدُّ لِلسَّفَرِ، وَيَستَعِدُّ لِلوُصُولِ إِلَى بِلَادِهِ، فَهَكَذَا يَنبَغِي لِلعَاقِلِ أَنْ يَأخُذَ أُهبَتَهُ وَأَنْ يَحذَرَ، وَأَنْ يَكُونَ دَائِمًا فِي إِعدَادٍ، فِي إِعدَادٍ وَحَذَرٍ، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِابنِ عُمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ﴿كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ﴾، وَالمَقصُودُ: الاسْتِعدَادُ لِلآخِرَةِ وَعَدَمُ الغَفلَةِ.

[قالَ الحَافِظُ ابنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «فتْحِ البَارِي» (١١/ ٢٣٤)]: «قَوْلُهُ: ﴿كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ﴾ قَالَ الطِّيبِيُّ: لَيْسَتْ أَوْ لِلشَّكِّ بَلْ لِلتَّخْيِيرِ وَالْإِبَاحَةِ، وَالْأَحْسَنُ أَنْ تَكُونَ بِمَعْنَى بَلْ؛ فَشَبَّهَ النَّاسِكَ السَّالِكَ بِالْغَرِيبِ الَّذِي لَيْسَ لَهُ مَسْكَنٌ يَأْوِيهِ وَلَا مَسْكَنٌ يَسْكُنُهُ، ثُمَّ تَرَقَّى وَأَضْرَبَ عَنْهُ إِلَى عَابِرِ السَّبِيلِ؛ لِأَنَّ الْغَرِيبَ قَدْ يَسْكُنُ فِي بَلَدِ الْغُرْبَةِ بِخِلَافِ عَابِرِ السَّبِيلِ الْقَاصِدِ لِبَلَدٍ شَاسِعٍ، وَبَيْنَهُمَا أَوْدِيَةٌ مُرْدِيَةٌ وَمَفَاوِزُ مُهْلِكَةٌ وَقُطَّاعُ طَرِيقٍ؛ فَإِنَّ مَنْ شَأْنُهُ أَنْ لَا يُقِيمَ لَحْظَةً وَلَا يَسْكُنَ لَمْحَةً، وَمِنْ ثَمَّ عَقَّبَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿إِذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تَنْتَظِرُ الصَّبَاحَ...﴾ إِلَخْ، وَبِقَوْلِهِ: «وَعُدَّ نَفْسَكَ فِي أَهْلِ الْقُبُورِ»».

قَولُه: «وَعُدَّ نَفْسَكَ فِي أَهْلِ الْقُبُورِ»»؟

هَذَا كَلامُ الطِّيبِيِّ؛ يَعنِي: ما نَقَله الطِّيبِيُّ.

[قَالَ الحَافظُ رَحِمَهُ اللَّهُ]: «وَالْمَعْنَى: اسْتَمِرَّ سَائِرًا وَلَا تَفْتُرْ؛ فَإِنَّكَ إِنْ قَصَّرْتَ انْقَطَعْتَ وَهَلَكْتَ فِي تِلْكَ الْأَوْدِيَةِ، وَهَذَا مَعْنَى الْمُشَبَّهِ بِهِ، وَأَمَّا الْمُشَبَّهُ فَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ﴾؛ أَيْ: أَنَّ الْعُمُرَ لَا يَخْلُو عَنْ صِحَّةٍ وَمَرَضٍ؛ فَإِذَا كُنْتَ صَحِيحًا فَسِرْ سَيْرَ الْقَصْدِ وَزِدْ عَلَيْهِ بِقَدْرِ قُوَّتِكَ مَا دَامَتْ فِيكَ قُوَّةٌ؛ بِحَيْثُ يَكُونُ مَا بِكَ مِنْ تِلْكَ الزِّيَادَةِ قَائِمًا مَقَامَ مَا لَعَلَّهُ يُفَوِّتُ حَالَةَ الْمَرَضِ وَالضَّعْفِ.

زَادَ عَبدة فِي رِوَايَته عَن ابن عُمَرَ: «اعْبُدِ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، وَكُنْ فِي الدُّنْيَا...» الْحَدِيثَ، وَزَادَ لَيْثٌ فِي رِوَايَتِهِ: «وَعُدَّ نَفْسَكَ فِي أَهْلِ الْقُبُورِ». وَفِي رِوَايَةِ سَعِيدِ بن مَنْصُور: ﴿وكأنك عَابِر سَبِيل﴾.

وَقَالَ ابن بَطَّالٍ: لَمَّا كَانَ الْغَرِيبُ قَلِيلَ الِانْبِسَاطِ إِلَى النَّاسِ؛ بَلْ هُوَ مُسْتَوْحِشٌ مِنْهُمْ؛ إِذْ لَا يَكَادُ يَمُرُّ بِمَنْ يَعْرِفُهُ مُسْتَأْنِسٌ بِهِ، فَهُوَ ذَلِيلٌ فِي نَفْسِهِ خَائِفٌ، وَكَذَلِكَ عَابِرُ السَّبِيلِ لَا يَنْفُذُ فِي سَفَرِهِ إِلَّا بِقُوَّتِهِ عَلَيْهِ وَتَخْفِيفِهِ مِنَ الْأَثْقَالِ غَيْرَ مُتَثَبِّتٍ بِمَا يَمْنَعُهُ مِنْ قَطْعِ سَفَرِهِ، مَعَهُ زَادُهُ وَرَاحِلَتُهُ يُبَلِّغَانِهِ إِلَى بُغْيَتِهِ مِنْ قَصْدِهِ: شَبَّهَهُ بِهِمَا. وَفِي ذَلِكَ إِشَارَةٌ إِلَى إِيثَارِ الزُّهْدِ فِي الدُّنْيَا، وَأَخْذِ الْبُلْغَةِ مِنْهَا وَالْكَفَافِ؛ فَكَمَا لَا يَحْتَاجُ الْمُسَافِرُ إِلَى أَكْثَرَ مِمَّا يُبَلِّغُهُ إِلَى غَايَةِ سَفَرِهِ فَكَذَلِكَ لَا يَحْتَاجُ الْمُؤْمِنُ فِي الدُّنْيَا إِلَى أَكْثَرَ مِمَّا يُبَلِّغُهُ الْمَحَلَّ.

وَقَالَ غَيْرُهُ: هَذَا الْحَدِيثُ أَصْلٌ فِي الْحَثِّ عَلَى الْفَرَاغِ عَنِ الدُّنْيَا وَالزُّهْدِ فِيهَا، وَالِاحْتِقَارِ لَهَا، وَالْقَنَاعَةِ فِيهَا بالبلغة.

وَقَالَ النَّوَوِيّ: مَعنى الحَدِيث: لَا تركن إِلَى الدُّنْيَا وَلَا تَتَّخِذْهَا وَطَنًا، وَلَا تُحَدِّثْ نَفْسَكَ بِالْبَقَاءِ فِيهَا، وَلَا تَتَعَلَّقْ مِنْهَا بِمَا لَا يَتَعَلَّقُ بِهِ الْغَرِيبُ فِي غَيْرِ وَطَنِهِ. وَقَالَ غَيْرُهُ: عَابِرُ السَّبِيلِ هُوَ الْمَارُّ عَلَى الطَّرِيقِ طَالِبًا وَطَنَهُ؛ فَالْمَرْءُ فِي الدُّنْيَا كَعَبْدٍ أَرْسَلَهُ سَيِّدُهُ فِي حَاجَةٍ إِلَى غَيْرِ بَلَدِهِ؛ فَشَأْنُهُ أَنْ يُبَادِرَ بِفِعْلِ مَا أُرْسِلَ فِيهِ ثُمَّ يَعُودَ إِلَى وَطَنِهِ، وَلَا يَتَعَلَّقُ بِشَيْءٍ غَيْرِ مَا هُوَ فِيهِ.

وَقَالَ غَيْرُهُ: الْمُرَادُ أَنْ يُنَزِّلَ الْمُؤْمِنُ نَفْسَهُ فِي الدُّنْيَا مَنْزِلَةَ الْغَرِيبِ، فَلَا يَعْلَقُ قَلْبَهُ بِشَيْءٍ مِنْ بَلَدِ الْغُرْبَةِ؛ بَلْ قَلْبُهُ مُتَعَلِّقٌ بِوَطَنِهِ الَّذِي يَرْجِعُ إليهِ». [انتهى كلامه]

قَالَ ابنُ بَازٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: كلُّ مُؤمِنٍ وَطَنُه الجَنَّةُ؛ فهِيَ دارُ أَبيهِ الأُولَى، دَارُ أَبيهِ الَّتِي أُخرِجَ مِنهَا بِالخَطيئةِ؛ فعَلَى المُؤمِنِ أن يَحرِصَ عَلَى أنَّ يَرجِعَ إِلَيهَا، ويَتقلَّلَ ويَتخفَّفَ لَعلَّه يَسلَمُ، يَرجِعُ إِلَى وَطنِه القَديمِ، مِثلَما قَالَ ابنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ:

فَحَيَّ عَلَى جَنَّاتِ عَدْنٍ فَإِنَّها ... مَنازِلُك الأُوْلَى وَفِيها المُخَيَّمُ
وَلَكِنَّنا سَبْيُ العَدُوِّ فَهَلْ تَرَى ... نَعُودُ إِلَى أَوْطَانِنَا وَنُسَلَّمُ

سَبيُ العَدُوِّ بسَبَبِ ما زَيَّنه الشَّيطانُ لآدَمَ حتَّى خَرَج مِنَ الجَنَّة بأَسبَابِ المَعصِيةِ.

فَحَيَّ عَلَى جَنَّاتِ عَدْنٍ فَإِنَّها ... مَنازلك الأُوْلَى وَفِيها المُخَيَّمُ

اللهُ المُستَعانُ.

[قَالَ الحَافظُ رَحِمَهُ اللَّهُ]: «وَيَجْعَلُ إِقَامَتَهُ فِي الدُّنْيَا لِيَقْضِيَ حَاجَتَهُ وَجِهَازَهُ لِلرُّجُوعِ إِلَى وَطَنِهِ، وَهَذَا شَأْنُ الْغَرِيبِ، أَوْ يَكُونُ كَالْمُسَافِرِ لَا يَسْتَقِرُّ فِي مَكَانٍ بِعَيْنِهِ بَلْ هُوَ دَائِمُ السَّيْرِ إِلَى بَلَدِ الْإِقَامَةِ.

وَاسْتَشْكَلَ عَطْفُ «عَابِرِ السَّبِيلِ» عَلَى الْغَرِيبِ، وَقَدْ تَقَدَّمَ جَوَابُ الطِّيبِيِّ. وَأَجَابَ الْكِرْمَانِيُّ: بِأَنَّهُ مِنْ عَطْفِ الْعَامِّ عَلَى الْخَاصِّ، وَفِيهِ نَوْعٌ مِنَ التَّرَقِّي؛ لِأَنَّ تَعَلُّقَاتِهِ أَقَلُّ مِنْ تَعَلُّقَاتِ الْغَرِيبِ الْمُقِيمِ.

قَوْله: «وَكَانَ ابن عُمَرَ يَقُولُ» فِي رِوَايَةِ لَيْثٍ: «وَقَالَ لِي ابن عُمَرَ: إِذَا أَصْبَحْتَ...» الْحَدِيثَ.

قَوْلُهُ: «وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ»؛ أَيْ: زَمَنِ صِحَّتِكَ لِمَرَضِك. فِي رِوَايَةِ لَيْثٍ: «لِسَقَمِكَ»، وَالْمَعْنَى: اشْتَغِلْ فِي الصِّحَّةِ بِالطَّاعَةِ؛ بِحَيْثُ لَوْ حَصَلَ تَقْصِيرٌ فِي الْمَرَضِ لَا يُجْبَرُ بِذَلِكَ». [انتهى كلامه]

قَالَ ابنُ بَازٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «يُجبَرُ» ما فِيهِ «لا» اشتَغِلْ فِي حَالِ الصِّحَّةِ حتَّى يَنجبِرَ النَّقصُ الَّذِي فِي حَالِ المَرضِ، «لا» زَائِدةٌ.

[قَالَ الحَافِظُ رَحِمَهُ اللَّهُ]: «قَوْلُهُ: «وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ» فِي رِوَايَةِ لَيْثٍ: «قَبْلَ مَوْتِكَ»، وَزَادَ: «فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي يَا عَبْدَ اللهِ مَا اسْمُكَ غَدًا»؛ أَيْ: هَلْ يُقَالُ لَهُ: شَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ، وَلَمْ يُرِدِ اسْمَهُ الْخَاصَّ بِهِ، فَإِنَّهُ لَا يَتَغَيَّرُ، وَقِيلَ: الْمُرَادُ هَلْ هُوَ حَيٌّ أَوْ مَيِّتٌ، وَهَذَا الْقَدْرُ الْمَوْقُوفُ مِنْ هَذَا تَقَدَّمَ مُحَصل مَعْنَاهُ فِي حَدِيث ابن عَبَّاس أَوَّلَ كِتَابِ الرِّقَاقِ، وَجَاءَ مَعْنَاهُ مِنْ حَدِيث ابن عَبَّاس أَيْضًا مَرْفُوعًا أَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِرَجُلٍ وَهُوَ يَعِظُهُ: **«اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ: شَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ، وَصِحَّتِكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَحَيَاتِكَ قَبْلَ مَوْتِكَ»**. وَأَخْرَجَهُ ابن الْمُبَارَكِ فِي «الزُّهْدِ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ مِنْ مُرْسَلِ عَمْرِو بْنِ مَيْمُونٍ».

قَالَ ابنُ بَازٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: **﴿اغتَنِمْ خَمسًا قَبْلَ خَمسٍ﴾**[1] رَواهُ الحاكِمُ، هَذِه الفَائِدةُ تُكتَبُ، يَنبَغِي أن يَنقُلَها الإنسَانُ تَكونُ مَعهُ فَائِدةٌ، رِوايَةُ الحاكِمِ مُرسَلُ عَمرِو بنِ مَيمُونَ شاهِدٌ لذَلِكَ أيضًا: **﴿خمسًا قَبْلَ خَمسٍ﴾**[2].

- **س: كَلامُ المُصنَّفِ: «قَالَ: وهَذَا القَدرُ المَوقُوفُ مِن هَذَا تَقدَّم مِن حَديثِ ابنِ عبَّاسٍ»؟**

○ ج: كَأنَّهُ عِندَ قَولِه ﷺ: **﴿نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصِّحَّةُ وَالفَرَاغُ﴾** يَتكلَّمُ عَلَى الصِّحَّةِ والفَراغِ.

[قَالَ الحَافِظُ رَحِمَهُ اللَّهُ]: «قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: كَلَامُ ابن عُمَرَ مُنْتَزَعٌ مِنَ

---

(١) أخرجه الحاكم (٤/٣٠٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِرَجُلٍ وَهُوَ يَعِظُهُ: **«اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ...»**. وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

(٢) أخرجه النسائي في «السنن الكبرى» (١١٨٣٢) عن عمرو بن ميمون قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِرَجُلٍ وَهُوَ يَعِظُهُ: **«اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ...»**.

الْحَدِيثِ الْمَرْفُوعِ، وَهُوَ مُتَضَمِّنٌ لِنِهَايَةِ قِصَرِ الْأَمَلِ، وَأَنَّ الْعَاقِلَ يَنْبَغِي لَهُ إِذَا أَمْسَى لَا يَنْتَظِرُ الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحَ لَا يَنْتَظِرُ الْمَسَاءِ؛ بَلْ يَظُنُّ أَنَّ أَجَلَهُ مُدْرِكُهُ قَبْلَ ذَلِكَ». [انتهى كلامه].

(الشَّيخُ): اللهُ المُستَعانُ.

٤ ـ بَاب فِي الأَمَلِ وَطُولِهِ، وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾﴾ [آل عمران: ١٨٥]، ﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا۟ وَيَتَمَتَّعُوا۟ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾﴾ [الحجر: ٣]

وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ: ارْتَحَلَتِ الدُّنْيَا مُدْبِرَةً، وَارْتَحَلَتِ الآخِرَةُ مُقْبِلَةً، وَلِكُلٍّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا بَنُونَ، فَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الآخِرَةِ، وَلَا تَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الدُّنْيَا؛ فَإِنَّ الْيَوْمَ عَمَلٌ، وَلَا حِسَابَ، وَغَدًا حِسَابٌ، وَلَا عَمَلَ، ﴿بِمُزَحْزِحِهِۦ﴾ [البقرة: ٩٦]: **بِمُبَاعِدِهِ.**

الشَّرح

(ع): صَدَقَ رضي الله عنه، كَلَامٌ مَضبُوطٌ، كَلَامٌ صَحِيحٌ: «إن الدُّنْيَا ارْتَحَلَتِ مُدْبِرَةً، وَالآخِرَةُ ارْتَحَلَتِ مُقْبِلَةً، وَلِكُلٍّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا بَنُونَ، فَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الآخِرَةِ، وَلَا تَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الدُّنْيَا، فَإِنَّ الدُّنْيَا عَمَلٌ وَلَا حِسَابَ، والآخِرَةُ حِسَابٌ وَلَا عَمَلٌ»؛ فَالعَاقِلُ هُوَ الَّذِي يَستَعِدُّ لِلآخِرَةِ وَيَعمَلُ حَتَّى إِذَا وَافَاهَا إِذَا عِنْدَهُ رَصِيدٌ مِنَ العَمَلِ الصَّالِحِ.

* * *

٦٤١٧ حَدَّثَنَا صَدَقَةُ بْنُ الْفَضْلِ، أَخْبَرَنَا يَحْيَى بنُ سَعِيدٍ، عَنْ سُفْيَانَ، قال: حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ مُنْذِرٍ، عَنْ رَبِيعِ بْنِ خُثَيْمٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنه

قَالَ: «خَطَّ النَّبِيُّ ﷺ خَطًّا مُرَبَّعًا، وَخَطَّ خَطًّا فِي الْوَسَطِ خَارِجًا مِنْهُ، وَخَطَّ خُطُطًا صِغَارًا إِلَى هَذَا الَّذِي فِي الْوَسَطِ مِنْ جَانِبِهِ الَّذِي فِي الْوَسَطِ، وَقَالَ: «هَذَا الإِنْسَانُ، وَهَذَا أَجَلُهُ مُحِيطٌ بِهِ، أَوْ قَدْ أَحَاطَ بِهِ، وَهَذَا الَّذِي هُوَ خَارِجٌ أَمَلُهُ، وَهَذِهِ الْخُطُطُ الصِّغَارُ الأَعْرَاضُ، فَإِنْ أَخْطَأَهُ هَذَا نَهَشَهُ هَذَا، وَإِنْ أَخْطَأَهُ هَذَا نَهَشَهُ هَذَا».

الشَّرح

اللهُ أَكبَرُ، اللهُ أَكبَرُ .اللهُ المُستَعَانُ، هَذَا الوَاقِعُ، الخَطُّ الظَّاهِرُ الطَّويلُ هَذَا أَملُ الإِنسَانِ، وهَذَا الخَطُّ المُحيطُ بِهِ هَذَا أَجلُهُ لَا مَفرَّ مِنَ الأَجَلِ، المَوتُ لَا بُدَّ مِنهُ، والإِنسَانُ فِي الوَسطِ، والخُطُوطُ الصَّغيرَةُ عَن يَمينِهِ وعَن شِمالِهِ ما يَعرِضُ لَهُ مِنَ الآفَاتِ والأَمرَاضِ والأَذَى؛ اللهُ المُستَعانُ.

(الشَّيخُ): ما وَجهُ كَونِه مُربَّعًا ما قَالَ: مُستدِيرٌ ما هُوَ مُسْتدِيرٌ هَكَذا؟ كَانَ مُربَّعًا هَكَذا وهَكَذا وهَكَذا وهَكَذا، كَأَنَّهُ؛ يَعنِي: مُربَّعٌ، الحِكمَةُ مِن كَونِه مُربَّعًا ما هُوَ مُستدِيرٌ هَكَذا مُحيطٌ بِهِ مُستدِيرٌ، ما الحِكمَةُ من كَونِه مُربَّعًا لَيسَ بمُستدِيرٍ؟

(الطَّالِبُ): واللهُ أَعلَمُ؛ لأَنَّهُ لَا مَفرَّ لَهُ مِنَ الجِهاتِ الأَربَعِ، لَعلَّ الحِكمَةَ ـ واللهُ أعلَمُ ـ أنَّ الإِنسَانَ إمَّا أن يَفِرَّ من أَمامِهِ، أو مِن خَلفِه أو عَن يَمينِه، أو عَن شِمالِهِ.

(الشَّيخُ): لكِنْ ما الَّذِي يَمنَعُ أن يَكُونَ مُستدِيرًا؟ الاستِدارَةُ ما يَمنَعُها أن يَصِيرَ مُربَّعًا؟ المُربَّعُ أَليسَ هُوَ الَّذِي لَهُ زَوايَا أَربعًا؟

(الطَّالِبُ): بَلَى.

(الشَّيخُ)؛ يَعنِي: إشارةً إِلَى الجِهاتِ؟

(الطَّالِبُ): كَأَنَّهُ واللهُ أَعلَمُ.

(الشَّيخُ): لَا أَنَا قَصدِي، ما الفَرقُ بَينَ المُستدِيرِ وبَينَ المُربَّعِ؟ يَعنِي: الحِكمَةُ فِي كَونِه جَعَله مُربَّعًا ما جَعَله مُستدِيرًا؛ لأنَّ الغَالِبَ فِي المُستدِيرِ يَكُونُ أَعظَمَ فِي إِتقانِ الإِحاطَةِ بالشَّيءِ ما فِيهِ؛ يَعنِي: فوَاصِلَ؛ لأنَّ المُربَّعَ قد يَكُونُ فِي الزَّوايَا شَيءٌ مِنَ الخَللِ، أو شَيءٌ يَتمكَّنُ مَعهُ من خَرقِها، قد يَكُونُ السُّورُ المُحيطُ بالبَلدِ ما يَكُونُ مُربَّعًا، فِي الغَالبِ يَكُونُ مُحيطًا بِهَا مُتقَنًا لِحفظِهَا، ما تَكلَّم عَليهِ بشَيءٍ العَينِيُّ أوِ الحافِظُ قَولُه: «مُربَّعًا»؟

(الطَّالِبُ): قَالَ: «والمُربَّعُ مُستَوِي الزَّوايَا».

(الشَّيخُ): ماشٍ طيِّبٌ.

(الطَّالِبُ): أَقولُ ـ حَفِظَك اللهُ ـ: ما يَكُونُ أَشارَ بذَلِكَ إِلَى الدُّنيَا، وأنَّ فِيهَا جِهاتٍ أَربعًا؛ يَعنِي: أَجلَ الإِنسَان يَكُونُ فِي دُنياهُ، لَيسَ لَهُ أن يَصعَدَ، ولَا أن يَنزِلَ فِي الأَرضِ، ما بَقِيَت لَهُ إِلَّا الجِهاتُ الأَربَعُ.

(الشَّيخُ): والمُستدِيرُ ما يُحِيطُ بالأَربَعِ؟

(الطَّالِبُ): المُستدِيرُ ما هُوَ رُباعِيٌّ.

(الشَّيخُ): لكِنْ ما هُوَ مُحيطٌ بالمَحدُودِ.

(الشَّيخُ): لَعلَّها الإِشارةُ إِلَى الجِهاتِ، أَوضَحُ فِي الجِهاتِ؛ يَعنِي: أَوضَحَ.

* * *

٦٤١٨ حَدَّثَنَا مُسْلِمٌ، حَدَّثَنَا هَمَّامٌ، عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ، عَنْ أَنَسٍ بن مالك قَالَ: خَطَّ النَّبِيُّ ﷺ خُطُوطًا، فَقَالَ: «هَذَا الأَمَلُ، وَهَذَا أَجَلُهُ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ جَاءَهُ الْخَطُّ الأَقْرَبُ».

٥ ـ بَاب مَنْ بَلَغَ سِتِّينَ سَنَةً فَقَدْ أَعْذَرَ اللهُ إِلَيْهِ فِي الْعُمُرِ، لِقَوْلِهِ تعالى: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ﴾[1] [فاطر: ٣٧]

٦٤١٩ ـ حَدَّثَنَا عَبْدُ السَّلَامِ بْنُ مُطَهَّرٍ، حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ عَلِيٍّ، عَنْ مَعْنِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْغِفَارِيِّ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ الْمَقْبُرِيِّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «أَعْذَرَ اللهُ إِلَى امْرِئٍ أَخَّرَ أَجَلَهُ حَتَّى بَلَّغَهُ سِتِّينَ سَنَةً»، تَابَعَهُ أَبُو حَازِمٍ، وَابْنُ عَجْلَانَ، عَنِ الْمَقْبُرِيِّ.

الشَّرْح

اللهُ أَكبَرُ. وهَذَا رَواهُ مُسلِم أَيضًا رَحِمَهُ اللهُ؛ اللهُ المُستَعانُ.

* * *

٦٤٢٠ ـ حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللهِ، حَدَّثَنَا أَبُو صَفْوَانَ عَبْدُ اللهِ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا يُونُسُ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ قال: أَخْبَرَنِي سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «لَا يَزَالُ قَلْبُ الْكَبِيرِ شَابًّا فِي اثْنَتَيْنِ: فِي حُبِّ الدُّنْيَا، وَطُولِ الأَمَلِ»، قَالَ اللَّيْثُ عن يُونُسَ، وَابْنِ وَهْبٍ عَنْ يُونُسَ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ قال: أَخْبَرَنِي سَعِيدٌ، وَأَبُو سَلَمَةَ».

[وأخرجه مسلم، برقم ١٠٤٦]

الشَّرْح

لَا حَولَ ولَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ، فِي اللَّفظِ الآخَرِ: «يَكبُرُ ابنُ آدَمَ ويَشِبُّ مَعهُ اثنَتَانِ: حُبُّ الدُّنيَا وطُولُ الأَمَلِ»[2].

---

(١) (الطَّالِبُ): عِندَنا زِيادةٌ: «النَّذير؛ يَعني: الشَّيبَ»؟
(الشَّيخُ): هُوَ قَولُ بَعضِ أهلِ العِلمِ.

(٢) أخرجه البخاري (٦٤٢١)، ومسلم (١٠٤٧) عن أنس بن مالك رضي الله عنه، وهو الحديث القادم.

(ع): وَهَذَا يُفِيدُ الحَذرَ، وَأَنَّ الْمُؤمِنَ يَأْخُذُ حِذْرَهُ وَلَا سِيَّمَا إِذَا بَلَغَ سِتِّينَ سَنَةً ﴿لقَدْ أَعْذَرَ اللهُ إِلَى امْرِئٍ أَخَّرَ أَجَلَهُ، حَتَّى بَلَّغَهُ سِتِّينَ سَنَةً﴾، فِي اللَّفظِ الآخَرِ: «**أَعمَارُ أُمَّتِي مَا بَينَ السِّتِّينَ إِلَى السَّبعِينَ، وَأَقَلُّهُمْ مَن يَجُوزُ ذَلِكَ**»[1].

وَفِي هَذَا لَا يَزَالُ قَلبُ الشَّيخِ مُتَعَلِّقًا بِاثْنَتَينِ: حُبِّ الدُّنْيَا، وَطُولِ الأَمَلِ. هَذِهِ طَبِيعَةُ الإِنسَانِ، حُبُّ الدُّنْيَا وَطُولُ الأَمَلِ، إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللهُ؛ فَالوَاجِبُ عَلَى الْمُؤمِنِ أَنْ يَحذَرَ وَأَنْ يَعتَبِرَ، هَذِهِ الدَّارُ الْمَزرَعَةُ؛ فَيَجتَهِدَ فِي زَرعِ الآخِرَةِ؛ حَتَّى يَحصُدَ يَومَ القِيَامَةِ مَا يَنفَعُهُ.

• **س: المَقصُودُ بـ﴿وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ﴾ [فاطر: ٣٧]: الشَّيبُ؟**

○ ج: أَطلَقَهُ بَعضُ العُلَمَاءِ عَلَى الشَّيبِ، وَالْمُرَادُ بِالنَّذِيرِ الحَقِيقَةَ: الرُّسُلُ عَلَيهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، الرُّسُلُ وَالكُتُبُ.

* * *

٦٤٢١ - حَدَّثَنَا مُسْلِمُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، حَدَّثَنَا هِشَامٌ، حَدَّثَنَا قَتَادَةُ، عَنْ أَنَسٍ ﷺ قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَكْبَرُ ابْنُ آدَمَ، وَيَكْبَرُ مَعَهُ اثْنَتَانِ: حُبُّ الْمَالِ، وَطُولُ الْعُمُرِ»، رَوَاهُ شُعْبَةُ، عَنْ قَتَادَةَ. [وأخرجه مسلم، برقم ١٠٤٧]

الشَّرح

هُنَا ﴿طُولُ العُمرِ﴾ والأَوَّلُ ﴿طُولُ الأَمَلِ﴾.

﴿أَعذَرَ اللهُ﴾؛ يَعنِي: انتَهَى العُذرُ؛ يَعنِي: قد بالَغَ فِي الإِعذَارِ إِلَيهِ؛ يَعنِي: ما بَقِيَ لَهُ عُذرٌ مِثلَما فِي الحَدِيثِ الآخَرِ: «**لا يُهلِكُ اللهُ قَومًا حتَّى يُعذِرُوا مِن أَنفُسِهِم**»[2]؛ يَعنِي: حتَّى يَقولُوا: مَعذورٌ مَن عَاقَبَنا، قد فَعَلْنا ما

(١) أخرجه الترمذي (٣٥٥٠)، وابن ماجه (٤٢٣٦)، والحاكم (٢/ ٤٢٧) عن أبي هريرة ﷺ.
(٢) أخرجه أبو داود (٤٣٤٧)، وأحمد (٣٠/ ٢٢٢) رقم (١٨٢٨٩) عن أبي البختري قال: أَخبَرَنِي مَنْ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**لَنْ يَهْلَكَ النَّاسُ حَتَّى يَعْذِرُوا، أَوْ يُعْذِرُوا مِنْ أَنْفُسِهِمْ**».

يُوجِبُ العُقوبَةَ ـ اللهُ المُستَعانُ ـ ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾ [الإسراء: ١٥].

• **س: هَذَا يَكُونُ فِي الجُملَةِ فِي الكَبيرِ؟**

○ ج: هَذَا وَصفٌ أَغلبِيٌّ، قد يَأتِي مَن رَزَقه اللهُ الزُّهدَ فِي الدُّنيَا والرَّغبَةَ فِي الآخِرَةِ؛ فلَا يُهِمُّه طُولُ الأَملِ ولَا يُهِمُّه المَالُ.

• **س: أَعذَر؛ يَعنِي: انقَطَع فِي المَعذِرةِ؟**

○ ج: نَعَم؛ يَعنِي: ما بَقِي لَهُ عُذرٌ. سِتُّون سَنةً طَويلَةٌ.

• **س: لِمَاذَا تَخصِيصُ السِّتِّينَ سَنةً؟**

○ ج: لأَنَّهَا مُدَّةٌ طَويلةٌ؛ فِيهَا تذكُّرٌ لِمَن أَرادَ أن يَتذكَّرَ، فِي اللَّفظِ الآخَرِ: «**أَعمارُ أُمَّتِي مَا بَينَ السِّتِّينَ إِلَى السَّبعِينَ، وأَقلُّهُم مَن يَجوزُ ذَلِكَ**»[1]؛ اللهُ المُستَعانُ.

• **س: عَفَا اللهُ عَنكَ: هنا «يَكبَرُ ابنُ آدَمَ» فِيهِ وَجهٌ آخَرُ؟**

○ ج: يَكبَر يكبُر، من كَبِرَ يَكبَر وكَبُرَ يكبُر صَارَ كَبيرًا، تَكلَّم عَليهِ الشَّارِحُ؟

[قالَ الحَافِظُ ابنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللهُ فِي «فتحِ البَارِي» (١١/ ٢٤١)]: «قَوْلُهُ: «حَدَّثَنَا مُسْلِمٌ» كَذَا لِأَبِي ذَرٍّ غَيْرُ مَنْسُوبٍ، وَلِغَيْرِهِ: «حَدَّثَنَا مُسْلِمُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ»، وَهِشَامٌ هُوَ: الدَّسْتُوَائِيّ. قَوْلُهُ: «يَكْبَرُ» بِفَتْحِ الْمُوَحَّدَةِ؛ أَيْ: يَطْعَنُ فِي السِّنِّ. قَوْلُهُ: «وَيَكْبُرَ مَعَهُ» بِضَمِّ الْمُوَحَّدَةِ؛ أَيْ: يَعْظُمُ، وَيَجُوزُ الْفَتْحُ وَيَجُوزُ الضَّمُّ فِي الْأَوَّلِ تَعْبِيرًا عَنِ الْكَثْرَةِ، وَهِيَ كَثْرَةُ عَدَدِ السِّنِينَ بِالْعِظَمِ». [انتهى كلامه].

قَالَ ابنُ بَازٍ رَحِمَهُ اللهُ: يَعنِي: الأَفصَحُ فِيهِ يكبَر فِي هَذَا الكَلِمةِ: يكبَر، ويَكبُر...

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٥٥٠)، وابن ماجه (٤٢٣٦)، والحاكم (٢/ ٤٢٧) عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

• س: عَلَى اختِلَافِ المَعنَى يَعني؟

○ ج: يَكبَر من جِهة السِّنِّ وارتِفاعِهَا، ويَكبُرُ من جِهةِ كَثرَتِها وعَظَمَتِها. اللهُ أَكبَرُ.

(ع): اللهُ المُستَعَانُ، هَذَا وَيَكبُرُ مَعَهُ اثْنَتَانِ، ذَكَرَ رِوَايَةً أُخْرَى: «**وَيَشِبُّ مَعَهُ اثْنَتَانِ**»؟ الأَخِيرُ؛ «**يَكبُرُ ابنُ آدَمَ، وَيَكبُرُ مَعَهُ اثْنَتَانِ**».

[قالَ الحَافِظُ ابنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ في «فتْحِ البَارِي» (١١/ ٢٤١)]:

«**اثْنَتَانِ حُبُّ الْمَالِ وَطُولُ الْعُمُرِ**» فِي رِوَايَةِ أَبِي عَوَانَةَ عَنْ قَتَادَةَ عِنْد مُسلِم: «**يهرم ابنُ آدَمَ وَيَشِبُّ مَعَهُ اثْنَتَانِ: الْحِرْصُ عَلَى الْمَالِ، وَالْحِرْصُ عَلَى الْعُمُرِ**»، **ثُمَّ أَخْرَجَهُ مِنْ طَرِيقِ مُعَاذِ بْنِ هِشَامٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَهُ بِمِثْلِهِ**». [انتهى كلامه].

قَالَ ابنُ بَازٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿يَشِبُّ مَعَهُ اثْنَتَانِ﴾: يَعْنِي: تَقوَى مَعَهُ الثِّنتَانِ، يَكبُرُ عُمرُهُ وَتَشِبُّ مَعَهُ اثْنَتَانِ؛ حُبُّ الدُّنْيَا وَطُولُ أَمَلِهِ، اللهُ المُستَعَانُ.

[قالَ الحَافِظُ ابنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «فتْحِ البَارِي» (١١/ ٢٤٠)]: «قَوْلُهُ: ﴿أَعْذَرَ اللهُ﴾ الْإِعْذَارُ: إِزَالَةُ الْعُذْرِ، وَالْمَعْنَى: أَنَّهُ لَمْ يَبْقَ لَهُ اعْتِذَارٌ، كَأَنْ يَقُولَ: لَوْ مُدَّ لِي فِي الْأَجَلِ لَفَعَلْتُ مَا أُمِرْتُ بِهِ، يُقَالُ: أَعْذَرَ إِلَيْهِ إِذَا بَلَّغَهُ أَقْصَى الْغَايَةِ فِي الْعُذْرِ، وَمَكَّنَهُ مِنْهُ، وَإِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ عُذْرٌ فِي تَرْكِ الطَّاعَةِ مَعَ تَمَكُّنِهِ مِنْهَا بِالْعُمُرِ الَّذِي حَصَلَ لَهُ فَلَا يَنْبَغِي لَهُ حِينَئِذٍ إِلَّا الِاسْتِغْفَارُ وَالطَّاعَةُ وَالْإِقْبَالُ عَلَى الْآخِرَةِ بِالْكُلِّيَّةِ، وَنِسْبَةُ الْإِعْذَارِ إِلَى اللهِ مَجَازِيَّةٌ، وَالْمَعْنَى: أَنَّ اللهَ لَمْ يَتْرُكْ لِلْعَبْدِ سَبَبًا فِي الِاعْتِذَارِ يَتَمَسَّكُ بِهِ، وَالْحَاصِلُ أَنَّهُ لَا يُعَاقَبُ إِلَّا بَعْدَ حُجَّةٍ». [انتهى كلامه]

قَالَ ابنُ بَازٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: ما هُناكَ حاجَةٌ إِلَى مدِّ أَجلِ ابنِ آدَمَ، الأَمرُ واقِعٌ وحَقيقَةٌ، ما هُناكَ حاجَةٌ إِلَى مدِّ أَجَلِ ابنِ آدَمَ، هُوَ من فَضلِه وإِحسَانِه ﷻ

أبلَغَه هَذَا العُمُرَ، وقد أعذَرَ إلَيهِ، ولَو أَخَذَه قَبلَ ذَلِكَ لَكانَ لَهُ الحَقُّ فِي ذَلِكَ، لكِنَّ هَذَا من بابِ الجُودِ والكَرمِ والإحسَانِ؛ حَيثُ مدَّ لَهُ فِي العُمرِ.

• **س: أَحسَنَ اللهُ إلَيكَ؛ يَعنِي: مَعنَى هَذَا مَن لم يَبلِغْه اللهُ سِتِّينَ سَنَةً؟**

○ ج: هَذَا ما لَهُ مَفهومٌ؛ لكِنَّ هَذَا مَعناهُ: أنَّ هَذَا غَايةٌ فِي العُذرِ.

[قَالَ الحَافظُ رَحِمَهُ اللهُ]: «قَوْلُهُ: ﴿أَخَّرَ أَجَلَهُ﴾؛ يَعْنِي: أَطَالَهُ حَتَّى بَلَّغَهُ سِتِّينَ سَنَةً، وَفِي رِوَايَةِ مَعْمَرٍ: **«لَقَدْ أَعْذَرَ اللهُ إِلَى عَبْدٍ أَحْيَاهُ حَتَّى يَبْلُغَ سِتِّينَ سَنَةً أَوْ سَبْعِينَ سَنَةً»، «لَقَدْ أَعْذَرَ اللهُ إِلَيْهِ لَقَدْ أَعْذَرَ اللهُ إِلَيْهِ»**.

قَوْلُهُ: «تَابَعَهُ أَبُو حَازِمٍ وابن عَجْلَانَ عَنْ الْمَقْبُرِيِّ» أَمَّا مُتَابَعَةُ أَبِي حَازِمٍ ـ وَهُوَ: سَلَمَةُ بْنُ دِينَارٍ ـ فَأَخْرَجَهَا الْإِسْمَاعِيلِيُّ مِنْ طَرِيقِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ: حَدَّثَنِي أبي عَن سعيد المقبريِّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ. كَذَا أَخْرَجَهُ الْحُفَّاظُ عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ. وَخَالَفَهُمْ هَارُونُ بن مَعْرُوف: فَرَوَاهُ عَن ابن أبي حَازِم عَن أَبِيه عَن سعيد المقبري عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَخْرَجَهُ الْإِسْمَاعِيلِيُّ وَإِدْخَالُهُ بَيْنَ سَعِيدٍ وَأَبِي هُرَيْرَةَ فِيهِ: رَجُلًا مِنَ الْمَزِيدِ فِي مُتَّصِلِ الْأَسَانِيدِ، وَقَدْ أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ وَالنَّسَائِيُّ مِنْ رِوَايَةِ يَعْقُوبَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ عَنْ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ سَعِيدٍ الْمَقْبُرِيِّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، بِغَيْرِ وَاسِطَةٍ، وَأَمَّا طَرِيقُ مُحَمَّدِ بْنِ عَجْلَانَ فَأَخْرَجَهُ أَحْمَدُ مِنْ رِوَايَةِ سَعِيدِ بْنِ أَبِي أَيُّوبَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عجلان، عَن سعيد بن أبي سعيد المقبريِّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ بِلَفْظِ: **«مَنْ أَتَتْ عَلَيْهِ سِتُّونَ سَنَةً؛ فَقَدْ أَعْذَرَ اللهُ إِلَيْهِ فِي الْعُمر»**.

قَالَ ابن بَطَّالٍ: إِنَّمَا كَانَتِ السِّتُّونَ حَدًّا لِهَذَا؛ لِأَنَّهَا قَرِيبَةٌ مِنَ الْمُعْتَرَكِ، وَهِيَ سِنُّ الْإِنَابَةِ وَالْخُشُوعِ وَتَرَقُّبِ الْمَنِيَّةِ؛ فَهَذَا إِعْذَارٌ بَعْدَ إِعْذَارٍ؛ لُطْفًا مِنَ اللهِ بِعِبَادِهِ حَتَّى نَقَلَهُمْ مِنْ حَالَةِ الْجَهْلِ إِلَى حَالَةِ الْعِلْمِ، ثُمَّ أَعْذَرَ إِلَيْهِمْ فَلَمْ يُعَاقِبْهُمْ إِلَّا بَعْدَ الْحُجَجِ الْوَاضِحَةِ، وَإِنْ كَانُوا فُطِرُوا عَلَى حُبِّ الدُّنْيَا وَطُولِ الْأَمَلِ

لكِنهمْ أمروا بمجاهَدةِ النَّفس فِي ذَلِك؛ ليمتثلوا مَا أُمِرُوا بِهِ مِنَ الطَّاعَةِ، وَيَنْزَجِرُوا عَمَّا نُهُوا عَنْهُ مِنَ الْمَعصِية.

وَفِي الْحَدِيثِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ اسْتِكْمَالَ السِّتِّينَ مَظِنَّةٌ لِانْقِضَاءِ الْأَجَلِ، وَأَصْرَحُ مِنْ ذَلِكَ مَا أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ بِسَنَدٍ حَسَنٍ إِلَى أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَفَعَهُ: «**أَعْمَارُ أُمَّتِي مَا بَيْنَ السِّتِّينَ إِلَى السَّبْعِينَ، وَأَقَلُّهُمْ مَنْ يَجُوزُ ذَلِكَ**». قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ: الْأَسْنَانُ أَرْبَعَةٌ: سِنُّ الطُّفُولِيَّةِ، ثُمَّ الشَّبَابِ، ثُمَّ الْكُهُولَةِ، ثُمَّ الشَّيْخُوخَةِ، وَهِيَ آخِرُ الْأَسْنَانِ. وَغَالِبُ مَا يَكُونُ مَا بَيْنَ السِّتِّينَ وَالسَّبْعِينَ؛ فَحِينَئِذٍ يَظْهَرُ ضَعْفُ الْقُوَّةِ بِالنَّقْصِ وَالِانْحِطَاطِ؛ فَيَنْبَغِي لَهُ الْإِقْبَالُ عَلَى الْآخِرَةِ بِالْكُلِّيَّةِ لِاسْتِحَالَةِ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الْحَالَةِ الْأُولَى مِنَ النَّشَاطِ وَالْقُوَّةِ، وَقَدِ اسْتَنْبَطَ مِنْهُ بَعْضُ الشَّافِعِيَّةِ أَنَّ مَنِ اسْتَكْمَلَ سِتِّينَ فَلَمْ يَحُجَّ مَعَ الْقُدْرَةِ فَإِنَّهُ يَكُونُ مُقَصِّرًا، وَيَأْثَمُ إِنْ مَاتَ قَبْلَ أَنْ يَحُجَّ». [انتهى كلامه].

قَالَ ابنُ بَازٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: وهَذَا عَلَى القَولِ بأنَّ الحَجَّ فَرضٌ عَلَى التَّراخِي، وأمَّا الصَّحيحُ الَّذِي عَليهِ الجُمهُورُ أنَّهُ عَلَى الفَورِ، وأنَّ مِن استَطاعَ الحَجَّ لَزِمَه أن يَحُجَّ ولو فِي حالِ الشَّبابِ، إذَا استَطَاعَ وَجَب عَليهِ الحَجُّ؛ لقَولِهِ سُبحانَهُ: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: ٩٧] فيَجِبُ عَليهِ عَلَى الفَورِ.

٦ ـ بَاب الْعَمَلِ الَّذِي يُبْتَغَى بِهِ وَجْهُ اللهِ، فِيهِ سَعْدٌ

٦٤٢٢ حَدَّثَنَا مُعَاذُ بْنُ أَسَدٍ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللهِ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، قال: أَخْبَرَنِي مَحْمُودُ بْنُ الرَّبِيعِ، وَزَعَمَ مَحْمُودٌ أَنَّهُ عَقَلَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، وَقَالَ: «وَعَقَلَ مَجَّةً مَجَّهَا مِنْ دَلْوٍ كَانَتْ فِي دَارِهِم». [سبق برقم ٧٧]

٦٤٢٣ قال: سَمِعْتُ عِتْبَانَ بْنَ مَالِكٍ الأَنْصَارِيَّ، ثُمَّ أَحَدَ بَنِي

سَالِم، قَالَ: «غَدَا عَلَيَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «لَنْ يُوَافِيَ عَبْدٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَقُولُ: لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ، يَبْتَغِي بِهِ وَجْهَ اللهِ إِلَّا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ النَّارَ»».

[سبق برقم ٤٢٤، وأخرجه مسلم، برقم ٣٣]

الشَّرح

فِي هَذَا البَابِ الإرشادُ إِلَى أَنَّهُ يَنبَغِي للمُؤمِنِ فِي أَعمالِهِ كُلِّها أن يَبتغِيَ بِهَا وَجْهَ اللهِ ﷻ، وأن يَبتعِدَ عَن صِفةِ المُنافِقينَ الَّذِينَ لَهُم مَقاصِدُ وأغراضٌ فِي أعمالِهِم لَيسَتِ ابتِغاءَ وَجهِ اللهِ ﷻ، فإنَّ المُنافِقَ أَعمالُه كُلُّها لغَيرِ اللهِ؛ فهُوَ يَعمَلُ لمَقاصِدَ وأَغراضٍ عاجِلةٍ، إمَّا رِياءً للنَّاسِ، وإمَّا لطَلبِ مِدحَةٍ، وإمَّا لطَلبِ مالٍ، وإمَّا لحَقنِ دَمِه، وإمَّا لغَيرِ هَذَا مِنَ الأُمورِ؛ فلَيسَتْ أَعمالُه للهِ.

فلِهَذَا عَقَد البُخارِيُّ رَحِمَهُ اللهُ هَذَا البَابَ فِي بَيانِ الأَعمالِ الَّتِي يُبتغَى بِهَا وَجهُ اللهِ، وأنَّها تَنفَعُ أَهلَها يَومَ القِيامَةِ وأَعظَمُها وأَكبَرُها وأَخَصُّها تَوحِيدُ اللهِ ﷻ، كَونُه يَأتِي بذِكرِ اللهِ يَبتَغِي وَجْهَ اللهِ، يَقولُ: ﴿لا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ﴾ يَقولُ: «أَشهَدُ أن لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ وأشهَدُ أنَّ مُحمَّدًا رَسُولُ اللهِ» يَبتَغِي وَجْهَ اللهِ، هَكَذا المُؤمِن يَقولُها عَن إِخلَاصٍ، عَن صِدقٍ، يَعلَمُ أَنَّهُ لَا مَعبُودَ حقٌّ إِلَّا اللهُ؛ فهُوَ يَقولُها يَبتَغِي وَجْهَ الله يَبتَغِي مَرضَاةَ رَبِّه، يَبتَغِي الزُّلفَةَ لَديهِ، فلِهَذَا وَعَدهُ اللهُ الجَنَّةَ وحرَّمَه عَلَى النَّارِ، إِذَا قَالَها عَن صِدقٍ ولم يَمُت مُصِرًّا عَلَى السَّيِّئاتِ؛ فإِذَا أَتَى بِالتَّوحيدِ الخَالِصِ للهِ، ولَيسَ مَعهُ إِصرارٌ عَلَى السَّيِّئاتِ وَجَبت لَهُ الجَنَّةُ وحَرَّمه اللهُ عَلَى النَّارِ.

أَمَّا إِنْ كَانَ قد أَصرَّ عَلَى السَّيِّئاتِ ولم يَتُبْ؛ فهَذَا مِثلُ ما قَالَ ﷺ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨] تَحتَ مَشيئَةِ اللهِ، هَذِه المَعاصِي الَّتِي أَصرَّ عَليهَا ومَاتَ عَليهَا، إن شَاءَ المَولَى سُبحانَهُ عَفَا عَنهُ فأَدخَلَه الجَنَّة بتَوحِيدِه وإِسلَامِه، وإن شَاءَ عَذَّبَه عَلَى قَدرِ المَعاصِي الَّتِي مَاتَ عَليهَا ولم يَتُبْ، ثُمَّ مَصيرُهُ إِلَى الجَنَّةِ.

وقَولُه: ﴿فِيهِ سَعدٌ عَنِ النَّبيِّ ﷺ﴾؛ يَعنِي: سَعدَ بنَ مالِكٍ؛ يَعنِي: سَعدَ بنَ أبي وَقَّاصٍ الزُّهرِيَّ رضي الله عنه، وهَذَا قِصَّتُه حِينَ تَخلَّف حِينَ أَصابَه المَرضُ فِي مَكَّةَ وسَأَل النَّبيَّ ﷺ: هَل أُخلَّفُ بعدَ أَصحابِي؟ فقَالَ: «**إِنَّك لَن تَعمَلَ عَملًا تَبتَغِي بِهِ وَجْهَ اللهِ إِلَّا ازدَدْتَ بِهِ دَرَجةً ورِفعَةً، ولَعلَّك أن تُخلَّفَ حَتَّى يَنتفِعَ بِك أَقوامٌ ويُضَرَّ بِك آخَرُونَ**»[1]. فطَالَت حَياتُه وفَسَّح الله لَهُ فِي الأَجلِ حتَّى جَاهَدَ فِي اللهِ فِي الفُرسِ، وجَرَى عَلَى يَديهِ فُتوحٌ عَظيمَةٌ، وأَعزَّ اللهُ بِهِ الإِسلَامِ، وأَجرَى عَلَى يَديهِ خَيرًا كَثيرًا رضي الله عنه.

(ع): وَالمَعْنَى: مَن لَقِي اللهَ بِالتَّوحِيدِ الخَالِصِ غَيرَ مُصِرٍّ عَلَى الذُّنُوبِ حَرَّمَهُ اللهُ عَلَى النَّارِ، وَهَكَذَا كُلُّ مَا جَاءَ مِنَ الأَحَادِيْثِ فِي فَضلِ التَّوحِيدِ؛ فَالْمُرَادُ الَّذِي صَحِبَتْهُ التَّوبَةُ وَالنَّدَمُ وَالإِقلَاعُ؛ فَإِنَّهُ يَلقَى رَبَّهُ قَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيهِ النَّارَ كَمَا قَالَ ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾﴾ [آل عمران: ١٣٥، ١٣٦]، فَمَن لَقِيَ اللهَ بِالتَّوحِيدِ الخَالِصِ سَالِمًا مِنَ الإِصرَارِ عَلَى الذُّنُوبِ، عَلَى تَوبَةٍ صَادِقَةٍ؛ حَرَّمَهُ اللهُ عَلَى النَّارِ.

• **س: أَحسَنَ اللهُ إِلَيكَ، إِذَا كَانَ عَلَيهِ مَعَاصٍ؛ تَحرِيمُ دُخُولٍ أَوْ خُلُودٍ؟**

○ ج: يَحتَمِلُ هَذَا وَهَذَا، العُصَاةُ مِن أَهلِ التَّوحِيدِ يَحرُمُ عَلَيهِمُ الخُلُودُ، وَإِنَّمَا يُعَذَّبُونَ عَلَى قَدرِ مَعَاصِيهِمْ، وَأَمَّا مَن مَاتَ عَلَى تَوبَةٍ تَحرُمُ عَلَيهِ النَّارُ مِن كُلِّهِ، لَا يَمَسُّهَا وَلَا يَدخُلُهَا، لَكِنْ مَن دَخَلَهَا مِنَ العُصَاةِ فِعِندَ أَهلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ؛ خِلَافًا لِلخَوَارِجِ وَالْمُعتَزِلَةِ لَا يُخَلَّدُونَ فِيهَا؛ بَلْ لَهُم عَذَابٌ مُؤَقَّتٌ

(١) أخرجه البخاري (١٢٩٥)، ومسلم (١٦٢٨) عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

يَنتَهِي، ثُمَّ يُخرَجُونَ مِنهَا إِلَى الجَنَّةِ وَلَا يَبقَى فِي النَّارِ إِلَّا أَهلُ الكُفرِ، هُمُ الَّذِينَ يُخَلَّدُونَ فِيهَا، نَسأَلُ اللهَ العَافِيَةَ.

• **س: أَحسَنَ اللهُ إِلَيكَ، مَن قَالَ: إِنَّ مَن حَقَّقَ التَّوحِيدَ فَإِنَّهُ لَا يُصِرُّ عَلَى الذُّنُوبِ؟**

○ ج: تَحقِيقُ التَّوحِيدِ يَمنَعُ الإِصرَارَ، مَنْ حَقَّقَ التَّوحِيدَ تَابَ مِنَ الْمَعَاصِي.

* * *

﴿٦٤٢٤﴾ حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ، حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ، عَنْ عَمْرٍو، عَنْ سَعِيدٍ الْمَقْبُرِيِّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قال: «يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: مَا لِعَبْدِي الْمُؤْمِنِ عِنْدِي جَزَاءٌ إِذَا قَبَضْتُ صَفِيَّهُ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا، ثُمَّ احْتَسَبَهُ إِلَّا الْجَنَّةُ».

الشَّرح

وفي هَذَا يَقولُ ﷺ: ﴿مَا لِعَبدِي المُؤمِنِ جَزاءٌ إِذَا أَخَذتُ صَفِيَّهُ مِن أَهلِ الدُّنيَا فَاحْتَسَبَه إِلَّا الجَنَّةُ﴾، والصَّفيُّ هُوَ المَحبوبُ لَديهِ، إِمَّا وَلَدٌ، أو زَوجَةٌ، أو زَوجٌ، أو والِدٌ، أو والِدَة، أو أَخٌ، أو صَديقٌ حَميمٌ، أو ما أَشبَهَ ذَلِكَ، أو أَخَذ بَصَرَه أو سَمْعَه أو ما أَشبَهَ ذَلِكَ.

فإِذَا أُخِذ مَحبوبُه مِنَ الدُّنيَا فَاحتَسَبَه عِندَ اللهِ، وصَبَر صَارَ من جَزائِه عَليهِ الجَنَّةُ والنَّجاةُ مِنَ النَّارِ، ويَدخُلُ فِي ذَلِكَ مَن مَاتَ لَهُ نَفرٌ وَاحِد، جَاءَ فِي الحَديثِ: **«مَن مَاتَ لَهُ ثَلاثَةٌ لم يَبلُغُوا الحِنثَ كَانُوا لَهُ حِجابًا عَنِ النَّارِ»**، قَالُوا: يا رَسُولَ اللهِ، أوِ اثنَينِ؟ قَالَ: **«أوِ اثنَينِ»**[1]، بَقِيَ الوَاحِدُ لم يَسأَلُوا عَنهُ، وفِي هَذَا الحَديثِ ما يَدلُّ عَلَى أَنَّهُ حتَّى الوَاحِدُ إِذَا احتَسَبَه عِندَ اللهِ وهُوَ مَحبوبٌ لَهُ وأُخِذ فَاحتَسَبَه كَانَ من جَزائِه الجَنَّةُ.

---

(١) أخرجه البخاري (١٢٤٩)، ومسلم (٢٦٣٣) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(ع): «صَفِيَّهُ»؛ يَعْنِي: حَبِيبَهُ، وَهَذَا جَزَاءُ مَن صَبَرَ، إِذَا قُبِضَ وَلَدُهُ أَوْ أَخُوهُ أَوْ أَبُوهُ أَوْ زَوجَتُهُ وَصَبَرَ وَاحْتَسَبَ فَلَهُ الجَنَّةُ، هَذَا مِن أَعمَالِ الخَيرِ الَّتِي وَعَدَ اللهُ عَلَيهَا الجَنَّةَ.

• س: الصَّفِيُّ يَكُونُ قَرِيبًا فَقَطْ؟

○ ج: صَفِيُّهُ حَبِيبُهُ مِن أَهلِ الدُّنْيَا وَلَو مَا هُوَ بِقَرِيبٍ.

٧ ـ بَاب مَا يُحْذَرُ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا، وَالتَّنَافُسِ فِيهَا

﴿٦٤٢٥﴾ حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَبْدِ اللهِ، قال: حَدَّثَنِي إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عُقْبَةَ عَنْ مُوسَى بْنِ عُقْبَةَ قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: حَدَّثَنِي عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ أَنَّ الْمِسْوَرَ بْنَ مَخْرَمَةَ أَخْبَرَهُ أَنَّ عَمْرَو بْنَ عَوْفٍ وَهُوَ حَلِيفٌ لِبَنِي عَامِرِ بْنِ لُؤَيٍّ كَانَ شَهِدَ بَدْرًا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، أَخْبَرَهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ بَعَثَ أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجَرَّاحِ إِلَى الْبَحْرَيْنِ يَأْتِي بِجِزْيَتِهَا، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ هُوَ صَالَحَ أَهْلَ الْبَحْرَيْنِ، وَأَمَّرَ عَلَيْهِمُ الْعَلَاءَ بْنَ الْحَضْرَمِيِّ، فَقَدِمَ أَبُو عُبَيْدَةَ بِمَالٍ مِنَ الْبَحْرَيْنِ، فَسَمِعَتِ الأَنْصَارُ بِقُدُومِهِ، فَوَافَقت صَلَاةَ الصُّبْحِ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَلَمَّا انْصَرَفَ تَعَرَّضُوا لَهُ، فَتَبَسَّمَ رسولُ الله ﷺ حِينَ رَآهُمْ، وَقَالَ: «أَظُنُّكُمْ سَمِعْتُمْ بِقُدُومِ أَبِي عُبَيْدَةَ، وَأَنَّهُ جَاءَ بِشَيْءٍ» قَالُوا: أَجَلْ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «فَأَبْشِرُوا، وَأَمِّلُوا مَا يَسُرُّكُمْ؛ فَوَاللهِ مَا الْفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلَكِنْ أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُبْسَطَ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا، كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا، وَتُلْهِيَكُمْ كَمَا أَلْهَتْهُم».

[وأخرجه مسلم، برقم ٢٩٦١]

الشَّرح

(ع): وَهَذَا فِيهِ الحَذَرُ مِنَ التَّنَافُسِ فِي الدُّنيَا، وَأَنَّهَا خَطَرٌ، وَأَنَّ الفَقرَ

أَسلَمُ، وَأَنَّ الدُّنْيَا إِذَا فُتِحَتْ يُخشَى عَلَى النَّاسِ مِنْهَا؛ وَلِهَذَا قَالَ ﷺ لِلأَنصَارِ: ﴿وَاللهِ مَا الفَقرَ أَخشَى عَلَيكُمْ، وَإِنَّمَا أَخشَى عَلَيكُمُ الدُّنْيَا، أَنْ تُبسَطَ عَلَيكُمْ كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا، فَتُلهِيَكُمْ كَمَا أَلهَتْهُم﴾، وَفِي اللَّفظِ الآخَرِ: «فَتُهلِكَكُمْ كَمَا أَهلَكَتْهُمْ».

فَالوَاجِبُ عَلَى كُلِّ مُؤمِنٍ أَنْ يَحذَرَ شَرَّهَا، وَأَنْ يَستَعِينَ بِهَا عَلَى طَاعَةِ اللهِ، لَا بَأسَ بِالتِّجَارَةِ ولَا بَأسَ بِالْمَالِ، وَلَكِنْ لِيَحذَرْ شَرَّهُ، وَلْيَستَعِنْ بِهَا عَلَى طَاعَةِ رَبِّهِ، وَلْيَحذَرْ أَنْ يَفتِنَهُ عَمَّا أَوجَبَ اللهُ عَلَيهِ، أَوْ يُوقِعَهُ فِيمَا حَرَّمَ اللهُ عَلَيهِ، اللهُ المُستَعَانُ.

قوله: ﴿فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا، وَتُلْهِيَكُمْ كَمَا أَلْهَتْهُم﴾: وهَذَا يُبيِّنُ لَنَا أَنَّ ما يَحصُلُ من زَهرةِ الدُّنيَا وبَسطِها عَلَى النَّاسِ يُخشَى مِنهُ الفِتنَةُ والخَطرُ والرُّكونُ إِلَى الدُّنيَا، والتَّساهُلُ فِي أَمرِ اللهِ ﷻ.

وفِي هَذَا: أَنَّهُ ﷺ أَرسَلَ أَبَا عُبيدَةَ بنَ الجَرَّاحِ ﷺ إِلَى البَحرَينِ، وهِيَ المِنطَقةُ الشَّرقيَّةُ الآنَ، البَحرَينِ وما حَولَها يُقَالُ لَهَا: البَحرَينِ مَجمَعُ البَحرَينِ، وكَانَ ذَاكَ الوَقتَ فِيهَا طَائِفةُ الفُرسِ عُبَّادُ النَّارِ؛ فصَالَحَهمُ النَّبيُّ ﷺ عَلَى الجِزيَةِ، وأَمَّرَ عَليهِمُ العَلاءَ بنَ الحَضرَمِيَّ ﷺ؛ فبَعَث إِلَيهِم أَبَا عُبيدَةَ ﷺ لِيَأخُذَ الجِزيَةَ؛ فقَدِم بمَالٍ مَعهُ مِنَ البَحرينِ ﷺ؛ فسَمِعَتِ الأَنصارُ بقُدومِه؛ فجَاءُوا فصَلَّوا مَعَ النَّبيِّ الفَجرَ عليه الصلاة والسلام، فلَمَّا رآهُم تَبسَّم عليه الصلاة والسلام، قَالَ: لَعَلَّكُم سَمِعتُم بقُدومِ أَبِي عُبَيدةَ بشَيءٍ؟ قَالُوا: نَعَم؛ فقَالَ عليه الصلاة والسلام: ﴿أَبشِرُوا وأَمِّلُوا ما يَسُرُّكُم﴾ هَكَذا كان خُلُقُه العَظيمُ عليه الصلاة والسلام، كَانَ بَشَّاشًا كَريمًا حَليمًا عليه الصلاة والسلام، ﴿أَبشِرُوا وأَمِّلُوا ما يَسُرُّكُم؛ فوَاللهِ ما الفَقرَ أَخْشَى عَلَيكُم، وإِنَّما أَخشَى عَليكُمُ الدُّنيَا أن تُبسَطَ عَلَيكُم كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَن كَانَ قَبلَكُم؛ فتَنافَسُوهَا كَمَا تَنافَسُوهَا، وتُلهِيَكُم كَمَا أَلْهَتْهُم﴾، وفِي اللَّفظِ الآخَرِ: «وتُهلِكُكُم كَمَا

أَهلَكَتْهُم»، وقسَم بَينهُمُ المالَ عليه الصلاة والسلام، قسَمَ ذَاكَ المالَ بَينَ الصَّحابَةِ فِي المَسجِدِ عليه الصلاة والسلام.

فهَذَا يُبيِّن لَنَا أنَّ الخَطرَ فِي الغِنَى أعظَمُ مِنَ الخَطرِ فِي الفَقرِ، وأن النَّاسَ إذَا أُصِيبُوا بفَتحِ الدُّنيَا وانبِسَاطِها وكَثرَتِها خَطَرُهُم أكثَرُ من حَالِهِم مَعَ الفَقرِ؛ لأنَّهُم مَعَ الفَقرِ قد يَمتنِعُ الإنسَانُ مِنَ الشَّيءِ لعَجزِهِ، ويَكُونُ من أسبَابِ العَافِيةِ العَجزُ، مِنَ العِصمةِ أَلَّا تَقدِرَ، لكِنْ مَتَى فُتِحَتِ الدُّنيَا وانبَسَطَتِ الدُّنيَا وكَثُر المالُ فقَد يُزيِّنُ الشَّيطانُ للإنسَان كَثيرًا مِنَ المُحرَّماتِ والمَعاصِي بسَببِ قُدرَتِه عَليهَا، وبسَببِ وُجودِ المَالِ، فقَلَّ أن يَسلَمَ.

فيَنبَغِي للمُؤمِنِ أن يَحذَرَ ذَلِكَ؛ ولهَذَا كَانَ من دُعاءِ النَّبيِّ ﷺ: **«اللَّهُمَّ إنِّي أعوذُ بِكَ مِن شَرِّ فِتنَةِ الغِنَى والفَقرِ»**[1]، الإنسَان يَتعوَّذُ بِاللهِ من شَرِّ فِتنَةِ الغِنَى ومِن شَرِّ فِتنةِ الفَقرِ.

• **س: أَحسَنَ اللهُ إلَيكَ؛ قَولُ الرَّسُولِ ﷺ: «مَن كَانَ قَبلَكُم» المَقصُودُ بِهِ بَنُو إسرَائِيلَ؟**

○ ج: عامٌّ، عامٌّ.

(الشَّيخُ): ما ذَكَر رِوايَة {تُلهِيكُم}؟

(الطَّالِبُ): قَالَ: «أي: تَشغَلُكُم عَنِ الآخِرَةِ».

(الشَّيخُ): العَينِيُّ ذَكَر الرِّوايَتَينِ؟

(الطَّالِبُ): نَعَم.

(الشَّيخُ): تَكلَّم عَن «تُلهِي»؟

(الطَّالِبُ): قَالَ: «أي: تَشغَلُكُم عَنِ الآخِرَةِ».

(الشَّيخُ): سُبحانَ اللهِ! والحافِظُ تَكلَّم عَلَى «تُهلِكُ» فَقَط؟

---

(١) أخرجه البخاري (٦٣٦٨)، ومسلم (٥٨٩) عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(الطَّالِبُ): نَعَم.

(الطَّالِبُ): هَذَا مِنَ الأَعاجِيبِ! هما رِوايَتانِ؛ اللهُ المُستَعانُ.

[قَالَ الحَافظُ ابنُ حَجرٍ رَحِمَهُ اللهُ فِي «تَقرِيبِ التَّهْذِيبِ» (٥٠٨٦)]: «عَمرُو بنُ عَوفِ بنِ زَيدِ بنِ مِلحَةَ - بكَسرِ أوَّلِه ومُهمَلةٍ - أبو عَبدِ اللهِ المُزَنيُّ صَحابِيٌّ مَاتَ فِي وِلايَةِ مُعاوِيةَ، خت د ت ق».

(الشَّيخُ): البُخارِيُّ تَعليقًا، (خت)؟!

(الطَّالِبُ): نَعَم.

(الشَّيخُ): لَا ما هُوَ تَعليقٌ بل مُسنَدٌ. فَقَطْ؟

٥٠٨٧ - عَمرُو بنُ عَوفٍ الأَنصارِيُّ حَليفُ بَنِي عامِرِ بنِ لُؤَيٍّ بَدرِيٌّ، ويُقالُ لَهُ: عُمَيرٌ، مَاتَ فِي خِلافةِ عُمرَ، خ م ت س ق».

قَالَ ابنُ بَازٍ رَحِمَهُ اللهُ: هُوَ الثَّانِي، هُوَ الأَنصارِيُّ.

* * *

٦٤٢٦ حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا اللَّيْثُ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي حَبِيبٍ، عَنْ أَبِي الْخَيْرِ، عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ خَرَجَ يَوْمًا فَصَلَّى عَلَى أَهْلِ أُحُدٍ صَلَاتَهُ عَلَى الْمَيِّتِ، ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى الْمِنْبَرِ فَقَالَ: «إِنِّي فَرَطُكُمْ، وَأَنَا شَهِيدٌ عَلَيْكُمْ، وَإِنِّي وَاللهِ لأَنْظُرُ إِلَى حَوْضِي الآنَ، وَإِنِّي قَدْ أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِ الأَرْضِ، أَوْ مَفَاتِيحَ الأَرْضِ، وَإِنِّي وَاللهِ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تُشْرِكُوا بَعْدِي، وَلَكِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنَافَسُوا فِيهَا».

[سبق برقم ١٣٤٤، وأخرجه مسلم، برقم ٢٢٩٦]

الشَّرح

وهَذَا من جِنسِ حَديثِ عَمرِو بنِ عَوفٍ المُزَنِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ المُتقدِّم؛ فإنَّ الرَّسُولَ ﷺ خَطَبَ النَّاسَ فِي آخِرِ حَياتِه ﷺ وقَالَ: «**أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى**

الحَوضِ»[(١)]، عليه الصلاة والسلام؛ يَعنِي: أنا مُقَدَّمُكُم أَسبِقُكُم إِلَى الحَوضِ، وأَنتَظِرُكُم هُناكَ عَلَى الحَوضِ عليه الصلاة والسلام، فَرطُ القَومِ الَّذِي يَتقدَّمُهُم لتَهيئَةِ المَاءِ ونَحوِهِ، وأَنَا شَهيدٌ عَليكُم، وشَهيدٌ عَليهِم أَنَّهُ بَلَّغَهُم وعَلَّمَهُم عليه الصلاة والسلام كَمَا قَالَ تَعالَى: ﴿لِتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣].

﴿وإِنِّي لَا أَخافُ عَليكُم أن تُشرِكُوا بَعْدِي﴾: وذَلِكَ لِمَا أَعطاهُمُ اللهُ مِنَ العِلمِ؛ يَعنِي: الصَّحابَةَ رضي الله عنهم وأرضاهم لِمَا أَعطاهُمُ اللهُ مِنَ العِلمِ والبَصيرَةِ والإِيمَانِ الصَّحيحِ؛ فلِهَذَا ثَبَّتهُمُ اللهُ عَلَى الهُدَى، ولم يَخْشَ عَليهِم أن يَرتَدُّوا بَعدَه، إِنَّمَا ارتَدَّ أُناسٌ من جَهَلةِ الأَعرابِ وأَشباهِهِم مِمَّن لم يَرسُخِ الإِيمَان فِي قُلوبِهِم، لمَّا مَاتَ عليه الصلاة والسلام.

«وإِنَّما أَخشَى عَليكُمُ الدُّنيَا أن تُبسَطَ عَلَيكُم»: هَذَا يُبيِّنُ لَنَا عِظمَ خَطرِ الدُّنيَا وفَتحِها وكَثرَتِها كَمَا هُوَ الواقِعُ الآنَ، وكَمَا وَقَع لِمَن قَبلَنا؛ فيَجِبُ عَلَى المُؤمِنِ أن يَكُونَ عَلَى حَذرٍ، وإِذَا منَّ اللهُ عَليهِ بالدُّنيَا فليُنفِقْها فِي وُجوهِ الخَيرِ، ولْيَحذَرْ شَرَّها؛ ولهَذَا قَالَ فِي حَديثِ أَبِي ذرٍّ ﷺ يَقولُ ﷺ: **«المُكثِرُونَ هُمُ الأَقَلُّون يَومَ القِيامَةِ إِلَّا مَن قَالَ هَكَذا وهَكَذا وهَكَذا وهَكَذا»**[(٢)]؛ يَعنِي: أَنفَقَ المالَ عَن يَمينِه وعَن شِمالِهِ ومِن أَمامِه ومِن خَلفِه.

وقَالَ عليه الصلاة والسلام: **«واللهِ ما يَسُرُّنِي أَنَّ لي مِثلَ أُحدٍ ذَهَبًا تَمُرُّ عَليهِ ثَلاثَةُ أَيَّامٍ وعِندِي مِنهُ دِينارٌ، إِلَّا دِينارٌ أَرصُدُه لدَينٍ، ولكِنْ أَقولُ بِهِ فِي عِبادِ اللهِ هَكَذا وهَكَذا وهَكَذا»**[(٣)]؛ يَعنِي: أُنفِقُه.

هَكَذا يَنبَغِي لِمَن رَزَقَه اللهُ المَالَ أن يُنفِقَه ويُحسِنَ فِي وُجوهِ الخَيرِ

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٨٣)، ومسلم (٢٢٩٠) عن سهل بن سعد ﷺ.
(٢) أخرجه البخاري (٢٣٨٨)، ومسلم (٩٩٠) عن أبي ذر الغفاري ﷺ.
(٣) الحديث السابق.
وأخرجه أيضًا البخاري (٢٣٨٩)، ومسلم (٩٩١) عن أبي هريرة ﷺ.

ومَشارِيعِ الخَيرِ، ومُواسَاةِ الفَقيرِ، ونَصرِ المَظلُومِ، إِلَى غَيرِ ذَلِكَ، كَمَا قَالَ تَعالَى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ﴾ [التغابن: ١٦]، ثُمَّ قَالَ بَعدَها: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾، مَن وَقاهُ اللهُ شُحَّ نَفسِه وبُخلَها أَفلَح.

وقَالَ سُبحانَهُ: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾﴾ [البقرة: ٢٧٤]؛ فالإنفاقُ فِي سُبلِ الخَيرِ، والإحسَانِ إِلَى المَحاوِيجِ، وإقامةِ المَشارِيعِ النَّافِعةِ للنَّاسِ مِنَ المَساجِدِ والمدارِسِ والرُّبُطِ والطُّرُقاتِ والقَناطِرِ إِلَى غَيرِ ذَلِكَ ممَّا يَنفَعُ ويَحتاجُه النَّاسُ لَهُ الفَضلُ العَظيمُ، والأَجرُ العَظيمُ، والمَالُ ما هِيَ قِيمَتُه إِذَا لم يُنفَقْ؟ ما لَهُ قِيمةٌ حتَّى يُنفَقَ، إِذَا أُنفِقَ نَفَع، وإن أُمسِكَ ضَرَّ.

(ع): ﴿**واللهِ مَا أَخَافُ أَنْ تُشرِكُوا بَعدِي...**﴾: لما حَصَلَ لِلصَّحَابَةِ مِنَ العِلمِ وَالإِيمَانِ لَمْ يَخَفْ عَلَيهِم أَنْ يَرتَدُّوا ﷺ، وَإِلَّا غَيرُهُم يَخافُ عَلَيهِ، كَمَا قَالَ ﷺ: «**أَخْوَفُ مَا أَخَافُ عَلَيكُمُ الشِّركُ الأَصغَرُ**»، فَسُئِلَ عَنهُ فَقَالَ: «**الرِّيَاءُ**»[1]، لَكِنِ الصَّحَابَةُ رَزَقَهُمُ اللهُ مِنَ العِلمِ وَالإِيمَانِ مَا دَعَاهُ إِلَى أَنْ يَقُولَ فِيهِم: ﴿**واللهِ مَا أَخَافُ أَنْ تُشرِكُوا بَعدِي، وَإِنَّمَا أَخشَى عَلَيكُمُ الدُّنْيَا**﴾ لِمَا أَعطَاهُمُ اللهُ مِنَ العِلمِ وَالبَصِيرَةِ وَالهُدَى، هَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ أَمرَ الدُّنْيَا وَفِتنَتَهَا أَمرٌ عَظِيمٌ؛ فَالوَاجِبُ الحَذَرُ مِن فِتنَتِهَا وَشَرِّهَا، وَأَنْ يُستَعَانَ بِهَا عَلَى طَاعَةِ اللهِ، وَأَنْ يُحذَرَ أَنْ تَكُونَ عَونًا عَلَى مَعَاصِي اللهِ.

[قالَ الحَافِظُ ابنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللهُ فِي «فتْحِ البَارِي» (١١/ ٢٤٥)]: «قَوْلُهُ: ﴿**فَتُهْلِكَكُمْ**﴾؛ أَيْ: لِأَنَّ الْمَالَ مَرْغُوبٌ فِيهِ، فَتَرْتَاحُ النَّفْسُ لِطَلَبِهِ فَتُمْنَعُ مِنْهُ، فَتَقَعُ الْعَدَاوَةُ الْمُقْتَضِيَة للمقاتلة المفضية إِلَى الْهَلَاك. قَالَ ابن بَطَّالٍ: فِيهِ أَنَّ

(١) أخرجه أحمد في المسند (٢٣٦٣٠)، عن محمود بن لبيد رضي الله عنه.

زَهْرَةَ الدُّنْيَا يَنْبَغِي لِمَنْ فُتِحَتْ عَلَيْهِ أَنْ يَحْذَرَ مِنْ سُوءِ عَاقِبَتِهَا وَشَرِّ فِتْنَتِهَا، فَلَا يَطْمَئِنُّ إِلَى زُخْرُفِهَا وَلَا يُنَافِسُ غَيْرَهُ فِيهَا.

وَيُسْتَدَلُّ بِهِ عَلَى أَنَّ الْفَقْرَ أَفْضَلُ مِنَ الْغِنَى؛ لِأَنَّ فِتْنَةَ الدُّنْيَا مَقْرُونَةٌ بِالْغِنَى، وَالْغِنَى مَظِنَّةُ الْوُقُوعِ فِي الْفِتْنَةِ الَّتِي قَدْ تَجُرُّ إِلَى هَلَاكِ النَّفْسِ غَالِبًا». [انتهى كلامه].

قَالَ ابنُ بَازٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: هَذَا فِيهِ نَظَرٌ، تَفضِيلُ الفَقرِ عَلَى الغِنَى فِيهِ نَظَرٌ، الفَقرُ أَسلَمُ مِنَ الخَطرِ، ولكِنَّ الغِنَى أَفضلُ مَعَ الشُّكرِ، مَن رَزَقه اللهُ الغِنَى مَعَ الشُّكرِ وأَنفَقَ أَفضَلُ؛ ولِهَذَا لمَّا عَلَّم النَّبيُّ ﷺ الفُقَراءَ أن يُسبِّحُوا ويَحمَدُوا ويُكبِّروا دُبُرَ كلِّ صَلاةٍ ثَلاثًا وثَلاثِينَ مرَّةً وقَالَ: إنَّهُم يُدرِكُون بهَذَا مَن سَبَقَهم ويَسبِقُون مَن بَعدَهُم إلَّا مَن عَمِل بعَمَلِهِم. قَالُوا: يا رَسُولَ اللهِ، سَمِع إخوانُنَا أَهلُ الأَموالِ ففَعَلوا مِثلَما فَعَلْنا؛ يَعنِي: سَبَّحُوا وحَمِدُوا وكَبَّرُوا بَعدَ كلِّ صَلاةٍ؛ قَالَ النَّبيُّ ﷺ: **«ذَلِكَ فَضلُ اللهِ يُؤتِيهِ مَن يَشاءُ»**[1].

فإذَا رَزَق اللهُ صاحِبَ المالِ الجُودَ والكَرَمَ والإنفاقَ فَضَلَ الفُقَراءَ بمَراتِبَ عَظيمَةٍ؛ فالفَقيرُ حَسبُه نَفسُه يَصبِرُ، لكِنَّ الغَنِيَّ الشَّاكِرَ يَنفَعُ النَّاسَ، ويَبذُلُ المَالَ فِي الجِهادِ، ويُقيمُ المَشارِيعَ الخَيرِيَّةَ، ويُواسِي الفَقيرَ ويَنصُرُ المَظلُومَ، ويَردَعُ الظَّالِمَ... إلَى غَير هَذَا ممَّا يَقعُ مِنَ المَصالِحِ فِي المَالِ؛ فالغَنِيُّ الشَّاكِرُ أَفضَلُ بمَراتِبَ عَظيمَةٍ مِنَ الفَقيرِ الصَّابِرِ، لكِنَّ الفَقيرَ الصَّابِرَ لَهُ أَجرُهُ وكَفاهُ اللهُ شرَّ التَّعبِ شرَّ تَعبِ المَالِ.

- **س: أَحسَنَ اللهُ إِلَيكُمْ، الرَّسُولُ ﷺ لَمْ يَخشَ عَلَى الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لِقِوَّةِ إِيمَانِهِم مِن مَاذَا يَا شَيخُ؟**

○ **ج**: مِن أَنْ يَرجِعُوا كُفَّارًا.

* * *

(١) أخرجه مسلم (٥٩٥)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

٦٤٢٧ حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، قال: حَدَّثَنِي مَالِكٌ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدريِّ قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ أَكْثَرَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ مَا يُخْرِجُ اللهُ لَكُمْ مِنْ بَرَكَاتِ الأَرْضِ» قِيلَ: وَمَا بَرَكَاتُ الأَرْضِ؟ قَالَ: «زَهْرَةُ الدُّنْيَا»، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: هَلْ يَأْتِي الْخَيْرُ بِالشَّرِّ؟ فَصَمَتَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى ظَنَنتُ أَنَّهُ يُنْزَلُ عَلَيْهِ، ثُمَّ جَعَلَ يَمْسَحُ عَنْ جَبِينِهِ، فَقَالَ: «أَيْنَ السَّائِلُ؟» قَالَ: أَنَا، قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: لَقَدْ حَمِدْنَاهُ حِينَ طَلَعَ ذَلِكَ، قال: «لَا يَأْتِي الْخَيْرُ إِلَّا بِالْخَيْرِ، إِنَّ هَذَا الْمَالَ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ، وَإِنَّ كُلَّ مَا أَنْبَتَ الرَّبِيعُ يَقْتُلُ حَبَطًا، أَوْ يُلِمُّ، إِلَّا آكِلَةَ الْخَضِرَةِ، أَكَلَتْ حَتَّى إِذَا امْتَدَّتْ خَاصِرَتَاهَا، اسْتَقْبَلَتِ الشَّمْسَ، فَاجْتَرَّتْ، وَثَلَطَتْ، وَبَالَتْ، ثُمَّ عَادَتْ فَأَكَلَتْ، وَإِنَّ هَذَا الْمَالَ حُلْوَةٌ: مَنْ أَخَذَهُ بِحَقِّهِ، وَوَضَعَهُ فِي حَقِّهِ، فَنِعْمَ الْمَعُونَةُ هُوَ، وَإِنْ أَخَذَهُ بِغَيْرِ حَقِّهِ كَانَ كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ».

[سبق برقم ٩٢١، وأخرجه مسلم، برقم ١٠٥٢]

الشَّرْح

هَذَا بَيَّنَ حالَ الغِنَى، ما يَأتِي الخَيرُ بالشَّرِّ، يَأتِي الخَيرُ بالخَيرِ، لكِنْ هَذَا هُوَ خَيرُه، المَالُ هَذَا هُوَ خَيرُه، لَيسَ بخَيرٍ مُطلَقٍ، هُوَ خَيرٌ إنْ أَعانَ عَلَى طَاعةِ اللهِ، وشرٌّ إنْ أَعانَ عَلَى مَعاصِي اللهِ؛ ولهَذَا قَالَ: ﴿مَن أَخَذَه بحَقِّه ووَضَعَه فِي حَقِّه فنِعمَ المَعونَةُ هُوَ﴾، «نِعمَ المَالُ الصَّالِحُ للرَّجُلِ الصَّالِحِ»[1]، لكِنْ مَن أَخَذَه بغَيرِ حَقِّه أو صَرَفَه فِي غَيرِ حَقِّه فبِئسَ الصَّاحِبُ لَهُ.

فالَّذِي يُنفِقُه فِي وَجهِه ويَصرِفُه فِي وَجهِه نِعمَ المَعونَةُ لَهُ، أمَّا مَن أَخَذَه

(١) أخرجه أحمد (٢٩/ ٢٩٨) رقم (١٧٧٦٣)، والحاكم (٢/ ٢) عن عمرو بن العاص رضي الله عنه. وصححه الحاكم.

من غَيرِ وَجهِهِ، أو صَرَفَه فِي غَيرِ وَجهِهِ مِثلُ الَّذِي يَأكُلُ ولَا يَشبَعُ؛ فيَضُرُّه ولَا يَنفَعُه؛ نَسأَلُ اللهَ العَافِيَةَ.

(ع): قوله: ﴿لَا يَأْتِي الْخَيْرُ إِلَّا بِالْخَيْرِ﴾: وَهَذَا بَيَّنَ لَهُم ﷺ أَنَ الخَيرَ لَا يَأتِي إِلَّا بِالخَيرِ؛ وَلِهَذَا فِي اللَّفظِ الآخَرِ قَالَ: «أَوْ خَيرٌ هُوَ»؟ مَا يُعطَى مِنَ الْمَالِ فِتنَةٌ وَاخْتِبَارٌ، فَإِنْ أَخَذَهُ بِحَقِّهِ وَصَرَفَهُ فِي وُجُوهِهِ فِي الفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَمَصَالِحِ المُسْلِمِينَ بُورِكَ لَهُ فِيهِ، وَإِنْ صَدَّهُ عَنِ الحَقِّ وَشُغِلَ بِهِ عَنِ الحَقِّ لَمْ يُبَارَكْ فِيهِ، وَكَانَ كَالَّذِي يَأكُلُ وَلَا يَشبَعُ؛ فَالْمَالُ لَيسَ خَيرًا مَحْضًا، وَلَكِنَّهُ فِتنَةٌ، وَابْتِلَاءٌ وَامْتِحَانٌ، فَمَنْ أَخَذَهُ بِحَقِّهِ وَصَرَّفَهُ فِي وُجُوهِهِ بُورِكَ لَهُ فِيهِ، وَصَارَ خَيْرًا فِي حَقِّهِ، وَمَنْ لَمْ يَأخُذْهُ بِحَقِّهِ بَلْ بِالطُّرُقِ الْمُعْوَجَّةِ، أَوْ أَخَذَهُ بِحَقِّهِ وَصَرَفَهُ فِي غَيرِ وَجهِهِ؛ صَارَ شَرًّا عَلَيهِ.

مِثلُ آكِلَةِ الخَضِرَةِ، أَكَلَتْ وَلَمَّا شَبِعَتْ ثَلَطَتْ وَبَالَتْ وَأَخرَجَتْ مَا فِي بَطنِهَا ثُمَّ جَرَعَتْهُ، سَلِمَتْ مِن شَرِّهِ، فهَذَا الَّذِي أَخرَجَ حَقَّ الْمَالِ وَصَرَفَهُ فِي وُجُوهِهِ وَاتَّقَى شَرَّهُ مِثلُ آكِلَةِ الخَضِرَةِ.

* * *

﴿٦٤٢٨﴾ **حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، حَدَّثَنَا غُنْدَرٌ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ قال: سَمِعْتُ أَبَا جَمْرَةَ، قال: حَدَّثَنِي زَهْدَمُ بْنُ مُضَرِّبٍ قال: سَمِعْتُ عِمْرَانَ بْنَ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال: «خَيْرُكُمْ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ»، وقَالَ عِمْرَانُ: فَمَا أَدْرِي قَالَ النَّبِيُّ ﷺ بَعْدَ قَوْلِهِ مَرَّتَيْنِ، أَوْ ثَلَاثًا، «ثُمَّ يَكُونُ بَعْدَهُمْ قَوْمٌ يَشْهَدُونَ، وَلَا يُسْتَشْهَدُونَ، وَيَخُونُونَ، وَلَا يُؤْتَمَنُونَ، وَيَنْذِرُونَ، وَلَا يُوفُونَ، وَيَظْهَرُ فِيهِمُ السِّمَنُ».** [سبق برقم ٢٦٥١، وأخرجه مسلم، برقم ٢٥٣٥]

الشَّرح

اللهُ أَكْبَرُ، اللهُ المُستَعَانُ.

يَعنِي: بَعدَ قَولِه: ﴿خَيرُ أُمَّتِي قَرنِي﴾ قَالَها مَرَّتَين أو ثَلاثَةً، والمَحفُوظُ

مَرَّتَين: ﴿خَيرُ أُمَّتِي قَرنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُم، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُم﴾، أمَّا القَرنُ الرَّابِعُ فِيهِ حَوادِثُ كَثيرةٌ، هَكَذا فِي حَديثِ ابنِ مَسعُودٍ ﷺ: «خَيرُ النَّاسِ قَرنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُم، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُم» هَذَا هُوَ المَحفُوظُ، القُرونُ المُفضَّلةُ ثَلاثَةٌ، ثُمَّ كَثُرتِ الشُّرورُ بَعدَ ذَلِكَ.

وقَولُه: ﴿ويَظهَرُ فِيهِمُ السِّمنُ﴾؛ يَعنِي: يُقبِلُون عَلَى الدُّنيَا وشَهَواتِهَا حتَّى يَظهَرَ عَليهِمُ السِّمَنُ: عِظمُ الأَجسَامِ، عِظمُ البُطونِ بسَببِ كَثرَةِ الإقبالِ عَلَى الدُّنيَا وشَهَواتِها؛ اللهُ المُستَعانُ.

• س: عِندَنا «غُندَرُ» بَدَلَ مُحمَّدِ بنِ جَعفَرٍ؟

○ ج: مُحمَّدُ بنُ جَعفَرٍ هُوَ غُندَرُ.

* * *

﴿٦٤٢٩﴾ حَدَّثَنَا عَبْدَانُ، عَنْ أَبِي حَمْزَةَ، عَنِ الأَعْمَشِ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عَبِيدَةَ، عَنْ عَبْدِ اللهِ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال: «خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَجِيءُ مِنْ بَعْدِهِمْ قَوْمٌ تَسْبِقُ شَهَادَتُهُمْ أَيْمَانَهُمْ، وَأَيْمَانُهُمْ شَهَادَتَهُمْ». [سبق برقم ٢٦٥٢، وأخرجه مسلم، برقم ٢٥٣٣]

الشَّرح

(ع): حَدِيثُ ابنِ مَسعُودٍ جَزَمَ بِقَرنَينِ، وَهَذِهِ القُرُونُ الْمُفَضَّلَةُ، قَرنُ الصَّحَابَةِ ﷺ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، لَيسَ فِيهِ شَكٌّ كَمَا فِي حَدِيثِ عِمرَانَ، وَإِنَّمَا هُمَا قَرنَانِ بَعدَ قَرنِهِ ﷺ، خَيرُ النَّاسِ عُمُومًا عَربٍ وَعَجَمٍ قَرنُ النَّبِيِّ ﷺ، وَهُمُ الصَّحَابَةُ ﷺ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمُ التَّابِعُونَ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ أَتبَاعُ التَّابِعِينَ، ثُمَّ تَتَغَيَّرُ الأَحوَالُ؛ يَجِيءُ قَومٌ يَخُونُونَ وَلَا يُؤتَمَنُونَ، وَيَنذِرُونَ وَلَا يُوفُونَ، وَيَشهَدُونَ وَلَا يُستَشهَدُونَ، وتَسبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ، وَيَمِينُهُ شَهَادَتَهُ؛ مِنْ أَجلِ ضَعفِ الإِيمَانِ، فَإِذَا كَانَ هَذَا فِي القَرنِ الرَّابِعِ،

فكَيفَ بِالقَرنِ الخَامِسِ وَالسَّادِسِ، وَالرَّابِعَ عَشرَ، وَالخَامِسَ عَشرَ؟! اللهُ المُستَعَانُ، هَذَا يُوجِبُ الحَذرَ، وَأَنَّ الْمُؤمِنَ يَأخُذُ حِذْرَهُ، وَلَا يَتَكَلَّمُ إِلَّا عَنْ بَصِيرَةٍ، وَلَا يَعمَلُ إِلَّا عَنْ بَصِيرَةٍ.

قوله: ﴿تَسْبِقُ شَهَادَتُهُمْ أَيْمَانَهُمْ، وَأَيْمَانُهُمْ شَهَادَتَهُمْ﴾: يَعنِي: ما يُبالُونَ مِنَ العَجَلةِ وقِلَّةِ المُبالَاةِ، يَحلِفُ قبْلَ الشَّهادةِ ويَشهَدُ قبْلَ اليَمينِ «واللهِ أَشهَدُ» ما يُبالِي، قَدَّم هَذِه أو قدَّمَ هَذِه، ما هُناكَ عِندَه عِنايةٌ تامَّةٌ بالتَّورُّعِ، وهَذَا شَأنُ النَّاسِ، ولكِنْ لَا يَزالُ فِيهِم أَهلُ الخَيرِ والبَقايَا الطَّيِّبةِ مِثلَ ما قَالَ النَّبيُّ ﷺ: **«لَا تَزال طَائِفةٌ من أُمَّتِي عَلَى الحَقِّ مَنصُورَةٌ، لَا يَضُرُّهُم مَن خَذَلَهُم حتَّى يَأتِيَ أَمرُ اللهِ»**[1]. مَعَ كَثرةِ الشَّرِّ لَا يَزالُ الأَخيارُ مَوجُودِينَ فِي النَّاسِ، الَّذِينَ يَحذَرُونَ ما حرَّم اللهُ، ويَبتعِدُونَ عَن مَساخِطِ اللهِ، ويُؤدُّونَ ما أَوجَبَ اللهُ، لكِنَّ مَقصُودَ النَّبيِّ ﷺ أَنَّهُ يَتغيَّرُ الأَمرُ ويَكثُرُ الشَّرُّ؛ اللهُ المُستَعانُ.

- **س: حَدِيثُ عَبدِ اللهِ بنِ مَسعُودٍ رضي الله عنه يُوضِّحُ حَدِيثَ عِمرَانَ؟**

○ ج: نَعَمْ، يُزِيلُ الشَّكَّ.

- **س: فِيهِ ذَمٌّ لِلسِّمَنِ «وَيظهَرُ فِيهِمُ السِّمَنُ»؟**

○ ج: يَعْنِي: يَكثُرُ فِيهِمُ الرَّغبَةُ فِي الدُّنْيَا وَالْمَيلُ إِلَى الشَّهَوَاتِ، يَكثُرُ فِيهِمُ السِّمَنُ، وَقَدْ يَسمَنُ الإِنسَانُ وَهُوَ مِنْ أَهلِ التَّقوَى.

- **س: هَلْ يُقَالُ: الغَالِبُ عَلَى الَّذِينَ يَظهَرُ فِيهِمُ السِّمَنُ أَنَّهُمْ...؟**

○ ج: لِإِقبَالِهِمْ عَلَى الشَّهَوَاتِ.

- **س: أَحسَنَ اللهُ عَمَلَكَ يَا شَيخُ، حَدِيثُ: «لَهُ أَجرُ خَمسِينَ، قِيلَ: مِنَّا أو مِنهُم يَا رَسُولَ اللهِ»[2]، مَاذَا يَدُلُّ عَلَيهِ؟**

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٤١)، ومسلم (١٠٣٧) عن معاوية رضي الله عنه.

(٢) أخرجه ابن الوضاح في البدع (١٨٩)، عن ابن عمر رضي الله عنهما.

○ ج: يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ يَأتِي فِي آخِرِ الزَّمَانِ مَنْ يَستَقِيمُ عَلَى طَاعَةِ اللهِ، يَكُونُ لَهُ أَجرُ خَمسِينَ مِنَ الصَّحَابَةِ ﷺ، اللهُ المُستَعَانُ، نَسأَلُ اللهَ أَنْ يَجعَلَنَا وَإِيَّاكُمْ مِنهُم، اللهُ المُستَعَانُ.

* * *

٦٤٣٠ حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ مُوسَى، حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ عَنْ قَيْسٍ قال: سَمِعْتُ خَبَّابًا وَقَدِ اكْتَوَى يَوْمَئِذٍ سَبْعًا فِي بَطْنِهِ، وَقَالَ: «لَوْلَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ نَهَانَا أَنْ نَدْعُوَ بِالْمَوْتِ لَدَعَوْتُ بِالْمَوْتِ، إِنَّ أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ ﷺ مَضَوْا، وَلَمْ تَنْقُصْهُمُ الدُّنْيَا بِشَيْءٍ، وَإِنَّا أَصَبْنَا مِنَ الدُّنْيَا مَا لَا نَجِدُ لَهُ مَوْضِعًا إِلَّا التُّرَابَ». [سبق برقم ٥٦٧٢، وأخرجه مسلم، برقم ٢٦٨١]

الشَّرح

مَقصُودُه ﷺ: أنَّ ما أَصابَهُ مِنَ الأَمراضِ الَّتِي اكتَوَى من أَجلِها فِي بَطنِه سَبْعَ كيَّاتٍ يَدعُوهُ إِلَى تَمنِّي المَوتِ، لَولَا أنَّ الرَّسُولَ ﷺ نَهَى عَن تَمنِّي المَوتِ، وأَخبَرَ أنَّ الصَّحابَةَ رضي الله عنهم وأرضاهم؛ يَعنِي: السَّابِقِينَ الَّذِينَ مَضَوا مَاتُوا قَبْلَه مَاتُوا عَلَى خَيرٍ عَظِيمٍ، ولم يَأخُذُوا من أَجرِهِم شَيئًا. قَالَ: أَمَّا نَحنُ فَقَد فُتِحَت عَلَينَا الدُّنيَا؛ يَعنِي: مَن تَأَخَّرَ مِنَ الصَّحابَةِ ﷺ فُتِحَت عَلَيهِمُ الدُّنيَا وحَصَلَت لَهُمُ الغَنائِمُ الكَثِيرةُ والأَموَالُ الجَزِيلَةُ؛ حتَّى لَا يَجِدَ لَهُ مَوضِعًا إِلَّا التُّرابَ؛ يَعنِي: تَعمِيرَ البُيوتِ والقُصورِ. واللهُ المُستَعانُ.

* * *

٦٤٣١ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، حَدَّثَنَا يَحْيَى، عَنِ إِسْمَاعِيلَ، قال: حَدَّثَنِي قَيْسٌ قَالَ: أَتَيْتُ خَبَّابًا وَهُوَ يَبْنِي حَائِطًا لَهُ، فَقَالَ: «إِنَّ أَصْحَابَنَا الَّذِينَ مَضَوْا لَمْ تَنْقُصْهُمُ الدُّنْيَا شَيْئًا، وَإِنَّا أَصَبْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ شَيْئًا لَا نَجِدُ لَهُ مَوْضِعًا إِلَّا فِي التُّرَابِ». [سبق برقم ٥٦٧٢، وأخرجه مسلم، برقم ٢٦٨١]

٦٤٣٢ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ كَثِيرٍ، عَنْ سُفْيَانَ، عَنِ الأَعْمَشِ، عَنْ شقيق أَبِي وَائِلٍ، عَنْ خَبَّابٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «هَاجَرْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ...».

[سبق برقم ١٢٧٦، وأخرجه مسلم، برقم ٩٤٠]

الشَّرح

الصَّوابُ: عَنِ الأَعمَشِ عَن شَقيقٍ أَبِي وائِلٍ[1]، «عَن» الَّتِي تَأخَرَت تُوضَعُ قُدَّامَ، «عن شَقيقٍ أَبِي وائِلٍ» كُنيَتُه.

٨ ـ بَاب قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ۝٥ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝٦﴾ [فاطر: ٥، ٦]، جَمْعُهُ: سُعُرٌ، قَالَ مُجَاهِدٌ: الْغَرُورُ الشَّيْطَانُ

الشَّرح

(ع): هَذِهِ الآيَةُ عَظِيمَةٌ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾ الَّذِي وعد بِهِ من قيام الساعة ومجازاة النَّاس بالجنة والنار ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾؛ لِمَا فِيهَا مِنَ الزَّهرَةِ ﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ۝٥﴾، أَنتُمْ عَلَى خَطَرٍ، الإِنسَانُ عَلَى خَطَرٍ إِمَّا مِنَ الدُّنْيَا وَإِمَّا مِنَ الشَّيطَانِ، وَالشَّيطَانُ يُزَيِّنُ الدُّنْيَا أَيْضًا؛ فَالشَّيطَانُ هُوَ أَيْضًا مِنْ أَسبَابِ أَنَّ كَونَ الدُّنْيَا تَغُرُّكَ، وَيُزَيِّنُهَا فِي قَلبِكَ حَتَّى تَسعَى لَهَا وَلَو بِغَضَبِ اللهِ وَلَو بِالْمَعَاصِي، فَأَصلُ الْمَادَّةِ مَادَةِ الخُبْثِ عَدُوُّ اللهِ؛ يُزَيِّنُ لكَ مَحَارِمَ اللهِ، يُزَيِّنُ لَكَ مَا فِيهِ هَلَاكُكَ: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾؛ يَعْنِي: عَامِلُوهُ مَعَامَلَةَ الأَعدَاءِ، ﴿إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ﴾ أَوْلِيَاءَهُ

(١) فِي نسخة القارئ: «الأعمش شقيق عَن أبي وائل» بإسقاط (عن) بَينَ الأعمش وشقيق، وزيادتها بَينَ شقيق وأبي وائل. فصوبه سماحته.

﴿لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾﴾ [فاطر: ٥، ٦]، هَذِهِ دَعْوَتُهُ، يَدعُوهُمْ حَتَّى يَكُونُوا مَعَهُ فِي النَّارِ، نَسأَلُ اللهَ العَافِيَةَ.

* * *

٦٤٣٣ حَدَّثَنَا سَعْدُ بْنُ حَفْصٍ، حَدَّثَنَا شَيْبَانُ، عَنْ يَحْيَى، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْقُرَشِيِّ قال: أَخْبَرَنِي مُعَاذُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ أَنَّ ابْنَ أَبَانَ أَخْبَرَهُ قَالَ: أَتَيْتُ عُثْمَانَ بِطَهُورٍ، وَهُوَ جَالِسٌ عَلَى الْمَقَاعِدِ، فَتَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ، ثُمَّ قَالَ: «رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ تَوَضَّأَ وَهُوَ فِي هَذَا الْمَجْلِسِ، فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ، ثُمَّ قَالَ: مَنْ تَوَضَّأَ مِثْلَ هَذَا الْوُضُوءِ، ثُمَّ أَتَى الْمَسْجِدَ فَرَكَعَ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ جَلَسَ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ» قَالَ: وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا تَغْتَرُّوا». [سبق برقم ١٥٩، وأخرجه مسلم، برقم ٢٢٦]

الشَّرح

وهَذَا أَحدُ أَلفاظِ هَذَا الحَديثِ، وفِي اللَّفظِ الآخَرِ: «ثُمَّ صَلَّى رَكعَتَينِ لَا يُحدِّثُ فِيهِمَا نَفسَهُ غُفِرَ لَهُ ما تَقدَّمَ من ذَنبِهِ»[1]، استَدَلَّ بذَلِكَ أَهلُ العِلمِ عَلَى شَرعِيَّةِ صَلاةِ رَكعتَينِ بَعدَ الوُضوءِ، وجَاءَ فِي هَذَا المَعنَى عِدَّةُ أَحادِيثَ، وهُوَ يَدلُّ عَلَى أَنَّهُ يُستَحَبُّ لِمَن تَوضَّأَ أن يُصلِّيَ رَكعَتَينِ، وأنَّ هَذَا من أَسبابِ المَغفِرةِ؛ يَعنِي: عِندَ اجتِنابِ الكَبائِرِ كَمَا فِي الرِّوايَةِ الأُخرَى: «ما لم تُصَبْ بمَقتَلَةٍ»[2]؛ يَعنِي: كَبيرَةً، وهِيَ نَفسُ رِوايَةِ حَديثِ عُثمانَ ﷺ، وكما فِي حَديثِ: «الصَّلَواتُ الخَمسُ، والجُمُعةُ إِلَى الجُمُعةِ، ورَمَضانُ إِلَى رَمَضانَ كَفَّاراتٌ لِمَا بَينهُنَّ ما اجتُنِبَتِ الكَبائِرَ»[3].

---

(١) أخرجه البخاري (١٥٩)، ومسلم (٢٢٦) عن عثمان بن عفان ﷺ.
(٢) أخرجه أحمد (١/ ٥٢٠) رقم (٤٨٤) عن عثمان بن عفان ﷺ.
(٣) أخرجه مسلم (٢٣٣)، والترمذي (٢١٤) عن أبي هريرة ﷺ.

وقَولُهُ ﷺ: ﴿فَلا تَغتَرُّوا﴾؛ يَعنِي: احذَرُوا أن تَعتَمِدُوا عَلَى مِثلِ هَذِه الفَضائِلِ فتَهلِكُوا؛ يَعنِي: لَا تَغتَرُّوا بِمَا وَعَد اللهُ مِنَ الخَيرِ فتُقْدِمُوا عَلَى مَعاصِيهِ ومُخالَفةِ أَمرِه؛ ولِهَذَا قَالَ ﷺ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ۝٥﴾ [فاطر: ٥]، وهُوَ الشَّيطَانُ؛ فالإِنسَانُ يَعمَلُ ويَجتهِدُ، ويُؤدِّي ما أَوجَبَ اللهُ، ويَحذَرُ ما حرَّمَ اللهُ، ويَرجُو فَضْلَه ﷻ، ويَحذَرُ أن يَغتَرَّ بسَعَتِه وجُودِه وكَرَمِه، أو بِمَا وَعَد بِهِ أهلَ الصَّلاةِ؛ لأنَّ العَبدَ عَلَى خَطرٍ؛ فقَد يَهلِكُ بمَعصِيةٍ يُصِرُّ عَليهَا وكَبيرَةٍ يُقدِمُ عَليهَا، ولَا حَولَ ولا قُوَّةَ إلَّا بِاللهِ.

(ع) قوله ﷺ: ﴿لَا تَغْتَرُّوا﴾: لَا تَغتَرُّوا، الإِنسَانُ يَأخُذُ بِالأَعمَالِ الصَّالِحَةِ وَيَحذَرُ، وَلَا يُصِيبُهُ الغُرُورُ، وَلَا العُجبُ؛ بَلْ مَعَ العَمَلِ حَذِرٌ.

• س: إِذَا كَانَ مصِرًّا عَلَى الكَبائِرِ؟

○ ج: تُمنَعُ، إصرارُه عَلَى الكَبائِرِ يَمنَعُ غُفرانَ الصَّغائِرِ.

• س: طيِّب، مَاذَا يُغفَرُ لَهُ؟

○ ج: لَا يُغفَرُ لَهُ يَكُونُ مَوقُوفًا؛ ولِهَذَا قَالَ سُبحانَهُ: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾ [النساء: ٣١]؛ فعَلَّقَ التَّكفِيرَ باجتِنَابِ الكَبائِرِ، وقَالَ فِي حَديثِ عُثمانَ رضي الله عنه هَذَا فِي الرِّوايَةِ الأُخرَى: «**مَا لَم تُصَبْ بمَقتَلَةٍ**» فإِذَا أُصيبَتَ مَقتلَةً؛ يَعنِي: كَبيرَةً لَا يُغفَرُ لَهُ بوُضوئِه هَذَا وصَلاةِ الرَّكعتَينِ.

• س: ما يُغفَرُ لَهُ الصَّغائِرُ؟

○ ج: لَا يُغفَرُ الصَّغائِرُ ولَا الكَبائِرُ عَلَى الصَّحِيحِ، قَالَ بَعضُ أَهلِ العِلمِ: تُمحَى الصَّغائِرُ، ولكِنَّ الشَّيءَ المُعلَّقَ بِالشَّرطِ لَا يَقعُ؛ لأنَّ غُفرانَ الصَّغائِرِ مَشروطٌ بِاجتِنابِ الكَبائِرِ؛ فإِذَا ما وُجِد الشَّرطُ انتَفَى المَشرُوطُ،

وهَكَذا قَولُهُ ﷺ: «**الصَّلَواتُ الخَمسُ، والجُمُعةُ إِلَى الجُمُعةِ، ورَمَضانُ إِلَى رَمَضانُ كَفَّاراتٌ لِمَا بَينهُنَّ ما لَم تُغشَ الكَبائِرُ**» إِذَا اجتَنَب الكَبائِرَ، مَعناهُ: إِذَا غُشِيَت ولم تُجتنَبْ لم تَكُن هَذِه الصَّلَواتُ كَفَّارةً، ولَا الجُمُعة، ولَا رَمَضان، نَسأَلُ اللهَ السَّلامةَ.

• **س: لكِنْ ـ عَفَا اللهُ عَنكَ ـ إِذَا اجتُنِبَتِ الكَبائِرُ تَرْكُها وَحدَهُ مُكفِّرٌ للصَّغائِرِ؛ فمَاذَا يَبقَى لهَذهِ الفَضائِلِ؟**

○ **ج**: يَكُونُ لَهُ حَسَناتٌ، يُعطَى حَسَناتٍ، الصَّلاةُ فِيهَا حَسَناتٌ، فِيهَا خَيرٌ، ومَن هُوَ الَّذِي يَسلَمُ مِنهَا؟ اللهُ المُستَعانُ، اللهُ المُستَعانُ؛ لأنَّ الكَبائِرَ كَثيرَةٌ، ثُمَّ اختَلَفُوا فِي حَدِّها أَيضًا، بَعضُ النَّاسِ أَطلَقَ الكَبائِرَ عَلَى كُلِّ ذَنبٍ لكِنْ لَيسَ بصَحيحٍ، الصَّوابُ أنَّ فِيهَا كَبائِرَ وصَغائِرَ، ولكِنِ اختَلَفوا فِي حدِّ الكَبيرَةِ.

• **س: الَّذِي يَغشَى الكَبائِرَ ويُصلِّي النَّوافِلَ ويُسبِّحُ ويُهلِّلُ؛ هل لَهُ أَجرٌ فِي هَذَا؟**

○ **ج**: نَعَم؛ لَهُ أَجرٌ، الَّذِي وَعَدهُ اللهُ بِهِ، ولكِنْ لَا تُمحَى عَنهُ الصَّغائِرُ إِلَّا باجتِنَابِ الكَبائِرِ.

• **س: يَعني: تَبقَى حَسَناتٌ؟**

○ **ج**: نَعَم، حَسَناتٌ؛ وهِيَ حَسَناتٌ يُذهِبُ اللهُ بِهَا السَّيِّئاتِ عِندَ المُوازَنةِ.

• **س: أَحسَنَ اللهُ إِلَيكَ، قَيَّدَ الرَّكعَتَينِ فِي المَسجِدِ؟**

○ **ج**: هَذِه رِوايَةٌ، والرِّواياتُ الأُخرَى مُطلَقةٌ، هَذَا نَوعٌ مِنَ العَملِ الصَّالِحِ، نَوعٌ، النَّوعُ الثَّانِي: يَتوضَّأُ ويُصلِّي رَكعَتَينِ ولو فِي بَيتِه ولو فِي البَرِّ، ولو فِي أيِّ مَكانٍ.

• **س: ولو فِي وَقتِ النَّهيِ؟**

○ ج: ولو فِي وَقتِ النَّهيِ عَلَى الصَّحِيحِ.

• **س: المَسجِدُ: «جُعِلَت لِيَ الأَرضُ مَسجِدًا وطَهُورًا»[1]؟**

○ ج: لَا؛ قَالَ: «ثُمَّ أَتَى المَسجِدَ» المَسجِدُ مَعروفٌ، المَسجِدُ إِذَا أُطلِقَ المَعروفُ.

• **س: أَحسَنَ اللهُ إِلَيكَ، قيَّدَها ثُمَّ رَكَع رَكعَتَين فجَلَس؟**

○ ج: الظَّاهِرُ ـ واللهُ أَعلَمُ ـ أَنَّهُ جَلَس فِي المَسجِدِ يَذكُرُ اللهَ ويَتعبَّدُ أو نَحوُ ذَلِكَ.

• **س: أَحسَنَ اللهُ إِلَيكَ، التَّوبةُ مِنَ الصَّغائِرِ لازِمةٌ؟**

○ ج: نَعم؛ التَّوبةُ مِن كُلِّ ذَنبٍ، نَسأَلُ اللهَ العَافِيةَ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا﴾ [التحريم: ٨]، ويَقولُ سُبحانَهُ: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ [النور: ٣١]، خاطَبَ المُؤمِنينَ وهُوَ ما يَكُونُ مُؤمِنًا [كامِلًا] مَعَ اقتِرَافِ الكَبائِرِ، يَكُونُ ناقِصَ الإِيمَانِ.

• **س: إِذَا اجتنَبَ الكَبائِرَ الصَغائِر تجب عَليهِ التوبة؟**

○ ج: نَعَم؛ إِذَا اجْتنَبَ الكَبائِر ذهَبتِ الصَّغائِرُ؛ لكن إِذَا تَابَ مِنهَا كَانَ ذَلِكَ من بَابِ العِنَايةِ والحَذرِ؛ لأَنَّهُ ما يَدْرِي هل سَلِمتْ لَهُ، هل سَلمَ لَهُ إِيمَانُه مِنَ الكَبائِرِ أو عِندَه شَيءٌ؟ والإِنسَانُ دَائمًا عَلَى خَطرٍ؛ لِأَنَّ الغِيبَةَ والنَّمِيمةَ وَالرِّبَا وَقَطِيعَةَ الرَّحِمِ وَالعُقُوقَ وَالسَّبَّ وَالشَّتمَ وَأَشْياءَ أُخرَى كُلَّهَا دَاخِلةٌ فِي الكَبائِر، ومَن يَسلَمُ مِنَ الغِيبةِ؟! لَا حول ولا قوَّةَ إِلَّا بِاللهِ.

• **س: ...؟**

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٥)، ومسلم (٥٢١) عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

○ ج: وعْدٌ مِنَ اللهِ لَهُ فِي هَذَا، والجُمهُورُ يُقَيدُونَه بِاجْتِنابِ الكَبائِرِ، الجُمْهورُ يُقَيدُونَ الرِّوَاياتِ المُطْلقَةِ باجتناب الكَبائِر.

• س: مَاذَا مَعنى قول ابن عبَّاسٍ؟

○ ج: عَلَى ظاهره، «لا كَبيرَة مَعَ الاستغفار»[1]، مَعَ التَّوبةِ يَعنِي، ولَا صَغِيرَةَ مَعَ الإصْرَارِ، إِذَا أَصَرَّ وَلَمْ يَتُبْ صَارتْ كَبيرَةً، نَسأَلُ اللهَ العَافِيةَ.

• س: أَحسَنَ اللهُ إِلَيكَ، مَا مَعنَى قَولِ اللهِ: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾﴾ [الحديد: ٢٠]؟

○ ج: يَعْنِي: أَكثَرَ الخَلقِ يَغتَرُّونَ بِهَا.

• س: الرَّكْعَتَانِ تَكُونَانِ فِي الْمَسجِدِ؟

○ ج: هَذِهِ سُنَّةُ الوُضُوءِ، إِذَا تَوَضَّأَ وَصَلَّى رَكعَتَينِ يُقبِلُ عَلَيهِما بِقَلبِهِ؛ مِن أَسبَابِ الْمغفِرَةِ لِمَنْ لَمْ يُصِرَّ عَلَى الكَبَائِرِ.

• س: لَكِنْ عَفَا اللهُ عَنكَ، تُفعَلُ فِي الْمَسجِدِ أو فِي البَيتِ، أو فِي أَيِّ مَكَانٍ؟

○ ج: فِي أَيِّ مَكَانٍ.

• س: هُنَا يَقُولُ: «ثُمَّ أَتَى الْمَسجِدَ» عَفَا اللهُ عَنكَ؟

○ ج: أَتَى الْمَسجِدَ أَوْ فِي بَيتِهِ، الأَمرُ وَاسِعٌ.

• س: وَالأَفضَلُ يَا شَيخُ؟

○ ج: الأَمرُ وَاسِعٌ فِي بَيتِهِ فِي بَيتِهِ، وَفِي الْمَسجِدِ فِي الْمَسجِدِ، عَلَى حَسبِ التَّيسِيرِ.

---

(١) أخرجه القضاعي في «مسنده» (٨٥٣). عن ابن عباس رضي الله عنهما.

٩ ـ بَاب ذَهَابِ الصَالِحِينَ، وَيُقَالُ: الذَّهابُ: المَطَرُ

الشَرح

[قَالَ الإِمَامُ العَينِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «عُمدَةِ القَارِي» (٢٣/ ٤٤)]: «ثَبتَ هَذَا فِي رِوَايَةِ السَّرخسِيِّ وَحدَهُ، وَقَالَ بَعضُهُمْ: مُرَادُهُ: أَنَّ لَفظَ الذَّهَابِ مُشْتَرَكٌ بَينَ الْمُضِيِّ وَالْمَطَرِ، قُلتُ: لَيْسَ كَذَلِك؛ لِأَن الذَّهَابَ بِمَعْنَى الْمُضِيِّ بِفَتْحِ الذَّالِ، وَالذِّهَابُ بِمَعْنَى الْمَطَرِ بِكَسْرِهَا، قَالَ صَاحِبُ «الْمُحكَمِ» الذِّهبَةُ بِالْكَسْرِ الْمَطرَةُ الضَّعِيفَةُ، وَالْجَمعُ الذِّهَابُ». [انتهى كلامه].

قَالَ ابنُ بَازٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: فَائِدَةٌ غَرِيبَةٌ، الذِّهبَةُ وَالذِّهَابُ مَطرٌ؟! هَذِهِ فَائِدَةٌ غَرِيبَةٌ. اللهُ المُستَعَانُ. مَاذَا قَالَ فِي «القَامُوسِ»، ذَهَبَ، بَابُ البَاءِ فَصلُ الذَّالِ مَعَ الهَاءِ.

* * *

٦٤٣٤ ـ حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ حَمَّادٍ، حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ، عَنْ بَيَانٍ، عَنْ قَيْسِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ مِرْدَاسٍ الأَسْلَمِيِّ قال: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «يَذْهَبُ الصَّالِحُونَ الأَوَّلُ فَالأَوَّلُ، وَيَبْقَى حُفَالَةٌ كَحُفَالَةِ الشَّعِيرِ، أَوِ التَّمْرِ، لَا يُبَالِيهِمُ اللهُ بَالَةً»، قَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ: يُقَالُ: حُفَالَةٌ وَحُثَالَةٌ. [سبق برقم ٤١٥٦]

الشَرح

لَا حَولَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ، اللهُ المُستَعَانُ.

(الشَّيخُ): {الأَوَّلَ فالأَوَّلَ} بالنَّصبِ هَذَا أَظهَرُ، حالٌ يَعنِي.

[قَالَ الحَافِظُ ابنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «فتحِ البَارِي» (١١/ ٢٥١)]: «قَوْلُهُ: {بَابُ ذَهَابِ الصَّالِحِينَ}؛ أَيْ: مَوْتُهُمْ. قَوْلُهُ: {وَيُقَالُ: الذَّهَابُ الْمَطَرُ} ثَبَتَ هَذَا فِي رِوَايَةِ السَّرَخْسِيِّ وَحْدَهُ، وَمُرَادُهُ: أَنَّ لَفْظَ «الذَّهَابِ» مُشْتَرَكٌ عَلَى

الْمُضِيِّ وَعَلَى الْمَطَرِ. وَقَالَ بَعْضُ أَهْلِ اللُّغَةِ: الذَّهَابُ الْأَمْطَارُ اللَّيِّنَةُ، وَهُوَ جَمْعُ ذِهْبَةٍ بِكَسْرِ أَوَّلِهِ وَسُكُونِ ثَانِيهِ. قَوْلُهُ: ﴿حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ حَمَّادٍ﴾ هُوَ مِنْ قُدَمَاءِ مَشَايِخِهِ، وَقَدْ أَخْرَجَ عَنْهُ بِوَاسِطَةٍ فِي كِتَابِ الْحَيْضِ.

قَوْلُهُ: ﴿عَنْ بَيَانٍ﴾ بِمُوَحَّدَةٍ ثُمَّ تَحْتَانِيَّةٍ خَفِيفَةٍ، وَهُوَ: ابن بشر، وَقيس هُوَ: ابن أبي حَازِم، ومرداس الْأَسْلَمِيّ هُوَ ابن مَالِكٍ، زَادَ الْإِسْمَاعِيلِيُّ: رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، وَهِيَ عِنْدَهُ فِي رِوَايَةِ مُحَمَّدِ بْنِ فُضَيْلٍ عَنْ بَيَانٍ، وَتَقَدَّمَ مِنْ وَجْهٍ آخَرَ فِي غَزْوَةِ الْحُدَيْبِيَةِ مِنْ كِتَابِ الْمَغَازِي أَنَّهُ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الشَّجَرَةِ؛ أَيِ: الَّذِينَ بَايَعُوا بَيْعَةَ الرِّضْوَانِ، وَذَكَرَ مُسْلِمٌ فِي «الْوُحْدَانِ» وَتَبِعَهُ جَمَاعَةٌ مِمَّنْ صَنَّفَ فِيهَا أَنَّهُ لَمْ يَرْوِ عَنْهُ إِلَّا قَيْسُ بْنُ أَبِي حَازِمٍ، وَوَقَعَ فِي «التَّهْذِيبِ» لِلْمِزِّيِّ فِي تَرْجَمَةِ مِرْدَاسٍ هَذَا أَنَّهُ رَوَى عَنْهُ زِيَادُ بْنُ عَلَاقَةَ أَيْضًا. وَتُعُقِّبَ بِأَنَّهُ مِرْدَاسٌ آخَرُ، أفرده أَبُو عَلِيِّ بْنُ السَّكَنِ فِي الصَّحَابَةِ عَنْ مِرْدَاسٍ بن مَالك، وَقَالَ: إنه مرداس بن عُرْوَة، وَمِمَّنْ فَرَّقَ بَيْنَهُمَا الْبُخَارِيُّ وَالرَّازِيُّ وَالْبُسْتِيُّ، وَرَجَّحَهُ ابن السَّكَنِ.

قَوْلُهُ: ﴿يَذْهَبُ الصَّالِحُونَ الْأَوَّلُ فَالْأَوَّلُ﴾ فِي رِوَايَةِ عَبْدِ الْوَاحِدِ بْنِ غِيَاثٍ عَنْ أَبِي عَوَانَةَ عِنْدَ الْإِسْمَاعِيلِيِّ: «يُقْبَضُ بَدَلَ يَذْهَبُ»، وَالْمُرَادُ: قَبْضُ أَرْوَاحِهِمْ، وَعِنْدَهُ مِنْ رِوَايَةِ خَالِدٍ الطَّحَّانِ عَنْ بَيَانٍ: «**يَذْهَبُ الصَّالِحُونَ أَسْلَافًا وَيُقْبَضُ الصَّالِحُونَ الْأَوَّلُ فَالْأَوَّلُ**»، وَالثَّانِيَةُ تَفْسِيرٌ لِلْأُولَى. قَوْلُهُ: «وَيَبْقَى حُثَالَةٌ أَوْ حُفَالَةٌ» هُوَ شَكٌّ هَلْ هِيَ بِالثَّاءِ الْمُثَلَّثَةِ أَوْ بِالْفَاءِ وَالْحَاءِ الْمُهْمَلَةِ فِي الْحَالَيْنِ، وَوَقَعَ فِي رِوَايَةِ عَبْدِ الْوَاحِدِ: «حُثَالَةٌ» بِالْمُثَلَّثَةِ جَزْمًا.

قَوْلُهُ: ﴿كَحُثَالَةِ الشَّعِيرِ أَوِ التَّمْرِ﴾ يَحْتَمِلُ الشَّكَّ وَيَحْتَمِلُ التَّنْوِيعَ، وَقَعَ فِي رِوَايَةِ عَبْدِ الْوَاحِدِ: ﴿كَحُثَالَةِ الشَّعِيرِ﴾ فَقَطْ، وَفِي رِوَايَةٍ: «**حَتَّى لَا يَبْقَى إِلَّا مِثْلُ حُثَالَةِ التَّمْرِ وَالشَّعِيرِ**». زَادَ غَيْرُ أَبِي ذَرٍّ مِنْ رُوَاةِ الْبُخَارِيِّ: «قَالَ أَبُو

عَبْدِ اللهِ» وَهُوَ الْبُخَارِيُّ «حُثَالَةٌ وَحُفَالَةٌ»؛ يَعْنِي: أَنَّهُمَا بِمَعْنًى وَاحِدٍ. وَقَالَ الْخَطَّابِيُّ: الْحُثَالَةُ بِالْفَاءِ وَبِالْمُثَلَّثَةِ الرَّدِيءُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، وَقِيلَ: آخِرُ مَا يَبْقَى مِنَ الشَّعِيرِ وَالتَّمْرِ وأردأه. وَقَالَ ابن التِّينِ: الْحُثَالَةُ سَقَطُ النَّاسِ، وَأَصْلُهَا مَا يَتَسَاقَطُ مِنْ قُشُورِ التَّمْرِ وَالشَّعِيرِ وَغَيْرِهِمَا. وَقَالَ الدَّاوُدِيُّ: مَا يَسْقُطُ مِنَ الشَّعِيرِ عِنْدَ الْغَرْبَلَةِ وَيَبْقَى مِنَ التَّمْرِ بَعْدَ الْأَكْلِ.

وَوَجَدْتُ لِهَذَا الْحَدِيثِ شَاهِدًا مِنْ رِوَايَةِ الْفَزَارِيَّةِ امْرَأَةِ عُمَرَ بِلَفْظِ: **«تَذْهَبُونَ الْخَيِّرُ فَالْخَيِّرُ حَتَّى لَا يَبْقَى مِنْكُمْ إِلَّا حُثَالَةٌ كَحُثَالَةِ التَّمْرِ، يَنْزُو بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ نَزْوَ الْمَعْزِ»**. أَخْرَجَهُ أَبُو سَعِيدِ بْنُ يُونُسَ فِي «تَارِيخِ مِصْرَ» وَلَيْسَ فِيهِ تَصْرِيحٌ بِرَفْعِهِ، لَكِنْ لَهُ حُكْمُ الْمَرْفُوعِ. قَوْلُهُ: **«لَا يُبَالِيهِمُ اللهُ بَالَةً»** قَالَ الْخَطَّابِيُّ: أَيْ: لَا يَرْفَعُ لَهُمْ قَدْرًا وَلَا يُقِيمُ لَهُمْ وَزْنًا، يُقَالُ: بَالَيْتُ بِفُلَانٍ وَمَا بَالَيْتُ بِهِ مُبَالَاةً، وَبَالِيَةً وَبَالَةً. وَقَالَ غَيْرُهُ: أَصْلُ بَالَةٍ بَالِيَةٍ، فَحُذِفَتِ الْيَاءُ تَخْفِيفًا. وَتُعُقِّبَ قَوْلُ الْخَطَّابِيِّ بِأَنَّ بَالِيَةً لَيْسَ مَصْدَرًا لِبَالَيْتُ، وَإِنَّمَا هُوَ اسْمُ مَصْدَرِهِ. وَقَالَ أَبُو الْحَسَنِ الْقَابِسِيُّ: سَمِعْتُهُ فِي الْوَقْفِ بَالَةً، وَلَا أَدْرِي كَيْفَ هُوَ فِي الدَّرْجِ، وَالْأَصْلُ بَالَيْتُهُ بَالَاةً، فَكَأَنَّ الْأَلِفَ حُذِفَتْ فِي الْوَقْفِ. كَذَا قَالَ. وَتعقبه ابن التِّينِ بِأَنَّهُ لَمْ يَسْمَعْ فِي مَصْدَرِهِ بَالَاةً. قَالَ: وَلَوْ عَلِمَ الْقَابِسِيُّ مَا نَقَلَهُ الْخَطَّابِيُّ أَنَّ بَالَةً مَصْدَرٌ مُصَارٌ لَمَا احْتَاجَ إِلَى هَذَا التَّكَلُّفِ.

قُلْتُ: تَقَدَّمَ فِي الْمَغَازِي مِنْ رِوَايَةِ عِيسَى بْنِ يُونُسَ عَنْ بَيَانٍ بِلَفْظِ: **«لَا يَعْبَأُ اللهُ بِهِمْ شَيْئًا»**، وَفِي رِوَايَةِ عَبْدِ الْوَاحِدِ: **«لَا يُبَالِي اللهُ عَنْهُمْ»**، وَكَذَا فِي رِوَايَةِ خَالِدٍ الطَّحَّانِ، وَ«عَنْ» هُنَا بِمَعْنَى الْبَاءِ، يُقَالُ: مَا بَالَيْتُ بِهِ، وَمَا بَالَيْتُ عَنْهُ.

وَقَوْلُهُ: «يَعْبَأُ» بِالْمُهْمَلَةِ السَّاكِنَةِ وَالْمُوَحَّدَةِ مَهْمُوزٌ؛ أَيْ: لَا يُبَالِي، وَأَصْلُهُ مِنَ الْعِبْءِ بِالْكَسْرِ ثُمَّ الْمُوَحَّدَةِ مَهْمُوزٌ وَهُوَ الثِّقَلُ، فَكَأَنَّ مَعْنَى لَا يَعْبَأُ بِهِ: أَنَّهُ

لَا وَزْنَ لَهُ عِنْدَهُ، وَوَقَعَ فِي آخِرِ حَدِيثِ الْفَزَارِيَّةِ الْمَذْكُورِ آنِفًا: «**عَلَى أُولَئِكَ تَقُومُ السَّاعَةُ**».

قَالَ ابن بَطَّالٍ: فِي الْحَدِيثِ أَنَّ مَوْتَ الصَّالِحِينَ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ، وَفِيهِ النَّدْبُ إِلَى الِاقْتِدَاءِ بِأَهْلِ الْخَيْرِ وَالتَّحْذِيرُ مِنْ مُخَالَفَتِهِمْ؛ خَشْيَةَ أَنْ يَصِيرَ مَنْ خَالَفَهُمْ مِمَّنْ لَا يَعْبَأُ اللهُ بِهِ. وَفِيهِ أَنَّهُ يَجُوزُ انْقِرَاضُ أَهْلِ الْخَيْرِ فِي آخِرِ الزَّمَانِ حَتَّى لَا يَبْقَى إِلَّا أَهْلُ الشَّرِّ.

وَاسْتُدِلَّ بِهِ عَلَى جَوَازِ خُلُوِّ الْأَرْضِ مِنْ عَالِمٍ حَتَّى لَا يَبْقَى إِلَّا أَهْلُ الْجَهْلِ صِرْفًا، وَيُؤَيِّدُهُ الْحَدِيثُ الْآتِي فِي الْفِتَنِ: «**حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ عَالِمٌ اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤَسَاءَ جُهَّالًا**». وَسَيَأْتِي بَسْطُ الْقَوْلِ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ هُنَاكَ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى.

تَنْبِيهٌ: وَقَعَ فِي نُسْخَةِ الصَّغَانِيِّ هُنَا: «قَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ حُفَالَةٌ وَحُثَالَةٌ»؛ أَيْ: أَنَّهَا رُوِيَتْ بِالْفَاءِ وبالمثلثة وهما بِمَعْنًى وَاحِدٍ». [انتهى كلامه].

(**الشَّيخُ**): العَينِيُّ ما تَكلَّم عَلَى قَولِهِ: ﴿**الأَوَّلَ فالأَوَّلَ**﴾ «أَلْ» هُنَا كأَنَّها زَائِدةٌ، مَعنَاهَا أَوَّلًا فأَوَّلًا، وهَذَا فِي آخِرِ الزَّمانِ، لَا يَزالُ الصَّالِحونَ يُقبَضُون يُقبَضُون حتَّى يَنتَهُوا، فلَا يَبقَى إلَّا الأَشرارُ فعَليهِم تَقومُ السَّاعةُ، نَسأَلُ اللهَ العَافِيةَ، لَا حَولَ ولَا قُوَّةَ إلَّا بِاللهِ.

• **س**: ...؟

○ **ج**: يَعنِي: مِثلَ البَهائِم، وهَذَا مَوجُودٌ فِي دُولٍ كَثيرةٍ الآنَ الأَسواقُ، يَنزُو بَعضُهم عَلَى بَعضٍ، يُجامِعُها عِندَ النَّاسِ، يَركَبُها عِندَ النَّاس، يَركَبُ بَعضُهُم بَعضًا، إِلَى الآنَ مَوجودٌ عِندَ النَّاسِ؛ فِي فَرَنسَا وفِي إِنجلْتِرا وفِي بُلدانٍ كَثيرةٍ فِي الأَسوَاقِ، وفِي الحَدائِقِ، نَسأَلُ اللهَ العَافِيةَ، وهَكَذا فِي آخِرِ الزَّمانِ أَردَى مِن هَذَا؛ نَسأَلُ اللهَ العَافِيةَ.

• **س**: تَكونُ زِيادَةُ «أَلْ» حَالًا؟

○ ج: «أَلْ» هُنَا زَائِدةٌ، حَالٌ نَعَم:

وَالحَالُ إنْ عُرِّفَ لَفظًا فاعتَقِدْ... تَنكِيرَه مَعنًى كوَحدَكَ اجتَهِدْ[1]

قد يُعرَّفُ لَفظًا والمَعنَى هُوَ التَّنكِيرُ، قد تَأتِي مَعرِفةً لَكِنَّها قَلِيلَةٌ مِثلُ هَذَا، مِثلُ (لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحدَه) وَحدَهُ مَعناهُ مُنفرِدًا.

١٠ ـ بَاب مَا يُتَّقَى مِنْ فِتْنَةِ الْمَالِ، وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [التغابن: ١٥]

٦٤٣٥ ـ حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ يُوسُفَ، أَخْبَرَنَا أَبُو بَكْرٍ بن عياش، عَنْ أَبِي حَصِينٍ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، وَالدِّرْهَمِ، وَالْقَطِيفَةِ، وَالْخَمِيصَةِ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ لَمْ يَرْضَ». [سبق برقم ٢٨٨٦]

٦٤٣٦ ـ حَدَّثَنَا أَبُو عَاصِمٍ، عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ، عَنْ عَطَاءٍ قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يَقُولُ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «لَوْ كَانَ لِابْنِ آدَمَ وَادِيَانِ مِنْ مَالٍ لَابْتَغَى ثَالِثًا، وَلَا يَمْلأُ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا التُّرَابُ، وَيَتُوبُ اللهُ عَلَى مَنْ تَابَ». [طرفه: ٦٤٣٧، وأخرجه مسلم، برقم ١٠٤٩]

الشَّرح

يَعنِي: هَذَا هُوَ طَبِيعَة ابن آدَم، الغالِبُ طَبيعَةُ ابنِ آدَمَ هَكَذا حُبُّ المَالِ، ولَا يُشبِعُه شَيءٌ، كَمَا قَالَ ﷺ: ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ﴾؛ يَعنِي: المَالَ، ﴿لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾﴾ [العاديات: ٨] وقَالَ: ﴿وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾﴾ [الفجر: ٢٠]. وكَم مِن قَتيلٍ وقاتِلٍ حَصَل لَهُ ذَلِكَ بسَببِ حُبِّ المَالِ! نَسأَلُ اللهَ السَّلامةَ، وكَم من

(١) انظر: «ألفية ابن مالك» باب الحال (ص٣٣).

مُرتَدٌّ عَن دِينِه حَصَل ذَلِكَ بسَببِ حُبِّ المَالِ؛ فهُوَ فِتنةٌ كَمَا قَالَ اللهُ: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [الأنفال: ٢٨]؛ يَعنِي: اختِبارًا وامتِحانًا، يُبتلَى بِهِ النَّاسُ؛ فهَذَا يُبتَلَى بالمَالِ فيَصرِفُه فِي وُجوهِ الخَيرِ، ويَسلَمُ من شَرِّه، وهَذَا يُبتَلَى بِالمالِ فيَهلِكُ بِهِ؛ نَسأَلُ اللهَ العَافِيَةَ، لَا حَولَ ولَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ.

* * *

٦٤٣٧ حَدَّثَنِي مُحَمَّدٌ، أَخْبَرَنَا مَخْلَدٌ، أَخْبَرَنَا ابْنُ جُرَيْجٍ قال: سَمِعْتُ عَطَاءً يَقُولُ: سَمِعْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «لَوْ أَنَّ لِابْنِ آدَمَ مِثْلَ وَادٍ مَالًا لأَحَبَّ أَنَّ لَهُ إِلَيْهِ مِثْلَهُ، وَلَا يَمْلأُ عَيْنَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا التُّرَابُ، وَيَتُوبُ اللهُ عَلَى مَنْ تَابَ» قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «فَلَا أَدْرِي مِنَ الْقُرْآنِ هُوَ أَمْ لَا» قَالَ: وَسَمِعْتُ ابْنَ الزُّبَيْرِ يَقُولُ ذَلِكَ عَلَى الْمِنْبَرِ. [سبق برقم ٦٤٣٦، وأخرجه مسلم، برقم ١٠٤٩]

٦٤٣٨ حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْمٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمٰنِ بْنُ سُلَيْمَانَ بْنِ الْغَسِيلِ، عَنْ عَبَّاسِ بْنِ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ قال: سَمِعْتُ ابْنَ الزُّبَيْرِ عَلَى الْمِنْبَرِ بِمَكَّةَ فِي خُطْبَتِهِ يَقُولُ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ: «لَوْ أَنَّ ابْنَ آدَمَ أُعْطِيَ وَادِيًا مَلآن مِنْ ذَهَبٍ أَحَبَّ إِلَيْهِ ثَانِيًا، وَلَوْ أُعْطِيَ ثَانِيًا أَحَبَّ إِلَيْهِ ثَالِثًا، وَلَا يَسُدُّ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا التُّرَابُ، وَيَتُوبُ اللهُ عَلَى مَنْ تَابَ».

٦٤٣٩ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ عَبْدِ اللهِ، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ، عَنْ صَالِحٍ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ قال: أَخْبَرَنِي أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قال: «لَوْ أَنَّ لِابْنِ آدَمَ وَادِيًا مِنْ ذَهَبٍ أَحَبَّ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَادِيَانِ، وَلَنْ يَمْلأَ فَاهُ إِلَّا التُّرَابُ، وَيَتُوبُ اللهُ عَلَى مَنْ تَابَ». [وأخرجه مسلم، برقم ١٠٤٨]

الشَّرح

[قالَ الحَافِظُ ابنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «فتْحِ البَارِي» (١١/ ٢٥٥)]: «قَوْلُهُ: **﴿وَلَا يَمْلَأُ جَوف ابن آدَمَ﴾** فِي رِوَايَةِ حَجَّاجِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنِ ابن جُرَيْجٍ عِنْدَ الْإِسْمَاعِيلِيِّ «**نَفْسَ**» بَدَلَ «**جَوْفَ**»، وَفِي حَدِيثِ جَابِرٍ كَالْأَوَّلِ، وَفِي مُرْسَلِ جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ: «**وَلَا يُشْبِعُ - بِضَمِّ أَوَّلِهِ - جَوْفَ**»، وَفِي حَدِيث ابن الزُّبَيْرِ: **﴿وَلَا يَسُدُّ جَوْفَ﴾**، وَفِي الرِّوَايَةِ الثَّانِيَةِ فِي الْبَابِ: **﴿وَلَا يَمْلَأُ عَيْنَ﴾**، وَفِي حَدِيثِ أَنَسٍ فِيهِ: «**وَلَا يَمْلَأُ فَاهُ**» وَمِثْلُهُ فِي حَدِيثِ أَبِي وَاقِدٍ عِنْدَ أَحْمَدَ، وَلَهُ فِي حَدِيثِ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ: «**وَلَا يَمْلَأُ بَطْنَ**».

قَالَ الْكِرْمَانِيُّ: لَيْسَ الْمُرَادُ الْحَقِيقَةَ فِي عُضْوٍ بِعَيْنِهِ؛ بِقَرِينَةِ عَدَمِ الِانْحِصَارِ فِي التُّرَابِ؛ إِذْ غَيْرُهُ يَمْلَؤُهُ أَيْضًا؛ بَلْ هُوَ كِنَايَةٌ عَنَ الْمَوْتِ؛ لِأَنَّهُ مُسْتَلْزِمٌ لِلِامْتِلَاءِ؛ فَكَأَنَّهُ قَالَ: لَا يَشْبَعُ مِنَ الدُّنْيَا حَتَّى يَمُوتَ؛ فَالْغَرَضُ مِنَ الْعِبَارَاتِ كُلِّهَا وَاحِدٌ وَهِيَ مِنَ التَّفَنُّنِ فِي الْعِبَارَةِ. قُلْتُ: وَهَذَا يَحْسُنُ فِيمَا إِذَا اخْتَلَفَتْ مَخَارِجُ الْحَدِيثِ، وَأَمَّا إِذَا اتَّحَدَتْ فَهُوَ مِنْ تَصَرُّفِ الرُّوَاةِ، ثُمَّ نِسْبَةُ الِامْتِلَاءِ لِلْجَوْفِ وَاضِحَةٌ، وَالْبَطْنُ بِمَعْنَاهُ. وَأَمَّا النَّفْسُ فَعَبَّرَ بِهَا عَنِ الذَّاتِ، وَأَطْلَقَ الذَّاتَ وَأَرَادَ الْبَطْنَ مِنْ إِطْلَاقِ الْكل وَإِرَادَة الْبَعْض، وَأَمَّا النِّسْبَةُ إِلَى الْفَمِ فَلِكَوْنِهِ الطَّرِيقَ إِلَى الْوُصُولِ لِلْجَوْفِ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِالنَّفْسِ الْعَيْنَ، وَأَمَّا الْعَيْنُ فَلِأَنَّهَا الْأَصْلُ فِي الطَّلَبِ؛ لِأَنَّهُ يَرَى مَا يُعْجِبُهُ فَيَطْلُبُهُ لِيَحُوزَهُ إِلَيْهِ، وَخَصَّ الْبَطْنَ فِي أَكْثَرِ الرِّوَايَاتِ لِأَنَّ أَكْثَرَ مَا يُطْلَبُ الْمَالُ لِتَحْصِيلِ الْمُسْتَلَذَّاتِ وَأَكْثَرُهَا يَكُونُ لِلْأَكْلِ وَالشُّرْبِ.

وَقَالَ الطِّيبِيُّ: وَقَعَ قَوْلُهُ: **﴿وَلَا يَمْلَأُ...﴾** إِلَخْ مَوْقِعَ التَّذْيِيلِ وَالتَّقْرِيرِ لِلْكَلَامِ السَّابِقِ، كَأَنَّهُ قِيلَ: وَلَا يَشْبَعُ مَنْ خُلِقَ مِنَ التُّرَابِ إِلَّا بِالتُّرَابِ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ تَكُونَ الْحِكْمَةُ فِي ذِكْرِ التُّرَابِ دُونَ غَيْرِهِ أَنَّ الْمَرْءَ لَا يَنْقَضِي طَمَعُهُ حَتَّى يَمُوتَ، فَإِذَا مَاتَ كَانَ مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يُدْفَنَ، فَإِذَا دُفِنَ صُبَّ عَلَيْهِ التُّرَابُ فَمَلَأَ

جَوْفَهُ وَفَاهُ وَعَيْنَيْهِ وَلَمْ يَبْقَ مِنْهُ مَوْضِعٌ يَحْتَاجُ إِلَى تُرَابٍ غَيْرُهُ، وَأَمَّا النِّسْبَةُ إِلَى الْفَمِ فَلِكَوْنِهِ الطَّرِيقَ إِلَى الْوُصُول للجوف». [انتهى كلامه].

قال ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: لَا يَزالُ فِيهِ إِشكالٌ فِي تَعبِيرِ: ﴿**وَلَا يَمْلَأُ جَوفَ ابنِ آدَمَ**﴾؛ يَعنِي: المَعنَى، أَمَّا المَوتُ شَيءٌ ثانٍ، اللهُ أَعلَمُ بِمُرادِ رَسُولِه عليه الصلاة والسلام.

* * *

٦٤٤٠ ﴿وَقَالَ لَنَا أَبُو الْوَلِيدِ: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ أَنَسٍ، عَنْ أُبَيٍّ قال: «كُنَّا نَرَى هَذَا مِنَ الْقُرْآنِ، حَتَّى نَزَلَتْ ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾».

الشَّرح

[قالَ الحَافِظُ ابنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ في «فتْحِ البَارِي» (١١/ ٢٥٧)]: «قَوْلُهُ: ﴿**عَنْ أُبَيٍّ**﴾ هُوَ: ابن كَعْبٍ، وَهَذَا مِنْ رِوَايَةِ صَحَابِيٍّ عَنْ صَحَابِيٍّ، وَإِنْ كَانَ أُبَيٌّ أَكْبَرُ مِنْ أَنَسٍ. قَوْلُهُ: ﴿**كُنَّا نُرَى**﴾ بِضَمِّ النُّونِ أَوَّلِهِ؛ أَيْ: نَظُنُّ وَيَجُوزُ فَتْحُهَا مِنَ الرَّأْيِ؛ أَيْ: نَعْتَقِدُ. قَوْلُهُ: ﴿**هَذَا**﴾ لَمْ يُبَيِّنْ مَا أَشَارَ إِلَيْهِ بِقَوْلِهِ: ﴿**هَذَا**﴾، وَقَدْ بَيَّنَهُ الْإِسْمَاعِيلِيُّ مِنْ طَرِيقِ مُوسَى بْنِ إِسْمَاعِيلَ عَنْ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ وَلَفْظُهُ: كُنَّا نُرَى هَذَا الْحَدِيثَ مِنَ الْقُرْآنِ: «**لَوْ أَنَّ لِابْنِ آدَمَ وَادِيَيْنِ مِنْ مَالٍ لَتَمَنَّى وَادِيًا ثَالِثًا...**» الْحَدِيثُ دُونَ قَوْلِهِ: «**وَيَتُوبُ اللهُ...**» إلخ.

قَوْله: ﴿**حَتَّى نزلت ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١﴾**﴾ زَادَ فِي رِوَايَةِ مُوسَى بْنِ إِسْمَاعِيلَ: إِلَى آخِرِ السُّورَةِ، وَلِلْإِسْمَاعِيلِيِّ أَيْضًا مِنْ طَرِيقِ عَفَّانَ وَمِنْ طَرِيقِ أَحْمَدَ بْنِ إِسْحَاقَ الْحَضْرَمِيِّ قَالَا: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ... فَذَكَرَ مِثْلَهُ. وَأَوَّلُهُ: «كُنَّا نُرَى أَنَّ هَذَا مِنَ الْقُرْآنِ...» إِلَخْ.

تَنْبِيه: هَكَذَا وَقَعَ حَدِيثُ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ مِنْ رِوَايَةِ ثَابِتٍ عَنْ أَنَسٍ عَنْهُ مُقَدَّمًا عَلَى رِوَايَةِ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ أَنَسٍ فِي هَذَا الْبَابِ عِنْدَ أَبِي ذَرٍّ، وَعَكَسَ

ذَلِك غَيرُه وَهُوَ الأنسبُ. قَالَ ابنُ بطَّالٍ وَغَيرُه: قَوْله: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١﴾ خَرَجَ عَلَى لَفْظِ الْخِطَابِ؛ لِأَنَّ اللهَ فَطَرَ النَّاسَ عَلَى حُبِّ الْمَالِ وَالْوَلَدِ، فَلَهُمْ رَغْبَةٌ فِي الِاسْتِكْثَارِ مِنْ ذَلِكَ، وَمِنْ لَازِمِ ذَلِكَ الْغَفْلَةُ عَنِ الْقِيَامِ بِمَا أُمِرُوا بِهِ حَتَّى يَفْجَأَهُمُ الْمَوْتُ، وَفِي أَحَادِيثِ الْبَابِ ذَمُّ الْحِرْصِ وَالشَّرَهِ». [انتهى كلامه].

١١ ـ بَاب قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «هَذَا الْمَالُ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ»، وَقَوله تَعَالَى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [آل عمران: ١٤]، قَالَ عُمَرُ: اللَّهُمَّ إِنَّا لَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَفْرَحَ إِلَّا بِمَا زَيَّنْتَهُ لَنَا، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ أَنْ أُنْفِقَهُ فِي حَقِّهِ

الشَّرح

(ع): وَالمَقصُودُ مِن هَذَا كُلِّهِ: الحَذَرُ، مَقصُودُ الرَّسُولِ ﷺ الحَذَرُ مِنَ الشُّغلِ بِالْمَالِ، وَالفِتنَةِ بِالْمَالِ، وَأَنَّ الْمُؤمِنَ يَنبَغِي أَنْ يَكُونَ هَمُّهُ وَأَكبَرُ هَمِّه الإِعدَادَ لِلآخِرَةِ، وَالعَمَلَ لِلآخِرَةِ، وَأَلَّا يُشْغَلَ بِالدُّنيَا وَشَهَوَاتِهَا، فَهُوَ لَمْ يُخلَقْ لَهَا، خلِقَ لِيَعمَلَ فِيهَا لِلآخِرَةِ، فلا يَنبَغِي أَنْ يَشتَغِلَ بِهَا عَمَّا خُلِقَ لَهُ.

• **س: عَفَا اللهُ عَنكَ، هَلْ وَرَدَ أَنَّ هَذِهِ كَانَتْ آيَةً مِنَ القُرْآنِ نُسخِتَ: «لَو كَانَ لابنِ آدَمَ»؟**

○ ج: نَعَمْ، وَرَدَ فِي بَعضِ الرِّوَايَاتِ.

* * *

٦٤٤١ ـ حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللهِ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ قال: سَمِعْتُ الزُّهْرِيَّ يَقُولُ: أَخْبَرَنِي عُرْوَةُ، وَسَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ، عَنْ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ قال: سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَأَعْطَانِي، ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَأَعْطَانِي، ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَأَعْطَانِي،

ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ هَذَا الْمَالَ»، وَرُبَّمَا قَالَ سُفْيَانُ: قَالَ لِي: «يَا حَكِيمُ، إِنَّ هَذَا الْمَالَ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ، فَمَنْ أَخَذَهُ بِطِيبِ نَفْسٍ بُورِكَ لَهُ فِيهِ، وَمَنْ أَخَذَهُ بِإِشْرَافِ نَفْسٍ لَمْ يُبَارَكْ لَهُ فِيهِ، وَكَانَ كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ، وَالْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى». [سبق برقم ١٤٧٢، وأخرجه مسلم، برقم ١٠٣٥]

الشَّرح

(ع): وَهَذَا فِيهِ الحَثُّ عَلَى القَنَاعَةِ وَعَدَمِ الإِسرَافِ، وَعَدَمِ التَّكَلُّفِ فِي جَمعِ الْمَالِ عَلَى غَيرِ الوَجهِ الشَّرعِيِّ، فَهُوَ خَضِرَةٌ حُلوَةٌ، مَن أَخَذَهُ بِطِيبِ نَفسٍ وَقَنَاعَةٍ وَبِالطُّرقِ الشَّرعِيَّةِ بُورِكَ لَهُ فِيهِ، وَمَنْ أَخَذَهُ بِإِشْرَافِ نَفسٍ وَحِرصٍ وَتَكَلُّفٍ لَمْ يُبَارَكْ لَهُ فِيهِ، نَسأَلُ اللهَ العَافِيَةَ؛ كَالَّذِي يَأكُلُ وَلَا يَشبَعُ.

وهَذَا تَوجِيهٌ عَظِيمٌ مِنَ النَّبِيِّ الكَرِيمِ عليه الصلاة والسلام لِحَكِيمِ بنِ حِزَامٍ القُرَشِيِّ المَعرُوفِ ﷺ، وللأُمَّةِ كُلِّها؛ فالخِطابُ لِحَكِيمٍ ﷺ والمَقصُودُ الأُمَّةُ كُلُّها، وكَانَ حكيم ﷺ طَلَب مِنَ النَّبِيِّ ﷺ مِنَ المَالِ فأَعطاهُ النَّبِيُّ ﷺ، ثُمَّ طَلَب فأَعطَاهُ، ثُمَّ طَلَب فأَعطَاهُ، ثُمَّ قَالَ له: ﴿يَا حَكِيمُ، إِنَّ هَذَا المَالَ خَضِرَةٌ حُلوَةٌ﴾؛ يَعنِي: مَحبُوبًا للنُّفوسِ مِن جِهَةِ المَرْأَى: من جِهَةِ النَّظرِ، ومِن جِهةِ ما يَتمتَّعُ بِهِ من نَيلِ الشَّهَواتِ الَّتِي تُدرَك بِالمالِ.

﴿فمَن أَخَذه بطِيبِ نَفسٍ﴾، فِي اللَّفظِ الآخَرِ: «بسَخاوَةِ نَفسٍ بُورِكَ لَهُ فِيهِ»[1]؛ يَعنِي: أَخَذه بطُمَأنِينةٍ، وسَخاوَةِ نَفسٍ، ورَاحةٍ، وقَصدٍ صالِحٍ، بُورِكَ لَهُ فِيهِ، ﴿ومَن أَخَذه بإشرافِ نَفسٍ﴾؛ يَعنِي: تَطلُّعًا وجَشعًا ﴿لم يُبارَكْ لَهُ فِيهِ، وكَانَ كَالَّذِي يَأكُلُ ولَا يَشبَعُ﴾، وفِي اللَّفظِ الآخَرِ المُتقدِّمِ: «فمَن أَخَذه بحَقِّه ووَضَعهُ فِي حَقِّه فنِعمَ المَعونَةُ هُوَ، ومَن أَخَذه بإشرافِ نَفسٍ لم يُبارَكْ لَهُ فِيهِ، وكَانَ كَالَّذِي يَأكُلُ ولَا يَشبَعُ»، وفِي اللَّفظِ الآخَرِ: «نِعمَ المَالُ الصَّالِحُ للرَّجُلِ

(١) أخرجه البخاري (١٤٧٢).

الصَّالِحِ»[١] يُنفِقُه فِي سَبيلِ اللهِ؛ فِي الفَقيرِ والمِسكِينِ، أو كَمَا قَالَ عليه الصلاة والسلام، وفِي اللَّفظِ الآخَرِ: **«اليَدُ العُليَا خَيرٌ مِنَ اليَدِ السُّفلَى، وابدَأْ بمَنْ تَعُولُ، وخَيرُ الصَّدَقةِ ما كَانَ عَن ظَهْرِ غِنًى»**[٢].

فاليَدُ العُليَا هِيَ المُعطِيَةُ المُنفِقةُ، والسُّفلَى هِيَ السَّائِلةُ. **«وابدَأْ بمَن تَعولُ»**؛ يَعنِي: ابدَأْ بمَن تَحتَ يَدِكَ وأَنتَ مَسؤُولٌ عَنهُم، ابدَأْ بِهِم فِي الإِنفَاقِ مِن زَوجَةٍ وأَولَادٍ ونَحوِ ذَلِكَ ممَّا تَحتَ يدِ الإِنسَانِ والبَهائِمِ ونَحوِ ذَلِكَ.

«وخَيرُ الصَّدقةِ ما كَانَ عَن ظَهرِ غِنًى»، ما كَانَ يَستَطِيعُه العَبدُ فَوقَ حَاجَتِه، فَوقَ حَاجةِ مَن كَانَ تَحتَ يَدِه، وفِي اللَّفظِ الآخَرِ: **«جُهدُ المُقِلِّ»**[٣]. ولَا مُنافَاةَ؛ فخَيرُ الصَّدَقةِ ما كَانَ عَن يُسرٍ واستِطاعَةٍ بَعدَ أَداءِ الوَاجِبِ؛ يَعنِي: بَعدَ قِيامِهِ بِمَا يَلزَمُه مِنَ النَّفَقةِ عَلَى مَن يَعولُ؛ فلَا يَنبَغِي للمُؤمِنِ أن يَجُودَ عَلَى البَعيدِ ويُضيِّقَ عَلَى مَن يَعولُ؛ بل يُعطِيهِم حَاجَتَهُم ويَتصَدَّقُ بِمَا فَوقَ ذَلِكَ.

• **س: إِذَا كَانَ للقَرِيبِ؟**

○ **ج**: صَدَقةٌ وصِلةٌ، وإِذَا كَانَ لَا يَعولُه أَفضَلُ مِن غَيرِهِم، صَدقةٌ وصِلةٌ، يَقولُ ﷺ: **«الصَّدَقةُ عَلَى المِسكِينِ صَدَقةٌ، وعَلَى ذِي الرَّحِمِ اثنَتانِ: صَدَقةٌ وصِلةٌ»**[٤].

---

(١) أخرجه أحمد (٢٩/٢٩٨) رقم (١٧٧٦٣)، والحاكم (٢/٢) عن عمرو بن العاص رضي الله عنه. وصححه الحاكم.

(٢) أخرجه البخاري (١٤٢٧)، ومسلم (١٠٣٤) عن حكيم بن حزام رضي الله عنه، وتقدم قريبًا ببعضه.

(٣) أخرجه أبو داود (١٤٥١)، والنسائي (٥/٥٨) عن عبد الله بن حبشي الخثعمي رضي الله عنه. وحسنه ابن حجر في «نتائج الأفكار» (٢/١٠٥).

(٤) أخرجه الترمذي (٦٥٨)، والنسائي (٥/٩٢)، وابن ماجه (١٨٤٤)، وأحمد (٢٦/١٦٤) رقم (١٦٢٢٦)، والحاكم (١/٤٠٧) عن سلمان بن عامر الضبي رضي الله عنه. وحسنه الترمذي، وصححه الحاكم.

• س: ...؟

○ ج: الظَّاهِرُ أَنَّهُ لَا مُنافَاةَ؛ يَعنِي: «مَا كَانَ عَن ظَهرِ غِنًى»؛ يَعنِي: عَن ظَهرِ تَسدِيدٍ للحَاجَةِ والكِفايَةِ لِمَن تَحتَ يَدِه، ولَا يُنافِي «جُهدُ المُقِلِّ» المُقِلُّ هُوَ الَّذِي يَجتهِدُ فِي أن يُفضِلَ شَيئًا للصَّدَقةِ لِقِلَّةِ ما فِي يَدِه بَعدَ أن يُوفِّيَ المَقامَ حَقَّه من جِهةِ مَن يَعولُ؛ فهُوَ مُوافِقٌ لَهُ فِي المَعنَى.

• س: الصَّوَابُ ـ عَفَا اللهُ عَنكَ ـ فِي تَفسِيرِ اليَدِ العُلْيَا وَاليَدِ السُّفْلَى؟

○ ج: اليَدُ العُلْيَا الْمُعْطِيَةُ وَاليَدُ السُّفلَى الآخِذَةُ، الْمُعطِي يَدُهُ عُلْيَا، وَالآخِذُ يَدُهُ سُفلى.

١٢ ـ بَاب مَا قَدَّمَ مِنْ مَالِهِ فَهُوَ لَهُ

٦٤٤٢ حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ حَفْصٍ، حَدَّثَنِي أَبِي، حَدَّثَنَا الأَعْمَشُ، قال: حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ التَّيْمِيُّ، عَنِ الْحَارِثِ بْنِ سُوَيْدٍ قال: قَالَ عَبْدُ اللهِ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَيُّكُمْ مَالُ وَارِثِهِ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ مَالِهِ؟» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ مَا مِنَّا أَحَدٌ إِلَّا مَالُهُ أَحَبُّ إِلَيْهِ، قَالَ: «فَإِنَّ مَالَهُ مَا قَدَّمَ، وَمَالُ وَارِثِهِ مَا أَخَّرَ».

الشَّرح

هَذَا بَيانٌ عَظِيمٌ، ومَثَلٌ عَظِيمٌ، يَجعَلُ المُؤمِنَ يَجودُ ويُحسِنُ: ﴿أيُكم مَالُه أَحَبُّ إِلَيهِ مِن مَالِ وَارِثِه﴾ كلُّ أحَدٍ يَقولُ: مالِي أحبُّ إِلَيَّ مِن مَالِ وُرَّاثِي، قَالَ: ﴿فإنَّ مالَ أحدِكُم ما قَدَّمَ﴾ ما تَصدَّقَ بِهِ فِي وُجوهِ البِرِّ، ﴿ومالُ وارِثِه هُوَ ما أَخَّر﴾، ما أخَّرَه وَراءَهُ لِلوَرَثةِ، لكِنَّ مالَ الإنسَانِ الحَقيقِيَّ الَّذِي يَنفَعُه هُوَ الَّذِي يُقدِّمُه فِي حَياتِه ابتِغاءَ وَجهِ اللهِ ﷻ فِي وُجوهِ الخَيرِ، أمَّا مالُ الوَارِثِ فهَذَا لِلوَارِثِ، إنْ أحسَنَ فِيهِ الوَارِثُ فهُوَ لَهُ، وإنْ أساءَ فهُوَ عَليهِ.

إِذَا مَاتَ الإِنسَانُ فهُوَ غَيرُ مَسؤُولٍ عمَّا وَراءَهُ، المَسؤُولُ عمَّا وَراءَهُ الوَرَثَةُ هُمُ المَسؤُولونَ إنْ أَحسَنُوا فلَهُم وإنْ أَساؤُوا فعَليهِم، ما عَادَ مَالَه، صَارَ المَالُ لَهُم هُمْ، انتَقَل، لكِنْ هُوَ يَسعَى لنَفسِه، ما دَامَ حيًّا يُقدِّمُ شَيئًا يَنفَعُه فِي الآخِرَةِ، فِي وُجوهِ الخَيرِ، ومُواسَاةِ الفَقيرِ والمِسكِينِ والسَّائلِ والمَظلُومِ، وفِي إقامَةِ المَشارِيعِ الخَيرِيَّةِ الَّتِي تَنفَعُ النَّاسَ: كتَعمِيرِ المَساجِدِ، والبُيوتِ الَّتِي لسَكنِ الأَيتَامِ والمَحاوِيجِ، والرُّبُطِ، وإِصلاحِ الطُّرُقِ، والقَناطِر، وغَيرِ هَذَا ممَّا يَحتاجُهُ النَّاس عَلَى حَسَبِ البِلادِ.

(ع): ﴿أَيُّكُمْ مَالُ وَارِثِهِ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ مَالِهِ؟﴾ اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَيهِ، اللهُ أَكْبَرُ؛ يَعْنِي: قَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ، اعْمَلُوا، أَنفِقُوا، تَصَدَّقُوا.

• **س: مَعنَى هَذَا عَفَا اللهُ عَنكَ، أَنَّ مَن وَرَّثَ مَالًا لَيسَ لَهُ فِيهِ أَجرٌ؟**

○ **ج**: مَالُ وَارِثِهِ مَا أَخَّرَ، وَمَالُهُ مَا قَدَّمَ.

• **س: أَحسَنَ اللهُ إِلَيكَ، إِذَا قَالَ: «عَبدُ اللهِ» دَائمًا عَبدُ اللهِ بنُ مَسعُودٍ رضي الله عنه؟**

○ **ج**: لا، يَختلِفُ بحَسبِ التَّلاميذِ، إِذَا قَالَ نافِعٌ: «حدَّثَنا عَبدُ اللهِ» فهُوَ ابنُ عُمرَ رضي الله عنهما، وإِذَا قَالَ سالِمٌ: «حدَّثَنا عَبدُ اللهِ» فهُوَ ابنُ عُمرَ رضي الله عنهما، وإِذَا قَالَ أَصحابُهُ كَذَلِكَ أَصحابُ ابنِ عُمرَ غَيرُهُم، يَكُونُ عَبدُ اللهِ بنُ عُمرَ رضي الله عنهما، وإِذَا قَالَ الحَارِثُ بنُ سُويدٍ وعَبدُ الرَّحمٰنِ بنُ يَزيدَ النَّخعِيُّ والأسود وأَشبَاهُهُم: «حدَّثَنا عَبدُ اللهِ» فهُوَ عَبدُ اللهِ بنُ مَسعُودٍ رضي الله عنه. وإِذَا قَالَ أَصحابُ ابنِ الزُّبَيرِ: «حدَّثَنا عَبدُ اللهِ» فهُوَ عَبدُ اللهِ بنُ الزُّبَيرِ رضي الله عنهما، وإِذَا قَالَ أَصحابُ عَبدِ اللهِ بنِ عَمرٍو: «حدَّثَنا عَبدُ اللهِ» فهُوَ عَبدُ اللهِ بنُ عَمرٍو رضي الله عنهما؛ يَختلِفُ بحَسَبِ التَّلاميذِ؛ وهَكَذا أَصحَابُ عبدِ اللهِ بنِ عبَّاسٍ إِذَا قَالُوا: «حدَّثَنا عَبدُ اللهِ» فهُوَ عَبدُ اللهِ بنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما، إِذَا قَالَ سَعيدُ بنُ جُبيرٍ أو قَالَ عَمرُو بنُ دِينارٍ وأَشباهُهُم فهُوَ عَبدُ اللهِ بنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما.

١٣ ـ بَاب الْمُكْثِرُونَ هُمُ الْمُقِلُّونَ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [هود: ١٥، ١٦]

٦٤٤٣ حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ رُفَيْعٍ، عَنْ زَيْدِ بْنِ وَهْبٍ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه قَالَ: «خَرَجْتُ لَيْلَةً مِنَ اللَّيَالِي، فَإِذَا رَسُولُ اللهِ ﷺ يَمْشِي وَحْدَهُ وَلَيْسَ مَعَهُ إِنْسَانٌ، قال: فَظَنَنْتُ أَنَّهُ يَكْرَهُ أَنْ يَمْشِيَ مَعَهُ أَحَدٌ، قال: فَجَعَلْتُ أَمْشِي فِي ظِلِّ الْقَمَرِ؛ فَالْتَفَتَ فَرَآنِي فَقَالَ: «مَنْ هَذَا؟» قُلْتُ: أَبُو ذَرٍّ، جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: «يَا أَبَا ذَرٍّ، تَعَالَ»، قَالَ: فَمَشَيْتُ مَعَهُ سَاعَةً، فَقَالَ لي: «إِنَّ الْمُكْثِرِينَ هُمُ الْمُقِلُّونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، إِلَّا مَنْ أَعْطَاهُ اللهُ خَيْرًا فَنَفَحَ فِيهِ يَمِينَهُ وَشِمَالَهُ وَبَيْنَ يَدَيْهِ وَوَرَاءَهُ، وَعَمِلَ فِيهِ خَيْرًا»، قَالَ: فَمَشَيْتُ مَعَهُ سَاعَةً، فَقَالَ لِي: «اجْلِسْ هَاهُنَا»، قَالَ: فَأَجْلَسَنِي فِي قَاعٍ حَوْلَهُ حِجَارَةٌ، فَقَالَ لِي: «اجْلِسْ هَاهُنَا حَتَّى أَرْجِعَ إِلَيْكَ»، قَالَ: فَانْطَلَقَ فِي الْحَرَّةِ حَتَّى لَا أَرَاهُ، فَلَبِثَ عَنِّي فَأَطَالَ اللُّبْثَ، ثُمَّ إِنِّي سَمِعْتُهُ وَهُوَ مُقْبِلٌ وَهُوَ يَقُولُ: «وَإِنْ سَرَقَ، وَإِنْ زَنَى» قَالَ: فَلَمَّا جَاءَ لَمْ أَصْبِرْ حَتَّى قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللهِ، جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ، مَنْ تُكَلِّمُ فِي جَانِبِ الْحَرَّةِ؟ مَا سَمِعْتُ أَحَدًا يَرْجِعُ إِلَيْكَ شَيْئًا؟ قَالَ: «ذَلِكَ جِبْرِيلُ عليه السلام عَرَضَ لِي فِي جَانِبِ الْحَرَّةِ، قَالَ: بَشِّرْ أُمَّتَكَ أَنَّهُ مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ، قُلْتُ: يَا جِبْرِيلُ، وَإِنْ سَرَقَ، وَإِنْ زَنَى؟ قَالَ: نَعَمْ، قال: قُلْتُ: وَإِنْ سَرَقَ، وَإِنْ زَنَى؟ قَالَ: نَعَمْ»، قُلْتُ: وَإِنْ سَرَقَ، وَإِنْ زَنَى، قال: «نَعَمْ»، قَالَ النَّضْرُ: أَخْبَرَنَا شُعْبَةُ، وَحَدَّثَنَا حَبِيبُ بْنُ أَبِي ثَابِتٍ، وَالأَعْمَشُ، وَعَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ رُفَيْعٍ، حَدَّثَنَا زَيْدُ بْنُ وَهْبٍ بِهَذَا.

قَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ: حَدِيثُ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ مُرْسَلٌ، لَا يَصِحُّ، إِنَّمَا أَرَدْنَا لِلْمَعْرِفَةِ، وَالصَّحِيحُ حَدِيثُ أَبِي ذَرٍّ، قِيلَ لأَبِي عَبْدِ اللهِ: حَدِيثُ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ؟ قَالَ: مُرْسَلٌ أَيْضًا، لَا يَصِحُّ، وَالصَّحِيحُ حَدِيثُ أَبِي ذَرٍّ، وَقَالَ: اضْرِبُوا عَلَى حَدِيثِ أَبِي الدَّرْدَاءِ هَذَا: «إِذَا مَاتَ قال: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ عِنْدَ الْمَوْتِ». [سبق برقم ١٢٣٧، وأخرجه مسلم، برقم ٩٤]

الشَّرح

(ع): وَهَذَا الحَدِيثُ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْمُكثِرِينَ هُمُ الْمُقِلُّونَ يومَ القِيَامَةِ، إِلَّا مَن أَنفَقَهُ فِي وُجُوهِ الخَيرِ؛ فَالْمُكْثِرُونَ هُمُ المُقِلُّونَ يَوْمَ القِيَامَةِ؛ لِأَنَّ الْمَالَ يَضُرُّهُمْ إِذَا كَثُرَ وَلَمْ يُصَرِّفُوهُ فِي وُجُوهِ الخَيرِ، وَلَمْ يُؤَدُّوا حَقَّهُ، وَلِهَذَا قَالَ ﷺ: **﴿الْمُكْثِرُونَ هُمُ الْمُقِلُّونَ يَومَ القِيَامَةِ، إِلَّا مَن قَالَ هَكَذَا وَهَكَذَا، وَهَكَذَا، وَهَكَذَا﴾**؛ عَن يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ، وَمِنْ بَينِ يَدَيهِ وَمِنْ خَلفِهِ.

يَعْنِي: إِلَّا مَن أَنفَقَ فِي وُجُوهِ الخَيرِ، مَن صَرَفَ الْمَالَ فِي وُجُوهِ الخَيرِ، وَأَنفَقَهُ فِي وُجُوهِ الخَيرِ وَقَاهُ اللهُ شَرَّهُ، وَمَنْ جَمَعَهُ وَلَمْ يُصَرِّفْهُ فِي وُجُوهِ الخَيرِ وَلَمْ يُؤَدِّ حَقَّهُ صَارَ وَبَالًا عَلَيهِ.

وَفِي حَدِيثِ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه الدَّلَالَةُ عَلَى أَنَّ مَن مَاتَ عَلَى التَّوحِيدِ فَمَصِيرُهُ الجَنَّةُ، وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ، وَإِنْ أَتَى الْمُوبِقَاتِ، فَإِنَّ اللهَ ﷻ وَعَدَ أَهلَ التَّوحِيدِ الجَنَّةَ، فَمَنْ مَاتَ عَلَى التَّوحِيدِ وَالإِيمَانِ فَمُنتَهَاهُ الجَنَّةُ وَإِنْ جَرَى عَلَيهِ خُطُوبٌ، وَإِنْ عُذِّبَ، لَكِنْ لَا يُخَلَّدُ فِي النَّارِ وَلَا يُحرَمُ مِنَ الجَنَّةِ، فَمُنتَهَاهُ الجَنَّةُ لِتَوحِيدِهِ، وَإِنْ كَانَ مَاتَ عَلَى مَعصِيَةٍ مِن زِنًى أَوْ سَرِقَةٍ أَوْ عُقُوقٍ أَوْ قَطِيعَةِ رَحِمٍ، أَوْ شُربِ مُسكِرٍ أَوْ غَيرِ هَذَا؛ فَالعُصَاةُ عَلَى طبَقَاتٍ، لَكِنْ كُلُّهُمْ لَا يُحرَمُ مِنَ الجَنَّةِ إِذَا مَاتُوا عَلَى التَّوحِيدِ، مِنهُمْ مَنْ يُعفَى عَنهُ قَبلَ دُخُولِ النَّارِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨]، وَمِنهُمْ مَن يُعَذَّبُ عَذَابًا خَفِيفًا، وَمِنهُمْ مَنْ يُعَذَّبُ عَذَابًا شَدِيدًا، وَمِنهُمْ

مَن تَطُولُ إِقَامَتُهُ فِي النَّارِ، فَهُمْ عَلَى طَبَقَاتٍ، عَلَى حَسَبِ مَعَاصِيهِمْ، وَالنَّبِيُّ ﷺ يَشْفَعُ فِيهِمْ وَالشُّفَعَاءُ، وَقَدْ ثَبَتَ عَنهُ ﷺ أَنَّهُ يَشفَعُ أَربَعَ شَفَاعَاتٍ فِي العُصَاةِ، فَيَحُدُّ اللهُ لَهُ حَدًّا فِي كُلِّ شَفَاعَةٍ لِيُخرِجَهُمْ مِنَ النَّارِ، وَيَبقَى فِي النَّارِ بَقِيَّةٌ مِنَ العُصَاةِ يُخرِجُهُمُ اللهُ، لَمْ يَعمَلُوا خَيْرًا قَطُّ إِلَّا أَنَّهُمْ مَاتُوا عَلَى التَّوحِيدِ، عَلَى إِخلَاصِ العِبَادَةِ للهِ وَالإِيمَانِ بِاللهِ؛ فَلَم يُخَلَّدُوا؛ بَلْ أُخرِجُوا مِنَ النَّارِ إِلَى الجَنَّةِ، وَهَذِهِ النِّهَايَةُ، النِّهَايَةُ أَنَّ مَنْ مَاتَ عَلَى التَّوحِيدِ وَإِنْ كَانَ عِنْدَهُ ذُنُوبٌ نِهَايَتُهُ الخُرُوجُ مِنَ النَّارِ إِلَى الجَنَّةِ، وَأَلَّا يُخَلَّدَ فِيهَا، إِلَّا مَنْ مَاتَ عَلَى الكُفرِ بِاللهِ ﷻ، نَسأَلُ اللهَ العَافِيَةَ وَالسَّلَامَةَ.

وهَذَا الحَديثُ فِيهِ البِشارةُ العَظيمَةُ لهَذهِ الأُمَّةِ، أُمَّةِ مُحمَّدٍ عليه الصلاة والسلام، وفِيهِ الرَّدُّ عَلَى الخَوارِجِ والمُعتزِلَةِ ومَن قَالَ بمذَهبِهِم مِنَ القَولِ بأنَّ العاصِيَ مُخلَّدٌ فِي النَّارِ، وأنَّهُ لَا يَدخلُ الجَنَّةَ.

فهَذَا الحَديثُ العَظيمُ، وهُوَ من أصَحِّ الأَحَادِيثِ عَن رَسُولِ اللهِ ﷺ قد رَواهُ البُخارِيُّ ومُسلِمٌ وغَيرُهُما يَقولُ ﷺ: ﴿**إنَّ المُكثِرينَ هُمُ المُقِلُّون يَومَ القِيامَةِ**﴾. المُكثِرُون هم المُقِلُّون يَومَ القِيامَةِ؛ يَعنِي: المُكثِرُون مِنَ المالِ هُمُ المُقِلُّون يَومَ القِيامَةِ مِنَ الحَسَناتِ؛ لكَثرَةِ تَبِعاتِ المَالِ وشَرِّه.

﴿**إلَّا مَن قَالَ هَكَذا وهَكَذا وهَكَذا...**﴾ عَن يَمينِه وعَن شِمالِهِ ومِن وَرائِه؛ يَعنِي: إلَّا مَن أَنفَقَ فِي وُجوهِ الخَيرِ، وأَحسَنَ، هَذَا هُوَ الَّذِي يَنفَعُه المالُ ويَجِدُ لَهُ العاقِبَةَ الحَميدَةَ،

ثُمَّ قَالَ لأَبِي ذَرٍّ: ﴿**اجلِسْ هَا هُنا**﴾ فأَجْلَسَه فِي مَكانٍ حَولَه حِجارَةٌ، قَالَ: ﴿**اجلِسْ هَا هُنا**﴾. فذَهَب فِي الحَرَّةِ حتَّى تَوارَى عَنهُ عليه الصلاة والسلام، وكَانَ واللهُ أَعلَمُ عَلَى مَوعِدٍ مَعَ جَبرائِيلَ أو عَرَض لَهُ جَبرائِيلُ عليه السلام من غَيرِ مَوعِدٍ.

المَقصُودُ: أنَّهُ ذَهَب لأَسبابٍ هُناكَ، ولَعلَّهُ كَانَ عَن مَوعِدٍ مَعَ جَبرائِيلَ

هُناكَ عليه الصلاة والسلام، ثُمَّ رَجَع إلَيهِ وهُوَ يَقولُ: ﴿وإنْ زَنَى وإنْ سَرَق، وإنْ زَنَى وإنْ سَرَق﴾؛ فلمَّا دَنَا من أبي ذَرٍّ بادَرَ أبو ذَرٍّ رضي الله عنه قَالَ: مَن تَكَلَّمُ يا رَسُولَ اللهِ؟ فلم يَصبِرْ حتَّى ردَّ عَليهِ قَالَ: ﴿هَل سَمِعْتَه؟﴾ قَالَ: نَعَم، قَالَ: ﴿ذَاكَ جَبرائِيلُ عَرَض لِي؛ فقَالَ: بشِّرْ أُمَّتَكَ بأنَّ مَن مَاتَ لَا يُشرِكُ بِاللهِ شَيئًا دَخَل الجَنَّةَ﴾؛ يَعنِي: مَن مَاتَ عَلَى التَّوحِيدِ غَيرَ مُشرِكٍ فهُوَ من أهلِ الجَنَّةِ، وإنْ كَانَ عِندَه ذُنوبٌ ومَعَاصٍ فهُوَ تَحتَ مَشيئَةِ اللهِ؛ فقَالَ النَّبيُّ ﷺ لجَبرائِيلَ: ﴿وإنْ زَنَى وإنْ سَرَقَ؟﴾ قَالَ: نَعَم، كرَّرَها النَّبيُّ ﷺ عَلَى جَبرائِيلَ للتَّثبُّتِ، وجَبرائِيلُ يَقولُ لَهُ كَذَلِكَ، وهَكَذا أبو ذرٍّ ردَّدَ عَلَى النَّبيِّ ﷺ أَيضًا كَمَا فِي الرِّوايَةِ الأُخرَى يَقولُ للنَّبيِّ ﷺ: «﴿وإنْ زَنَى وإنْ سَرَقَ؟﴾» حتَّى ردَّدَها ثَلاثًا، فقَالَ: ﴿نَعَم عَلَى رَغمِ أَنفِ أبِي ذرٍّ﴾.

المَقصُودُ: أن هَذَا دَليلٌ عَلَى أنَّ المَعاصِيَ لَا تَمنَعُ من دُخولِ الجَنَّةِ، وإن جَرَى عَلَى أصحَابِها ما جَرَى، وإنْ جَرَى عَليهِم عَذابٌ وتَطهيرٌ، ولكِنَّهُ لَا يَمنَعُهم إذَا مَاتُوا عَلَى التَّوحِيدِ والإيمَانِ من دُخُولِ الجَنَّة، ولو بَعدَ تَطهيرٍ وتَمحيصٍ؛ ولهَذَا قَالَ سُبحانَهُ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨]؛ فأَمرُ المَعاصِي تَحتَ مَشيئَةِ اللهِ، إنْ مَاتَ عَليهَا غَيرَ تائِبٍ فهُوَ تَحتَ مَشيئَةِ الله، لكِنْ مُنتَهاهُ إلَى الجَنَّةِ، مُنتَهاهُ ولو دَخَل النَّارَ، ولو بَقِيَ فِيهَا ما شَاءَ اللهُ مِنَ الزَّمانِ للتَّطهِيرِ فَالنِّهايَةُ أنَّهُ يَخرُجَ مِنهَا، ويَصِيرُ إلَى الجَنَّةِ بَعدَ ذَلِكَ كَمَا صَحَّتْ بِهِ الأَخبَارُ وتَواتَرَتْ بِهِ الأَخبَارُ عَن رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي الشَّفاعَةِ.

والخَوارِجُ يَقولُونَ: لا، والمُعتزِلَةُ يَقولُونَ: مَن دَخَل النَّارَ ولو كَانَ عاصِيًا ولو كَانَ غَيرَ كافِرٍ لَا يَخرُجُ، وهَذَا من جَهلِهِم وضَلالِهِم، وخِلافِهِم للسُّنَّةِ الصَّحِيحةِ عَن رَسُولِ اللهِ عليه الصلاة والسلام؛ بل زادَ عَلَى هَذَا الخَوارِجُ؛ فقَالُوا: إنَّه يَكفُر بالمَعصِيةِ، وأنَّ مَن سَرَقَ كَفَرَ، ومَن زَنَى كَفَرَ، ومَن عقَّ وَالِدَيهِ كَفَر؛ فجَعَلُوهُم كُفَّارًا مُخلَّدِين فِي النَّارِ.

وهَذَا باطِلٌ عِندَ أهلِ السُّنَّةِ والجَماعَةِ، أهلُ السُّنَّةِ والجَماعةِ يَقولُونَ: قد نَقَص إيمَانُه وضَعُف إيمَانُه، واستَحَقَّ غَضَبَ اللهِ إلَّا أنْ يَعفُوَ اللهُ عَنهُ ﷻ؛ فقَد يُعفَى عَنهُ من أوَّلِ وَهْلةٍ، وقد يُعذَّبُ عَلَى قَدرِ الجَرائِمِ الَّتِي مَاتَ عَليهَا مِن زِنًا، أو سَرِقةٍ، أو شُربِ مُسكِرٍ أو عُقوقٍ، أو قَطيعَةِ رَحِمٍ أو أكلِ الرِّبَا أو غِيبَةٍ، أو نَميمَةٍ أو غَيرِ هَذَا مِنَ المَعاصِي؛ فهُوَ تَحتَ مَشيئَةِ اللهِ، وهُوَ عَلَى خَطرٍ مِن دُخُولِ النَّارِ، كَمَا جَاءَت بِهِ النُّصوصُ الكَثيرَةُ عَن رَسُولِ اللهِ عليه الصلاة والسلام، لكِنَّ هَذَا لَا يَمنَعُ من دُخُولِ الجَنَّةِ فِي النِّهايةِ، بَعدَ التَّطهيرِ والتَّمحِيصِ الَّذِي كَتَبه اللهُ عَليهِ، وهَذَا قَولُ أصحَابِ النَّبيِّ ﷺ وأتباعِهِم بإحسَانٍ من أهلِ السُّنَّةِ، خِلافًا لِلمُبتدِعَةِ مِنَ الخَوارجِ والمُعتزِلَةِ ومَن سَارَ عَلَى نَهجِهِم ومَذهَبِهِمُ الباطِلِ.

• **س: أحسَنَ اللهُ إلَيكَ، الخَوارِجُ يُكفِّرُونَ بالمَعصِيةِ وإنْ صَغُرَتْ؟**

○ ج: اللهُ أعلَمُ، المَعرُوفُ عَنهُمُ التَّكفِيرُ بِالذُّنوبِ، وبَعضُهم يُحكَى عَنهُمُ الكَبائِرَ، ويَحتاجُ إلَى تَدقيقٍ فِي كُتُبِهِم، كُتُبُهُم مَوجُودةٌ، هُم لَهُم بَقايَا الآنَ فِي عُمَانَ وفِي الجَزائرِ، وفِي لِيبيا، لَهُم بَقَايَا وهمُ الإباضِيَّةُ، لكِنِ المُتأخِّرونَ مِنهُم كأنَّهُم خَفَّفُوا بَعضَ الشَّيءِ، اجتَمَعْنا ببَعضِهِم يَقولُون: ما نَقولُ كَافِرٌ، لكِنَّهُ مُخلَّدٌ فِي النَّارِ، كأنَّهُم مَالُوا إلَى رَأيِ المُعتزِلَةِ، والمَعنَى وَاحِدٌ، إذَا قَالُوا: مُخلَّدُونَ فِي النَّارِ؛ فهُوَ مَعناهُ هُوَ الكُفرُ؛ نَسألُ اللهَ العَافِيةَ. المَشهُورُ عَنِ العُلَماءِ أنَّهُم يَقولُونَ: إنَّهُم يُكفِّرُون بِالذُّنوبِ مُطلَقًا، لكِنْ لَعلَّهُم يُرِيدُون الذُّنُوبَ الَّتِي فِيهَا وَعيدٌ، وهِيَ الكَبائِرُ.

• **س: أحسَنَ اللهُ إلَيكَ، آيَةُ سُورةِ هُودٍ: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا﴾ [هود: ١٥] مَحمولٌ عَلَى...؟**

○ ج: هَذِه فِي الكُفَّارِ، المَشهُورُ عِندَ العُلَماء أنَّهَا لِلكُفَّارِ، وقِيلَ: تَعُمُّهُم وتَعُمُّ المُرائِينَ بأعمالِهِم؛ فإنَّ أعمالَهُم تُحبَطُ، ولكِنَّ المَشهُورَ أنَّ هَذَا نَزَل فِي

الكُفَّارِ، ولكِنْ عُمومُهَا يوجِبُ الحَذَرَ؛ لأنَّهُ قَالَ: ﴿وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَـٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [هود: ١٦]، هَذَا يَنطبِقُ عَلَى الكُفَّارِ؛ نَسأَلُ اللهَ العَافِيةَ. ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنعام: ٨٨]، لكِنْ قد تَعُمُّ المُرائِيَ فِيمَا رَاءَى فِيهِ؛ فإنَّ ما رَاءَى فِيهِ يَبطُلُ ويَحبَطُ؛ نَسأَلُ اللهَ العَافِيةَ.

• **س: أَحسَنَ اللهُ إِلَيكَ، هَذَا الأَخِيرُ الَّذِي يَخرُجُ وَمَا عَمِلَ خَيرًا قَطُّ، مَاتُوا عَلَى التَّوحِيدِ، مَا كَانَ يُحمَلُ عَلَى أَنَّ عَدَمَ عَمَلِ الخَيرِ...؟**

○ **ج**: يَعْنِي: أَعمَالًا غَيرَ التَّوحِيدِ؛ يَعْنِي: صَلَاةً عِندَ مَن لَمْ يُكَفِّرْ مَن تَركَهَا، وَتَركَ صِيَامًا، فَعَلَ زِنًا، شَرِبَ مُسكِرًا، وَغَيرَ ذَلِكَ.

(**الشَّيخُ**): راجِعْ كَلامَه عَلَى قَولِه: «وقَالَ النَّضرُ»؛ لأنَّ كَلامَه فِيهِ غُموضٌ قَولُه: «وقَالَ النَّضرُ»؟

[قالَ الحَافِظُ ابنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «فتْحِ البَارِي» (١١/ ٢٦٢)]: «قَوْلُهُ: «وَقَالَ النَّضْرُ بْنُ شُمَيْلٍ أَنْبَأَنَا شُعْبَةُ عَنْ حَبِيبِ بْنِ أَبِي ثَابِتٍ وَالْأَعْمَشِ وَعَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ رُفَيْعٍ قَالُوا: حَدَّثَنَا زَيْدُ بْنُ وَهْبٍ» بِهَذَا الْغَرَضُ بِهَذَا التَّعْلِيقِ تَصْرِيحُ الشُّيُوخِ الثَّلَاثَةِ الْمَذْكُورِينَ بِأَنَّ زَيْدَ بْنِ وَهْبٍ حَدَّثَهُمْ، وَالْأَوَّلَانِ نُسِبَا إِلَى التَّدْلِيسِ، مَعَ أَنَّهُ لَوْ وَرَدَ مِنْ رِوَايَةِ شُعْبَةَ بِغَيْرِ تَصْرِيحٍ لَأُمِنَ فِيهِ التَّدْلِيسُ؛ لِأَنَّهُ كَانَ لَا يُحَدِّثُ عَنْ شُيُوخِهِ إِلَّا بِمَا لَا تَدْلِيسَ فِيهِ، وَقَدْ ظَهَرَتْ فَائِدَةُ ذَلِكَ فِي رِوَايَةِ جَرِيرِ بْنِ حَازِمٍ عَنِ الْأَعْمَشِ؛ فَإِنَّهُ زَادَ فِيهِ بَيْنَ الْأَعْمَشِ وَزَيْدِ بْنِ وَهْبٍ رَجُلًا مُبْهَمًا، ذَكَرَ ذَلِكَ الدَّارَقُطْنِيُّ فِي «الْعِلَلِ»؛ فَأَفَادَتْ هَذِهِ الرِّوَايَةُ الْمُصَرِّحَةُ أَنَّهُ مِنَ الْمَزِيدِ فِي مُتَّصِلِ الْأَسَانِيدِ.

وَقَدِ اعْتَرَضَ الْإِسْمَاعِيلِيُّ عَلَى قَوْلِ الْبُخَارِيِّ فِي هَذَا السَّنَدِ بِهَذَا، فَأَشَارَ إِلَى رِوَايَةِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ رُفَيْعٍ، وَاقْتَضَى ذَلِكَ أَنَّ رِوَايَةَ شُعْبَةَ هَذِهِ نَظِيرُ رِوَايَتِهِ فَقَالَ: لَيْسَ فِي حَدِيثِ شُعْبَةَ قِصَّةُ الْمُقِلِّينَ وَالْمُكْثِرِينَ، إِنَّمَا فِيهِ قِصَّةُ مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا. قَالَ: وَالْعَجَبُ مِنَ الْبُخَارِيِّ كَيْفَ أَطْلَقَ ذَلِكَ. ثُمَّ سَاقَهُ

مَوْصُولًا مِنْ طَرِيقِ حُمَيْدِ بْنِ زَنْجَوَيْهِ حَدَّثَنَا النَّضْرُ بْنُ شُمَيْلٍ، عَنْ شُعْبَةَ وَلَفْظُهُ: «**أَنَّ جِبْرِيلَ بَشَّرَنِي إِنَّ مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ، قُلْتُ: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ؟ قَالَ: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ**». قِيلَ لِسُلَيْمَانَ ـ يَعْنِي: الْأَعْمَشَ ـ إِنَّمَا رُوِيَ هَذَا الْحَدِيثُ عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ فَقَالَ: إِنَّمَا سَمِعْتُهُ عَنْ أَبِي ذَرٍّ. ثُمَّ أَخْرَجَهُ مِنْ طَرِيقِ مُعَاذٍ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ حَبِيبِ بْنِ أَبِي ثَابِتٍ وَبِلَالٍ وَالْأَعْمَشِ وَعَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ رُفَيْعٍ سَمِعُوا زَيْدَ بْنَ وَهْبٍ عَنْ أَبِي ذَرٍّ زَادَ فِيهِ رَاوِيًا، وَهُوَ بِلَالٌ وَهُوَ ابن مِرْدَاسٍ الْفَزَارِيُّ شَيْخٌ كُوفِيٌّ، أَخْرَجَ لَهُ أَبُو دَاوُدَ وَهُوَ صَدُوقٌ لَا بَأْسَ بِهِ، وَقَدْ أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ الطَّيَالِسِيُّ عَنْ شُعْبَةَ كَرِوَايَةِ النَّضْرِ لَيْسَ فِيهِ بِلَالٌ». [انتهى كلامه]

قَالَ ابنُ بَازٍ رَحِمَهُ اللهُ: راجِعْ تَرجَمَةَ بِلالِ بنِ مِرداسٍ فِي «التَّقرِيبِ».

[قَالَ الحَافِظُ رَحِمَهُ اللهُ]: «وَقَدْ تَبِعَ الْإِسْمَاعِيلِيُّ عَلَى اعْتِرَاضِهِ الْمَذْكُورِ جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ مُغْلَطَايْ وَمَنْ بَعْدَهُ، وَالْجَوَابُ عَنِ الْبُخَارِيِّ وَاضِحٌ عَلَى طَرِيقَةِ أَهْلِ الْحَدِيثِ؛ لِأَنَّ مُرَادَهُ أَصْلُ الْحَدِيثِ؛ فَإِنَّ الْحَدِيثَ الْمَذْكُورَ فِي الْأَصْلِ قَدِ اشْتَمَلَ عَلَى ثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ، فَيَجُوزُ إِطْلَاقُ الْحَدِيثِ عَلَى كُلٍّ وَاحِدٍ مِنَ الثَّلَاثَةِ إِذَا أُرِيدَ بِقَوْلِ الْبُخَارِيِّ: «بِهَذَا»؛ أَيْ: بِأَصْلِ الْحَدِيثِ لَا خُصُوصِ اللَّفْظِ الْمَسَاقِ:

فَالْأَوَّلُ مِنَ الثَّلَاثَةِ: «مَا يَسُرُّنِي أَنَّ لِي أُحُدًا ذَهَبًا». وَقَدْ رَوَاهُ عَنْ أَبِي ذَرٍّ أَيْضًا بِنَحْوِهِ الْأَحْنَفُ بْنُ قَيْسٍ، وَتَقَدَّمَ فِي الزَّكَاةِ، وَالنُّعْمَانُ الْغِفَارِيُّ وَسَالِمُ بْنُ أَبِي الْجَعْدِ وَسُوَيْدُ بْنُ الْحَارِثِ كُلُّهُمْ عَنْ أَبِي ذَرٍّ، وَرِوَايَاتُهُمْ عِنْدَ أَحْمَدَ، وَرَوَاهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَيْضًا أَبُو هُرَيْرَةَ، وَهُوَ فِي آخِرِ الْبَابِ مِنْ طَرِيقِ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُتْبَةَ عَنْهُ، وَسَيَأْتِي فِي كِتَابِ التَّمَنِّي مِنْ طَرِيقِ هَمَّامٍ. وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ مِنْ طَرِيقِ مُحَمَّدِ بْنِ زِيَادٍ وَهُوَ عِنْدَ أَحْمَدَ مِنْ طَرِيقِ سُلَيْمَانَ بْنِ يَسَارٍ كُلُّهُمْ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ كَمَا سَأُبَيِّنُهُ.

الثَّانِي: حَدِيثُ الْمُكْثِرِينَ وَالْمُقِلِّينَ، وَقَدْ رَوَاهُ عَنْ أَبِي ذَرٍّ أَيْضًا الْمَعْرُورُ بْنُ سُوَيْدٍ كَمَا تَقَدَّمَتِ الْإِشَارَةُ إِلَيْهِ، وَالنُّعْمَانُ الْغِفَارِيُّ وَهُوَ عِنْدَ أَحْمَدَ أَيْضًا.

الثَّالِثُ: حَدِيثُ: «**مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ**». وَفِي بَعْضِ طُرُقِهِ: «**وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ**». وَقَدْ رَوَاهُ عَنْ أَبِي ذَرٍّ أَيْضًا أَبُو الْأَسْوَدِ الدُّؤَلِيُّ، وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي اللِّبَاسِ، وَرَوَاهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَيْضًا أَبُو هُرَيْرَةَ كَمَا سَيَأْتِي بَيَانُهُ، لَكِنْ لَيْسَ فِيهِ بَيَانُ «**وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ**»، وَأَبُو الدَّرْدَاءِ كَمَا تَقَدَّمَتِ الْإِشَارَةُ إِلَيْهِ مِنْ رِوَايَةِ الْإِسْمَاعِيلِيِّ. وَفِيهِ أَيْضًا فَائِدَةٌ أُخْرَى وَهُوَ أَنَّ بَعْضَ الرُّوَاةِ قَالَ: عَنْ زَيْدِ بْنِ وَهْبٍ عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ؛ فَلِذَلِكَ قَالَ الْأَعْمَشُ لِزَيْدٍ مَا تَقَدَّمَ فِي رِوَايَةِ حَفْصِ بْنِ غِيَاثٍ عَنْهُ قُلْتُ لِزَيْدٍ: بَلَغَنِي أَنَّهُ أَبُو الدَّرْدَاءِ. فَأَفَادَتْ رِوَايَةُ شُعْبَةَ أَنَّ حَبِيبًا وَعَبْدَ الْعَزِيزِ وَافَقَا الْأَعْمَشَ عَلَى أَنَّهُ عَنْ زَيْدِ بْنِ وَهْبٍ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ لَا عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ.

وَمِمَّنْ رَوَاهُ عَنْ زَيْدِ بْنِ وَهْبٍ عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، فَقَالَ: عَنْ عِيسَى بْنِ مَالِكٍ عَنْ زَيْدِ بْنِ وَهْبٍ عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ. أَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ، وَالْحَسَنُ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ النَّخَعِيّ، أخرجه الطَّبَرَانِيّ من طَرِيقه عَنْ زَيْدِ بْنِ وَهْبٍ عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ بِلَفْظِ: «**مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ**»، فَقَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ؟ قَالَ: «**وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ**»، فَكَرَّرَهَا ثَلَاثًا، وَفِي الثَّالِثَةِ: «**وَإِنْ رَغِمَ أَنْفُ أَبِي الدَّرْدَاءِ**». وَسَأَذْكُرُ بَقِيَّةَ طُرُقِهِ عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ فِي آخِرِ الْبَابِ الَّذِي يَلِيهِ.

وَذَكَرَهُ الدَّارَقُطْنِيُّ فِي «الْعِلَلِ» فَقَالَ: يُشْبِهُ أَنْ يَكُونَ الْقَوْلَانِ صَحِيحَيْنِ. قُلْتُ: وَفِي حَدِيثِ كُلٍّ مِنْهُمَا فِي بَعْضِ الطُّرُقِ مَا لَيْسَ فِي الْآخَرِ». [انتهى كلامه].

قَالَ ابنُ بَازٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: ما أَوضَحَ بَيانَ كَلامِ البُخارِيِّ، ما أَوضَحَ كَمَا يَنبَغِي؛ لا زَالَ فِي كَلامِ البُخارِيِّ بَعضُ الشَّيءِ.

[قَالَ الحَافِظُ ابنُ حَجرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «تَقرِيبِ التَّهذِيبِ» (٧٨٣)]: «بِلالُ بنُ مِرداسٍ، ويُقالُ: ابنُ أَبِي مُوسَى الفَزَارِيُّ المِصِّيصِيُّ، مَقبولٌ، مِنَ السَّابِعةِ، د ت ق».

قَالَ ابنُ بَازٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: ضَعْ عَلَيهِ حاشِيَةً: «ذَكَره المُؤلِّفُ فِي «الفَتحِ» صَفحة مِائَتَينِ وثَلاثةٍ وسِتِّين، ج١١: أَنَّهُ صَدوقٌ لَا بأس بِهِ، وهَذَا الوَصفُ فَوقَ ما ذَكَره هُنَا، واللهُ وليُّ التَّوفيقِ».

- **س: كلمة: جعلني الله فداك؟**

○ ج: وَالأَحوَطُ عَدَمُ قَولِهَا إِلَّا لِلرَّسُولِ ﷺ.

١٤ ـ بَاب قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «مَا يسرُّني أَنَّ عِنْدِي مِثْلَ أُحُدٍ هَذَا ذَهَبًا»

٦٤٤٤ حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ الرَّبِيعِ، حَدَّثَنَا أَبُو الأَحْوَصِ، عَنِ الأَعْمَشِ، عَنْ زَيْدِ بْنِ وَهْبٍ قال: قَالَ أَبُو ذَرٍّ: كُنْتُ أَمْشِي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي حَرَّةِ الْمَدِينَةِ، فَاسْتَقْبَلَنَا أُحُدٌ، فَقَالَ: «يَا أَبَا ذَرٍّ» قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «مَا يَسُرُّنِي أَنَّ عِنْدِي مِثْلَ أُحُدٍ هَذَا ذَهَبًا تَمْضِي عَلَيَّ ثَالِثَةٌ وَعِنْدِي مِنْهُ دِينَارٌ، إِلَّا شَيْئًا أَرْصُدُهُ لِدَيْنٍ، إِلَّا أَنْ أَقُولَ بِهِ فِي عِبَادِ اللهِ هَكَذَا وَهَكَذَا وَهَكَذَا، عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ وَمِنْ خَلْفِهِ»، ثُمَّ مَشَى فَقَالَ: «إِنَّ الأَكْثَرِينَ هُمُ الأَقَلُّونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، إِلَّا مَنْ قَالَ هَكَذَا وَهَكَذَا وَهَكَذَا، عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ وَمِنْ خَلْفِهِ، وَقَلِيلٌ مَا هُمْ» ثُمَّ قَالَ لِي «مَكَانَكَ، لَا تَبْرَحْ حَتَّى آتِيَكَ» ثُمَّ انْطَلَقَ فِي سَوَادِ اللَّيْلِ حَتَّى تَوَارَى، فَسَمِعْتُ صَوْتًا قَدِ

ارْتَفَعَ، فَتَخَوَّفْتُ أَنْ يَكُونَ أحد عَرَضَ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَأَرَدْتُ أَنْ آتِيَهُ، فَتذَكرْتُ قَوْلَهُ لِي: «لَا تَبْرَحْ، حَتَّى آتِيَكَ»، فَلَمْ أَبْرَحْ حَتَّى أَتَانِي، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، لَقَدْ سَمِعْتُ صَوْتًا تَخَوَّفْتُ، فَذَكَرْتُ لَهُ، فَقَالَ: «وَهَلْ سَمِعْتَهُ؟» قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: «ذَاكَ جِبْرِيلُ أَتَانِي فَقَالَ: مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِكَ لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ، قُلْتُ: وَإِنْ زَنَى، وَإِنْ سَرَقَ؟ قَالَ: وَإِنْ زَنَى، وَإِنْ سَرَقَ». [سبق برقم ١٢٣٧، وأخرجه مسلم، برقم ٩٤]

الشَّرح

(ع): وَتَقَدَّمَ؛ يَعْنِي: دُخُولُ الجَنَّةِ مَا يَلزَمُ مِن أَنْ يَكُونَ مِنْ أَوَّلِ وَهلَةٍ، لَهُ الجَنَّةُ وَإِنْ كَانَ بَعدَ عَذَابٍ أَوْ بَعدَ تَعَبٍ؛ يَعْنِي: أَنَّ النِّهَايَةَ الجَنَّةُ، نِهَايَةُ الْمُوَحِّدِينَ الجَنَّةُ، وَإِنْ جَرَى عَلَيهِم خُطُوبٌ، وَإِنْ عُذِّبُوا؛ فَالنُّصُوصُ يَجِبُ أَنْ يُفَسَّرَ بَعضُهَا بِبَعضٍ، وَأَنْ يُبَيَّنَ بَعضُهَا بِبَعضٍ؛ فَالرَّسُولُ ﷺ أَخبَرَ أَنَّ الْمَعَاصِيَ لَهَا عُقُوبَاتُهَا، وَقَالَ ﷺ: «لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤمِنٌ، وَلَا يَشرَبُ الخَمرَ حَينَ يَشرَبُهَا وَهُوَ مُؤمِنٌ....»[1] إلخ، واللهُ يَقُولُ: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً﴾ [الإسراء: ٣٢] إِلَى غَيرِ هَذَا مِمَّا جَاءَ فِي النُّصُوصِ، قَالَ سُبحَانَهُ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨] فَجَمِيعُ الْمَعَاصِي دُونَ الشِّركِ كُلُّهَا تَحتَ الْمَشِيئَةِ، فَمَن عَفَا اللهُ عَنهُ دَخَلَ الجَنَّةَ مِن أَوَّلِ وَهلَةٍ، وَمَن عُذِّبَ صَارَتْ نِهَايَتُهُ الجَنَّةَ بَعدَ التَّعذِيبِ، فَلَا يُخَلَّدُ فِي النَّارِ إِلَّا الكُفَّارُ.

• س: القَائِلُ: «قُلتُ: وَإِنْ زَنَا وَإِنْ سَرَقَ»، القَائِلُ هُوَ الرَّسُولُ ﷺ؟

○ ج: الرَّسُولُ ﷺ قَالَ لِجِبرِيلَ عليه السلام، ثُمَّ أَبُو ذَرٍّ رضي الله عنه قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ، كِلَاهُمَا.

* * *

(١) أخرجه البخاري (٢٤٧٥)، ومسلم (٥٧)، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

٦٤٤٥ - حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ شَبِيبٍ، حَدَّثَنَا أَبِي عَنْ يُونُسَ، وَقَالَ اللَّيْثُ: حَدَّثَنِي يُونُسُ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَن عُبَيْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُتْبَةَ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَوْ كَانَ لِي مِثْلُ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا يَسُرُّنِي أَنْ لَا تَمُرَّ عَلَيَّ ثَلَاثُ لَيَالٍ وَعِنْدِي مِنْهُ شَيْءٌ، إِلَّا شَيْئًا أَرْصُدُهُ لِدَيْنٍ». [سبق برقم ٢٣٨٩، وأخرجه مسلم، برقم ٩٩١]

الشَّرح

(ع): وكُلّ هَذَا يَدُلُّ عَلَى الحَثِّ عَلَى الصَّدَقَةِ وَالنَّفَقَةِ وَالإِحسَانِ، وَأَنَّهُ يَنبَغِي لِأَهلِ الأَموَالِ أَنْ يُنفِقُوا، وَأَنْ يَتَصَدَّقُوا وَأَنْ يَجُودُوا، مِثْلَمَا قَالَ ﷺ: «مَا يَسُرُّنِي أَنَّ لِي مِثلَ أُحُدٍ ذَهبًا تَمُرُّ عَلَيَّ ثَلَاثَةُ أَيَّام وَعِندِي مِنهُ دِينَارٌ، وَلَكِنْ أَقُولُ بِهِ فِي عِبَادِ اللهِ هَكَذَا وَهَكَذَا وَهَكَذَا، إِلَّا دينارًا أَرْصُدُهُ لِدَيْنٍ». هَذَا فِيهِ الحَثُّ عَلَى النَّفَقَةِ، واللهُ يَقُولُ: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٣٩﴾﴾ [سبأ: ٣٩]، وَيَقُولُ ﷻ: ﴿ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَأَنفَقُوا۟ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾﴾ [الحديد: ٧]، وَيَقُولُ ﷻ: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُوا۟ وَأَطِيعُوا۟ وَأَنفِقُوا۟ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ۗ﴾ [التغابن: ١٦]؛ فَالحَدِيثُ يُوَافِقُ هَذِهِ الآيَاتِ العَظِيمَاتِ.

(الشَّيخُ): مَاذَا قَالَ الشَّارِحُ عَلَى «أَلَّا تَمُرَّ»[1]؟ كَأَنَّ المَقَامَ يَقتَضِي الحَذفَ أو يَكُونُ كَمَا عِندَ العَينِيِّ «لَسَرَّنِي»؟

[قَالَ الحَافِظُ ابنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللهُ فِي «فَتْحِ البَارِي» (١١/٢٦٨)]: «قَوْلُهُ: ﴿مَا يَسُرُّنِي﴾ هُوَ جَوَابُ لَوْ الِامْتِنَاعِيَّةِ، فَيُفِيدُ أَنَّهُ لَمْ يَسُرَّهُ الْمَذْكُورُ بَعْدَهُ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ مِثْلُ أُحُدٍ ذَهَبًا، وَفِيهِ نَوْعُ مُبَالَغَةٍ؛ لِأَنَّهُ إِذَا لَمْ يَسُرَّهُ كَثْرَةُ مَا يُنْفِقُهُ فَكَيْفَ مَا لَا يُنْفِقُهُ؟! قَالَ: وَفِي التَّقْيِيدِ بِالثَّلَاثَةِ تَتْمِيمٌ وَمُبَالَغَةٌ فِي سُرْعَةِ الْإِنْفَاقِ،

(١) بزيادة «لا» كذا قرأها في النسخة المقروءة.

فَلَا تَكُونُ «لَا» زَائِدَةً، كَمَا قَالَ ابن مَالِكٍ؛ بَلِ النَّفْيُ فِيهَا عَلَى حَالِهِ. قُلْتُ: وَيُؤَيِّد قَول ابن مَالِكٍ الرِّوَايَةُ الْمَاضِيَةُ قَبْلُ فِي حَدِيثِ أَبِي ذَرٍّ بِلَفْظِ: «**مَا يَسُرُّنِي أَنَّ عِنْدِي مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا تَمْضِي عَلَيَّ ثَالِثَةٌ**». [انتهى كلامه].

قَالَ ابنُ بَازٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: المَقصُودُ أنَّ «لَا» زَائِدةٌ أو تَصرَّفَ بَعضُ الرُّواةِ فِيمَا قَبْلَها؛ لأنَّ الكَلامَ ما يَستقِيمُ مَعها إلَّا بتَغيِيرِ ما قَبْلَها.

- **س: تَكونُ زائِدةً «لَا» هُنَا؟**

○ **ج**: نَعَم؛ ما فِيهِ شَكٌّ.

(السَّائلُ): تَكونُ صِلَةً؟

○ **ج**: نَعَم، صِلةٌ.

١٥ ـ بَاب الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ، وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾﴾ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَٰمِلُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [المؤمنون: ٥٥ ـ ٦٣]، **قَالَ ابْنُ عُيَيْنَةَ: لَمْ يَعْمَلُوهَا: لَا بُدَّ مِنْ أَنْ يَعْمَلُوهَا**

٦٤٤٦ حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ يُونُسَ، حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ، حَدَّثَنَا أَبُو حَصِينٍ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَيْسَ الْغِنَى عَنْ كَثْرَةِ الْعَرَضِ، وَلَكِنَّ الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ». [وأخرجه مسلم، برقم ١٠٥١]

الشَّرح

وهَذَا مِنَ الدَّلائِلِ عَلَى حِكمَةِ الشَّريعَةِ، وأنَّ اللهَ ﷻ أعطَى نَبيَّه ﷺ جَوامِعَ الكَلِمِ، واختَصَره لَهُ اختِصَارًا؛ فالشَّريعَةُ كُلُّها عِلمٌ، وكُلُّها هُدًى،

وكُلُّها تَوجِيهٌ إِلَى الخَيرِ، ومنَ الحِكمةِ العَظيمَةِ، والعِلمِ العَظيمِ المُختصَرِ: ﴿لَيْسَ الغِنَى عَنْ كَثْرَةِ العَرَضِ، وَلَكِنَّ الغِنَى غِنَى النَّفْسِ﴾. المَعنَى: لَيسَ الغِنَى عَن كَثرَةِ الأَموَالِ؛ فإنَّ الدُّنيَا عَرَضٌ، الدُّنيَا كُلُّها عَرَضٌ، والمَالُ كُلُّه عَرَضٌ؛ يَعنِي: يَزولُ؛ فلَيسَ الغِنَى عَن كَثرَةِ العَرَضِ، عَن كَثرَةِ الأَموَالِ والجَاهِ والتَّصرُّفِ، والأَخذِ والعَطاءِ ونَحوِ ذَلِكَ، ولكِنَّ الغِنَى غِنَى النَّفسِ، مَتَى رَزَق اللهُ العَبدَ غِنَى النَّفسِ، وقَناعَةَ النَّفسِ وطُمَأنينتَهَا فهُوَ الغَنيُّ، وإنْ كَانَ مالُه قَليلًا، ومَتَى بُلِي العَبدُ بِالجَشَعِ والشُّحِّ والحِرصِ لم يُغنِه شَيءٌ، ولو مَلَك الدُّنيَا فهُوَ لَا يَزالُ فِي تَلهُّفٍ؛ ولهَذَا جَاءَ فِي الحَديثِ الصَّحِيحِ: «**لو أُعطِيَ ابنُ آدَمَ وَادِيَينِ من مالٍ لابتَغَى لَهُما ثَالِثًا**»[(١)]، وفِي اللَّفظِ الآخَرِ: «**لو يُعطَى واديًا من مَالٍ**»[(٢)]، وفِي اللَّفظِ الآخَرِ: «**وَاديًا مِن ذَهبٍ**»[(٣)]. هَكَذا ابنُ آدمَ طَبيعَتُه الحِرصُ وحبُّ المالِ والجَشعُ، والخَوفُ عَلَى زَوالِهِ وعَدمُ غِنَى النَّفسِ، هَذَا هُوَ الغالِبُ، لكِنْ مَن رُزِقَ غِنَى النَّفسِ، وبَصَّرَه اللهُ بهَذِه العَاجِلةِ، وبيَّن لَهُ عُيوبَهَا وبَيَّن لَهُ مَحاسِنَ الآخِرَة وأَسبَابَ الطَّمعِ فِيهَا والرَّغبَةِ فِيهَا ـ اغتَنَى قَلبُه واغتَنَت نَفسُه، وقَنِع بالقَليلِ.

وفِي الحَديثِ الآخَرِ يَقولُ ﷺ: «**قَد أَفلَح مَن أَسلَمَ، ورُزِقَ كَفافًا، وقَنَّعَه اللهُ بِمَا آتَاهُ**». أَخرَجَه مُسلِمٌ فِي «الصَّحِيحِ»[(٤)]، وفِي اللَّفظِ الآخَرِ: «**طُوبَى لِمَن أَسلَمَ، ورُزِق كَفافًا وقَنِعَ**»[(٥)]، ولَيسَ المَعنَى أَنَّهُ لَا يَتسبَّبُ ولَا يَعمَلُ ولَا يتَّجِرُ، لا، المَقصُودُ: أن قَلبَه يَكُونُ غنيًّا مُطمئِنًّا مُرتاحًا، مُؤْثِرًا

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤٣٦)، ومسلم (١٠٤٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما.
(٢) أخرجه البخاري (٦٤٣٧)، ومسلم (١٠٤٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما.
(٣) أخرجه البخاري (٦٤٣٩)، ومسلم (١٠٤٨) عن أنس بن مالك رضي الله عنه.
(٤) أخرجه مسلم (١٠٥٤) عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.
(٥) أخرجه الترمذي (٢٣٤٩)، والنسائي في «الكبرى» (١١٧٩٣)، والحاكم (١/ ٣٤) عن فضالة بن عبيد رضي الله عنه: أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**طُوبَى لِمَنْ هُدِيَ إِلَى الإِسْلَامِ، وَكَانَ عَيْشُهُ كَفَافًا وَقَنَعَ**». وصححه الترمذي، والحاكم.

للآخِرَةِ، ولو كَانَ مالُهُ قَليلًا، ولو كَانَ يتَّجِرُ يَبِيعُ ويَشتَرِي، عِندَه التِّجارَةُ، عِندَه مَزارِعُ، عِندَه كَذَا، هَذَا لَا يَمنَعُ من غِنَى النَّفسِ؛ فهُوَ مَأمورٌ بِالأَسبابِ، لَكِنَّه مَأمورٌ بِالقَناعةِ أيضًا وإيثارِ الآخِرَةِ، وعَدمِ إيثارِ هَذِه العاجِلَةِ؛ ولهَذَا قَالَ عليه الصلاة والسلام فِي الحَديثِ الآخَرِ: «**احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجَزَنَّ**»[1]، «**احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ**»؛ يَعنِي: فِي الدُّنيَا والآخِرَةِ، «**وَلَا تَعْجَزَنَّ**» فَالعَجزُ تَركُ العَملِ، تَركُ الأَسبَابِ والاعتِمَادُ عَلَى القَدرِ؛ هَذَا عَجزٌ، وأَعظَمُ مِنهُ الاتِّكالُ عَلَى الأَسبَابِ ونِسيانُ اللهِ، هَذَا عَجزٌ أيضًا؛ فالتَّارِكُ للأَسبَابِ عاجِزٌ، والمُعتَمِدُ عَليهَا عاجِزٌ، والكَيِّسُ هُوَ الَّذِي يَعتمِدُ عَلَى اللهِ، ويَتوكَّلُ عَليهِ ﷻ، ويَأخُذُ بِالأَسبابِ جمَيعًا، قَلبُه مُعلَّقٌ بِاللهِ، قَلبُه مُعلَّقٌ بِاللهِ، ونَفسُه غَنيَّةٌ، نَفسُه قَانِعةٌ؛ لكِنَّهُ مَعَ هَذَا يَأخُذُ بالأَسبَابِ لَيسَ بعاجِزٍ؛ فيَجمَعُ بَينَ الأَمرَينِ: بَينَ الثِّقةِ بِاللهِ والاعتِمَادِ عَليهِ، وغِنَى قَلبِه، وغِنَى نَفسِه، وقَناعَتِه وطُمَأنِينَتِه، ومَعَ ذَلِكَ هُوَ آخِذٌ بِالأَسبَابِ الَّتِي شَرَعَها اللهُ وأَباحَهَا فِي هَذِه الدَّارِ؛ ليَعِيشَ مَعَ النَّاسِ، وليَستَغنِيَ عَنِ الحَاجةِ إِلَى النَّاسِ، وليَقُومَ بِمَا عَليهِ مِنَ الوَاجِباتِ من نَفقةِ الأَهلِ والأَولَادِ... إِلَى غَير هَذَا مِنَ الحَاجَاتِ، ولِيُنفِقَ فِي سَبيلِ اللهِ، ولِيُحسِنَ إِلَى عِبادِ اللهِ، ولِيُشارِكَ فِي مَشارِيعِ الخَيرِ، ولِيُشارِكَ فِي المَعرُوفِ، وهَذَا كُلُّه لَا يُنافِي غِنَى النَّفسِ وقَناعَةِ القَلبِ.

(ع): وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ هَذَا هُوَالغِنَى الحَقِيقِيُّ غِنَى النَّفسِ، يَكُونُ قَلبُهُ غَنِيًّا وَإِنْ كَانَ مَالُهُ قَلِيلًا، وَأَمَّا كَثرَةُ الْمَالِ فَلَيسَ هُوَ الغِنَى فِي الحَقِيقَةِ، كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ عِنْدَهُ الأَموَالُ العَظِيمَةُ وَالْمَلَايِينُ الكَثِيرَةُ، وَلَكِنَّهُ فَقِيرُ القَلبِ، حَرِيصٌ عَلَى الْمَالِ؛ يَطلُبُهُ مِنْ هُنَا وَمِنْ هُنَا بِالحَلَالِ وَالحَرَامِ؛ لِأَنَّ قَلبَهُ فَقِيرٌ، لَكِنِ الغِنَى غِنَى النَّفسِ، غِنَى القَلبِ، مَتَى اسْتَغنَى هَذَا هُوَ الغِنَى، وَإِنْ كَانَ مَالُهُ قَلِيلًا.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٦٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

• س: الفَقرُ بَارَكَ اللهُ فِيكُمْ يَكُونُ فَقرَ النَّفسِ؟

○ ج: نَعَمْ؛ الفَقرُ الحَقِيقِيُّ فَقرُ القَلبِ، فَقرُ النَّفسِ.

(الطَّالِبُ): أَحسَنَ اللهُ إِليكَ عِندَنا: «إِنَّمَا الغِنَى».

(الشَّيخُ): عِندَك {ولكِنَّ}. رِوايَةٌ: {لَيْسَ الغِنَى عَنْ كَثْرَةِ العَرَضِ، وَلَكِنَّ الغِنَى غِنَى النَّفْسِ}. تَكلَّم عَليهِ الشَّارِحُ، رِوايَة أُخرَى {ولكِنَّ الغِنَى}، «وإِنَّما الغِنَى»؟ المَعنَى وَاحِدٌ، المَعنَى الحَصْرُ؛ فإِنَّ الجُملَةَ المعرَّفةَ إِذَا أُخبِرَ عَنهَا بالخَبرِ الاسمِ أَيضًا، فإِذَا كَانَ مُعرَّفًا كَانَت أَكمَلَ فِي الحَصرِ أَيضًا، {وَلَكِنَّ الغِنَى غِنَى النَّفْسِ}، {الغِنَى غِنَى النَّفْسِ} مُبتدَأٌ وخَبرٌ، مِثلُ «إِنَّما الغِنَى غِنَى النَّفْسِ».

[قالَ الحَافِظُ ابنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللهُ فِي «فتْحِ البَارِي» (١١/ ٢٧٢)]: «قَوْلُهُ: «إِنَّمَا الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ» فِي رِوَايَةِ الْأَعْرَجِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عِنْدَ أَحْمَدَ وَسَعِيدِ بْنِ مَنْصُورٍ وَغَيْرِهِمَا: «إِنَّمَا الْغِنَى فِي النَّفْسِ»، وَأَصْلُهُ فِي مُسْلِمٍ، وَلِابْنِ حِبَّانَ مِنْ حَدِيثِ أَبِي ذَرٍّ قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَا أَبَا ذَرٍّ، أَتَرَى كَثْرَةَ الْمَالِ هُوَ الْغِنَى؟» قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: «وَتَرَى قِلَّةَ الْمَالِ هُوَ الْفَقْرَ؟» قُلْتُ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «إِنَّمَا الْغِنَى غِنَى الْقَلبِ، والفَقرُ فَقرُ الْقلبِ». قَالَ ابن بَطَّالٍ: مَعْنَى الْحَدِيثِ لَيْسَ حَقِيقَةُ الْغِنَى كَثْرَةَ الْمَالِ». [انتهى كلامه].

(الشَّيخُ): ما هُناكَ رِوايَة «ولكِنَّ»؟

(القَارئُ): فِي المَتنِ: {وَلَكِنَّ الغِنَى غِنَى النَّفْسِ}؟ وفِي الشَّرحِ: «إِنَّما الغِنَى غِنَى النَّفْسِ».

(الشَّيخُ): ماشٍ.

• س: الأَصلُ يا شَيخُ؟

○ ج: يَبقَى عَلَى هَذَا، الرِّوايَاتُ المَعرُوفةُ: {ولكِنَّ}.

١٦ ـ بَاب فَضْل الفَقْرِ

٦٤٤٧ حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، قال: حَدَّثَنِي عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ أَبِيهِ عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ أَنَّهُ قَالَ: «مَرَّ رَجُلٌ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ لِرَجُلٍ عِنْدَهُ جَالِسٍ: «مَا رَأْيُكَ فِي هَذَا؟» فَقَالَ: رَجُلٌ مِنْ أَشْرَافِ النَّاسِ، هَذَا وَاللهِ حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ يُنْكَحَ، وَإِنْ شَفَعَ أَنْ يُشَفَّعَ، قَالَ: فَسَكَتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، ثُمَّ مَرَّ رَجُلٌ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا رَأْيُكَ فِي هَذَا؟» فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَذَا رَجُلٌ مِنْ فُقَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ، هَذَا حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ لَا يُنْكَحَ، وَإِنْ شَفَعَ أَنْ لَا يُشَفَّعَ، وَإِنْ قال أَنْ لَا يُسْمَعَ لِقَوْلِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «هَذَا خَيْرٌ مِنْ مِلْءِ الأَرْضِ مِنْ مِثْلِ هَذَا». [سبق برقم ٥٠٩١]

الشَّرح

وهَذَا أيضًا يُبيِّنُ أنَّ الكَرَمَ عِندَ اللهِ والفَضْلَ عِندَ اللهِ والمَنزِلَةَ العَظيمَةَ لَيسَت بشَرفِ الأَنسَابِ، ولَا بكَثرَةِ الأَموَالِ، ولَا بعِظَمِ الجَاهِ، ولَا بالوَظائِفِ، ولكِنَّهَا بالتَّقوَى والبَصيرَةِ والهُدَى والعِلمِ؛ ولهَذَا كَانَ جالِسًا عليه الصلاة والسلام ذاتَ يَومٍ وعِندَه بَعضُ أَصحَابِه؛ فمَرَّ رَجلٌ من أَشرَافِ النَّاسِ المَعرُوفِين عِندَ النَّاسِ؛ فقَالَ لَهُم ﷺ: «ما رَأْيُكُم فِي هَذَا؟»، قَالُوا: هَذَا يا رَسُول اللهِ، رَجلٌ مِن أَشرَافِ النَّاسِ؛ يَعنِي: المَعرُوفِينَ المُقدَّمِين عِندَهُم، حَريٌّ إنْ خَطَب أن يُزوَّجَ، وحَريٌّ إنْ شَفَع أن يُشفَّعَ، إذَا شَفَع فِي أَحدٍ عِندَ وُلاةِ الأُمورِ؛ فسَكَت النَّبيُّ ﷺ، ثُمَّ مرَّ رَجلٌ من فُقَراءِ النَّاسِ فقَالَ: «ما رَأْيُكُم فِي هَذَا؟» فقَالُوا: هَذَا رَجلٌ من فُقَراءِ المُسلِمينَ، حَريٌّ إن خَطَب ألَّا يُزوَّجَ ـ غَيرُ مَعروفٍ، ما لَهُ جاهٌ عِندَهُم ـ وإنْ شَفَعَ ألَّا يُشفَّعَ، وإن قَالَ ألَّا يُسمَعَ لقَولِه؛ فقَالَ النَّبيُّ ﷺ: ﴿هَذَا خَيرٌ من مِلءِ الأَرضِ مِن مِثلِ هَذَا﴾؛ يَعنِي: مِنَ الأوَّلِ؛ أي: هَذَا الفَقيرُ الَّذِي عِندَ النَّاس لَيسَ بشَيءٍ هُوَ خَيرٌ من مِلءِ الأَرضِ من ذَاكَ، وإنْ كَانَا مُسلِمَينِ وكَانَ لَهُما نَصيبُهُما مِنَ

الخَيرِ، لكِنْ يُبيِّنُ النَّبيُّ ﷺ أنَّهُ لَيسَ الاعتِبارُ بالشُّهرَةِ عِندَ النَّاسِ، أو بِالمَنزِلةِ عِندَ النَّاسِ، أو بالغِنَى عِندَ النَّاسِ، أو بِالجَاهِ، هَذَا هُوَ أَسبَابُه.

فلَا يَنبَغِي للعَاقِلِ أن يَغتَرَّ بِهَذا، وإنَّمَا العِبرَةُ فِي هَذِه الأُمورِ بتَقوَى اللهِ، والقِيامِ بحَقِّه، وأَداءِ حقِّ العِلمِ، والاجتِهادِ فِي الخَيرِ، وإنْ كَانَ فَقيرًا، وإنْ كَانَ لَيسَ لَهُ جاهٌ مَعروفٌ، وإنْ كَانَ لَيسَ شَريفًا فِي النَّاسِ، وهَذَا مَعنَى قَولِه ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]، ومَعنى قَولِه سُبحانَهُ: ﴿وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُواْ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [سبأ: ٣٧].

فيَنبَغِي للعاقِلِ أن يَنتَبِهَ لهَذَا، وألَّا يَكُونَ هَمُّهُ الشُّهرَةَ، أوِ الوَظيفَةَ، أو أن يُسمَعَ لَهُ عِندَ وُلاةِ الأُمورِ، أو عِندَ أَعيانِ النَّاسِ؛ لَا، ليَكُن هَمُّه قَبْلَ كُلِّ شَيءٍ أن يُرضِيَ رَبَّه، وأن يَتَّقِيَه سُبحانَهُ، وأنْ يَستقِيمَ عَلَى أمرِه، وأن يُحافِظَ عَلَى حُدودِهِ، ويَتباعَدَ عَن مَساخِطِه ومَنهيَّاتِه، هَذَا هُوَ الَّذِي يَنبَغِي أن يَكُونَ أكبَرَ شَيءٍ فِي نَفسِه، وأعظَمَ شَيءٍ فِي قَلبِه، وإذَا رَزَقه اللهُ بَعد ذَلِكَ شَيئًا آخَرَ؛ من جَاهٍ، أو سُمعَةٍ حَسَنةٍ، أو مَنزِلةٍ عِندَ وُلاةِ الأُمورِ، أو عِندَ أَعيانِ النَّاسِ؛ فذَاكَ خَيرٌ إِلَى خَيرٍ، لَيسَ ممَّا يَطلُبُه هُوَ، ولكِنَّ اللهَ سَاقَه إِلَيهِ بأَسبابٍ تَقواهُ للهِ، أو بأَسبابٍ نَفعِه لعِبادِ اللهِ، أو بأَسبَابٍ أُخرَى سَاقَ اللهُ لَهُ ذَلِكَ من غَيرِ أن يَقصِدَه، من غَيرِ أن يَطلُبَ ذَلِكَ؛ اللهُ المُستَعانُ.

(ع): ﴿هَذَا خَيْرٌ مِنْ مِلْءِ الأَرْضِ مِنْ مِثْلِ هَذَا﴾، نَعَمْ وَهَذَا مِثْلمَا تَقَدَّمَ، العِبرَةُ بِالتَّقوَى ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾، فَمَنْ كَانَ تَقِيًّا للهِ، وَإِنْ كَانَ فَقِيرًا فَهُوَ خَيرٌ مِن مِلءِ الأَرضِ مِنْ ضِدِّهِ.

• س: كُلُّهُمْ صَحَابَةٌ هَؤُلَاءِ؟

○ ج: نَعَمْ، ظَاهِرُ السِّيَاقِ.

٦٤٤٨ - حَدَّثَنَا الْحُمَيْدِيُّ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، حَدَّثَنَا الأَعْمَشُ، قال: سَمِعْتُ أَبَا وَائِلٍ قَالَ: عُدْنَا خَبَّابًا فَقَالَ: «هَاجَرْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ نُرِيدُ وَجْهَ اللهِ، فَوَقَعَ أَجْرُنَا عَلَى اللهِ تعالى، فَمِنَّا مَنْ مَضَى لَمْ يَأْخُذْ مِنْ أَجْرِهِ شيئًا، مِنْهُمْ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ قُتِلَ يَوْمَ أُحُدٍ، وَتَرَكَ نَمِرَةً، فَإِذَا غَطَّيْنَا رَأْسَهُ بَدَتْ رِجْلَاهُ، وَإِذَا غَطَّيْنَا رِجْلَيْهِ بَدَا رَأْسُهُ، فَأَمَرَنَا النَّبِيُّ ﷺ أَنْ نُغَطِّيَ رَأْسَهُ، وَنَجْعَلَ عَلَى رِجْلَيْهِ مِنَ الإِذْخِرِ، وَمِنَّا مَنْ أَيْنَعَتْ لَهُ ثَمَرَتُهُ، فَهُوَ يَهْدُبُهَا». [سبق برقم ١٢٧٦، وأخرجه مسلم، برقم ٩٤٠]

الشَّرح

ومُصْعَبْ بنُ عُمَيرٍ قُتِل يَومَ أُحدٍ، وهُوَ من خِيرَةِ المُهاجِرين رضي الله عنه وأرضاه، ما خَلَّفَ شَيئًا مِنَ المالِ إلَّا نَمِرةً، قِطعةً مِنَ الثِّيابِ، لم تُوَفِّ تَغطِيَتَه كُلَّه، كَانُوا إذَا غَطَّوا بِهَا رَأسَه بَدَتْ رِجلَاهُ، صَغيرَةٌ، كَانَت قَصيرَةٌ، وإن غَطَّوا بِهَا رِجلَيهِ بَدَا رَأسُه؛ فقَالَ النَّبيُّ ﷺ: «غَطُّوا بِهَا رَأسَه»؛ يَعنِي: وعَورَتَه؛ فجَعَلُوها عَلَى عَورَتِه ورَأسِه، وجَعَلوا عَلَى رِجلَيهِ الإذخِرَ فِي القَبرِ.

قَالَ خبَّابٌ رضي الله عنه: «منَ الصَّحابَةِ مَن مَضَى ولم يَأخُذْ مِن أجرِه شَيئًا»؛ يَعنِي: ما قَطَف مِنَ الدُّنيَا، ولَا حَصَلَ لَهُ مِنَ الدُّنيَا ما حَصَلَ للمُتأخِّرينَ مِنَ الصَّحابَةِ رضي الله عنهم، مَضَى فِي سَبيلِ اللهِ مَقتُولًا أو ميِّتًا قَبْلَ أن يَنالَ شَيئًا مِنَ الدُّنيَا؛ فتَوفَّر أجرُه لَهُ عِندَ اللهِ تعالى؛ كمُصعَبِ بنِ عُمَيرٍ وحَمزَةَ بنِ عَبدِ المُطَّلِبِ رضي الله عنهما، وأشباهِهما ممَّن مَاتَ فِي المَدينَةِ فِي أيَّامِهِ عليه الصلاة والسلام، أو فِي أيَّامِ الصِّدِّيقِ وعُمَرَ رضي الله عنهما ونَحوِ ذَلِكَ.

ومِنهُم مَن طَالَت حَياتُه وحَصَل لَهُ مِنَ المَالِ والغَنائِمِ الشَّيءُ الكَثيرُ؛ ولهَذَا قَالَ: ﴿ومِنَّا مَن أَينَعَت لَهُ ثَمَرتُه فهُوَ يَهدِبُها﴾؛ يَعنِي: يَقطِفُها ويَأكُلُ مِنهَا ويَنتفِعُ بِهَا، رضي الله عنهم جميعًا؛ اللهُ المُستَعانُ.

(ع): وَفِيهِ أَيْضًا فِي الحَدِيثِ وَأَمثَالِهِ تَعزِيَةُ الفُقَرَاءِ، وَحَثُّهُمْ عَلَى الصَّبرِ،

وَأَنَّ قِلَّةَ الْمَالِ لَا تَضُرُّهم إِذَا صَلحَ الدِّينُ، إِذَا أَصلَحَ اللهُ دِينَهُمْ لَا يَضُرُّهُمْ مَا فَاتَهُمْ مِنَ الْمَالِ، فَهِيَ تَعزِيَةٌ لِلفُقَرَاءِ، وَحَثٌّ لَهُم عَلَى الصَّبرِ، حَتَّى يُسَهِّلَ اللهُ لَهُمُ الرِّزقَ، وَلَا يَجزَعُوا؛ فَاللهُ لَهُ الحِكمَةُ البَالِغَةُ، فَلَعَلَّهُ صَرَفَ عَنهُمْ هَذَا الْمَالَ لِسَعَادَتِهِمْ، وَسَلَامَتِهِمْ مِن أَسبَابِ الشَّقَاءِ، فَلَا يَجزَعُون مِن صَرفِ الْمَالِ وَمِن وُجُودِ الفَقْرِ، وَلَكِنْ لَيسَ يَلزَمُ مِن ذَلِكَ أَلَّا يَأخُذُوا بِالأَسبَابِ، الْمُؤمِنُ يَأخُذُ بِالأَسبَابِ؛ يَبِيعُ وَيَشتَرِي، يَتَسَبَّبُ، يَطلُبُ الرِّزقَ، وَلَكِنْ لَا يَجزَعُ مِمَّا يُصِيبُهُ مِنَ الحَاجَةِ، فَلَعَلَّ اللهَ صَرَفَ عَنهُ ذَلِكَ لِخَيرٍ كَثِيرٍ أَرَادَهُ اللهُ بِهِ.

* * *

٦٤٤٩ حَدَّثَنَا أَبُو الْوَلِيدِ، حَدَّثَنَا سَلْمُ بْنُ زَرِيرٍ، حَدَّثَنَا أَبُو رَجَاءٍ عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال: «اطَّلَعْتُ فِي الْجَنَّةِ، فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا الْفُقَرَاءَ، وَاطَّلَعْتُ فِي النَّارِ، فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ»، تَابَعَهُ أَيُّوبُ، وَعَوْفٌ، وَقَالَ صَخْرٌ، وَحَمَّادُ بْنُ نَجِيحٍ، عَنْ أَبِي رَجَاءٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاس». [سبق برقم ٣٢٤١، وأخرجه مسلم، برقم ٢٧٣٨]

الشَّرح

ووَجهُ ذَلِكَ ـ واللهُ أَعلَمُ ـ كَمَا هُوَ مَعلومٌ أنَّ الفُقَراءَ تَقِلُّ أَسبَابُ مَيلِهِم عَنِ الحَقِّ، ووُقوعِهِم فِي المَحارِمِ؛ ولهَذَا رَأَى أَكثَرَ أَهلِ الجَنَّةِ الفُقَراءَ؛ لأَنَّهُم سَارُوا عَلَى الطَّرِيقِ، ومَضَوا فِي سَبِيلِ اللهِ، ولم يَبتَلُوا بالدُّنيَا وشَهَواتِهَا؛ فسَلِمُوا وسَبَقوا إِلَى الجَنَّةِ، أَمَّا الأَغنِياءُ فَهُم عَلَى أَخطارٍ كَثِيرةٍ بسَبَبِ المالِ والقُدرةِ والسَّعَةِ.

وأَمَّا النِّساءُ فكَذَلِكَ رآهُنَّ أَكثَرَ أَهلِ النَّارِ، وفِي الرِّوايَةِ الأُخرَى: أنَّ امرَأَةً قَالَتْ: يا رَسُولَ اللهِ، ولِمَ؟ قَالَ: «**لأَنَّكُنَّ تُكثِرْنَ اللَّعْنَ وتَكفُرْنَ العَشِيرَ**»[1]؛

(١) أخرجه البخاري (٣٠٤)، ومسلم (٨٠) عن أبي سعيد الخدري ﷺ.

يَعنِي: أَنَّهُنَّ كَثيرَاتُ السَّبِّ والشَّتمِ والكَلامِ السَّيِّئِ؛ لأَنَّهُنَّ قَليلاتٌ لحِفظِ أَلسِنَتِهِنَّ والسَّلامَةِ؛ ولأَنَّهُنَّ يَكفُرْنَ العَشيرَ ـ وهُوَ الزَّوجُ ـ؛ يَعنِي: الغالِبُ يَكفُرْنَ إحسَانَه، ويَكفُرْنَ مَعروفَهُ عِندَ أقلِّ عَثرَةٍ مِنهُ، وعِندَ أقلِّ نَقصٍ مِنهُ؛ فإذَا رَأَت مِنهُ شَيئًا ممَّا لَا يُناسِبُها قَالَت: ما رَأَيتُ مِنكَ خَيرًا قَطُّ، نَسِيَتِ المَعرُوفَ المَاضِيَ الَّذِي مَضَى عَليهِ سِنُونَ، كُلُّه مَعروفٌ، وكُلُّه خَيرٌ، تَنسَاهُ لزلَّةٍ حَصَلَت، وهَفوَةٍ وَقَعَت مِنهُ عَليهَا؛ فتَنسَى كُلَّ ذَلِكَ المَعرُوفِ الطَّويلِ، وهَذَا من ضَعفِ اليَقينِ، ومن ضَعفِ الدِّينِ، وقِلَّةِ الصَّبرِ؛ فلهَذَا كُنَّ أَكثَرَ أَهلِ النَّارِ.

ولهَذَا قَالَ لَهُنَّ: «**تَصدَّقْنَ وأَكثِرْنَ الِاستِغفَارَ**»؛ فأَمرهُنَّ بالصَّدَقةِ، والإكثَارِ مِنْ الِاستِغفَارِ والتَّوبَةِ؛ ليَسلَمْنَ من شَرِّ هَذِه الخِصالِ الذَّميمَةِ الَّتِي تُوجِبُ دُخُولَهُنَّ فِي النَّارِ؛ فدَواءُ الذُّنوبِ ودَواءُ السَّيِّئاتِ التَّوبةُ إِلَى اللهِ، والِاستِغفارُ، وكَثرَةُ الصَّدَقةِ والإحسَانِ إِلَى المَحاوِيجِ؛ فإنَّ هَذَا ممَّا يَمحُو اللهُ بِهِ السَّيِّئاتِ، ويَرفَعُ بِهِ الدَّرجاتِ، لُزومُ التَّوبةِ والِاستِغفَارِ مَعَ الإحسَانِ إِلَى عِبادِ اللهِ بالصَّدَقةِ والمَعرُوفِ والمُواسَاةِ.

* * *

٦٤٥٠ حَدَّثَنَا أَبُو مَعْمَرٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَارِثِ، حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ أَبِي عَرُوبَةَ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «لَمْ يَأْكُلِ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى خِوَانٍ حَتَّى مَاتَ، وَمَا أَكَلَ خُبْزًا مُرَقَّقًا حَتَّى مَاتَ». [سبق برقم ٥٣٨٦]

الشَّرح

[قالَ الحَافِظُ ابنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «فتْحِ البَارِي» (١١/ ٢٨٠)]: «قَوْلُهُ: ﴿عَنْ أَنَسٍ﴾ فِي رِوَايَةِ هَمَّامٍ عَنْ قَتَادَةَ: «كُنَّا نَأْتِي أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ»، وَسَيَأْتِي فِي الْبَابِ الَّذِي بَعْدَهُ، قَوْلُهُ: «عَلَى خِوَانٍ» بِكَسْرِ الْمُعْجَمَةِ وَتَخْفِيفِ الْوَاوِ، وَتَقَدَّمَ شَرْحُهُ فِي كِتَابِ الْأَطْعِمَةِ. قَوْلُهُ: «وَمَا أَكَلَ خُبْزًا مُرَقَّقًا حَتَّى مَاتَ» قَالَ ابن بَطَّالٍ: تَرْكُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ الْأَكْلَ عَلَى الْخِوَانِ وَأَكْلَ الْمُرَقَّقِ إِنَّمَا هُوَ

لِدَفْعِ طَيِّبَاتِ الدُّنْيَا اخْتِيَارًا لِطَيِّبَاتِ الْحَيَاةِ الدَّائِمَةِ، وَالْمَالُ إِنَّمَا يُرْغَبُ فِيهِ لِيُسْتَعَانَ بِهِ عَلَى الْآخِرَةِ، فَلَمْ يَحْتَجِ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى الْمَالِ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ.

وَحَاصِلُهُ: أَنَّ الْخَبَرَ لَا يَدُلُّ عَلَى تَفْضِيلِ الْفَقْرِ عَلَى الْغِنَى؛ بَلْ يَدُلُّ عَلَى فَضْلِ الْقَنَاعَةِ وَالْكَفَافِ وَعَدَمِ التبسط فِي ملاذ الدُّنْيَا، وَيُؤَيِّدُهُ حَدِيث ابن عُمَرَ: **«لَا يُصِيبُ عَبْدٌ مِنَ الدُّنْيَا شَيْئًا إِلَّا نَقَصَ مِنْ دَرَجَاتِهِ وَإِنْ كَانَ عِنْدَ الله كَرِيمًا»**. **أخرجه ابن أَبِي الدُّنْيَا، قَالَ الْمُنْذِرِيُّ: وَسَنَدُهُ جَيِّدٌ وَاللهُ أَعْلَمُ»**. [انتهى كلامه].

قَالَ ابنُ بَازٍ رَحِمَهُ اللهُ: وهَذَا يَدلُّ عَلَى حِرصِه عَلَى ما عِندَ اللهِ ﷻ عليه الصلاة والسلام، وزُهدِه فِي الدُّنيَا، وعَدمِ حِرصِه عَلَى التَّمتُّعِ بِهَا وبمَلاذِّها ونَحوِ ذَلِكَ؛ ولهَذَا يَأكُلُ ما تَيسَّرَ، تارَةً يَأكُلُ اللَّحمَ، وتارَةً يَأكلُ الفاكِهةَ، وتارَةً يَأكلُ التَّمرَ، وتارَةً ما تَيسَّرَ مِنَ الطَّعامِ مِنَ الشَّعيرِ؛ فلَيسَ بمُتكلِّفٍ عليه الصلاة والسلام.

والخِوانُ: ما يُجعَلُ فَوقَه الطَّعامُ، يُرفَعُ عَليهِ الطَّعامُ، وهَذَا قد وَقَع فِي بَعضِ الرِّواياتِ أنَّهُ أَكَل عَليهِ، ولكِنَّهُ قَليلٌ، وإنَّمَا المَحفُوظُ عَنهُ والأَكثَرُ عَلَى الأَرضِ، تُوضَعُ السُّفرَةُ عَلَى الأَرضِ، ثُمَّ يُوضَعُ عَليهَا الطَّعامُ.

(الشَّيخُ): انظُرِ: الخِوانَ فِي «القَامُوسِ».

[قال فِي «القاموس المحيط» (١/ ١١٩٤)]: «والخَوْنُ: الضَّعْفُ، وفَتْرَةٌ فِي النَّظَرِ، ومنه: خائنُ العَيْنِ، للأسَدِ. وخائنَةُ الأغْيُنِ: ما يُسارِقُ مِنَ النَّظَرِ إِلَى ما لَا يَحِلُّ، أو أن يَنْظُرَ نَظْرَةً بريبَةٍ. وكغُرابٍ وكتابٍ: ما يُؤْكَلُ عَليهِ الطَّعامُ...». [انتهى كلامه].

قَالَ ابنُ بَازٍ رَحِمَهُ اللهُ: ما هُوَ كامِلٌ؛ لأنَّ ما يُؤكَلُ عَليهِ الطَّعامُ يَشمَلُ المَرفُوعَ أوِ المَبسُوطَ؛ فِيهِ اشتِراكٌ، هَذَا تَعريفٌ قاصِرٌ، لكِنْ أَفادَنَا أنَّهُ يُقالُ: خِوانٌ وخُوانٌ بالضَّمِّ؛ لُغَتانِ.

• **س: المَقصُودُ بِالخِوانِ ـ يا شَيخُ ـ ما ارتَفَع عَنِ الأَرضِ؟**

○ **ج**: الَّذِي أَفهَم أنَّهُ المُرادُ بِهِ الشَّيءُ الَّذِي يَكُونُ رَفِيعًا، لكِنَّ المُؤلِّفَ صَاحِبَ «القَامُوسِ» ما فَصَّلَ، مُقتَضاهُ أنَّ السُّفرَةَ الَّتِي يُوضَعُ عَليهَا الطَّعامُ

تُسمَّى خِوانًا؛ كالسُّفرَةِ الَّتِي مِنَ الخُوصِ أو من أيِّ نَوعٍ يُقَالُ لَهَا: خِوانٌ. وقَولُه فِي الحَديثِ: «ما أكَلَ عَلَى خِوانٍ» ما هُوَ المُرادُ هَذَا، الخِوانُ: السُّفرَةُ يُوضَعُ عَليهَا الطَّعامُ، هَذَا مَوجودٌ فِي عَهدِه ﷺ، لكِنَّ الأَظهَرَ - واللهُ أعلَمُ - هُوَ ما كَانَ مَعرُوفًا عِندَ الأَعاجِمِ من وَضعِ أَخونَةٍ مُرتفِعةٍ يَجلِسُون عَلَى الكَراسِيِّ؛ مِثلَما يُفعَلُ الآنَ فِي كَثيرٍ مِنَ البُيوتِ، ويَأكُلُون وهُم جَالِسُون عَلَى الكَراسِيِّ وهِيَ مُرتفِعةٌ، هَذَا وقع فِي النَّاسِ لمَّا خَالَطُوا الأَعاجِمَ وخَالَطُوا الخارِجَ دَخَل عَليهِم هَذَا.

• **س: أَحسَنَ اللهُ إِليكَ، ما حَصَل مِنَ الدُّنيَا يَنقُص لَهُ الأَجرُ يَومَ القِيامَةِ؟**

○ **ج**: مِثلَما جَاءَ فِي هَذَا الحَديثِ، التَّمتُّعُ؛ يَعنِي: بلذَّاتِهَا ونَعيمِها، واللهُ المُستَعانُ، واللهُ أَعلَمُ ﷻ، هَذَا رَواهُ ابنُ أَبِي الدُّنيَا بسَندٍ حَسنٍ، واللهُ أَعلَمُ قد يُحتَجُّ لَهُ بقَولِهِ ﷻ: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا﴾ [الأحقاف: ٢٠]، يُروَى عَن عُمرَ رضي الله عنه أنَّهُ رَأَى جابِرًا رضي الله عنه مَعهُ شَيءٌ مِن لَحمٍ اشتَراهُ للأَهلِ فقَالَ لَهُ: «أَوَكُلَّما اشتَهَيتُمُ اشتَرَيتُمْ؟! أَمَا سَمِعتَ اللهَ يَقولُ لقَومٍ: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا﴾»؛ اللهُ المُستَعانُ.

المَقصُودُ: أنَّهُ يَنبَغِي للإِنسَانِ أن يَفعَلَ بَعضَ الشَّيءِ من جِهَةِ التَّقلُّلِ، ومن جِهةِ الزُّهدِ بَعضَ الشَّيءِ؛ حتَّى يُعوِّدَ نَفسَه القَناعَةَ، لَا يَكُونُ دائِمًا دائِمًا عَلَى شِراءِ اللَّذَّاتِ والطَّيِّباتِ، بَعضَ الأَحيَانِ يَتقشَّفُ بَعضَ الشَّيءِ، يَتخفَّفُ بَعضَ الشَّيءِ؛ حتَّى لَا تَعتادَ النَّفسُ الرَّغبَةَ فِي هَذِه الأَشيَاءِ الَّتِي تُعتبَرُ من لذَّاتِهَا العَاجِلةِ، ومن مَشاغِلِها العَاجِلةِ، ومنَ التَّكلُّفِ؛ حتَّى يَحتاجَ إِلَى أَموالٍ كَثيرةٍ، رُبَّما سَبَّبَتْ لَهُ الوُقوعَ فِي أَكسابٍ ما هِيَ بطَيِّبةٍ، أو اقتِراضٍ قد يَشُقُّ عَليهِ دَفْعه، اللهُ المُستَعانُ، أمَّا إِذَا يسَّرَ اللهُ فالأَمرُ واسِعٌ بحَمدِ اللهِ، مِثلَما قَالَ ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ [البقرة: ١٧٢]، الأَمرُ واسِعٌ، وقَالَ تَعالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا﴾ [المؤمنون: ٥١]. فإِذَا كَانَ عَن يُسرٍ وعَن عَدمِ تَكلُّفٍ فالحَمدُ للهِ.

• **س: أَحسَنَ اللهُ إِليكَ، هل فِيهِ كَراهِيةُ الأَكلِ عَلَى الخِوانِ؟**

○ ج: ما هُوَ بظاهِرٍ؛ لأَنَّهُ واقِعةُ تَركٍ.

• **س: [الأكل على الخوان يكون قائمًا؟]**

○ ج: لَيسَ قائِمًا بل قاعِدٌ، أَقولُ: الأَكلُ عَلَى الخِوانِ لَيسَ بقائِمٍ بل هُوَ قاعِدٌ، ولكِنَّ القائِمَ جائِزٌ أَيضًا، الشُربُ قائِمًا والأَكلُ قائِمًا جائِزٌ، ولكِنَّ الجُلوسَ أَفضَلُ.

• **س: شَيخُ، الله يُثِيبُك، مَا وَرَدَ فِي بَعضِ الآثَارِ: «إِنَّ مِن عِبَادِي مَن لَا يُصلِحُهُ إِلَّا الغِنَى، وَلَو أَفقَرتُهُ لَفَسَدَ...» أَوْ نَحوُ ذَلِك، «وَإِنَّ مِن عِبَادِي مَن لَا يُصلِحُه إِلَّا الفَقرُ...»؟**

○ ج: أَثَرٌ مَعرُوفٌ، لَكِنْ مَا أَذكُرُ حَالَ سَنَدِهِ، وَلَكِنْ هَذَا هُوَ الوَاقِعُ.

• **س: أَحسَنَ اللهُ إِلَيكُمْ، التَّفضِيلُ بَينَ الفَقرِ وَالغِنَى؟**

○ ج: قَالَ ﷺ: «**مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا خَيرًا مِن أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ، وَإِنَّ نَبِيَّ اللهِ دَاودَ كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ**» عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَسُئِلَ عَلَيهِ الصلاة والسلام: أَيُّ الكَسبِ أَطْيَبُ؟ قَالَ: «**عَملُ الرَّجلِ بِيَدِهِ، وَكُلُّ بَيعٍ مَبرُورٌ**» الإِنسَانُ يَطلُبُ الرِّزقَ وَيَعمَلُ، وَلَا يُنَافِسُ مُنَافَسَةً تَشغَلُهُ عَنِ الآخِرَةِ.

• **س: الفَقرُ أَفضَلُ يَا شَيخُ أَمِ الغِنَى؟**

○ ج: الغِنَى مَعَ الشُكرِ أَفضَلُ، إِذَا شَكَرَ اللهَ، كَمَا فِي قِصَّةِ فُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ وَأَغْنِيَائِهِمْ.

٦٤٥١ - **حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، حَدَّثَنَا هِشَامٌ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ ﵂ قَالَتْ: «لَقَدْ تُوُفِّيَ النَّبِيُّ ﷺ وَمَا فِي رَفِّي مِنْ شَيْءٍ يَأْكُلُهُ ذُو كَبِدٍ، إِلَّا شَطْرُ شَعِيرٍ فِي رَفٍّ لِي، فَأَكَلْتُ مِنْهُ حَتَّى طَالَ عَلَيَّ، فَكِلْتُهُ فَفَنِيَ».** [سبق برقم ٢٠٩٧، وأخرجه مسلم، برقم ٢٩٧٣]

الشَّرح

(ع): لِأَنَّهُ ﷺ كَانَ يُنفِقُ، كَانَ ﷺ مِنفَاقًا مِثْلمَا تَقَدَّمَ.

[قالَ الحَافِظُ ابنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «فتْحِ البَارِي» (١١/ ٢٨٠)]: «قَوْلُهُ: ﴿فَأَكَلْتُ مِنْهُ حَتَّى طَالَ عَلَيَّ فَكِلْتُهُ﴾ بِكَسْرِ الْكَافِ. ﴿فَفَنِيَ﴾؛ أَي: فرغ. قَالَ ابن بَطَّالٍ: حَدِيثُ عَائِشَةَ هَذَا فِي مَعْنَى حَدِيثِ أَنَسٍ فِي الْأَخْذِ مِنَ الْعَيْشِ بِالِاقْتِصَادِ وَمَا يَسُدُّ الْجَوْعَةَ. قُلْتُ: إِنَّمَا يَكُونُ كَذَلِكَ لَوْ وَقَعَ بِالْقَصْدِ إِلَيْهِ، وَالَّذِي يَظْهَرُ أَنَّهُ ﷺ كَانَ يُؤْثِرُ بِمَا عِنْدَهُ». [انتهى كلامه].

قَالَ ابنُ بَازٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: يَعنِي: كَانَ يُنفِقُ وكَانَ يدَّخِر لأهلِه قُوتَ سَنةٍ عليه الصلاة والسلام، ولكِنْ بسَبَبِ الضُّيوفِ الكَثيرةِ والوُفودِ يُعطِي ممَّا عِندَه، ويَضَعُ الضِّيافةَ فيَنفَدُ قَبْلَ كَمالِ السَّنةِ، اللَّهُمَّ صلِّ عَليهِ وسَلِّم.

[قَالَ الحَافظُ رَحِمَهُ اللَّهُ]: «فَقَدْ ثَبَتَ فِي «الصَّحِيحَيْنِ» أَنَّهُ كَانَ إِذَا جَاءَهُ مَا فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِ مِنْ خَيْبَرَ وَغَيْرِهَا مِنْ تَمْرٍ وَغَيْرِهِ يَدَّخِرُ قُوتَ أَهْلِهِ سَنَةً، ثُمَّ يَجْعَلُ مَا بَقِيَ عِنْدَهُ عُدَّةً فِي سَبِيلِ اللهِ تَعَالَى، ثُمَّ كَانَ مَعَ ذَلِك إذا طَرَأَ عَلَيْهِ طارئٌ أَوْ نَزَلَ بِهِ ضَيْفٌ يُشِيرُ عَلَى أَهْلِهِ بِإِيثَارِهِمْ، فَرُبَّمَا أَدَّى ذَلِكَ إِلَى نَفَادِ مَا عِنْدَهُمْ أَوْ مُعْظَمِهِ. وَقَدْ رَوَى الْبَيْهَقِيُّ مِنْ وَجْهٍ آخَرَ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: «مَا شَبِعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ مُتَوَالِيَةٍ، وَلَوْ شِئْنَا لَشَبِعْنَا وَلَكِنَّهُ كَانَ يُؤْثِرُ عَلَى نَفْسِهِ».

وَأَمَّا قَوْلُهَا: ﴿فَكِلْتُهُ فَفَنِيَ﴾ قَالَ ابن بَطَّالٍ: فِيهِ أَنَّ الطَّعَامَ الْمَكِيلَ يَكُونُ فَنَاؤُهُ مَعْلُومًا لِلْعِلْمِ بِكَيْلِهِ، وَأَنَّ الطَّعَامَ غَيْرَ الْمَكِيلِ فِيهِ الْبَرَكَةُ؛ لِأَنَّهُ غَيْرُ مَعْلُومٍ مِقْدَارُهُ. قُلْتُ: فِي تَعْمِيمِ كُلِّ الطَّعَامِ بِذَلِكَ نَظَرٌ، وَالَّذِي يَظْهَرُ أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْخُصُوصِيَّةِ لِعَائِشَةَ بِبَرَكَةِ النَّبِيِّ ﷺ، وَقَدْ وَقَعَ مِثْلُ ذَلِكَ فِي حَدِيثِ جَابِرٍ الَّذِي أَذْكُرُهُ آخِرَ الْبَابِ، وَوَقَعَ مِثْلُ ذَلِكَ فِي مِزْوَدِ أَبِي هُرَيْرَةَ الَّذِي أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ وَحَسَّنَهُ وَالْبَيْهَقِيُّ فِي «الدَّلَائِلِ» مِنْ طَرِيقِ أَبِي الْعَالِيَةِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ بِتَمَرَاتٍ فَقُلْتُ: ادْعُ لِي فِيهِنَّ بِالْبَرَكَةِ؛ قَالَ: فَقَبَضَ ثُمَّ دَعَا، ثُمَّ

قَالَ: «**خُذْهُنَّ فَاجْعَلْهُنَّ فِي مِزْوَدٍ، فَإِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَأْخُذَ مِنْهُنَّ فَأَدْخِلْ يَدَكَ فَخُذْ وَلَا تَنْثُرْ بِهِنَّ نَثْرًا**»؛ فَحَمَلْتُ مِنْ ذَلِكَ كَذَا وَكَذَا وَسْقًا فِي سَبِيلِ اللهِ، وَكُنَّا نَأْكُلُ وَنُطْعِمُ وَكَانَ الْمِزْوَدُ مُعَلَّقًا بِحَقْوِي لَا يُفَارِقُهُ، فَلَمَّا قُتِلَ عُثْمَانُ انْقَطَعَ.

وَأَخْرَجَهُ الْبَيْهَقِيُّ أَيْضًا مِنْ طَرِيقِ سَهْلِ بْنِ زِيَادٍ عَنْ أَيُّوبَ عَنْ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ مُطَوَّلًا وَفِيهِ: «**فَأَدْخِلْ يدك فَخذ وَلَا تكفئ فَيُكْفَأَ عَلَيْك**». وَمِنْ طَرِيقِ يَزِيدَ بْنِ أَبِي مَنْصُورٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ نَحْوَهُ.

وَنَحْوَهُ مَا وَقَعَ فِي عُكَّةِ الْمَرْأَةِ، وَهُوَ مَا أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ مِنْ طَرِيقِ أَبِي الزُّبَيْرِ عَنْ جَابِرٍ: أَنَّ أُمَّ مَالِكٍ كَانَتْ تُهْدِي لِلنَّبِيِّ ﷺ فِي عُكَّةٍ لَهَا سَمْنًا، فَيَأْتِيهَا بَنُوهَا فَيَسْأَلُونَ الْأُدْمَ فَتَعْمَدُ إِلَى الْعُكَّةِ؛ فَتَجِدُ فِيهَا سَمْنًا، فَمَا زَالَ يُقِيمُ لَهَا أُدْمَ بَيْتِهَا حَتَّى عَصَرَتْهُ فَأَتَتِ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: «**لَوْ تَرَكْتِهَا مَا زَالَ قَائِمًا**».

وَقَدِ اسْتُشْكِلَ هَذَا النَّهْيُ مَعَ الْأَمْرِ بِكَيْلِ الطَّعَامِ وَتَرْتِيبِ الْبَرَكَةِ عَلَى ذَلِكَ كَمَا تَقَدَّمَ فِي الْبُيُوعِ مِنْ حَدِيثِ الْمِقْدَامِ بن معد يكرب بِلَفْظِ: «**كِيلُوا طَعَامَكُمْ يُبَارَكْ لَكُمْ فِيهِ**». وَأُجِيبَ بِأَنَّ الْكَيْلَ عِنْدَ الْمُبَايَعَةِ مَطْلُوبٌ مِنْ أَجْلِ تَعَلُّقِ حَقِّ الْمُتَبَايِعَيْنِ؛ فَلِهَذَا الْقَصْدِ يُنْدَبُ، وَأَمَّا الْكَيْلُ عِنْدَ الْإِنْفَاقِ فَقَدْ يَبْعَثُ عَلَيْهِ الشُّحُّ فَلِذَلِكَ كُرِهَ». [انتهى كلامه].

قَالَ ابنُ بَازٍ رَحِمَهُ اللهُ: وهَذَا هُوَ الأَقرَبُ، هَذَا هُوَ الأظهَرُ أَنَّهُ عِندَ الأَكلِ يَأخُذ ما تَيسَّرَ ولَا يَحتاجُ أن يَكِيلَ، يَأخُذُ حَاجَتَه من غَيرِ حاجَةٍ إِلَى أن يَعرِفَ البَاقِيَ، وهَذَا من أَسبَابِ البَركةِ.

وأمَّا «**أَوفُوا الكَيلَ**»؛ فهَذَا إِذَا اشتَرَى مِنهُ كَيلًا؛ يَكيلُ حتَّى يَعرِفَ أَنَّهُ استَوفَى حَقَّه فِي الشِّراءِ، وكَذَلِكَ العُكَّةُ عُكَّةُ السَّمنِ ونَحوُها كَونُه يَأخُذُ مِنهَا ما تَيسَّرَ ويَأكُلُ ممَّا تَيسَّرَ ولَا حاجَةَ إِلَى أن يَعصِرَها كُلَّها؛ بل يَأخُذُ ما تَيسَّرَ لإِدامِهِ، ولَا يَنسَى أن يَدعُوَ اللهَ بِالبَركةِ، ويُسمِّيَ اللهَ؛ هَذَا من أَسبَابِ البَركةِ، أمَّا كَونُه يَعصِرُها حتَّى لَا يُبقِي شَيئًا هَذَا من أَسبَابِ قِلَّةِ البَركةِ.

• **س: هل يَكُونُ خُصوصِيَّةً...؟**

○ **ج:** لَا؛ ما هُوَ خَاصٌّ بعَائِشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا الأَصلُ عَدَمُه.

[قَالَ الحَافظُ رَحِمَهُ اللَّهُ]: «وَيُؤَيِّدُهُ مَا أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ مِنْ طَرِيقِ مَعْقِلِ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ عَنْ جَابِرٍ: أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ يَسْتَطْعِمُهُ، فَأَطْعَمَهُ شَطْرَ وَسْقِ شَعِيرٍ، فَمَا زَالَ الرَّجُلُ يَأْكُلُ مِنْهُ وَامْرَأَتُهُ وَضَيْفُهُمَا حَتَّى كَالَهُ، فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: «**لَوْ لَمْ تَكِلْهُ لَأَكَلْتُمْ مِنْهُ وَلَقَامَ لَكُمْ**». [انتهى كلامه].

قَالَ ابنُ بَازٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: هَذَا يُوافِقُ حَديثَ عائِشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

[قَالَ الحَافظ رَحِمَهُ اللَّهُ]: «قَالَ الْقُرْطُبِيُّ: سَبَبُ رَفْعِ النَّمَاءِ مِنْ ذَلِكَ عِنْدَ الْعَصْرِ وَالْكَيْلِ وَاللهُ أَعْلَمُ: الِالْتِفَاتُ بِعَيْنِ الْحِرْصِ مَعَ مُعَايَنَةِ إِدْرَارِ نِعَمِ اللهِ وَمَوَاهِبِ كَرَامَاتِهِ، وَكَثْرَةِ بَرَكَاتِهِ، وَالْغَفْلَةُ عَنِ الشُّكْرِ عَلَيْهَا وَالثِّقَةُ بِالَّذِي وَهَبَهَا، وَالْمَيْلُ إِلَى الْأَسْبَابِ الْمُعْتَادَةِ عِنْدَ مُشَاهَدَةِ خَرْقِ الْعَادَةِ، وَيُسْتَفَادُ مِنْهُ أَنَّ مَنْ رُزِقَ شَيْئًا أَوْ أُكْرِمَ بِكَرَامَةٍ أَوْ لُطِفَ بِهِ فِي أَمْرٍ مَا فَالْمُتَعَيِّنُ عَلَيْهِ مُوَالَاةُ الشُّكْرِ وَرُؤْيَةُ الْمِنَّةِ للهِ تَعَالَى، وَلَا يُحْدِثُ فِي تِلْكَ الْحَالة تغييرًا وَالله أعْلَم». [انتهى كلامه].

قَالَ ابنُ بَازٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: هَكَذا يَنبَغِي مَن رُزِق فَضلًا مِنَ الله فليَشكُرِ اللهَ، وليستَقِمْ. اللهُ أَكبَرُ، اللهُ المُستَعانُ.

١٧ ـ بَاب كَيْفَ كَانَ عَيْشُ النَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ وَتَخَلِّيهِمْ عن الدُّنْيَا

٦٤٥٢ - حَدَّثَنِي أَبُو نُعَيْم بِنَحْوٍ مِنْ نِصْفِ هَذَا الْحَدِيثِ، حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ ذَرٍّ، حَدَّثَنَا مُجَاهِدٌ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ كَانَ يَقُولُ: «آللهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، إِنْ كُنْتُ لأَعْتَمِدُ بِكَبِدِي عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْجُوعِ، وَإِنْ كُنْتُ لأَشُدُّ الْحَجَرَ عَلَى بَطْنِي مِنَ الْجُوعِ، وَلَقَدْ قَعَدْتُ يَوْمًا عَلَى طَرِيقِهِمُ الَّذِي يَخْرُجُونَ مِنْهُ، فَمَرَّ أَبُو بَكْرٍ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ، مَا سَأَلْتُهُ إِلَّا

لِيُشْبِعَنِي، فَمَرَّ وَلَمْ يَفْعَلْ، ثُمَّ مَرَّ بِي عُمَرُ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ، مَا سَأَلْتُهُ إِلَّا لِيُشْبِعَنِي، فَمَرَّ فَلَمْ يَفْعَلْ، ثُمَّ مَرَّ بِي أَبُو الْقَاسِمِ ﷺ، فَتَبَسَّمَ حِينَ رَآنِي، وَعَرَفَ مَا فِي نَفْسِي، وَمَا فِي وَجْهِي، ثُمَّ قَالَ: «يَا أَبَا هِرٍّ»، قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «الْحَقْ»، وَمَضَى، فَتَبِعْتُهُ، فَدَخَلَ فَاسْتَأْذَنَ، فَأَذِنَ لِي، فَدَخَلَ فَوَجَدَ لَبَنًا فِي قَدَحٍ، فَقَالَ: «مِنْ أَيْنَ هَذَا اللَّبَنُ؟» قَالُوا: أَهْدَاهُ لَكَ فُلَانٌ، أَوْ فُلَانَةُ، قَالَ: «أَبَا هِرٍّ»، قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «الْحَقْ إِلَى أَهْلِ الصُّفَّةِ فَادْعُهُمْ لِي»، قَالَ: وَأَهْلُ الصُّفَّةِ أَضْيَافُ الإِسْلَامِ، لَا يَأْوُونَ عَلَى أَهْلٍ، وَلَا مَالٍ، وَلَا عَلَى أَحَدٍ، إِذَا أَتَتْهُ صَدَقَةٌ بَعَثَ بِهَا إِلَيْهِمْ، وَلَمْ يَتَنَاوَلْ مِنْهَا شَيْئًا، وَإِذَا أَتَتْهُ هَدِيَّةٌ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ، وَأَصَابَ مِنْهَا، وَأَشْرَكَهُمْ فِيهَا، فَسَاءَنِي ذَلِكَ، فَقُلْتُ: وَمَا هَذَا اللَّبَنُ فِي أَهْلِ الصُّفَّةِ؟ كُنْتُ أَحَقُّ أَنَا أَنْ أُصِيبَ مِنْ هَذَا اللَّبَنِ شَرْبَةً، أَتَقَوَّى بِهَا، فَإِذَا جَاؤوا أَمَرَنِي، فَكُنْتُ أَنَا أُعْطِيهِمْ، وَمَا عَسَى أَنْ يَبْلُغَنِي مِنْ هَذَا اللَّبَنِ؟ وَلَمْ يَكُنْ مِنْ طَاعَةِ اللهِ، وَطَاعَةِ رَسُولِهِ ﷺ بُدٌّ، فَأَتَيْتُهُمْ فَدَعَوْتُهُمْ، فَأَقْبَلُوا، فَاسْتَأْذَنُوا فَأَذِنَ لَهُمْ، وَأَخَذُوا مَجَالِسَهُمْ مِنَ الْبَيْتِ، قَالَ: «يَا أَبَا هِرٍّ» قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «خُذْ فَأَعْطِهِمْ»، فَأَخَذْتُ الْقَدَحَ، فَجَعَلْتُ أُعْطِيهِ الرَّجُلَ، فَيَشْرَبُ حَتَّى يَرْوَى، ثُمَّ يَرُدُّ عَلَيَّ الْقَدَحَ، فَأُعْطِيهِ الرَّجُلَ، فَيَشْرَبُ حَتَّى يَرْوَى، ثُمَّ يَرُدُّ عَلَيَّ الْقَدَحَ، فَيَشْرَبُ حَتَّى يَرْوَى، ثُمَّ يَرُدُّ عَلَيَّ الْقَدَحَ، حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَقَدْ رَوِيَ الْقَوْمُ كُلُّهُمْ، فَأَخَذَ الْقَدَحَ، فَوَضَعَهُ عَلَى يَدِهِ، فَنَظَرَ إِلَيَّ فَتَبَسَّمَ، فَقَالَ: «أَبَا هِرٍّ»، قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «بَقِيتُ أَنَا وَأَنْتَ»، قُلْتُ: صَدَقْتَ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «اقْعُدْ فَاشْرَبْ»، فَقَعَدْتُ فَشَرِبْتُ، فَقَالَ: «اشْرَبْ»، فَشَرِبْتُ، فَمَا زَالَ يَقُولُ: «اشْرَبْ»، حَتَّى قُلْتُ: لَا، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، مَا أَجِدُ لَهُ مَسْلَكًا، قَالَ: «فَأَرِنِي»، فَأَعْطَيْتُهُ الْقَدَحَ، فَحَمِدَ اللهَ، وَسَمَّى، وَشَرِبَ الْفَضْلَةَ». [سبق برقم ٥٣٧٥]

الشَّرح

هَذِه من آيَاتِ اللهِ العَظيمَةِ، ومِن بَرَكاتِه العَظيمَةِ ﷺ، قَدَح يُحمَلُ عَلَى اليَدِ سَقَى هَذَا القَومَ كُلَّهُم وأَرْواهُم، ثُمَّ شَرِب أَبُو هُرَيرةَ رضي الله عنه وهُوَ مُحتاجٌ جائِعٌ شدِيدُ الجُوعِ، حتَّى رَوِيَ، ثُمَّ بَقِيَتِ الفَضلَةُ فأَخَذَها عليه الصلاة والسلام؛ فهَذَا فِيهِ التَّواضُعُ العَظيمُ، التَّواضُعُ؛ جَعَل نَفسَه الأَخيرَ عليه الصلاة والسلام.

وفِي رِوايَةٍ: «كَانُوا سَبعِينَ»، كَانُوا سَبعِينَ من أَهلِ الصُّفَّةِ، أُمَّةٌ عَظيمَةٌ، وفِيهِ دَلالةٌ عَلَى أَنَّهُ كَانَ عِندَه ﷺ أَماكِنُ واسِعةٌ كَانَ عِندَه حُجَرٌ واسِعةٌ لِمثلِ هَذَا؛ فجَاءَ مِثلُ هَؤلَاءِ فجَلَسُوا فِيهَا حتَّى يَطعَمُوا.

وفِي هَذَا مِنَ الفَضائِلِ: أنَّ ساقِيَ القَومِ يَكُونُ هُوَ الآخِرَ، والمضيِّفُ يَكُونُ هُوَ الآخِرَ إِذَا كَانَ الشَّيءُ فِيهِ قِلَّةٌ؛ فيَبدَأُ بالضُّيوفِ، إِذَا كَانَ الشَّيءُ قَليلًا يَبدَأُ بِالضُّيوفِ، ثُمَّ يَكُونُ السَّاقِي هُوَ الآخِرَ وصاحِبَ البَيتِ هُوَ الآخِرَ، أَمَّا إِذَا كَانَ الشَّيءُ كَثيرًا؛ فإنَّ المُضيِّفَ يُشارِكُهُم ويَجلِسُ مَعهُم، كَمَا كَانَ النَّبيُّ يَأكُلُ مَعَ أَضيافِهِ تارَةً، وتارَةً يُقدِّمُ الأَضيَافَ كَمَا فِي قِصَّتِه هَذِه، وقِصَّةِ جابِرٍ رضي الله عنه يَومَ الأَحزابِ وقَصصٍ أُخرَى، كَانَ يَبدَأُ بالضُّيوفِ فيُطعِمُهُم عَشرَةً عشَرَةً حتَّى خَلصُوا، ثُمَّ أَكَل عليه الصلاة والسلام، وكَانُوا ثَمانِينَ وفِي رِوايَةٍ: «كَانُوا ثَلاثَمِائةٍ».

المَقصُودُ: أنَّ السُّنَّةَ دَلَّت عَلَى أنَّ الأَضيَافَ إنْ كَانَ الشَّيءُ قَليلًا بُدِئَ بالأَضيَافِ، وكَانَ السَّاقِي إنْ كَانَ هُناكَ شَرابٌ آخِرَهُم، وإنْ كَانَ الشَّيء كَثيرًا شَارَكَهُمُ المضيِّفُ وتَحدَّثَ مَعهُم؛ كفِعلِه عليه الصلاة والسلام تارَةً وتارَةً.

وفِيهِ مُعجِزةٌ خارِقةٌ للعَادةِ، ومُعجِزةٌ لهَذَا النَّبيِّ العَظيمِ عليه الصلاة والسلام؛ فإنَّ قَدَحًا قَليلًا يَكفِي أُمَّةً كَثيرَةً ويَشرَبُونَ، كُلَّما شَرِبُوا زاد القَدحُ، كُلَّما شَرِبوا زَادَ اللَّبنُ حتَّى يُكمِلَه من جِنسِ الطَّعامِ الَّذِي كُلَّما أَكَلَه رَبَا.

وأَمَّا كَونُ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه أَعرَضَ وكَونُ عُمرَ رضي الله عنه أَعرَضَ؛ فلَعلَّهُما لم

يَفطُنَا لجُوعِه، أو لعَلَّهُما ما كَانَ عِندَهُما شَيءٌ؛ يَعلَمانِ ما عِندَهُما شَيءٌ فِي البَيتِ؛ فلهَذَا أعرَضَا عَنهُ، وكَانَا أحرَصَ النَّاسِ عَلَى الخَيرِ بَعدَ النَّبيِّ عليه الصلاة والسلام، الصِّدِّيقُ وعُمرُ ﷺ هُمَا أفضلُ الصَّحابَةِ ﷺ؛ فإعراضُهُم عَن أبي هُرَيرةَ ﷺ إمَّا لأنَّهُما لم يَفطُنا لحَاجتِهِ، وكَانَا مَشغُولَينِ لم يَفطُنَا لحَاجَتِه وجُوعِه، أو أنَّهُما كَانَا يَعلَمانِ أنَّهُ ما فِي البَيتِ شَيءٌ يَدعُوانِه إلِيهِ.

(ع): **﴿قوله فَحَمِدَ اللهَ، وَسَمَّى، وَشَرِبَ الْفَضْلَةَ﴾**: هَذِهِ مِن آيَاتِ اللهِ، وَهَذِهِ مِن مُعجِزَاتِ نَبِيِّهِ ﷺ، وَمِنَ الدَّلَائِلِ عَلَى أَنَّهُ رَسُولُ اللهِ حَقًّا، قَدَحٌ يَسقِي بِهِ أُمَّةً كَبِيرَةً، وَأَبُو هُرَيرَةَ ﷺ جَائِعٌ وَظَمْآنُ وَمُحتَاجٌ، يَطلُبُ الرِّزقَ، ثُمَّ طَافَ بِهِ أَبُو هُرَيرَةَ عَلَى الجَمِيعِ حَتَّى شَرِبُوا وَرُوُوا مِن هَذَا القَدَحِ، وَفِي بَعضِ الرِّوَايَاتِ: «كَانُوا سَبعِينَ مِن أَهلِ الصُّفَّةِ»، ثُمَّ قَالَ لَهُ: **﴿اقْعُدْ فَاشْرَبْ﴾**؛ دَلَّ عَلَى أَنَّ الشُّربَ عَنْ قُعُودٍ أَفضَلُ، فَشَرِبَ أَبُو هُرَيرَةَ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: اشْرَبْ، اشْرَبْ. حَتَّى كَرَّرَ عَلَيهِ، قَالَ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ لَا أَجِدُ لَهُ مَسلَكًا، ثُمَّ أَخَذَ النَّبِيُّ ﷺ الفَضلَةَ فَحَمِدَ اللهُ وَشَرِبَ.

هَذِهِ مِن آيَاتِ اللهِ ﷻ؛ أَنَّ قَدَحًا يَحمِلُهُ أَبُو هُرَيرَةَ ﷺ بِيَدِهِ يَسقِي أُمَّةً مِنَ النَّاسِ، ثُمَّ تَبقَى فَضلَةٌ يُروَى مِنهَا أَبُو هُرَيرَةَ ﷺ، ثُمَّ تَبْقَى فَضلَةٌ فَيَشرَبُهَا النَّبِيُّ ﷺ، هَذِهِ آيَاتُ اللهِ، وَكَمْ مِن آيَاتٍ!! وَكَمْ مِنْ مُعجِزَاتٍ عَلَيهِ الصلاة والسلام!!

- **س: الآيَةُ الَّتِي سَأَلَ عَلَيها أَبُو هُرَيرَةَ ﷺ مَا هِيَ؟**
  - ج: مَا أَدْرِي، اللهُ أَعلَمُ.
- **س: قَولُهُ: «أَخَذُوا مَجَالِسَهُمْ مِنَ البَيتِ» وَسِعَهُمْ كُلَّهُمْ؟**
  - ج: إِي نَعَمْ، قَالَ: جَلَسُوا فِي البَيتِ، البَيتُ وَاسِعٌ.
- **س: الحَمدُ قَبلَ الشُّربِ؟**
  - ج: لَا بَأسَ، إِذَا حَمِدَ زِيَادَةُ خَيرٍ.

• **س: الشُّربُ قَائِمًا؟**

○ **ج:** لَا بَأسَ بِهِ، وَالقُعُودُ أفضَلُ.

• **س: مَا يُقَالُ: مَكرُوه. أَحسَنَ اللهُ إِلَيكَ؟**

○ **ج:** لَا بَأسَ بِهِ إِنْ شَاءَ اللهُ؛ لِأَنَّ الرَّسُولَ ﷺ شَرِبَ قَائِمًا عَلَيهِ الصلاة والسلام فِي زَمزَمَ وَفِي غَيرِهَا، يَقُولُ عَلِيٌّ رضي الله عنه: شَرِبَ النَّبِيُّ ﷺ قَائِمًا وَقَاعِدًا، دَلَّ عَلَى أَنَّ تَركَهَا أَولَى، تَركُ الشُّربِ قَائِمًا أَولَى، وَإِنْ قِيلَ بِالكَرَاهَةِ فَلَهُ وَجهٌ.

• **س: قَولُهُ: «اقْعُدْ فَاشْرَبْ» يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ كَانَ قَائِمًا؟**

○ **ج:** نَعَمْ، يَدُلُّ عَلَى الأَفضَلِيَّةِ.

• **س: كَيفَ الجَمعُ بَينَ هَذَا وَبَينَ النَّهْيِ عَنِ الشَّبَعِ؟**

○ **ج:** هَذَا يَدُلُّ عَلَى الجَوَازِ، لِلإِنسَانِ أَنْ يَأكُلَ حَتَّى يَشبَعَ، وَيَشرَبَ حَتَّى يُرْوَى.

• **س: الرَّسُولُ ﷺ ما كَانَ عِندَه أَموالٌ ممَّا أَفاءَ اللهُ عَليهِ؟**

○ **ج:** تارَةً وتارَةً، تارَةً يَجتمِعُ المالُ؛ مِثلَما حَصَل بَعدَمَا أَجلَى بَنِي النَّضيرِ حَصَل لَهُ مالٌ كَثيرٌ؛ فكَانَ يَعزِلُ نَفقةَ أَهلِه سَنَةً، والبَاقِي يَجعَلُه فِي الكُراعِ والسِّلاحِ عُدَّةً فِي سَبيلِ اللهِ ﷻ، ورُبَّما كَثُر عَليهِ الضُّيوفُ والوُفُودُ فأَعطَاهُم؛ فقلَّ ما عِندَهُ عليه الصلاة والسلام.

• **س: حَفِظَكَ اللهُ يا شَيخُ: «حَمِد اللهَ وسَمَّى»؛ هلِ الحَمدُ قَبْلَ التَّسمِيةِ أَحيانًا عَلَى الطَّعامِ، أو مِن بابِ البَرَكةِ الَّتِي حَلَّت؟**

○ **ج:** الحَمدُ مَطلوبٌ دائِمًا، والمَشرُوعُ أن يُسمِّيَ اللهَ، والحَمدُ للهِ نوعُ تَسمِيةٍ، لكِنَّ المَشرُوعَ التَّسمِيةُ عِندَ الأَكلِ، والحَمدُ عِندَ الفَراغِ، وإِذَا جَمَع بَينَهُما: سَمَّى وحَمِدَ اللهَ عِندَ الأَكلِ وحَمِد اللهَ بَعدَ الأَكلِ يَكُونُ خَيرًا إِلَى خَيرٍ.

[قالَ الحَافِظُ ابنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «فتْحِ البَارِي» (١١/ ٢٨٣)]: «قَوْلُهُ:

﴿حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْم بِنَحْوٍ مِنْ نِصْفِ هَذَا الْحَدِيثِ﴾ قَالَ الْكِرْمَانِيُّ: يَسْتَلْزِمُ أَنْ يَكُونَ الْحَدِيثُ بِغَيْرِ إِسْنَادٍ؛ يَعْنِي: غَيْرَ مَوْصُولٍ؛ لِأَنَّ النِّصْفَ الْمَذْكُورَ مُبْهَمٌ لَا يُدْرَى أَهُوَ الْأَوَّلُ أَوِ الثَّانِي. قُلْتُ: يَحْتَمِلُ أَيْضًا أَنْ يَكُونَ قَدْرُ النِّصْفِ الَّذِي حَدَّثَهُ بِهِ أَبُو نُعَيْم مُلَفَّقًا مِنَ الْحَدِيثِ الْمَذْكُورِ، وَالَّذِي يَتَبَادَرُ مِنَ الْإِطْلَاقِ أَنَّهُ النِّصْفُ الْأَوَّلُ، وَقَدْ جَزَمَ مُغْلَطَايْ وَبَعْضُ شُيُوخِنَا أَنَّ الْقَدْرَ الْمَسْمُوعَ لَهُ مِنْهُ هُوَ الَّذِي ذَكَرَهُ فِي بَابِ: «إِذَا دُعِيَ الرَّجُلُ فَجَاءَ هَلْ يَسْتَأْذِنُ» مِنْ كِتَابِ الِاسْتِئْذَانِ؛ حَيْثُ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْم، حَدثنَا عُمر بن ذرح، وَأَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مُقَاتِلٍ، أَنْبَأَنَا عَبْدُ اللهِ ـ هُوَ: ابن الْمُبَارَكِ ـ أَنْبَأَنَا عُمَرُ بْنُ ذَرٍّ، أَنْبَأَنَا مُجَاهِدٌ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: دَخَلْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَوَجَدَ لَبَنًا فِي قدح، فَقَالَ: ﴿أبا هر الْحَقْ أَهْلَ الصُّفَّةِ فَادْعُهُمْ إِلَيَّ﴾. قَالَ: فَأَتَيْتُهُمْ فَدَعَوْتُهُمْ؛ فَأَقْبَلُوا فَاسْتَأْذَنُوا فَأَذِنَ لَهُمْ فَدَخَلُوا. قَالَ مُغْلَطَايْ: فَهَذَا هُوَ الْقَدْرُ الَّذِي سَمِعَهُ الْبُخَارِيُّ مِنْ أَبِي نُعَيْم.

وَاعْتَرَضَهُ الْكِرْمَانِيُّ فَقَالَ: لَيْسَ هَذَا ثلث الحَدِيث ولَا ربعه، فَضْلًا عَنْ نِصْفِهِ. قُلْتُ: وَفِيهِ نَظَرٌ مِنْ وَجْهَيْنِ آخَرَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: احْتِمَالُ أَنْ يَكُونَ هَذَا السِّيَاقُ لِابْنِ الْمُبَارَكِ؛ فَإِنَّهُ لَا يَتَعَيَّنُ كَوْنُهُ لَفْظَ أَبِي نُعَيْم.

ثَانِيهِمَا: أَنَّهُ مُنْتَزَعٌ مِنْ أَثْنَاءِ الْحَدِيثِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ فِيهِ الْقِصَّةُ الْأُولَى الْمُتَعَلِّقَةُ بِأَبِي هُرَيْرَةَ وَلَا مَا فِي آخِرِهِ مِنْ حُصُولِ الْبَرَكَةِ فِي اللَّبَنِ... إِلَخْ، نَعَمْ الْمُحرر قَول شَيخنَا فِي «النكت عَلَى ابن الصَّلَاحِ»». [انتهى كلامه].

قَالَ ابنُ بَازٍ رَحِمَهُ اللهُ: يَعنِي: العَراقِيّ، عبدُ الرَّحيمِ العِراقِيُّ أَبو الحُسَينِ، هُوَ شَيخُه.

[قَالَ الحَافظُ رَحِمَهُ اللهُ]: «مَا نَصُّهُ: الْقَدْرُ الْمَذْكُورُ فِي الِاسْتِئْذَانِ بَعْضُ الْحَدِيثِ الْمَذْكُورِ فِي الرِّقَاقِ. قُلْتُ: فَهُوَ مِمَّا حَدَّثَهُ بِهِ أَبُو نُعَيْم، سَوَاءٌ كَانَ

بِلَفْظِهِ أَمْ بِمَعْنَاهُ، وَأَمَّا بَاقِيهِ الَّذِي لَمْ يَسْمَعْهُ مِنْهُ فَقَالَ الْكِرْمَانِيُّ: إِنَّهُ يَصِيرُ بِغَيْرِ إِسْنَادٍ؛ فَيَعُودُ الْمَحْذُورُ. كَذَا قَالَ، وَكَأَنَّ مُرَادَهُ أَنَّهُ لَا يَكُونُ مُتَّصِلًا لِعَدَمِ تَصْرِيحِهِ بِأَنَّ أَبَا نُعَيْمٍ حَدَّثَهُ بِهِ، لَكِنْ لَا يَلْزَمُ مِنْ ذَلِكَ مَحْذُورٌ؛ بَلْ يَحْتَمِلُ كَمَا قَالَ شَيْخُنَا أَنْ يَكُونَ الْبُخَارِيُّ حَدَّثَ بِهِ عَنْ أَبِي نُعَيْمٍ بِطَرِيقِ الْوِجَادَةِ أَوِ الْإِجَازَةِ، أَوْ حَمَلَهُ عَنْ شَيْخٍ آخَرَ غَيْرِ أَبِي نُعَيْمٍ. قُلْتُ: أَوْ سَمِعَ بَقِيَّةَ الْحَدِيثِ مِنْ شَيْخٍ سَمِعَهُ مِنْ أَبِي نُعَيْمٍ؛ وَلِهَذَيْنِ الِاحْتِمَالَيْنِ الْأَخِيرَيْنِ أَوْرَدْتُهُ فِي «تَعْلِيقِ التَّعْلِيقِ». [انتهى كلامه].

قَالَ ابنُ بَازٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: المَعنَى: يَعنِي: أَنَّهُ حدَّثَه بِهِ مُشافَهةً نَحوَ النِّصفِ، والبَاقِي قد يَكُونُ تَبعهُ من طَرِيقٍ أُخرَى، أو من طَرِيقِ الوِجادَةِ، أوِ الإذنِ؛ لَا من طَرِيقِ التَّحديثِ؛ فلهَذَا يُقَالُ لَهُ: حَسنٌ، كَلامُ العِراقِيِّ هَذَا طيِّبٌ؛ لأنَّ المُؤلِّفَ جَزَم، البُخارِيُّ جَزَم بِهِ ولم يَتردَّدْ فِيهِ رَحِمَهُ اللَّهُ. أعِدْ كَلامَه.

[قَالَ الحَافظُ رَحِمَهُ اللَّهُ]: «نَعَمْ الْمُحَرر قَول شَيخنَا فِي «النكت عَلَى ابن الصَّلَاحِ مَا نَصُّهُ: الْقَدْرُ الْمَذْكُورُ فِي الِاسْتِئْذَانِ بَعْضُ الْحَدِيثِ الْمَذْكُورِ فِي الرِّقَاقِ. قُلْتُ: فَهُوَ مِمَّا حَدَّثَهُ بِهِ أَبُو نُعَيْمٍ، سَوَاءٌ كَانَ بِلَفْظِهِ أَمْ بِمَعْنَاهُ، وَأَمَّا بَاقِيهِ الَّذِي لَمْ يَسْمَعْهُ مِنْهُ فَقَالَ الْكِرْمَانِيُّ: إِنَّهُ يَصِيرُ بِغَيْرِ إِسْنَادٍ؛ فَيَعُودُ الْمَحْذُورُ. كَذَا قَالَ، وَكَأَنَّ مُرَادَهُ أَنَّهُ لَا يَكُونُ مُتَّصِلًا لِعَدَمِ تَصْرِيحِهِ بِأَنَّ أَبَا نُعَيْمٍ حَدَّثَهُ بِهِ، لَكِنْ لَا يَلْزَمُ مِنْ ذَلِكَ مَحْذُورٌ؛ بَلْ يَحْتَمِلُ كَمَا قَالَ شَيْخُنَا أَنْ يَكُونَ الْبُخَارِيُّ حَدَّثَ بِهِ عَنْ أَبِي نُعَيْمٍ بِطَرِيقِ الْوِجَادَةِ أَوِ الْإِجَازَةِ، أَوْ حَمَلَهُ عَنْ شَيْخٍ آخَرَ غَيْرِ أَبِي نُعَيْمٍ. قُلْتُ: أَوْ سَمِعَ بَقِيَّةَ الْحَدِيثِ مِنْ شَيْخٍ سَمِعَهُ مِنْ أَبِي نُعَيْمٍ.

وَلِهَذَيْنِ الِاحْتِمَالَيْنِ الْأَخِيرَيْنِ أَوْرَدْتُهُ فِي «تَعْلِيقِ التَّعْلِيقِ»، فَأَخْرَجْتُهُ مِنْ طَرِيقِ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ عَنْ أَبِي نُعَيْمٍ تَامًّا، وَمِنْ طَرِيقِهِ أَخْرَجَهُ أَبُو نُعَيْمٍ فِي «الْمُسْتَخْرَجِ»، وَالْبَيْهَقِيُّ فِي «الدَّلَائِلِ»، وَأَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ فِي «السُّنَنِ الْكُبْرَى» عَنْ أَحْمَدَ بْنِ يَحْيَى الصُّوفِيِّ، عَنْ أَبِي نُعَيْمٍ بِتَمَامِهِ.

وَاجْتَمَعَ لِي مِمَّنْ سَمِعَهُ مِنْ عُمَرَ بْنِ ذَرٍّ شَيْخِ أَبِي نُعَيْمٍ أَيْضًا جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ: رَوْحُ بْنُ عُبَادَةَ، أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ عَنْهُ، وَعَلِيُّ بْنُ مُسْهِرٍ، وَمِنْ طَرِيقِه أخرجه الْإِسْمَاعِيلِيّ وابن حِبَّانَ فِي «صَحِيحِهِ». وَيُونُسُ بْنُ بُكَيْرٍ، وَمِنْ طَرِيقِهِ أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ وَالْإِسْمَاعِيلِيُّ وَالْحَاكِمُ فِي «الْمُسْتَدْرَكِ»، وَالْبَيْهَقِيُّ، وَسَأَذْكُرُ مَا فِي رِوَايَاتِهِمْ مِنْ فَائِدَةٍ زَائِدَةٍ.

ثُمَّ قَالَ الْكِرْمَانِيُّ مُجِيبًا عَنِ الْمَحْذُورِ الَّذِي ادَّعَاهُ مَا نَصُّهُ: اعْتَمَدَ الْبُخَارِيُّ عَلَى مَا ذَكَرَهُ فِي الْأَطْعِمَةِ عَنْ يُوسُفَ بْنِ عِيسَى، فَإِنَّهُ قَرِيبٌ مِنْ نِصْفِ هَذَا الْحَدِيثِ، فَلَعَلَّهُ أَرَادَ بِالنِّصْفِ هُنَا مَا لَمْ يَذْكُرْهُ ثَمَّةَ؛ فَيَصِيرُ الْكُلُّ مُسْنَدًا، بَعْضُهُ عَنْ يُوسُفَ، وَبَعْضُهُ عَنْ أَبِي نُعَيْمٍ. قُلْتُ: سَنَدُ طَرِيقِ يُوسُفَ مُغَايِرٌ لِطَرِيقِ أَبِي نُعَيْمٍ إِلَى أَبِي هُرَيْرَةَ؛ فَيَعُودُ الْمَحْذُورُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى خُصُوصِ طَرِيقِ أَبِي نُعَيْمٍ؛ فَإِنَّهُ قَالَ فِي أَوَّلِ كِتَابِ الْأَطْعِمَةِ: حَدَّثَنَا يُوسُفُ بْنُ عِيسَى، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ فُضَيْلٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي حَازِمٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: أَصَابَنِي جهد فَذكر، سُؤَاله عُمر عَنِ الْآيَةِ، وَذَكَرَ مُرُورَ رَسُولَ اللهِ ﷺ بِهِ، وَفِيهِ: فَانْطَلَقَ بِي إِلَى رَحْلِهِ فَأَمَرَ لِي بِعُسٍّ مِنْ لَبَنٍ؛ فَشَرِبْتُ مِنْهُ ثُمَّ قَالَ: عُدْ، فَذَكَرَهُ وَلَمْ يَذْكُرْ قِصَّةَ أَصْحَابِ الصُّفَّةِ وَلَا مَا يَتَعَلَّقُ بِالْبَرَكَةِ الَّتِي وَقَعَتْ فِي اللَّبَنِ، وَزَادَ فِي آخِرِهِ مَا دَارَ بَيْنَ أَبِي هُرَيْرَةَ وَعُمَرَ، وَنَدَمَ عُمَرَ عَلَى كَوْنِهِ مَا اسْتَتْبَعَهُ؛ فَظَهَرَ بِذَلِكَ الْمُغَايَرَةُ بَيْنَ الْحَدِيثَيْنِ فِي السَّنَدَيْنِ، وَأَمَّا الْمَتْنُ فَفِي أَحَدِ الطَّرِيقَيْنِ مَا لَيْسَ فِي الْآخَرِ، لَكِنْ لَيْسَ فِي طَرِيقِ أَبِي حَازِمٍ مِنَ الزِّيَادَةِ كَبِيرُ أَمْرٍ، وَاللهُ أَعْلَمُ». [انتهى كلامه].

(الشَّيخُ): راجِعْ تأمَّلَ الشَّارِحُ ذَكَر السَّبعِينَ عدَدَ أَهلِ الصُّفَّةِ؟ أو عِندَكَ العَينيُّ؟ ذَكَر فِيهِ رِوايَةَ عدَدِ السَّبعِينَ، لَعلَّ الطُّرُقَ الَّتِي ذَكَرها يَكُونُ فِيهَا بَعضُ الزِّيادَاتِ وذَكَرَها؟

[قَالَ الإِمَامُ العَينيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «عُمدَةِ القَارِي» (٢٣/ ٦٠)]: «وَقد تَقدَّم فِي

أَبْوَابِ الْمَسَاجِدِ فِي كِتَابِ الصَّلَاةِ من طَرِيقِ أَبِي حَازِمٍ عَن أبي هُرَيْرَة: رَأَيْتُ سَبعِينَ من أَصْحَابِ الصُّفَّةِ... الحَدِيثَ، وَذَكَر فِي «الْحِلْيَةِ»: أَن عِدَّتَهُمْ تَقرُبُ مِنَ الْمِائَةِ، وَقَالَ أَبُو نُعَيم: كَانَ عَددُ أَهلِ الصُّفَّةِ يخْتَلِفُ بِحَسبِ اخْتِلَافِ الْحَالِ؛ فَرُبَّمَا اجْتَمعُوا فكَثُرُوا، وَرُبَّمَا تفَرَّقُوا إِمَّا لغَزوٍ أَو سَفرٍ أَو اسْتغْنَاءٍ؛ فَقَلُّوا، وَقِيلَ هُنَا: كَانُوا أَكثرَ مِن سَبعِينَ». [انتهى كلامه].

[قَالَ الحَافِظُ ابنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «فتْحِ البَارِي» (١١/ ٢٨٧)]: «قَوْلُهُ: «فَأَقْبَلُوا فَاسْتَأْذَنُوا فَأَذِنَ لَهُمْ، فَأَخَذُوا مَجَالِسَهُمْ مِنَ الْبَيْتِ»؛ أَيْ: فَقَعَدَ كُلٌّ مِنْهُمْ فِي الْمَجْلِسِ الَّذِي يَلِيقُ بِهِ، وَلَمْ أَقِفْ عَلَى عَدَدِهِمْ إِذْ ذَاكَ، وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي أَبْوَابِ الْمَسَاجِدِ فِي أَوَائِلِ كِتَابِ الصَّلَاةِ مِنْ طَرِيقِ أَبِي حَازِمٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: «رَأَيْتُ سَبْعِينَ مِنْ أَصْحَابِ الصُّفَّةِ...» الْحَدِيثَ. وَفِيهِ إِشْعَارٌ بِأَنَّهُمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ، وَذَكَرْتُ هُنَاكَ أَنَّ أَبَا عَبْدِ الرَّحْمٰنِ السُّلَمِيَّ وَأَبَا سَعِيدِ بْنَ الْأَعْرَابِيِّ وَالْحَاكِمَ اعْتَنَوْا بِجَمْعِ أَسْمَائِهِمْ، فَذَكَرَ كُلٌّ مِنْهُمْ مَنْ لَمْ يَذْكُرِ الْآخَرُ، وَجَمَعَ الْجَمِيعَ أَبُو نُعَيْمٍ فِي «الْحِلْيَةِ»، وَعِدَّتُهُمْ تَقْرُبُ مِنَ الْمِائَةِ، لَكِنَّ الْكَثِيرَ مِنْ ذَلِكَ لَا يَثْبُتُ وَقَدْ بَيَّنَ كَثِيرًا مِنْ ذَلِكَ أَبُو نُعَيْمٍ، وَقَدْ قَالَ أَبُو نُعَيْمٍ: «كَانَ عَدَدُ أَهْلِ الصُّفَّةِ يَخْتَلِفُ بِحَسَبِ اخْتِلَافِ الْحَالِ، فَرُبَّمَا اجْتَمَعُوا فَكَثُرُوا، وَرُبَّمَا تَفَرَّقُوا إِمَّا لِغَزْوٍ أَوْ سَفَرٍ أَوِ اسْتِفْتَاءٍ فَقَلُّوا». [انتهى كلامه].

قَالَ ابنُ بَازٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «استِغناءٍ فقَلُّوا»، استِفتاءٌ غَلَط، استِغناءٌ، وهَذَا واقِعٌ؛ لأنَّ أهلَ الصُّفَّةِ همُ الفُقَراءُ الَّذِينَ يَجتَمِعونَ عِندَ النَّبيِّ ﷺ فِي المسجِدِ؛ فقَد يَموتُ بَعضُهُم، وقد يَستَغنِي يَتزوَّجُ، يَنتقِلُ، يَروحُ فِي الغَزوِ، فِي السَّرَايَا؛ فيَكثُرونَ ويَقِلُّون، هَذَا أمرٌ مَعقولٌ.

[قَالَ الحَافظُ رَحِمَهُ اللَّهُ]: «وَوَقَعَ فِي عَوَارِفِ السُّهْرَوَرْدِيِّ أَنَّهُمْ كَانُوا أَرْبَعَمِائَةٍ». [انتهى كلامه].

قَالَ ابنُ بَازٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: اللهُ أَعلَمُ، عَلَى كُلِّ حَالٍ: الجَوَابُ السَّديدُ أَنَّهُم يَقِلُّونَ ويَكثُرُونَ؛ فصَادَفَ فِي ذاكَ الوَقتِ أَنَّهُم سَبعُونَ.

* * *

٦٤٥٣ - حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، حَدَّثَنَا يَحْيَى، عَنْ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا قَيْسٌ قال: سَمِعْتُ سَعْدًا يَقُولُ: «إِنِّي لأَوَّلُ الْعَرَبِ رَمَى بِسَهْمٍ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَرَأَيْتُنَا نَغْزُو وَمَا لَنَا طَعَامٌ إِلَّا وَرَقُ الْحُبْلَةِ، وَهَذَا السَّمُرُ، وَإِنَّ أَحَدَنَا لَيَضَعُ كَمَا تَضَعُ الشَّاةُ مَا لَهُ خِلْطٌ، ثُمَّ أَصْبَحَتْ بَنُو أَسَدٍ تُعَزِّرُنِي عَلَى الإِسْلَامِ، خِبْتُ إِذًا وَضَلَّ سَعْيِي». [وأخرجه مسلم، برقم ٢٩٦٦]

الشَّرح

(ع): وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى صَبْرِهِم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وَأَنَّهُمُ ابْتُلُوا بِالحَاجَةِ فَصَبَرُوا فِي الحَضَرِ وَفِي السَّفَرِ وَفِي الْمَغَازِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، اللهُ المُستَعَانُ.

(**الشَّيخُ**): كَذَا عِندَك «الحُبُلَة» أو «الحَبَلَة»؟ شَكَلَها؟ مَاذَا قَالَ المُحَشِّي؟

[قَالَ الحَافِظُ ابنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «فتْحِ البَارِي» (١١/ ٢٨٩)]: «قَوْلُهُ: **{وَرَقُ الْحُبْلَةِ}** بِضَمِّ الْمُهْمَلَةِ وَالْمُوَحَّدَةِ وَبِسُكُونِ الْمُوَحَّدَةِ أَيْضًا، وَوَقَعَ فِي مَنَاقِبِ سَعْدٍ بِالتَّرَدُّدِ بَيْنَ الرَّفْعِ وَالنَّصْبِ». [انتهى كلامه].

[قَالَ الإِمَامُ العَينيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «عُمدةِ القَارِي» (٢٣/ ٦٠)]: «قَوْله: «الحُبلة» بِضَم الْحَاء الْمُهْملَة وَسُكُون الْبَاء الْمُوَحدَة، وَقيلَ بِفَتْحِهَا أَيْضًا، وَهِي: ثَمَرُ السَّلَم، أَو ثَمَرُ عَامَّةِ العِضَاةِ، وَهِي بِكَسْرِ الْعَينِ الْمُهْملَةِ وَتَخْفِيفِ الضَّادِ الْمُعْجَمَةِ شَجَرٌ لَهُ شَوكٌ». [انتهى كلامه].

قَالَ ابنُ بَازٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقِيلَ بفَتحِها» هَذَا زِيادةٌ عَلَى الحافِظِ «الحَبَلَة»؛ يَعنِي: الحُبَلَة. راجِعْ فِي القَاموسِ: «الحَبَلَة».

[قَالَ فِي «القَامُوسِ المُحيطِ» (١/ ٩٨١)]: «والحُبْلَةُ بالضَّمِّ: الكَرْمُ، أَو

أصلٌ من أُصولِهِ، ويُحَرَّكُ، وثَمَرُ السَّلَمِ والسَّيالِ والسَّمُرِ، أو ثَمَرُ العِضاهِ عامَّةً». [انتهى كلامه].

(الشَّيخُ): «الحُبَلَة» مِثلَما قَالُوا، الحُبلَةُ، هَذَا مُقَدَّمٌ.

(الطَّالِبُ): الحَافِظُ يَقُولُ: بِضَمِّ الْمُهْمِلَةِ وَالْمُوَحَّدَةِ وَبِسُكُونِ الْمُوَحَّدَةِ أَيْضًا، وَوَقَعَ فِي مَنَاقِبِ سَعدٍ بِالتَّرَدُّدِ بَينَ الرَّفعِ وَالنَّصبِ، رَفع الحَاءِ يَعْنِي؟

○ ج: حُبُلة وَحُبَلةٌ، الأَمرُ سَهلٌ.

• س: أَحسَنَ اللهُ إِليكَ، قَولُ سَعدٍ: «ثُمَّ أَصْبَحَتْ بَنُو أَسَدٍ تُعَزِّرُنِي عَلَى الإِسْلَامِ، خَسِرْتُ إِذًا وَضَلَّ سَعْيِي»؟

○ ج: يَعنِي: يُعيِّرُونَه يَقُولُون: ما يُحسِنُ صَلاتَه.

* * *

٦٤٥٤ - حَدَّثَنِي عُثْمَانُ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنِ الأَسْوَدِ، عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: «مَا شَبِعَ آلُ مُحَمَّدٍ ﷺ مُنْذُ قَدِمَ الْمَدِينَةَ مِنْ طَعَامِ بُرٍّ ثَلَاثَ لَيَالٍ تِبَاعًا، حَتَّى قُبِضَ». [سبق برقم ٥٤١٦، وأخرجه مسلم، برقم ٢٩٧٠]

الشَّرح

اللهُ أكبَرُ، وهَذَا من بَابِ الإِيثارِ؛ فقَد يَكُونُ عِندَه المَالُ الكَثيرُ ولكِنَّهُ يُؤْثِرُ عليه الصلاة والسلام ويتَصدَّقُ ويُحسِنُ، وقد يَدَعُ ذَلِكَ من بَابِ التَّقشُّفِ، وقَمعِ النَّفسِ وجِهادِها؛ حتَّى تَعتادَ الخُشونَةَ، وتَعتادَ اللِّينَ، تارَةً مَعَ البُرِّ، وتارَةً مَعَ الشَّعيرِ، وتارَةً مَعَ التَّمرِ، وتارَةً لَا يَجِدون إِلَّا التَّمرَ، وتارةً لَا يَجِدونَ شَيئًا.

(ع): ثَلَاثُ لَيَالٍ تِبَاعًا مِنَ خُبزِ البُرِّ. وَفِي رِوَايَةٍ: مِنْ خُبزِ الشَّعِيرِ. وَعَلَى كُلِّ حَالٍ صَبَرُوا ﷺ.

وَهَذَا فِيهِ لِلمُؤمِنِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ يَنبَغِي التَّأَسِّي وَالصَّبرُ عِندَ الشَّدَائِدِ كَمَا صَبَرَ الرَّسُولُ ﷺ وَأَصحَابُهُ ﷺ.

* * *

٦٤٥٥ - حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ، حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ، هُوَ الأَزْرَقُ، عَنْ مِسْعَرِ بْنِ كِدَامٍ عَنْ هِلَالٍ الوزَّان، عَنْ عُرْوَةَ، عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: «مَا أَكَلَ آلُ مُحَمَّدٍ ﷺ أَكْلَتَيْنِ فِي يَوْمٍ، إِلَّا إِحْدَاهُمَا تَمْر». [وأخرجه مسلم، برقم ٢٩٧١]

الشَّرح

(ع): وَالمَعْنَى فِي هَذَا الصَّبرُ، وَأَنَّهُ تَأتِيهِ الأَموَالُ الكَثِيرَةُ وَيُنفِقُ فِي سَبِيلِ اللهِ وَفِي تَأْلِيفِ القُلُوبِ، فَرُبَّمَا أَكَلُوا أَكلَتَينِ إِحدَاهُمَا تَمرٌ وَالأُخرَى حِنطَةٌ أَوْ شَعِيرٌ أَوْ غَيرُهُمَا.

[قَالَ الحَافِظُ ابنُ حَجَرٍ رحمه الله فِي «فتْحِ البَارِي» (١١/ ٢٩٢)]: «قَوْلُهُ: ﴿إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ﴾ هُوَ: الْبَغَوِيُّ، وَهِلَالٌ الْمَذْكُورُ فِي السَّنَدِ: هُوَ الْوزان وَهُوَ ابن حُمَيْدٍ». [انتهى كلامه].

[قَالَ الإِمَامُ العَينيُّ رحمه الله فِي «عُمدةِ القَارِي» (٣٣/ ٢٣٢)]: «و﴿إسحاقُ بنُ إبراهِيمَ بنِ عَبدِ الرَّحمٰنِ﴾ أَبُو يَعقوبَ البَغَوِيُّ يُقالُ لَهُ: لُؤلُؤٌ، سَكَن بَغدادَ». [انتهى كلامه].

قَالَ ابنُ بَازٍ رحمه الله: زَادَ «أَبُو يَعقُوبَ» اللَّقبَ. راجِع «التَّقريبَ».

[قَالَ الحَافِظُ ابنُ حَجَرٍ رحمه الله فِي «تَقْرِيبِ التَّهْذِيبِ» (٣٢٨)]: «إِسحاقُ بنُ إبراهِيمَ بنِ عَبدِ الرَّحمٰنِ بنِ مَنيعٍ البَغوِيُّ، أَبُو يَعقُوبَ لَقَبُه: لَؤلُؤٌ، وقِيلَ: يُؤيؤُ - بتَحتانِيَّتينِ -، ثِقةٌ، مِنَ العَاشِرةِ، مَاتَ سَنةَ تِسعٍ وخَمسِينَ، خ».

قَالَ ابنُ بَازٍ رحمه الله: كَأَنَّهُ مُقِلٌّ، ما أَتذكَّرُه هُنا فِي الإِسنادِ نادِرٌ قَليلٌ؛ ولهَذَا زَادَ؛ أَتَى بجَدِّه حتَّى لَا يَشتبِهَ بإِسحاقَ بنِ رَاهَويهِ رحمه الله.

* * *

٦٤٥٦ حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ أَبِي رَجَاءٍ، حَدَّثَنَا النَّضْرُ عَنْ هِشَامٍ قال: أَخْبَرَنِي أَبِي عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: «كَانَ فِرَاشُ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ أَدَمٍ، وَحَشْوُهُ لِيفٌ». [وأخرجه مسلم، برقم ٢٠٨٢]

الشَّرح

(الشَّيخُ): كذا ﴿أحمَدُ بنُ رَجاءٍ﴾[1] أو «ابنُ أَبِي رَجاءٍ»؟ الَّذِي أعرِفُه ابنُ أَبِي رَجاءٍ، ما عِندك أَبِي؟

[قَالَ الحَافظُ ابنُ حَجرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «تَقرِيبِ التَّهْذِيبِ»]: «أَحمَدُ بنُ أَبِي رَجاءٍ الهَروِيُّ، هُوَ ابنُ عبدِ اللهِ بنِ أيُّوبَ، خ».

(الشَّيخُ): والثَّانِي.

[قَالَ الحَافِظُ ابنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «تَقْرِيبِ التَّهْذِيبِ»]: «أَحمدُ بنُ أَبِي رَجاءٍ المُقرِئُ، هُوَ ابنُ نَصرٍ، س».

قَالَ ابنُ بَازٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: كُلُّهم ابنُ أَبِي رَجاءٍ، راجِعْ فِيهِ «أحمَدَ بنَ عَبدِ اللهِ». الَّذِي نَعرِفُ «ابنُ أَبِي رَجاءٍ» سَقَط من عِندَكُم «أَبِي».

[قَالَ الحَافظُ ابنُ حَجرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «تَقرِيبِ التَّهْذِيبِ» (٥٥)]: «أحمَدُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ أيُّوبَ أَبُو الوَليدِ، ابنُ أَبِي رَجاءٍ الهَروِيُّ، ثِقةٌ مِنَ العَاشِرةِ، مَاتَ سَنةَ اثنَتَينِ وثَلاثِينَ، خ».

قَالَ ابنُ بَازٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: سَاقِطةٌ «أَبِي» صَوابُه: ابنُ أَبِي رَجاءٍ، علِّقْ عَليهِ: سَقَطَت من بَعضِ النُّسَّاخِ.

• **س: «مَا أَكَلَ آلُ مُحَمَّدٍ ﷺ أَكْلَتَيْنِ فِي يَوْمٍ إِلَّا إِحْدَاهُمَا تَمْرٌ»؛ يَعنِي: ما اجتَمَعا مِنَ القِلَّةِ؟**

○ **ج**: فِي الغالِبِ أنَّهُ مِنَ القِلَّةِ، هَذَا الغالِبُ، اللَّهُمَّ صلِّ عَليهِ وسَلِّم.

* * *

(١) كذا قرأه القارئ من نسخته فاستشكله سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ.

٦٤٥٧ حَدَّثَنَا هُدْبَةُ بْنُ خَالِدٍ، حَدَّثَنَا هَمَّامُ بْنُ يَحْيَى، حَدَّثَنَا قَتَادَةُ قال: كُنَّا نَأْتِي أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ وَخَبَّازُهُ قَائِمٌ، وَقَالَ: «كُلُوا، فَمَا أَعْلَمُ النَّبِيَّ ﷺ رَأَى رَغِيفًا مُرَقَّقًا حَتَّى لَحِقَ بِاللهِ، وَلَا رَأَى شَاةً سَمِيطًا بِعَيْنِهِ قَطُّ». [سبق برقم ٥٣٨٥]

٦٤٥٨ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، حَدَّثَنَا يَحْيَى، حَدَّثَنَا هِشَامٌ، أَخْبَرَنِي أَبِي، عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: «كَانَ يَأْتِي عَلَيْنَا الشَّهْرُ مَا نُوقِدُ فِيهِ نَارًا، إِنَّمَا هُوَ التَّمْرُ وَالْمَاءُ، إِلَّا أَنْ نُؤْتَى بِاللُّحَيْمِ».

[سبق برقم ٢٥٦٧، وأخرجه مسلم، برقم ٢٩٧٢]

٦٤٥٩ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ عَبْدِ اللهِ الأُوَيْسِيُّ، حَدَّثَنِي ابْنُ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ رُومَانَ، عَنْ عُرْوَةَ، عَنْ عَائِشَةَ أَنَّهَا قَالَتْ لِعُرْوَةَ: «ابْنَ أُخْتِي، إِنْ كُنَّا لَنَنْظُرُ إِلَى الْهِلَالِ ثَلَاثَةَ أَهِلَّةٍ فِي شَهْرَيْنِ، وَمَا أُوقِدَتْ فِي أَبْيَاتِ رَسُولِ اللهِ ﷺ نَارٌ» فَقُلْتُ: مَا كَانَ يُعِيشُكُمْ؟ قَالَتِ: «الأَسْوَدَانِ: التَّمْرُ، وَالْمَاءُ، إِلَّا أَنَّهُ قَدْ كَانَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ جِيرَانٌ مِنَ الأَنْصَارِ، كَانَ لَهُمْ مَنَائِحُ، وَكَانُوا يَمْنَحُونَ رَسُولَ اللهِ ﷺ مِنْ أَبْيَاتِهِمْ، فَيَسْقِينَاهُ». [سبق برقم ٢٥٦٧، وأخرجه مسلم، برقم ٢٩٧٢]

الشَّرح

(الشَّيخُ): ضَبَط يَعِيشُكُم أو يُعِيشُكُم؟ أو لُغتانِ؟ يَتعدَّى بالألفِ ويَتعدَّى بنَفسِه، عَاشَه يَعِيشُه، وأعاشَه يُعِيشُه. ضَبَطه؟

[قالَ الحَافِظُ ابنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللهُ فِي «فتْحِ البَارِي» (١١/ ٢٩٣)]: «قَوْلُهُ: ﴿فَقُلْتُ: مَا كَانَ يُعِيشُكُمْ﴾ بِضَمِّ أَوَّلِهِ، يُقَالُ: أَعَاشَهُ اللهُ؛ أَيْ: أَعْطَاهُ الْعَيْشَ، وَفِي رِوَايَةِ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ عَائِشَةَ نَحْوَهُ، وَفِيهِ قُلْتُ: فَمَا كَانَ طَعَامُكُمْ؟ قَالَتِ:

﴿الْأَسْوَدَانِ التَّمْرُ وَالْمَاءُ﴾. وَفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالُوا: بِأَيِّ شَيْءٍ كَانُوا يَعِيشُونَ؟ نَحْوَهُ.

وَفِي هَذَا إِشَارَةٌ إِلَى ثَانِي الْحَالِ بَعْدَ أَنْ فُتِحَتْ قُرَيْظَةُ وَغَيْرُهَا، وَمِنْ هَذَا مَا أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ مِنْ حَدِيثِ الزُّبَيْرِ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ۝٨﴾ [التكاثر: ٨] قُلْتُ: وَأَيُّ نَعِيمٍ نُسْأَلُ عَنْهُ وَإِنَّمَا هُوَ الْأَسْوَدَانِ التَّمْرُ وَالْمَاءُ؟! قَالَ: «إِنَّهُ سَيَكُونُ».

قَالَ الصَّغَانِيُّ: الْأَسْوَدَانِ يُطْلَقُ عَلَى التَّمْرِ وَالْمَاءِ، وَالسَّوَادُ لِلتَّمْرِ دُونَ الْمَاءِ؛ فَنُعِتَا بِنَعْتٍ وَاحِدٍ تَغْلِيبًا، وَإِذَا اقْتَرَنَ الشَّيْئَانِ سُمِّيَا بِاسْمِ أَشْهَرِهِمَا». [انتهى كلامه].

قَالَ ابنُ بَازٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: مِثلُ «القَمَرانِ» الشَّمسُ والقَمرُ؛ تَغليبًا، والعُمَرانِ، وأشباه ذَلِكَ. العَينِيُّ مَاذَا قَالَ؟

[قَالَ الإِمَامُ العَينِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «عُمدَةِ القَارِي» (٢٣/ ٦٢)]: «قَوْله: «يُعَيِّشُكُم» بِضَمِّ الْيَاءِ وَفتح الْعَين وَتَشْديد الْيَاءِ آخر الْحُرُوف الْمَكْسُورَة وبالشِّينِ الْمُعْجَمَة؛ أَي: المَضمُومةِ، ويُروَى: يُعِيشُكُم: بِضَمِّ الْيَاءِ وكَسرِ العَينِ وَسُكُونِ الْيَاءِ من أَعاشَه اللهُ؛ أَي: أعطَاهُ الْعَيْشَ». [انتهى كلامه].

(الشَّيخُ): انظُرْ: عَاشَ يَعيشُ فِي «القَامُوسِ» بَاب الشِّينِ فَصل العَينِ.

[قال فِي «القاموس المحيط» (١/ ٧٧٣)]: «العَيْشُ: الحَيَاةُ عاشَ يَعيشُ عَيْشًا ومَعاشًا ومَعيشًا ومَعيشَةً وعِيشَةً بالكسر وعَيْشوشَةً وأعاشَهُ وعَيَّشَهُ والطَّعامُ وما يُعاشُ بِهِ والخُبْزُ والمَعيشةُ الَّتِي تَعيشُ بِهَا مِنَ المَطْعَمِ والمَشْرَبِ وما تكونُ بِهِ الحياةُ وما يُعاشُ بِهِ أو فِيهِ ج: مَعايشُ». [انتهى كلامه].

قَالَ ابنُ بَازٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: ما ذَكَره مُتعدِّيًا بنَفسِه، مُتعدِّيًا بالهَمزةِ وبالتَّشدِيدِ.

- **س: أَحسَنَ اللهُ إِليكَ، بالنِّسبَةِ لفِعلِ النَّبيِّ ﷺ فِي فِراشِهِ ومَأكَلِه؛ هل يُقَالُ مِنَ السُّنَّةِ أن يَفعَلَها الإِنسَانُ أَحْيانًا؟**

○ ج: هَذَا مِنَ التَّواضُعِ لَا شكَّ، مِنَ التَّواضُعِ وكَسرِ النَّفسِ؛ فإذَا فَعَل الإنسَانُ بَعضَ الأَشيَاءِ الَّتِي خِلافُ الرَّفاهِيةِ بَعضَ الأَحيَانِ لكَسرِ النَّفسِ؛ تَعويدِهَا النَّشاطَ وتَعويدِهَا الخُشونَةَ...[1].

لكِنَّ الصَّحابَةَ ﷺ بَعدَما وسَّع الله عَليهِم وسَّعُوا، مِثلَما قَالَ عُمَرُ ﷺ: «إذَا وسَّعَ اللهُ فوَسِّعُوا»، النَّبيُّ ﷺ إذَا صادَفَ شَيئًا يسَّر اللهُ لَهُ؛ ففِي زَواجِه من زَينَبَ ﷺ وَضَع لحمًا كَثيرًا وطَعامًا كَثيرًا، ودَعَا دَعوةً عامَّةً عليه الصلاة والسلام.

* * *

٦٤٦٠ - حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ فُضَيْلٍ، عَنْ أَبِيهِ عَنْ عُمَارَةَ، عَنْ أَبِي زُرْعَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اللَّهُمَّ ارْزُقْ آلَ مُحَمَّدٍ قُوتًا». [وأخرجه مسلم، برقم ١٠٥٥]

الشَّرح

(ع): يَعْنِي: كِفَايَةً لَا زِيَادَةً؛ لِأَنَّهَا أَقرَبُ إِلَى الخُشُوعِ وَالخُضُوعِ وَالإِنَابَةِ إِلَى اللهِ ﷻ، كُلَّمَا كَثُرَتِ الشَّهَوَاتُ وَالنِّعَمُ فَالخَطرُ عَظِيمٌ، اللهُ المُستَعَانُ.

• س: القُوتُ؛ يَعْنِي: الكَفَافَ أَحسَنَ اللهُ إِلَيكَ؟

○ ج: يَعْنِي: الكِفَايَةَ؛ يَعْنِي: لَا زِيَادَةَ.

• س: أَحسَنَ اللهُ إِلَيكَ: هَلْ يُشرَعُ التَّأَسِّي بِالنَّبِيِّ ﷺ فِي الفِرَاشِ وَنَحوِهِ؟

○ ج: إِذَا وَسَّعَ اللهُ فَوَسِّعُوا، وَالحَمدُ للهِ.

• س: أَحسَنَ اللهُ إِلَيكَ، بَعضٌ مِنَ النَّاسِ يَقُولُ: نُرِيدُ أَنْ نَتَأَسَّى بِالنَّبِيِّ ﷺ؛

(١) انقطاع في الشريط وبدأ الكلام من هَذَا الموضع.

فَيجلِسُ أُسبُوعًا كَامِلًا عَلَى الْمَاءِ وَالتَّمرِ؟

○ ج: إِذَا وَسَّعَ اللهُ فَوَسِّعُوا، إِذَا رَزَقَ اللهُ فَكُلْ وَيَسِّرْ، الحَمدُ للهِ هَذَا عِندَ الحَاجَةِ، وَإِذَا أَتَى اللهُ بِالرِّزقِ أَكَلَ، إِذَا دَعَاهُ أَصحَابُهُ أَكَلَ مِمَّا قَدَّمُوا لَهُ مِنَ الخُبزِ وَاللَّحمِ، إِذَا يَسَّرَ اللهُ فَيَسِّرُوا، وَالحَمدُ للهِ، اللهُ المُستَعَانُ.

[قالَ الحَافِظُ ابنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «فتْحِ البَارِي» (١١/ ٢٩٣)]: «الْحَدِيثُ الثَّامِنُ قَوْلُهُ: «عَنْ أَبِيهِ» هُوَ: فُضَيْل بن غَزوَان، «وَعمارَة» هُوَ: ابن الْقَعْقَاع، وَأَبُو زرْعَة هُوَ: ابن عَمْرِو بْنِ جَرِيرٍ. قَوْلُهُ: **{اللَّهُمَّ ارْزُقْ آلَ مُحَمَّدٍ قُوتًا}** هَكَذَا وَقَعَ هُنَا، وَفِي رِوَايَةِ الْأَعْمَشِ عَنْ عُمَارَةَ عِنْدَ مُسْلِمٍ وَالتِّرْمِذِيِّ وَالنَّسَائِيِّ وابن مَاجَهْ: **«اللَّهُمَّ اجْعَلْ رِزْقَ آلِ مُحَمَّدٍ قُوتًا»** وَهُوَ الْمُعْتَمَدُ، فَإِنَّ اللَّفْظَ الْأَوَّلَ صَالِحٌ؛ لِأَنْ يَكُونَ دُعَاءً بِطَلَبِ الْقُوتِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، وَأَنْ يَكُونَ طَلَبَ لَهُمُ الْقُوتَ، بِخِلَافِ اللَّفْظِ الثَّانِي فَإِنَّهُ يُعَيِّنُ الِاحْتِمَالَ الثَّانِيَ وَهُوَ الدَّالُّ عَلَى الْكَفَافِ، وَقَدْ تَقَدَّمَ تَقْرِيرُ ذَلِكَ فِي الْبَاب الَّذِي قبله، وعَلى ذَلِك شَرحه ابن بَطَّالٍ فَقَالَ: فِيهِ دَلِيلٌ عَلَى فَضْلِ الْكَفَافِ وَأَخْذِ الْبُلْغَةِ مِنَ الدُّنْيَا، وَالزُّهْدِ فِيمَا فَوْقَ ذَلِكَ؛ رَغْبَةً فِي تَوَفُّرِ نَعِيمِ الْآخِرَةِ، وَإِيثَارًا لِمَا يَبْقَى عَلَى مَا يَفْنَى؛ فَيَنْبَغِي أَنْ تَقْتَدِيَ بِهِ أُمَّتُهُ فِي ذَلِكَ. وَقَالَ الْقُرْطُبِيُّ: مَعْنَى الْحَدِيثِ: أَنَّهُ طَلَبَ الْكَفَافَ، فَإِنَّ الْقُوتَ مَا يَقُوتُ الْبَدَنَ وَيَكُفُّ عَنِ الْحَاجَةِ. وَفِي هَذِهِ الْحَالَةِ سَلَامَةٌ مِنْ آفَاتِ الْغِنَى وَالْفَقْرِ جَمِيعًا، وَالله أعْلَم». [انتهى كلامه].

قَالَ ابنُ بَازٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: مِن هَذَا ما رَواهُ مُسلِمٌ فِي «الصَّحِيحِ»؛ حَيثُ قَالَ عليه الصلاة والسلام: **«قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ، وَرُزِقَ كَفَافًا، وَقَنَّعَهُ اللهُ بِمَا آتَاهُ»**[(١)]. الكَفافُ: يَعنِي: القُوتَ، **«قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ، وَرُزِقَ كَفَافًا، وَقَنَّعَهُ اللهُ بِمَا آتَاهُ»**، وفِي اللَّفظِ الآخَرِ: **«طُوبَى لِمَن أَسلَم ورُزِق كَفافًا وقَنِعَ»**[(٢)].

---

(١) أخرجه مسلم (١٠٥٤) عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) أخرجه الترمذي (٢٣٤٩)، والنسائي في «الكبرى» (١١٧٩٣)، والحاكم (١/ ٣٤) =

١٨ ـ بَاب القَصْدِ وَالمُدَاوَمَةِ عَلَى العَمَلِ

٦٤٦١ حَدَّثَنَا عَبْدَانُ، أَخْبَرَنَا أَبِي، عَنْ شُعْبَةَ عَنْ أَشْعَثَ قال: سَمِعْتُ أَبِي قال: سَمِعْتُ مَسْرُوقًا، قال: سَأَلْتُ عَائِشَةَ رضي الله عنها: أَيُّ الْعَمَلِ كَانَ أَحَبَّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ؟ قَالَتِ: «الدَّائِمُ»، قال: قُلْتُ: في أَيِّ حِينٍ كَانَ يَقُومُ؟ قَالَتْ: «كَانَ يَقُومُ إِذَا سَمِعَ الصَّارِخَ». [سبق برقم ١١٣٢، وأخرجه مسلم، برقم ٧٤١، ٧٨٣]

الشَّرح

(ع): أَحَبُّ الأَعمَالِ إِلَى اللهِ مَا دَامَ عَلَيهِ صَاحِبُهُ وَإِنْ قَلَّ، وَالصَّارِخُ: الدِّيكُ؛ يَعْنِي: آخِرَ اللَّيلِ، فَأَفضَلُ شَيءٍ الدَّوَامُ وَلَو قَلِيلًا؛ فَالَّذِي يُصَلِّي مِنَ اللَّيلِ خَمسَ رَكعَاتٍ أَوْ سَبعَ رَكعَاتٍ يُدَاوِمُ عَلَيهَا أَفضَلُ مِن الَّذِي يُصَلِّي إِحدَى عَشرَةَ أَوْ ثَلَاثَ عَشرَةَ فِي بَعضِ اللَّيَالِي، وَبَعضَ اللَّيَالِي يَنَامُ وَلَا يُصَلِّيهَا؛ فَالدَّائِمُ وَلَو قَلِيلًا أَفضَلُ.

• س: وَالمَقصُودُ ـ أَحْسَنَ اللهُ إِلَيكَ ـ أَصلُ تِلكَ العِبَادَةِ، أَوِ الزِّيَادَةُ؟

○ ج: المَقصُودُ الدَّوَامُ عَلَى العِبَادَةِ، إِمَّا أَنْ يَدُومَ عَلَيهَا وَإِمَّا يَزِيدَ، مَا هُوَ تَارَةً يُصَلِّي وَتَارَةً مَا يُصَلِّي، تَارَةً يَتَهَجَّدُ وَتَارَةً مَا يَتَهَجَّدُ.

• س: أَحسَنَ اللهُ إِلَيكَ، إِذَا دَامَ عَلَى القِيَامِ بَعضَ اللَّيَالِي لَيسَ كُلَّ اللَّيَالِي؟

○ ج: لَا، السُّنَّةُ أَنْ يَقُومَ اللَّيلَ، جَمِيعَ اللَّيَالِي وَلَو قَلِيلًا، وَلَو بِثَلَاثِ رَكعَاتٍ، وَلَو بِرَكعَةٍ وَاحِدَةٍ كُلَّ لَيلَةٍ أَفضَلُ مِن كَونِكَ تَارَةً وَتَارَةً؛ وَلِهَذَا قَالَ ﷺ: «أَحَبُّ العَمَلِ إِلَى اللهِ مَا دَامَ عَلَيهِ صَاحِبُهُ وَإِنْ قَلَّ»؛ لِأَنَّ هَذَا يُغَذِّي القُلُوبَ بِالإِيمَانِ الدَّائِمِ.

= عن فضالة بن عبيد رضي الله عنه: أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «طُوبَى لِمَنْ هُدِيَ إِلَى الإِسْلَامِ، وَكَانَ عَيْشُهُ كَفَافًا وَقَنَعَ». وصححه الترمذي، والحاكم.

• س: يَعْنِي: المَقصُودُ الْمُدَاوَمَةُ اليَومِيَّةُ أَحسَنَ اللهُ إِلَيكَ؟

○ ج: اليَومِيَّةُ أَوِ اللَّيلِيَّةُ أَوْ كِلَاهُمَا.

• س: يُستَثْنَى الْمُسَافِرُ أَحْسَنَ اللهُ إِلَيكَ مِنْ هَذَا؟

○ ج: الْمُسَافِرُ وَالْمَرِيضُ مُستَثنًى.

• س: يُدَاوِمُ أَحْسَنَ اللهُ إِلَيكَ عَلَى وِترِهِ دَائِمًا، مَا يَدَعُ سَفَرًا وَلَا حَضَرًا؟

○ ج: فِي التَّطَوُّعَاتِ، أَمَّا الوِترُ فِي السَّفَرِ وَالحَضَرِ، كَانَ يُصَلِّي الوِترَ وَيَتَهَجَّدُ بِاللَّيلِ فِي السَّفَرِ وَالحَضَرِ عَلَيهِ الصلاة والسلام، لَكِنْ كَانَ يَترُكُ الرَّوَاتِبَ فِي السَّفَرِ إِلَّا سُنَّةَ الفَجرِ.

* * *

٦٤٦٢ حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ، عَنْ مَالِكٍ، عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ أَنَّهَا قَالَتْ: «كَانَ أَحَبُّ الْعَمَلِ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ الَّذِي يَدُومُ عَلَيْهِ صَاحِبُهُ». [سبق برقم ١١٣٢، وأخرجه مسلم، برقم ٧٤١، ٧٨٣]

٦٤٦٣ حَدَّثَنَا آدَمُ، حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي ذِئْبٍ، عَنْ سَعِيدٍ الْمَقْبُرِيِّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَنْ يُنَجِّيَ أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ» قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ ﷺ؟ قَالَ: «وَلَا أَنَا إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللهُ بِرَحْمَةٍ، سَدِّدُوا، وَقَارِبُوا، وَاغْدُوا، وَرُوحُوا، وَشَيْءٌ مِنَ الدُّلْجَةِ، وَالْقَصْدَ الْقَصْدَ تَبْلُغُوا». [سبق برقم ٣٩، وأخرجه مسلم، برقم ٢٨١٦]

الشَّرح

(ع): وَهَذَا هُوَ، الإِنسَانُ لَا يَدخُلُ الجَنَّةَ بِعَمَلِهِ، وَلَكِنْ بِرَحمَةِ اللهِ؛ وَلِهَذَا يَقُولُ ﷺ: «وَاعْلَمُوا أَنه لَنْ يَدْخُلَ أَحَدٌ مِنكُمُ الجَنَّةَ بعَمَلِهِ» قَالُوا: وَلَا أنت يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «وَلَا أَنَا إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِيَ اللهُ بِرَحمَةٍ مِنهُ وَفَضلٍ»[1]؛

(١) أخرجه البخاري (٥٦٧٣)، ومسلم (٢٨١٦)، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

يَعْنِي: مَا يَكُونُ العَملُ مُوجِبًا، إِنَّمَا هُوَ أَسبَابٌ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٣٢﴾ [النحل: ٣٢]؛ يَعْنِي: بِأَسبَابِ الأَعمَالِ؛ فَالَّذِي يَتَفَضَّلُ بِهَا هُوَ اللهُ، هُوَ الَّذِي يَتَفَضَّلُ بِالنَّجَاةِ فَضْلًا مِنهُ، وَالأَعمَالُ سَبَبٌ، وَلَيسَتْ مُوجِبَةً، وَلَكِنْ سَدِّدُوا وَقَارِبُوا.

المَقصُودُ من هَذَا: أَنَّ العَمَلَ الدَّائِمَ والمُستمِرَّ أَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ العَملِ المُنقطِعِ وإِنْ كَثُر؛ ولهَذَا جَاءَ فِي اللَّفظِ الآخَرِ: «**إِنَّ أَحَبَّ العَملِ إِلَى الله ما دَامَ عَليهِ صاحِبُه وإِنْ قَلَّ**»[1].

وقَولُها رضي الله عنها: «إنه كَانَ يَقومُ إِذَا سَمِع الصَّارِخَ»؛ يَعنِي: الدِّيكَ، وكَانَ الدِّيَكةُ لَهَا تَرديدٌ فِي أَذانِها فِي اللَّيلِ، وكَانَ لَهَا عادَةٌ بإِذنِ اللهِ فِي آخِرِ اللَّيلِ، وكَانَ النَّبيُّ ﷺ استَقرَّ قِيامُه فِي آخِرِ حَياتِه فِي آخِرِ اللَّيلِ، كَانَ رُبَّما أَوتَرَ فِي أَوَّلِ اللَّيلِ، ورُبَّما أَوتَرَ فِي آخِرِه، قَالَت عائِشةُ رضي الله عنها: «واستَقرَّ وِترُه فِي الثُّلثِ الأَخيرِ عليه الصلاة والسلام»[2]، وهَذَا أفضَلُ ما يَكونُ، أن يَكُونَ القِيامُ آخِرَ اللَّيلِ، ولهَذَا رَواهُ مُسلِمٌ فِي «الصَّحِيح» عَن جابِرٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**مَن خَافَ أَلَّا يَقُومَ فِي آخِرِ اللَّيلِ فلْيُوتِرْ أَوَّلَه، ومَن طَمِع أن يَقُومَ آخِرَ اللَّيلِ فليُوتِرْ آخِرَ اللَّيلِ؛ فإِنَّ صَلاةَ آخِرِ اللَّيلِ مَشهُودةٌ، وذَلِكَ أَفضَلُ**»[3].

ومِن ذَلِكَ: أَنَّهُ يُوافِقُ النُّزولَ الإِلٰهيَّ فِي آخِرِ اللَّيلِ، واللهُ يَقولُ فِيهِ: «**هَل مِن تائِبٍ فيُتابَ عَليهِ؟! هل مِن سائِلٍ فيُعطَى سُؤلَهُ؟ هل مِن مُستغفِرٍ فيُغفَرَ لَهُ؟!**»[4]. فيُصادِفُ هَذَا الوَقتَ العَظيمَ الَّذِي هُوَ وَقتُ التَّنزُّلِ الَّذِي جَاءَت فِيهِ الأَحَادِيثُ الصَّحِيحةُ المُستفِيضةُ عَن رَسُولِ اللهِ ﷺ يَقولُ: «**يَنزِلُ رَبُّنا إِلَى السَّماءِ الدُّنيَا كُلَّ**

---

(١) أخرجه البخاري (٥٨٦١)، ومسلم (٧٨٢) عن عائشة رضي الله عنها.
(٢) أخرجه البخاري (٩٩٦)، ومسلم (٧٤٥)، عن عائشة رضي الله عنها.
(٣) أخرجه مسلم (٧٥٥) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.
(٤) أخرجه مسلم (٧٥٨)، والنسائي في «الكبرى» (١٠٢٤٣) عن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهما.

لَيلةٍ حِينَ يَبقَى ثُلثُ اللَّيلِ الآخِرُ، فيَقولُ: مَن يَدعُونِي فأَستجِيبَ لَهُ؟! مَن يَسأَلُني فأُعطِيَه؟! مَن يَستَغفِرُني فأَغفِرَ لَهُ؟!»[1]. هَذَا الفَضلُ العَظيمُ جَديرٌ بأن يُعتنَى بِهِ.

فأَحَبُّ العَملِ إِلَى الله ما دَامَ عَليهِ صاحِبُه وإِنْ قلَّ، كَونُه يُداوِمُ عَلَى رَكعةٍ فِي آخِرِ اللَّيلِ ثَلاثَ رَكَعاتٍ، خَمْسَ رَكَعاتٍ، سَبْعَ رَكَعاتٍ؛ هَذَا أَحبُّ العَملِ إِلَى اللهِ، أَمَّا كَونُه تارَةً وَاحِدةً، وتارَةً ثلاثًا وتارَةً خَمسًا، وتارَةً ما يُوتِرُ، لا، هَذَا مَفضولٌ؛ المَقصُودُ: أَنَّهُ يُداوِمُ ويَلزَمُ؛ فإِذَا زادَ بَعضَ الأَحْيانِ فلَا بَأسَ، لكِنْ يُداوِمُ لَا يَنقطِعُ العَملُ، يَكُونُ دائِمًا، وِترُه دائِمًا كُلَّ لَيلةٍ إِلَّا أَنْ يَغلِبَه نَومٌ أو يَغلِبَه مَرضٌ.

وفِي هَذَا قَولُه ﷺ: **﴿سَدِّدُوا وقَارِبُوا، واغْدُوا ورُوحُوا، وشَيءٌ مِنَ الدُّلْجَةِ، والقَصْدَ القَصْدَ تَبلُغُوا﴾**. مَعنَى هَذَا: أَنَّ الإِنسَانَ ينتهِزُ أَوقاتَ النَّشاطِ، يُلاحِظُ أَوقاتَ النَّشاطِ فِي جَميعِ أَحوالِهِ؛ فالغُدوَةُ والرَّوحَةُ مَحلُّ النَّشاطِ كَذَلِكَ، ويُسدِّدُ ويُقارِبُ؛ ما يُرهِقُ نَفسَه ويُبالِغُ حتَّى يُتعِبَ نَفْسَه ويَنقطِعَ، يَكُونُ وَسَطًا فِي أَعمالِهِ حتَّى لَا يَنقطِعَ؛ فَالمُنبَتُّ لَا أَرضًا قَطَع ولَا ظَهرًا أَبقَى؛ فيَنبَغِي لَهُ أن يُلاحِظَ نَشاطَه وقُوَّتَه فيَستفِيد مِنهَا، ولكِنْ لَا يَكُونُ هُناكَ إِجهادٌ وشِدَّةٌ ورُبَّما انقَطَعَ بَعدَ ذَلِكَ.

﴿والقَصْدَ القَصْدَ تَبلُغُوا﴾: القَصدُ هُوَ الوَسطُ؛ لأَنَّ القَصدَ يُبلِّغُ، والإِجهادُ والزِّيادةُ والتَّكلُّفُ قد يَنقطِعُ صَاحِبُه، ولَا يَصبِرُ، ولكِنْ إِذَا لاحَظَ التَّوسُّطَ فِي الأُمورِ فِي صِيامِهِ، وقِيامِهِ، وأَعمَالِه، وقِراءَتِه وجَميعِ شُؤونِه لاحَظَ فِيهَا الوَسطَ الَّذِي يَستطِيعُه، والَّذِي يَحصُلُ بِهِ المَقصُودُ من غَيرِ مَشقَّةٍ ـ كَانَ هَذَا أَحَبَّ إِلَى اللهِ ﷻ.

والتَّنزُّلُ الإِلٰهِيُّ يَليقُ بِاللهِ كَمَا تَقدَّمَ غَيرَ مرَّةٍ، مِثلُ بَقيَّةِ الصِّفَاتِ، فشَأنُها وَاحِدٌ، أَهلُ السُّنَّةِ والجَماعَةِ ـ وهُم أَصحَابُ النَّبيِّ ﷺ وأَتباعُهُم بإِحسَانٍ ـ

---

(١) أخرجه البخاري (١١٤٥)، ومسلم (٧٥٨) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

طَريقَتُهُم وَاحِدةٌ فِي الصِّفاتِ؛ وهِيَ إمرَارُها كَمَا جَاءَتْ، والإيمَانُ بِهَا، واعتِقادُ أنَّهَا حَقٌّ، وأنَّها صِفَاتٌ مَوجُودةٌ قائِمةٌ بِاللهِ ﷻ، لائِقةٌ بِهِ ﷻ، لَا يُشابِهُ فِيهَا خَلْقَه ﷻ، وهَكَذا غَضَبُه ورِضاهُ، وكَراهَتُه ومَحبَّتُه، وغَيرُ ذَلِكَ من سَائرِ الصِّفاتِ، وهَكَذا الِاستِواءُ، وهَكَذا السَّمعُ والبَصرُ والوَجهُ وغَيرُ ذَلِكَ كُلُّها بَابُها وَاحِدٌ، أهلُ السُّنَّةِ والجَماعةِ أَجمَعُوا عَلَى إمرَارِها كَمَا جَاءَت؛ مَعَ الإيمَان بِهَا وأنَّهَا حَقٌّ، وأنَّهَا صِفاتٌ لائِقةٌ بِاللهِ ﷻ، ثابِتَةٌ لَهُ ﷻ، لكِنْ عَلَى وَجهٍ لَا يُشابِهُ فِيهَا خَلْقَه ﷻ، كَمَا قَالَ ﷻ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى: ١١]، فلَا يُعطِّلُونَ كَمَا تَقولُ المُعتزِلةُ والجَهمِيَّةُ وأَشباهُهُم، ولَا يُمثِّلُون كَمَا تَقُولُ المُشبِّهةُ، ولكِنْ وَسَطٌ بَينَ ذَلِكَ، فأهلُ السُّنَّةِ وَسطٌ بَينَ أهلِ التَّعطِيلِ وأهلِ التَّمثِيلِ؛ فيُثبِتُونَ صِفاتِ اللهِ وأسمَاءَه إثباتًا بَرِيئًا مِنَ التَّمثِيلِ، ويُنزِّهُون اللهَ ﷻ عَن مُشابَهةِ خَلقِه تَنزِيهًا بَريئًا مِنَ التَّعطيلِ.

• **س: أَحسَنَ اللهُ إِليكَ، مَعنَى الدُّلجَةِ؟**

○ ج: آخِرُ اللَّيلِ؛ يَعنِي: وَقتَ نَشاطِه، ويَكُونُ أيضًا الدُّلجَةِ فِي أوَّلِ اللَّيلِ، ويَنزِلُ فِي آخِرِ اللَّيلِ، كُلُّ هَذَا يُستعمَلُ.

• **س: الاستِغفَارُ فِي السَّحَرِ سُنَّةٌ، أَحسَنَ اللهُ إِليكَ؟**

○ ج: نَعَم، اللهُ مَدَح المُؤمِنِينَ قَالَ: ﴿وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾﴾ [آل عمران: ١٧]، ﴿وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الذاريات: ١٨]، والِاستِغفارُ مَشروعٌ دَائمًا فِي كلِّ وَقتٍ.

• **س: أَحسَنَ اللهُ إِلَيكَ، حَديثُ عائِشةَ ﵂ الَّذِي مَعناهُ أَنَّهَا ما مَرَّت فِي السَّحرِ إِلَّا ورَسُولُ اللهِ ﷺ نائِمٌ؟**

○ ج: هَذَا بَعضَ الأَحيانِ، بَعضَ الأَحيَانِ، أو مُرادُها ما قد يَقَع لَهُ عليه الصلاة والسلام مِثلُ عَملِ داوُدَ ﵇، كَانَ يَنامُ نِصفَ اللَّيلِ ويَقومُ ثُلُثَه ويَنامُ سُدُسَه؛ فكَونُه يَنامُ شَيئًا فِي بَعضِ الأَحيَانِ لِيَستعِينَ بِهِ عَلَى عَملِ النَّهارِ إِذَا بَكَّر

بِالقِيامِ عليه الصلاة والسلام، فأَحادِيثُها المُجمَلةُ تُفسَّر بالأَحَادِيثِ الوَاضِحةِ المُفسَّرةِ.

• **س: قوله ـ أَحسَنَ اللهُ إِلَيكَ ـ: «وشَيءٌ مِنَ الدُّلجَةِ» المَقصُودُ بِهِ المَسيرُ أوِ استِغلَالُ الدُّلجةِ...؟**

○ **ج**: التَّشبِيهُ للنَّشاطِ بالدُّلجةِ الَّتِي يَفعَلُها المُسافِرُ، المُسافِرُ قد يُدرِكُ أوَّلَ اللَّيلِ ويَنزِلُ آخِرَ اللَّيلِ، وقد يَنامُ أوَّلَ اللَّيلِ ويَقومُ آخِرَ اللَّيلِ يَتحرَّى النَّشاطَ، والمَعنَى: أنَّ العامِلَ يَأخُذُ بأَوقاتِ نَشاطِهِ كَمَا يَأخُذُ المُسافِرُ بأَوقاتِ نَشاطِه.

[قالَ الحَافِظُ ابنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «فتْحِ البَارِي» (١١/ ٢٩٧)]: «قَوْلُهُ: ﴿**وَاغْدُوا وَرُوحُوا وَشَيْئًا مِنَ الدُّلْجَةِ**﴾ فِي رِوَايَةِ الطَّيَالِسِيِّ عَن ابن أَبِي ذِئْبٍ: «**وَخَطًّا مِنَ الدُّلْجَةِ**»، وَالْمُرَادُ بِالْغُدُوِّ السَّيْرُ مِنْ أَوَّلِ النَّهَارِ، وَبِالرَّوَاحِ السَّيْرُ مِنْ أَوَّلِ النِّصْفِ الثَّانِي مِنَ النَّهَارِ، وَالدُّلْجَةُ بِضَمِّ الْمُهْمَلَةِ وَسُكُونِ اللَّامِ وَيَجُوزُ فَتْحُهَا وَبَعْدَ اللَّامِ جِيمٌ: سَيْرُ اللَّيْلِ، يُقَالُ: سَارَ دُلْجَةً مِنَ اللَّيْلِ؛ أَيْ: سَاعَةً؛ فَلِذَلِكَ قَالَ: «شَيْئًا مِنَ الدُّلْجَةِ» لِعُسْرِ سَيْرِ جَمِيعِ اللَّيْلِ، فَكَأَنَّ فِيهِ إِشَارَةً إِلَى صِيَامِ جَمِيعِ النَّهَارِ وَقِيَامِ بَعْضِ اللَّيْلِ، وَإِلَى أَعَمَّ مِنْ ذَلِكَ مِنْ سَائِرِ أَوْجُهِ الْعِبَادَةِ.

وَفِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى الْحَثِّ عَلَى الرِّفْقِ فِي الْعِبَادَةِ، وَهُوَ الْمُوَافِقُ لِلتَّرْجَمَةِ، وَعَبَّرَ بِمَا يَدُلُّ عَلَى السَّيْرِ؛ لِأَنَّ الْعَابِدَ كَالسَّائِرِ إِلَى مَحَلِّ إِقَامَتِهِ وَهُوَ الْجَنَّةُ، «وَشَيْئًا» مَنْصُوبٌ بِفِعْلٍ مَحْذُوفٍ؛ أَيِ: افْعَلُوا. وَقَدْ تَقَدَّمَ بِأَبْسَطِ مِنْ هَذَا فِي كِتَابِ الْإِيمَانِ فِي «بَابِ الدِّينُ يُسْرٌ».

قَوْلُهُ: ﴿**وَالْقَصْدَ الْقَصْدَ**﴾ بِالنَّصْبِ عَلَى الْإِغْرَاءِ؛ أَيِ: الْزَمُوا الطَّرِيقَ الْوَسَطَ الْمُعْتَدِلَ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ فِي حَدِيثِ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ عِنْدَ مُسْلِمٍ: «كَانَتْ خُطْبَتُهُ قَصْدًا»؛ أَيْ: لَا طَوِيلَةً وَلَا قَصِيرَةً، وَاللَّفْظُ الثَّانِي لِلتَّأْكِيدِ. وَوَقَفْتُ عَلَى

سَبَب لهَذَا الحَدِيث، فَأخْرج ابن مَاجَهْ مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ قَالَ: مَرَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِرَجُلٍ يُصَلِّي عَلَى صَخْرَةٍ؛ فَأَتَى نَاحِيَةً فَمَكَثَ ثُمَّ انْصَرَفَ، فَوَجَدَهُ عَلَى حَالِهِ فَقَامَ؛ فَجَمَعَ يَدَيْهِ ثُمَّ قَالَ: «**أَيُّهَا النَّاسُ عَلَيْكُمُ الْقَصْدَ عَلَيْكُمُ الْقَصْدَ**». [انتهى كلامه].

قَالَ ابنُ بَازٍ رَحِمَهُ اللهُ: المَقصُودُ: ذَكَر الدُّلجةِ هنا بِمَا هُوَ أَوسَعَ، أن يَأخُذَ شَيئًا مِنَ اللَّيلِ يَستَعِينُ بِهِ عَلَى عَملِ النَّهارِ كَالمُسافِرِ، المُسافِرُ يَأخُذ شَيئًا مِنَ اللَّيلِ يَستعِينُ بِهِ عَلَى قَطعِ المَسافةِ؛ فَالدُّلجَةُ تُستعمَلُ فِي آخِرِ اللَّيلِ، فِيمَن نَامَ أوَّلَ اللَّيلِ، وتُستعمَلُ فِي أوَّلِ اللَّيلِ فِيمَن مَشَى فِيهِ ثُمَّ استَرَاحَ فِي آخِرِ اللَّيلِ.

والمَعنَى من هَذَا: أنَّ العابِدَ والعامِلَ سائِرٌ إِلَى اللهِ، مِثلُ المُسافِرِ سائِرٌ إِلَى اللهِ ﷻ، لَيسَ لَهُ انتِهاءٌ حتَّى يَصِلَ إِلَى الجَنَّةِ مِن سَفَرِه، كَمَا أنَّ المُسافِرَ يَتحَرَّى أَوقَاتَ النَّشاطِ أوَّلَ النَّهارِ وآخِرَ النَّهارِ وبَعضَ اللَّيلِ؛ فهَكَذا العامِلُ يَنبَغِي أن يَتحرَّى أَوقاتَ نَشاطِه فيَعمَلُ؛ وأَوقاتَ الضَّعفِ يَستَرِيحُ حتَّى لَا يَنقطِعَ.

- **س: أَحسَنَ اللهُ إِلَيكَ، مِثلُه حَديثُ: ...؟**

○ ج: نَعَم؛ هُوَ من هَذَا البَابِ.

- **س: أَحسَنَ اللهُ إِلَيكَ، لَو كَانَ قِيَامُهُ فِي بَعضِ اللَّيَالِي أَطوَلَ مِن قِيَامِهِ فِي اللَّيَالِي الأُخْرَى، هَلْ يَكُونُ بِذَلِكَ مُنَافِيًا لِلمُدَاوَمَةِ؟**

○ ج: لَا، لَا، أَفضَلُ، إِذَا كَانَ مُدَاوِمًا عَلَيهَا، لَكِنْ بَعضُهَا يَزِيدُ، زِيَادَة خَير، طَيِّبٌ، الْمُهِمُّ أَلَّا يَدَعَهَا فِي بَعضِ اللَّيَالِي.

- **س: أَحسَنَ اللهُ إِلَيكَ، مَنْ قَالَ: نَدخُلُ الجَنَّةَ بِرَحمَةِ اللهِ، لَكِنِ الدَّرَجَاتُ بِالأَعمَالِ، هَلْ هَذَا صَحِيحٌ؟**

○ ج: الأَعمَالُ سَبَبٌ لِلدَّرَجَاتِ وَلِلثَّوَابِ، وَالْمُوجِبُ رَحمَةُ اللهِ ﷻ، يَقُولُ ﷻ: ﴿**وَاعْلَمُوا أَنه لَنْ يَدْخُلَ أَحَدٌ مِنْكُمْ الجَنَّةَ بعَمَله**﴾.

قَولُهُ: ﴿القَصدَ القَصدَ﴾؛ يَعْنِي: عَدَمَ التَّكَلُّفِ، القَصدَ لِتَبلُغُوا، لَا يَنبَغِي التَّكَلُّفُ، يُصَلِّي مَا يَسَّرَ اللهُ لَهُ، يَصُومُ مَا يَسَّرَ اللهُ لَهُ، يَتَصَدَّقُ بِمَا يَسَّرَ اللهُ لَهُ.

* * *

٦٤٦٤ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ عَبْدِ اللهِ، حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ عَنْ مُوسَى بْنِ عُقْبَةَ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ، عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قال: «سَدِّدُوا، وَقَارِبُوا، وَاعْلَمُوا أَنْ لَنْ يُدْخِلَ أَحَدَكُمْ عَمَلُهُ الْجَنَّةَ، وَأَنَّ أَحَبَّ الأَعْمَالِ أَدْوَمُهَا إِلَى اللهِ، وَإِنْ قَلّ».

[طرفه في: ٦٤٦٧، وأخرجه مسلم، برقم ٧٨٢، ٢٨١٨]

الشَّرح

ومَعنى هَذَا: ﴿لَن يُدخِلَ أَحدَكُم عَمَلُه الجَنَّةَ﴾ مَعناهُ: أنَّهُ لَيسَ العُمدَةُ عَلَى العَملِ، الأَعمَالُ أَسبَابٌ؛ وإنَّمَا المُعوَّلُ عَلَى عَفوِه سُبحانَهُ ورَحمَتِه وقَبولِه لِهَذَا العَملِ؛ فإذَا رَضِيَه سُبحانَهُ وقَبِلَه مِنكَ فهَذَا هُوَ طَريقُ السَّلامةِ، وهُوَ طَريقُ الجَنَّةِ؛ فقَد يَعمَلُ الإنسَانُ وقد يَعمَلُ ولكِنَّهُ لَا يُوفَّقُ ولَا يَنجَحُ إمَّا يُبتَلَى بالرِّياءِ أو بالرِّدَّةِ أو بغَيرِ ذَلِكَ، ولكِنْ إذَا وَفَّقَه اللهُ ورَحِمَه ﷻ حتَّى خَتَم لَهُ بالخَاتِمةِ الحَسَنةِ صَارَت أَعمَالُه سَببًا لدُخُولِ الجَنَّةِ، قِيلَ: يا رَسُولَ اللهِ، ولَا أَنتَ؟ قَالَ: «ولَا أَنَا؛ إلَّا أن يَتغمَّدنِيَ اللهُ برَحمَةٍ مِنهُ»؛ فالمُعوَّلُ عَلَى رَحمَتِه وعَفوِه سُبحانَهُ وتَوفيقِه وتَسدِيدِه، والأَعمالُ أَسبَابٌ؛ ولهَذَا قَالَ سُبحانَهُ: ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٣٢﴾ [النحل: ٣٢]؛ يَعنِي: بأَسبَابِ أَعمَالِكُم الطَّيِّبةِ، ﴿وَتِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِيٓ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٧٢﴾ [الزخرف: ٧٢]؛ فالبَاءُ فِي قَولِه: ﴿بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٨﴾ للسَّببيَّةِ، والبَاءُ فِي قَولِه: ﴿لَن يُدخِلَ أَحَدَكُم الجَنَّةَ عَمَلُه﴾ باءُ العِوَضِ؛ يَعنِي: لَيستِ الأَعمَالُ عِوضًا، ولَكِنَّها أَسبَابٌ، واللهُ

هُوَ الَّذِي يَمُنُّ بالرَّحمةِ ويَمُنُّ بالعَفوِ ويَمُنُّ بالقَبُولِ، ويَمُنُّ يَجعَلُها سَبَبًا لدُخولِ الجَنَّةِ.

(ع): الأَعمَالُ أَسبَابٌ: ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٣٢﴾ [النحل: ٣٢]، ﴿وَتِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِيٓ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٧٢﴾ [الزخرف: ٧٢] أَسبَابٌ.

• **س: عَفَا اللهُ عَنكَ يَا شَيخُ، الحَدِيثُ: «لَنْ يَنجِّيَ أَحَدًا مِنكُمْ عَمَلُهُ». وَلَا أَنتَ يَا رَسُولَ اللهِ؟**

○ ج: يَعْنِي: السَّبَبَ؛ يَعْنِي: مَا يَكُونُ مُوجِبًا، الْمُوجِبُ رَحمَةُ اللهِ، هُوَ الْمُتفَضِّلُ، وَالأَعمَالُ أَسبَابٌ.

• **س: أَلَيسَ مَنسُوخًا هَذَا؟**

○ ج: مَا هُوَ مَنسُوخٌ يَا بُنَيَّ، مَا هُوَ مَنسُوخٌ بَارَكَ اللهُ فِيكَ، الأَعمَالُ أَسبَابٌ، وَالْمُوجِبُ رَحمَةُ اللهِ.

* * *

٦٤٦٥ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَرْعَرَةَ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ سَعْدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّهَا قَالَتْ: سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ: أَيُّ الأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللهِ؟ قَالَ: «أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ»، وَقَالَ: «اكْلَفُوا مِنَ الأَعْمَالِ مَا تُطِيقُونَ». [سبق برقم ٧٣٠، وأخرجه مسلم، برقم ٧٨٢، ٧٨٣]

٦٤٦٦ حَدَّثَنِي عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عَلْقَمَةَ، قال: سَأَلْتُ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ قُلْتُ: «يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ، كَيْفَ كَانَ عَمَلُ النَّبِيِّ ﷺ، هَلْ كَانَ يَخُصُّ شَيْئًا مِنَ الأَيَّامِ؟ قَالَتْ: لَا، كَانَ عَمَلُهُ دِيمَةً، وَأَيُّكُمْ يَسْتَطِيعُ مَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَسْتَطِيعُ؟». [سبق برقم ١٩٨٧، وأخرجه مسلم، برقم ٧٨٣]

الشَّرح

وهَذَا ما يُنافِي كَونَه عليه الصلاة والسلام يَصومُ ثَلاثةَ أيَّامٍ من كُلِّ شَهرٍ، وكَونُه يَصومُ الاثنَينِ والخَميسَ هَذَا لَا يُنافِي، هَذَا تَخصِيصٌ، لكِنَّ مَقصُودَها أنَّ عَملَه دِيمَةٌ أنَّهُ مُستمِرٌّ، إذَا صَامَ صَامَ، وإذَا أفطَرَ أفطَرَ، لَيسَ بمُنقطِعٍ عَنِ العَملِ؛ التَّخصِيصُ الَّذِي نَفَتْه كَونُه يَقِف عَنِ العَملِ، لَا يَقِف عَنِ العَملِ، مُستمِرٌّ فِي العَملِ عليه الصلاة والسلام، لكِنْ لَا يَمنَعُ من هَذَا أنَّهُ كَانَ يَخُصُّ بَعضَ الأَوقَاتِ بأعمَالٍ، مِثلُ صَومِ يَومِ الاثنَينِ والخَميسِ عليه الصلاة والسلام، ومِثلُ كَونِه فِي بَعضِ الأَحيَانِ يُصلِّي ثَلاثَ عَشْرةَ، وبَعضُها يُصلِّي إحدَى عَشْرةَ، وبَعضُها يُصلِّي تِسعَ عَشرَةَ، هَذَا لَا يُنافِي الدِّيمةَ، عَملُه دِيمةٌ، وإنْ زَادَ فِي بَعضِ الأَحيَانِ ونَقَص فِي بَعضِ الأَحيَانِ؛ فالعَملُ دِيمةٌ.

* * *

٦٤٦٧ - حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللهِ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الزِّبْرِقَانِ، حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ عُقْبَةَ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ، عَنْ عَائِشَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال: «سَدِّدُوا، وَقَارِبُوا، وَأَبْشِرُوا، فَإِنَّهُ لَا يُدْخِلُ أَحَدًا الْجَنَّةَ عَمَلُهُ» قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللهُ بِمَغْفِرَةٍ وَرَحْمَةٍ»، قَالَ: أَظُنُّهُ، عَنْ أَبِي النَّضْرِ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ عَائِشَةَ، وَقَالَ عَفَّانُ: حَدَّثَنَا وُهَيْبٌ، عَنْ مُوسَى بْنِ عُقْبَةَ قال: سَمِعْتُ أَبَا سَلَمَةَ، عَنْ عَائِشَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «سَدِّدُوا، وَأَبْشِرُوا»، وَقَالَ مُجَاهِدٌ: سَدادًا: ﴿سَدِيدًا ۝٩﴾ [النساء: ٩]: صِدْقًا». [سبق برقم ٦٤٦٤، وأخرجه مسلم، برقم ٧٨٢، ٢٨١٨]

الشَّرح

[قالَ الحَافِظُ ابنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «فتْحِ البَارِي» (١١/ ٢٩٧)]: «قَوْلُهُ: ﴿مُحَمَّدُ بْنُ الزِّبْرِقَانِ﴾ بِكَسْرِ الزَّايِ وَالرَّاءِ بَيْنَهُمَا بَاءٌ مُوَحَّدَةٌ وَبِالْقَافِ، هُوَ: أَبُو هَمَّامٍ الْأَهْوَازِيُّ، وَثَّقَهُ عَلِيُّ بْنُ الْمَدِينِيِّ وَالدَّارَقُطْنِيُّ وَغَيْرُهُمَا، وَقَالَ أَبُو حَاتِمٍ

الرَّازِيُّ: صَدُوقٌ، وَذَكَرَهُ ابن حِبَّانَ فِي «الثِّقَاتِ»، وَقَالَ: رُبَّمَا أَخْطَأَ وَمَا لَهُ فِي الْبُخَارِيِّ سِوَى هَذَا الْحَدِيثِ الْوَاحِدِ، وَقَدْ تُوبِعَ فِيهِ». [انتهى كلامه].

[قَالَ الحَافظُ ابنُ حَجرٍ رَحِمَهُ اللهُ فِي «تَقرِيبِ التَّهْذِيبِ» (٥٨٨٤)]: «مُحمَّدُ بنُ الزِّبرِقانِ أبو همَّامٍ الأَهوازِيُّ، صَدوقٌ رُبَّما وَهِم، مِنَ الثَّامِنةِ، خ م د س ق».

* * *

٦٤٦٨ حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمُنْذِرِ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ فُلَيْحٍ، قال: حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ هِلَالِ بْنِ عَلِيٍّ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قال: سَمِعْتُهُ يَقُولُ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ صَلَّى لَنَا يَوْمًا الصَّلَاةَ، ثُمَّ رَقِيَ الْمِنْبَرَ، فَأَشَارَ بِيَدِهِ قِبَلَ قِبْلَةِ الْمَسْجِدِ، فَقال: «قَدْ أُرِيتُ الآنَ، مُنْذُ صَلَّيْتُ لَكُمُ الصَّلَاةَ، الْجَنَّةَ وَالنَّارَ مُمَثَّلَتَيْنِ فِي قُبُلِ هَذَا الْجِدَارِ، فَلَمْ أَرَ كَالْيَوْمِ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، فَلَمْ أَرَ كَالْيَوْمِ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ». [سبق برقم ٩٧، وأخرجه مسلم، برقم ٢٣٥٩]

الشَّرح

(ع): الخَيرُ الجَنَّةُ، وَالشَّرُّ النَّارُ، نَسأَلُ اللهَ العَافِيَةَ والسَّلَامَةَ، أَعظَمُ خَيرِ الجَنَّةُ، وَأَعظَمُ شَرِّ النَّارُ، نَسأَلُ اللهَ العَافِيَةَ.

لَا حَولَ ولَا قُوَّةَ إلَّا بِاللهِ، الخَيرُ ما فِي الجَنَّةِ مِنَ النَّعيمِ، والشَّرُّ ما رَأَى فِي النَّارِ مِنَ العَذابِ، خَيرٌ وشَرٌّ مُتقابِلانِ؛ ولهَذَا قَالَ: «لم نَرَ كَاليَومِ مِن عَذابِ المُعذَّبِين ونَعيمِ المُنعَّمِين»، ورَأَى ذَلِكَ أَيضًا فِي صَلاةِ الكُسوفِ، عُرِضَت لَهُ الجَنَّةُ والنَّارُ؛ فرَأَى بَعضَ المُنعَّمِينَ، ورَأَى بَعضَ المُعذَّبِينَ، ورَأَى السَّارِقَ يُعذَّبُ، الَّذِي سَرَق الحَاجَّ، كَانَ يَسرِقُ الحَاجَّ، ورَأَى الَّتِي حَبَستِ الهِرَّةَ فلَم تُطعِمْها ولم تَسْقِها حتَّى هَلَكَتْ، رَآهَا تُعذَّبُ فِي هِرَّتِها إِلَى غَيرِ ذَلِكَ؛ فالمَقصُودُ أَنَّهُ ﷺ أَخبَرَهُم بهَذَا للحَذَرِ، والِانتِباهِ، وأَنَّ الأَمرَ جِدٌّ، وأَنَّ هُناكَ نَعيمًا حَقيقَةً، وعَذابًا حَقيقَةً؛ فيَجِبُ الإِعدادُ والحَذرُ، وأَنَّ هَذَا الشَّيءَ مَوجُودٌ أُرِيَه وأُطْلِع عَليهِ عليه الصَّلاة والسلام، وأُرِيَه فِي المِعرَاجِ لمَّا عُرِج بِهِ

عليه الصلاة والسلام، وأُرِيَه ومُثِّل لَهُ فِي صَلاتِه فِي صَلاةِ الكُسوفِ وبَعضِ صَلَواتِه الأُخرَى عليه الصلاة والسلام.

• **س: أَحسَنَ اللهُ إليكَ، مُطابَقةُ الحَديثِ الأَخيرِ للقَصدِ والمُداوَمةِ عَلَى العَملِ؟**

○ ج: الوَاضِحُ مِنَ المَعنَى؛ يَعنِي: استَمِرُّوا فِي العَملِ، الأَمرُ جِدٌّ، الأَمرُ جِدٌّ يَحتاجُ إِلَى صَبرٍ ومُصابَرةٍ.

١٩ ـ بَاب الرَّجَاءِ مَعَ الْخَوْفِ، وَقَالَ سُفْيَانُ: مَا فِي الْقُرْآنِ آيَةٌ أَشَدُّ عَلَيَّ مِنْ ﴿لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [المائدة: ٦٨]

الشَّرح

يَعنِي: قَولَه: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [المائدة: ٦٨]؛ يَعنِي: حتَّى تُقِيمُوا ذَلِكَ قَولًا وعَملًا، حتَّى تَستَقِيمُوا؛ فلَستُم عَلَى شَيءٍ تَحصُلُ بِهِ النَّجاةُ، ويَحصُلُ بِهِ السَّعادةُ؛ ﴿حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾؛ فخَافَ سُفيانُ من هَذَا، وهل أَقَمْنا ذَلِكَ؟ وهَل حَقَّقْنا ذَلِكَ؟ وهَل فَعَلْنا ما يَجِبُ؟ هَذَا المَقصُودُ، إِذَا كَانَ هَذَا يُخاطَبُ بِهَا أهلُ الكِتابِ فنَحنُ من بَابٍ أولَى؛ لأَنَّنا مَسؤولُون ومَأمُورُون: «ومَا القَومُ إِلَّا سِواكُم»؛ فالمَقصُودُ من ذَلِكَ أن نُقِيمَ ما أُنزِل إِلَينا من رَبِّنا وهُوَ القُرآنُ والسُّنَّةُ؛ فلَيسَ العَبدُ عَلَى شَيءٍ حتَّى يُقِيمَ ما أَنزَل اللهُ عَليهِ؛ حتَّى يُقِيمَ ذَلِكَ عَمَلًا وعَقِيدَةً وقَولًا، ويَحذَر أَسبَابَ الهَلاكِ.

(ع): اللهُ المُستَعَانُ؛ لِأَنَّ الإِنسَانَ مَا يَدرِي هَلْ قَامَ بِهَذَا أَمْ لَا؟ ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [المائدة: ٦٨]، فَهَكَذَا أَنتُمْ يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ، لَستُمْ عَلَى شَيءٍ حَتَّى تُقِيمُوا هَذَا

الكِتَابَ العَظِيمَ القُرآنَ، وَتَعمَلُوا بِهِ وتُحَكِّمُوهُ كَمَا أُنزِلَ؛ لِأَنَّهُ أُنزِلَ لِلعَمَلِ، فَلَستُمْ عَلَى شَيءٍ حَتَّى تُحَكِّمُوهُ.

[قالَ الحَافِظُ ابنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللهُ فِي «فتْحِ البَارِي» (١١/ ٢٩٧)]: «قَوْلُهُ: ﴿وَقَالَ سُفْيَان﴾ هُوَ: ابن عُيَيْنَةَ». [انتهى كلامه].

* * *

﴿٦٤٦٩﴾ **حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ، عَنْ عَمْرِو بْنِ أَبِي عَمْرٍو، عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ الْمَقْبُرِيِّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ اللهَ خَلَقَ الرَّحْمَةَ يَوْمَ خَلَقَهَا مِئَةَ رَحْمَةٍ، فَأَمْسَكَ عِنْدَهُ تِسْعًا وَتِسْعِينَ رَحْمَةً، وَأَرْسَلَ فِي خَلْقِهِ كُلِّهِمْ رَحْمَةً وَاحِدَةً، فَلَوْ يَعْلَمُ الْكَافِرُ بِكُلِّ الَّذِي عِنْدَ اللهِ مِنَ الرَّحْمَةِ، لَمْ يَيْأَسْ مِنَ الْجَنَّةِ، وَلَوْ يَعْلَمُ الْمُؤْمِنُ بِكُلِّ الَّذِي عِنْدَ اللهِ مِنَ الْعَذَابِ، لَمْ يَأْمَنْ مِنَ النَّارِ».** [سبق برقم ٦٠٠٠، وأخرجه مسلم، برقم ٢٧٥٢]

الشَّرح

والمَقصُودُ من هَذَا: التَّرهِيبُ والتَّرغِيبُ والحَذرُ، والرَّحمَةُ رَحمَتانِ: رَحمةٌ هِيَ وَصْفُه سُبحانَهُ، وهُوَ الرَّحمٰنُ الرَّحيمُ ﷻ؛ هَذَا وَصْفُهُ العَظِيمُ، ورَحمَةٌ خَلَقَها وجَعَلَها مِائةَ جُزءٍ، أَنزَلَ مِنهَا جُزءًا وَاحِدًا، وأَمسَكَ تِسْعًا وتِسعِينَ عِندَه سُبحانَهُ يَرحَمُ بِهَا عِبادَه يَومَ القِيامَةِ.

المَقصُودُ من هَذَا: أَنَّهُ يَنبَغِي للمُؤمِنِ ألَّا يَيأَسَ من سَعةِ رَحمَةِ ربِّهِ ﷻ، ويَنبَغِي ألَّا يَقنَطَ، ويَنبَغِي لَهُ ألَّا يَأمَنَ، فعِندَ تَذكُّرِ العَذابِ وعِظَمِ العَذابِ يَحذَرُ، وعِندَ تَذكُّرِ سَعَةِ رَحمةِ اللهِ يَرجُو؛ فيَكُونُ بَينَ الرَّجاءِ والخَوفِ؛ فيَتذكَّرُ رَحمَتَه وإحسَانَه وفَضْلَه وجُودَه وكَرَمَه؛ فيَكُونُ حَسَنَ الظَّنِّ بِاللهِ راجِيًا، ويَذكُر شِدَّةَ عِقابِهِ وعَظِيمَ عَذابِه؛ فيَحذَرَ ولكِنْ لَا يَقنَطُ.

(ع): ﴿إِنَّ اللهَ خَلَقَ الرَّحْمَةَ يَوْمَ خَلَقَهَا مِئَةَ رَحْمَةٍ﴾: وَهَذِهِ رَحمَةٌ

مَخلُوقَةٌ، وَرَحمَتُهُ الَّتِي هِيَ وَصفُهُ غَيرُ مَخلُوقَةٍ، هُوَ الرَّحمٰنُ الرَّحِيمُ ﷻ بِرَحمَةٍ وَصفٌ لَهُ ﷻ، وَخَلَقَ مِائَةَ رَحمَةٍ أَنزَلَ مِنهَا رَحمَةً وَاحِدَةً فِي الأَرضِ يَتَرَاحَمُ بِهَا الخَلَائِقُ؛ حَتَّى تَرفَعَ الدَّابَّةُ حَافِرَهَا عَنْ وَلَدِهَا خَشيَةَ أَنْ تُصِيبَهُ، وَأَمسَكَ عِنْدَهُ تِسعَةً وَتِسعِينَ جُزءًا تُضَمُّ إِلَى الرَّحمَةِ الَّتِي هِيَ كَمَالُ الْمِائَةِ يَومَ القِيَامَةِ، يَرحَمُ اللهُ بِهَا عِبَادَهُ مَعَ رَحمَتِهِ الَّتِي هِيَ وَصفُهُ ﷻ.

• **س: أنا عِندَ ظَنِّ عَبدِي بِي؟**

○ ج: نَعَم؛ حُسْنُ الظَّنِّ بِاللهِ حقٌّ.

• **س: إِذَا كَانَ فِي الْمَرضِ؟**

○ ج: هَذَا لَهُ وَجهٌ مِن بَابِ تَغلِيبِ الرَّجَاءِ وَحُسنِ الظَّنِّ بِاللهِ، وَفِي حَالِ الصِّحَّةِ يُغَلِّبُ جَانِبَ الخَوفِ حَتَّى يَحذَرَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾ [الرحمٰن: ٤٦]، قَالَ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ [الكهف: ١١٠]، قَالَ تَعَالَى: ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾﴾ [إبراهيم: ١٤]، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾﴾ [الملك: ١٢]، فَينبَغِي تَغلِيبُ جَانِبِ الخَوفِ فِي الصِّحَّةِ حَتَّى يَبتَعِدَ عَمَّا حَرَّمَ اللهُ، وَفِي حَالِ الْمَرَضِ يُحسِنُ ظَنَّهُ بِاللهِ وَيُغَلِّبُ جَانِبَ الرَّجَاءِ.

• **س: عَفَا اللهُ عَنكَ يَا شَيخُ، بَعضُ العُلَمَاءِ قَالُوا: الرَّحمٰنُ عَامَّةٌ، وَالرَّحِيمُ خَاصٌّ بِالْمُؤمِنِينَ؟**

○ ج: مَعْنَاهُ صَحِيحٌ، المَعْنَى: وَصفُهُ الرَّحمٰنُ، وَصفُهُ العَامُّ، وَالرَّحِيمُ يَتَعَلَّقُ بِالنَّاسِ، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾﴾ [البقرة: ١٤٣]، ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾ [الأحزاب: ٤٣] ﷻ.

• **س: أَحسَنَ اللهُ إِلَيكَ، رَحمَتُهُ الخَاصَّةُ وَالَّتِي هِيَ صِفَةٌ مِن صِفَاتِهِ؟ غَيرُ مَخلُوقَةٍ يَا شَيخُ؟**

○ ج: نَعَمْ، مَا فِيهِ شَكٌّ.

٢٠ ـ بَاب الصَّبْرِ عَنْ مَحَارِمِ اللهِ، ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾﴾ [الزمر: ١٠] وَقَالَ عُمَرُ: وَجَدْنَا خَيْرَ عَيْشِنَا بِالصَّبْرِ

٦٤٧٠ ـ حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ قال: أَخْبَرَنِي عَطَاءُ بْنُ يَزِيدَ أَنَّ أَبَا سَعِيدٍ أَخْبَرَهُ أَنَّ أُنَاسًا مِنَ الأَنْصَارِ سَأَلُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَلَمْ يَسْأَلْهُ أَحَدٌ مِنْهُمْ إِلَّا أَعْطَاهُ، حَتَّى نَفِدَ مَا عِنْدَهُ، فَقَالَ لَهُمْ حِينَ نَفِدَ كُلُّ شَيْءٍ أَنْفَقَ بِيَدَيْهِ: «مَا يَكُنْ عِنْدِي مِنْ خَيْرٍ لَا أَدَّخِرْهُ عَنْكُمْ، وَإِنَّهُ مَنْ يَسْتَعِفَّ يُعِفُّهُ اللهُ، وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللهُ، وَلَنْ تُعْطَوْا عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ». [سبق برقم ١٤٦٩، وأخرجه مسلم، برقم ١٠٥٣]

الشَّرح

(ع): وَهَذَا فِيهِ الحَثُّ عَلَى الصَّبرِ، فَإِنَّ الأَنصَارَ جَاؤوا إِلَيهِ عَلَيهِ الصلاة والسلام وَأَعطَاهُمْ، وَسَأَلُوا وَأَعطَاهُمْ حَتَّى نَفِدَ مَا فِي يَدِهِ، فَقَالَ لَهُم: ﴿مَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللهُ، ومَنْ يَسْتَعِفَّ يُعِفَّهُ اللهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللهُ، وما أُعطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ﴾.

فَينبَغِي لِلمُؤمِنِ أَنْ يَتَخَلَّقَ بِالصَّبرِ عَن كُلِّ مَا لَا يَستَطِيعُ، وَعَنْ كُلِّ مَا يَضُرُّه، وَعَنْ كُلِّ مَا حَرَّمَ اللهُ عَلَيهِ.

وَالآيَاتُ والأَحَادِيثُ فِي الصَّبرِ كَثيرةٌ جِدًّا، وما ذَاكَ إِلَّا لأنَّ الصَّبرَ مِثلَما قَالَ عُمرُ رضي الله عنه: «وَجَدْنا خَيرَ عَيشِنا بِالصَّبرِ»[1]. فالصَّبرُ يُعينُ عَلَى طَاعةِ اللهِ، يُعينُ عَلَى تَركِ مَحارِمِ اللهِ، يُعينُ عَلَى المَصائِبِ، يُعزِّي الإِنسَانَ ويُسَلِّيهِ فِي هَذِه الدَّارِ الَّتِي هِيَ دارُ المَصائِبِ ودارُ الأَكدَارِ؛ فلهَذَا أَكثَرَ اللهُ من ذِكرِه فِي كِتابِه العَظيمِ؛ حتَّى قَالَ أحمَدُ رحمه الله: «ذَكَر الله الصَّبرَ فِي أَكثَرَ مِن تِسعِينَ مَوضِعًا مِن كِتابِهِ ﷻ».

---

(١) أخرجه أحمد في كتاب الزهد (٦١٢).

ومِن هَذَا: الآيَةُ الكَريمَةُ الَّتِي ذَكَرَها المُؤلِّفُ، وهِيَ قَولُه تَعالَى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾﴾، ومِنهَا قَولُه ﷺ: ﴿وَٱصْبِرُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [الأنفال: ٤٦]، و﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [النحل: ١٢٧]، ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور: ٤٨] الآيَاتُ فِي هَذَا كَثِيْرةٌ جِدًّا، ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾﴾ [البقرة: ١٥٥، ١٥٦].

ويَقُولُ عليه الصلاة والسلام فِي هَذَا الحَديثِ: **﴿مَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللهُ، وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللهُ، وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللهُ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ﴾**، وكَانَ سَبَب ذَلِكَ: أَنَّهُ أَتاهُ مَالٌ ففَرَّقَه فِيهِم، وأَنفَقَه فِيهِم عليه الصلاة والسلام، ولم يَزالُوا يَسألونَه ويُعطِيهِم حتَّى نَفِدَ ما عِندَه عليه الصلاة والسلام، كَمَا قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ﴾ [النحل: ٩٦]، فقَالَ: **﴿إِنَّه مَهمَا يَكُن عِندِي مِن خَيرٍ فلَا أَدَّخِرُه دُونَكُم﴾**؛ يَعنِي: مَهمَا استَطعتُ مِنَ الإِنفَاقِ فلَن أَدَّخِرَه؛ يَعنِي: سَوفَ أَبذُلُ ما أَستطِيعُ، وقد فَعَل عليه الصلاة والسلام، وتَقدَّم الحَديثُ.

وقَولُهُ عليه الصلاة والسلام: **«مَا يَسُرُّنِي أَنَّ عِندِي مِثلَ أُحدٍ ذَهبًا تَمرُّ عَليَّ ثَلاثٌ وعِندِي مِنهُ دِينارٌ، إِلَّا دِينارًا أَرصُدُه لدَينٍ، ولكِنْ أَقولُ بِهِ فِي عِبادِ اللهِ هَكَذا وهَكَذا وهَكَذا»**، عَن يَمينِه وعَن شِمالِه ومِن خَلفِه[1]. وفِي اللَّفظِ الآخَرِ: **«ومِن أَمامِه»**[2].

ففِي هَذَا: الحَثُّ والتَّحريضُ عَلَى الصَّبرِ عَن سُؤالِ النَّاسِ والحَاجةِ إِلَى النَّاسِ، وأنَّ الصَّبرَ من خَيرِ ما يُستَعانُ بِهِ فِي هَذَا الأَمرِ؛ ولهَذَا قَالَ عُمر رضي الله عنه: «وَجَدْنا خَيرَ عَيشِنا بِالصَّبرِ»؛ فإِنَّ مَن صَبَر اطمَأَنَّ واستَراحَ، وتَقدَّم قَولُه ﷺ: **«إِنَّ هَذَا المَالَ حُلوَةٌ خَضِرةٌ؛ فمَن أَخَذه بِإِشرافِ نَفسٍ لم يُبارَكْ لَهُ فِيهِ، وكَانَ**

(١) أخرجه البخاري (٦٤٤٤)، ومسلم (٩٤) عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه.
(٢) أخرجه البخاري (٢٣٨٨)، ومسلم (٩٤) عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه.

كَالَّذِي يَأْكُلُ ولَا يَشبَعُ، ومَن أَخَذَه بسَخاوَةِ نَفسٍ بُورِكَ لَهُ فِيهِ»[١].

وقَالَ عَلِيٌّ ﷺ: «الصَّبرُ مِنَ الإِيمَانِ بمَنزِلةِ الرَّأسِ مِنَ الجَسدِ، ثُمَّ رَفَع صَوتَه فقَالَ: أَلَا لَا إِيمَانَ لِمَن لَا صَبْرَ لَهُ!»[٢].

والصَّبرُ أَقسامٌ ثَلاثةٌ كَمَا ذَكَر أَهلُ العِلمِ:

ـ صَبرٌ عَلَى الطَّاعَاتِ حتَّى يُؤدِّيَها مِنَ الوَاجِباتِ والمُستَحَبَّاتِ.

ـ وصَبرٌ عَنِ المَعاصِي والسَّيِّئاتِ؛ فيُجاهِدُ نَفسَه ويَحرِصُ عَلَى البُعدِ عَن مَحارِمِ اللهِ.

ـ وصَبرٌ عَلَى ما يُصِيبُه مِنَ الآلَامِ الَّتِي تُؤذِيهِ، وما يَنزِلُ بِهِ مِنَ الأَقدَارِ الَّتِي يَكرَهُها؛ فيَصبِرُ عَلَى ذَلِكَ، من مَرضٍ، أو فَقرٍ، أو تَسلِيطِ جَارٍ، أو تَسلِيطِ عَدُوٍّ، أو غَيرِها ممَّا يَنزِلُ بالإِنسَانِ.

فيُقابِلُ هَذَا بالصَّبرِ والأَخذِ بِالأَسبَابِ الَّتِي شَرَعَها الله؛ فيَأخُذُ بالأَسبَابِ مِنَ البُعدِ عَن وَسائِلِ الرِّيبةِ، وعَن وَسَائِلِ الشَّرِّ؛ حتَّى يُعِينَه ذَلِكَ عَلَى تَركِ مَحارِمِ اللهِ، ويَأخُذُ بالأَسبَابِ عَلَى فِعلِ الطَّاعَاتِ من تَدبُّرِ القُرآنِ، وسَماعِ الآيَاتِ والأَحَادِيثِ المُشجِّعةِ عَلَى الخَيرِ، وصُحبَةِ الأَخيَارِ، وتَذكُّرِ الجَنَّةِ، وتَذكُّرِ ما لأَهلِهَا مِنَ الخَيرِ، وتَذكُّرِ النَّارِ ومَا لأَهلِهَا مِنَ الشَّرِّ... إِلَى غَير هَذَا ممَّا يُعِينُه عَلَى الصَّبرِ عَلَى طَاعَةِ اللهِ، وهَكَذا يَتذكَّرُ مَا أَعَدَّ اللهُ لِمَن صَبَر عَلَى المَكارِهِ، وما لَهُ عِندَه سُبحانَهُ مِنَ الخَيرِ، وما وَعَدَه اللهُ من تَكفِيرِ السَّيِّئاتِ؛ فيَتحمَّلُ ويَتصبَّرُ عَلَى ما قد يُصِيبُه ممَّا يَكرَهُ، ويَتذكَّرُ أَنَّ الرُّسُلَ أَفضَلُ الخَلقِ قد أَصَابَهُم ما يُؤذِيهِم، وهُم أَشَدُّ النَّاسِ بَلاءً؛ فيَتذكَّرُ أَنَّ هَذِه الدَّارَ دارُ الِابتِلاءِ، ولَيسَتْ دَارَ نَعِيمٍ، ولكِنَّهَا دَارُ الِابتِلاءِ، وأَنَّ النَّعِيمَ أَمامَه، وبِهَذَا كُلِّه يُعِينُه اللهُ عَلَى أَداءِ هَذَا الوَاجِبِ، اللهُ المُستَعانُ.

---

(١) أخرجه البخاري (١٤٧٢) واللفظ له، ومسلم (١٠٣٥) عن حكيم بن حزام ﷺ.
(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٠٤٣٩).

• س: القِسمُ الثَّالِثُ ـ يا شَيخُ ـ من أَقسامِ الصَّبرِ؟

○ ج: الصَّبرُ أقسَامٌ ثَلاثَةٌ: صَبرٌ عَلَى طَاعةِ اللهِ، وصَبرٌ عَن مَحارِمِ اللهِ، عَنِ المَعاصِي، وصَبرٌ عَلَى ما يُصِيبُ العَبدَ مِنَ القَضاءِ والقَدرِ المُؤلِمِ من مَرضٍ وفَقرٍ وغَيرِه.

* * *

٦٤٧١ حَدَّثَنَا خَلَّادُ بْنُ يَحْيَى، حَدَّثَنَا مِسْعَرٌ، حَدَّثَنَا زِيَادُ بْنُ عِلَاقَةَ قال: سَمِعْتُ الْمُغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ يَقُولُ: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُصَلِّي حَتَّى تَرِمَ، أَوْ تَنْتَفِخَ، قَدَمَاهُ، فَيُقَالُ لَهُ، فَيَقُولُ: أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا». [سبق برقم ١١٣٠، وأخرجه مسلم، برقم ٢٨١٩]

الشَّرح

هَذَا، وهُوَ يَحثُّ النَّاسَ عَلَى التَّيسِيرِ وعَدمِ التَّشدِيدِ، لَكِنَّه ﷺ كَانَ فِي بَعضِ الأَحيَانِ يُشدِّدُ عَلَى نَفسِه فِي قِيَامِ اللَّيلِ، ويُطِيلُ القِيامَ حتَّى تَرِم قَدماهُ عليه الصلاة والسلام، وقَالَت لَهُ عَائِشةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فِي هَذَا وقَالَ لَهُ غَيرُها؛ فقَالَ: ﴿أَفَلَا أَكُونُ عَبدًا شَكُورًا﴾ اللَّهُمَّ صلِّ عَليهِ وسَلِّم.

ومَعَ ذَلِكَ هُوَ ﷺ حثَّ النَّاسَ عَلَى القَصدِ قَالَ: «إِيَّاكُم والتَّكلُّفَ»[(١)]، وقَالَ: «القَصْدَ القَصْدَ تَبلُغُوا»[(٢)]، وقَالَ: «اكْلَفُوا مِنَ العَملِ ما تُطِيقُون»[(٣)]، وقَالَ: «سَدِّدُوا وقَارِبُوا»[(٤)]؛ فأَمَر النَّاسَ بِالتَّسامُحِ وعَدمِ التَّشدِيدِ فِي الأُمورِ؛ حتَّى يَسيرُوا، حتَّى يَستمِرُّوا فِي الخَيرِ، حتَّى لَا يَنقَطِعُوا، لَكِنَّه لِمَا أَعطَاهُ اللهُ الصَّبر وَقوَّاهُ اللهُ عَلَى العَملِ كَانَ يَعمَلُ أَعمَالًا لَا يُطِيقُها غَيرُه عليه الصلاة والسلام، اللَّهُمَّ صلِّ عَليهِ وسَلِّم.

---

(١) أخرجه البخاري (٧٢٩٣) عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كُنَّا عِنْدَ عُمَرَ فَقَالَ: نُهِينَا عَنِ التَّكَلُّفِ.
(٢) أخرجه البخاري (٦٤٦٣)، ومسلم (٢٨١٦) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٣) أخرجه البخاري (١١٥١)، ومسلم (٧٨٢) عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.
(٤) أخرجه البخاري (٦٤٦٣)، ومسلم (٢٨١٦) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(ع): اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَيهِ وَسَلِّمْ، وَهَذَا فِيهِ الاجْتِهَادُ فِي العِبَادَةِ، كَانَ يَجتَهِدُ ﷺ حَتَّى تَرِمَ قَدَمَاهُ مِن طُولِ القِيَامِ، وَيَقُولُ: ﴿أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا﴾، اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَيهِ وَسَلِّمْ، ويَقُولُ مَعَ هَذَا: «**اكْلَفُوا مِنَ العَمَلِ مَا تُطِيقُونَ، فإنَّ اللهَ لَا يَملَّ حَتَّى تَملُّوا**»، وَيَقُولُ ﷺ: «**أَحَبُّ العَمَلِ إِلَى اللهِ مَا دَامَ عَلَيهِ صَاحِبُهُ وَإِنْ قَلَّ**»[1].

وَالإِنسَانُ لِنَفسِهِ عَلَيهِ حَقٌّ مِثْلَمَا قَالَ لِعَبدِ اللهِ بنِ عَمرٍو رضي الله عنهما: «**إِنَّ لِنَفسِكَ عَلَيكَ حَقًّا، وَلِزَوجِكَ عَلَيكَ حَقًّا، وَلِضَيفِكَ عَلَيكَ حَقًّا، فَأَعطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ**»[2]، يَنبَغِي لِلإِنسَانِ أَنْ يَتَكَلَّفَ مِنَ الأَعمَالِ مَا يُطِيقُ، لَا يَشقُّ عَلَى نَفسِهِ فَيَضعُفُ عَنِ العَمَلِ؛ بَل يَرفُقُ بِنَفسِهِ.

٢١ ـ بَاب ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣]، وقَالَ الرَّبِيعُ بْنُ خُثَيْمٍ: مِنْ كُلِّ مَا ضَاقَ عَلَى النَّاسِ

الشَّرح

﴿فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾؛ يَعنِي: من كلِّ ما ضَاقَ، حَسْبُه؛ يَعنِي: فهُوَ كَافِيهِ من كُلِّ ما ضَاقَ عَلَى النَّاسِ، يَجعَلُ اللهُ فِيهِ فَرَجًا ومَخرَجًا ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾، هَذَا أَعظَمُ الأَسبَابِ، التَّوكُّلُ عَلَى اللهِ والِاعتِمادُ عَليهِ والثِّقةُ بِهِ، والإِيمَانُ بأَنَّه مُصرِّفُ الأُمورِ ومُدبِّرُها، وأن كلَّ شَيءٍ بيَدِه، هَذَا من أَعظَمِ التَّقوَى، ومِن أَعظمِ أَسبَابِ تَفريجِ الأُمورِ، ولكِنْ لَيسَ مَعناهُ الإِخلَادَ إِلَى الأَرضِ وتَرْكَ الأَسبَابِ كَمَا يَظُنُّ بَعضُ الجَهَلةِ مِنَ الصُّوفيَّةِ وغَيرِهِم، لا، التَّوكُّلُ يَجمَعُ الأَمرَينِ: يَجمَعُ الثِّقةَ بِاللهِ والِاعتِمادَ عَليهِ، مَعَ الأَخذِ بالأَسبَابِ من عِلاجِ المَرضِ، من زِراعَةٍ، من تِجارَةٍ، من مُدافَعةٍ لِمَا يَضُرُّه، بِلِباسٍ يُدفِّئُه

(١) أخرجه البخاري (٥٨٦١)، ومسلم (٧٨٢) عن عائشة رضي الله عنها.
(٢) أخرجه البخاري (١٩٦٨)، والترمذي (٢٤١٣) عن أبي جحيفة السوائي رضي الله عنه.

عَنِ البَردِ، بتَناوُلِ ما يَسُدُّ جَوعَتَه عَن شِدَّةِ الجُوعِ وأَلَمِه، يَتَعاطَى الأَسبَابَ، لَا يُهمِلُها، اللهُ أَمَره بالأَسبَابِ، بَعضُها واجِبٌ وبَعضُها مَشروعٌ، عَليهِ أن يَأخُذَ بالأَسبَابِ الوَاجِبةِ والمَشرُوعةِ مَعَ اعتِمَادِ قَلبِه عَلَى اللهِ، هَكَذا فِي الصَّبرِ وأَنواعِ الصَّبرِ، الصَّبرُ كُلُّه سَبَبٌ مِنَ الأَسبَابِ، تُضافُ إِلَى الأَسبَابِ الأُخرَى، لَا بُدَّ من أَخذِ الأَسبَابِ الَّتِي شَرَعَها اللهُ وأَمَر بِهَا، ولَا بُدَّ من تَعاطِي الأَسبَابِ الأُخرَى الَّتِي تُعِينُه مِنَ الأَسبَابِ المُباحَةِ حَسَبَ الحَاجةِ إِلَيهَا.

(ع): قوله: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣]؛ يَعْنِي: فِي كُلِّ مَا ضَاقَ عَلَى النَّاسِ؛ يَعْنِي: فَهُوَ كَافِيهِ ﷻ، والتَّوكُّلُ عَلَى اللهِ يَكُونُ بِأَمرَينِ: الاعْتِمَادُ عَلَى اللهِ فِي كُلِّ شَيءٍ مَعَ فِعلِ الأَوَامِرِ وَتَركِ النَّوَاهِي، وَفِعلِ الأَسبَابِ، **يَكُونُ بِأَمرَينِ:**

أَحَدُهُمَا: الاعْتِمَادُ عَلَى اللهِ وَالتَّفوِيضُ إِلَيهِ، وَالإِيمَانُ بِأَنَّهُ مُسَبِّبُ الأَسبَابِ وَمُدَبِّرُ الأُمُورِ وَأَنَّهُ الخَلَّاقُ الرَّزَّاقُ.

وَالأَمرُ الثَّانِي: فِعلُ الأَسبَابِ، مِنَ الطَّاعَاتِ وَتَركِ الْمَعَاصِي، وَتَعَاطِي الأَسبَابِ مِن بَيعٍ أَوْ شِرَاءٍ أَوْ نِجَارَةٍ أَوْ حِدَادَةٍ أَوْ زِرَاعَةٍ أَوْ غَيرِ ذَلِكَ، كَمَا قَالَ ﷺ: **«احْرِصْ عَلَى مَا يَنفَعُكَ وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعجَزَنَّ»**[1]، فَمَنْ تَوكَّلَ صَادِقًا يَعمَلُ بِالأَسبَابِ، أَمَّا يَجلِسُ فِي بَيتِهِ وَيَقُولُ مَا أَنَا بِفَاعِلِ الأَسبَابَ! هَذَا مَا هُوَ بِتَوَكُّلٍ، هَذَا عَجزٌ.

- **س: [بعضُ النَّاس يجلسون] في المَسجِدِ ويَقُولُونَ: نَحنُ المُتوكِّلُونَ عَلَى اللهِ، ولَا يَأخُذونَ بِالأَسبَابِ...؟**

○ ج: هَؤلَاءِ نَاسٌ يَأتُونَ مِنَ اليَمنِ ولَا يَأخُذُونَ زَادًا، يَأتُونَ هَكَذا يَسأَلُونَ النَّاسَ؛ فقِيلَ لَهُم؛ قَالُوا: نَحنُ المُتوكِّلُونَ؛ فقَالَ لَهُم بَعضُ الصَّحابَةِ ﷺ: «بَل هُمُ المتَأكِّلُون». هُوَ من هَذَا البَابِ، الَّذِي يُهمِلُ الأَسبَابَ

(١) أخرجه مسلم (٢٦٦٤)، والنسائي في «الكبرى» (١٠٣٨٢) عن أبي هريرة ﷺ.

لَيسَ بمُتوكِّلٍ، ولكِنَّه يُحمِّلُ عِبئَه عَلَى النَّاسِ، حتَّى يَسألَهم حتَّى يُؤذِيَهُم.

* * *

٦٤٧٢ حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ، حَدَّثَنَا رَوْحُ بْنُ عُبَادَةَ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ قال: سَمِعْتُ حُصَيْنَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ قال: كُنْتُ قَاعِدًا عِنْدَ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ فَقَالَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قال: «يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعُونَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ، هُمُ الَّذِينَ لَا يَسْتَرْقُونَ، وَلَا يَتَطَيَّرُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ». [سبق برقم ٣٤١٠، وأخرجه مسلم، برقم ٢٢٠]

الشَّرح

(ع): اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَيهِ وَسَلِّمْ، اللَّهُمَّ اجْعَلنَا مِنهُمْ، اللهُ المُستَعَانُ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ تَركَ الاسْتِرقَاءِ أَفضَلُ، الاسْتِرقَاءُ طَلَبُ الرُّقيَةِ، تَركُهُ أَفضَلُ؛ لِأَنَّهَا مِنْ أَعْمَالِ السَّبعِينَ، وَإِذَا فَعَلَهَا الإِنسَانُ عِندَ الحَاجَةِ فَلَا بَأسَ؛ فَقَدْ أَمرَ النَّبِيُّ ﷺ عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنْ تَستَرقِيَ، وَأَمَرَ أُمَّ أَولَادِ جَعفَرٍ أَنْ تَستَرقِيَ؛ فَدَلَّ عَلَى أَنَّهُ لَا حَرجَ فِي ذَلِكَ، إِنَّمَا هَذَا مِن بَابِ الفَضَائِلِ.

كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ يَغلَطُ فِي هَذَا الحَدِيثِ ولَا يَدرِي مَعناهُ كَمَا يَنبَغِي، مُرادُ النَّبِيِّ ﷺ هَذِهِ الأَشيَاءُ الخاصَّةُ، لَيسَ مُرادُه تَرْكَ الأَسبَابِ، وإِنَّما أَرادَ من ذَلِكَ تَرْكَ الِاستِرْقاءِ الَّذِي هُوَ حاجَةٌ إِلَى النَّاسِ وسُؤالٌ للنَّاسِ، وتَركُ الشَّيءِ المَكرُوهِ كَمَا فِي الرِّوايَةِ الأُخرَى: «**وَلَا يَكتَوُونَ**»[1]؛ لأنَّ الكَيَّ نَوعٌ مِنَ العَذابِ؛ فَيَنبَغِي أَلَّا يُصارَ إِلَيهِ إِلَّا عِندَ الحَاجةِ إِذَا تَيسَّر أَسبَابٌ أُخرَى فهِيَ أَولَى مِنهُ؛ ولهَذَا قَالَ ﷺ: «**الشِّفاءُ فِي ثَلاثٍ: كيَّةِ نارٍ، أو شَرطَةِ مِحجَم، أو شَربَةِ عَسَلٍ، وما أُحِبُّ أن أكتوِيَ**»[2]، وفِي اللَّفظِ الآخَرِ: «**وأَنهَى أُمَّتِي عَنِ الكَيِّ**»[3].

---

(١) أخرجه البخاري (٥٧٠٥)، ومسلم (٢٢٠) عن ابن عباس رضي الله عنهما.
(٢) أخرجه البخاري (٥٧٠٢)، ومسلم (٢٢٠٥) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.
(٣) أخرجه البخاري (٥٦٨٠) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

فبيَّن أنَّ الكَيَّ مِنَ الأسبَابِ، لكِنْ تَركُه أَولَى مَهمَا أَمكَنَ الاِستِغناءُ عَنهُ، وهَكَذا الاستِرقاءُ مِنَ الأَسبَابِ لكِنْ إِذَا تَيسَّرَ الاِستِغنَاءُ عَنِ الاِستِرقاءِ وعَن سُؤالِ النَّاسِ تُرِكَ، أمَّا إِذَا احْتِيجَ إِلَى الاِستِرْقاءِ أوِ احتِيجَ إِلَى الكَيِّ فُعِلَ؛ ولهَذَا أَمَر النَّبيُّ ﷺ أمَّ أَولادِ جَعفَرٍ رضي الله عنهما أن تَستَرقِيَ لأَولادِهَا لمَّا أَصابَتهُمُ العَينُ[1]، قَالَت عَائِشةُ رضي الله عنها: «أَمَرَنا أن نَستَرقِيَ»[2].

المَقصُودُ: أنَّهُ إِذَا دَعتِ الحَاجةُ إِلَى الاِستِرقاءِ فلَا بَأسَ، وإِلَّا تَركُه أَولَى مَهمَا أَمكَنَ الاِستِغناءُ عَنهُ بطِبٍّ آخَرَ أو عَملٍ آخَرَ، وهَكَذا الكَيُّ فهُوَ أَولَى؛ فمُرادُ النَّبيِّ ﷺ تَركُ الأَسبَابِ المَكرُوهةِ أو المَفضُولةِ أَخذًا بالأَسبَابِ الفَاضِلةِ، وإِلَّا فَالأَكلُ والشُّربُ والاِستِدفاءُ وجَميعُ ما يَحتاجُه العَبدُ كُلُّه أَسبَابٌ.

• **س: عَفَا اللهُ عَنكَ: إِذَا رَقَى نَفسَه؟**

○ **ج**: هَذَا مِنَ الطِّبِّ المَشرُوعِ، مِنَ السُّنَّةِ، كَانَ النَّبيُّ ﷺ يَرقِي نَفسَه عليه الصلاة والسلام.

• **س: أَحسَنَ اللهُ إِليكَ، مَعنَى الاِستِرقَاءِ هَذَا الَّذِي جَاءَ: «لَا يَسْتَرْقُون»؟**

○ **ج**: يَطلُبُ النَّاسَ يَقرَؤونَ عَلَيهِ أو عَلَى أَولَادِه، إِذَا تَيسَّرَ الاستِغنَاءُ عَن هَذَا فلَا بَأسَ، لكِنْ إِذَا رَقاهُ أَخوهُ مِن دُونِ طَلبٍ هَذَا طيِّبٌ، مِثلَما قَالَ ﷺ فِي الحَديثِ الآخَرِ فِي رِوايَة مُسلِم: **«ومَنِ استَطَاعَ أن يَنفَعَ أَخاهُ فليَنفَعْهُ»**[3]، فإِذَا رَقاهُ أَخوهُ من دُونِ طَلبٍ، أو دَعتِ الحَاجةُ إِلَى الاِستِرقاءِ فلَا كَراهَةَ؛ ولهَذَا

---

(١) أخرجه مسلم (٢١٩٨) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: رَخَّصَ النَّبِيُّ ﷺ لِآلِ حَزْمٍ فِي رُقْيَةِ الْحَيَّةِ، وَقَالَ لِأَسْمَاءَ بِنْتِ عُمَيْسٍ رضي الله عنها: «مَا لِي أَرَى أَجْسَامَ بَنِي أَخِي ضَارِعَةً تُصِيبُهُمُ الْحَاجَةُ»، قَالَتْ: لَا، وَلَكِنِ الْعَيْنُ تُسْرِعُ إِلَيْهِمْ، قَالَ: «ارْقِيهِمْ»، قَالَتْ: فَعَرَضْتُ عَلَيْهِ، فَقَالَ: «ارْقِيهِمْ».

(٢) أخرجه البخاري (٥٧٣٨)، ومسلم (٢١٩٥) عن عائشة رضي الله عنها قالت: أَمَرَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ أَوْ أَمَرَ أَنْ يُسْتَرْقَى مِنَ الْعَيْنِ.

(٣) أخرجه مسلم (٢١٩٩)، والنسائي في «الكبرى» (٧٤٩٨) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

أَمَر أُمَّ أولادِ جَعفَرٍ ﵄ أن تَستَرقِيَ، وهِيَ أَسمَاءُ بِنتُ عُمَيسٍ ﵄، وأَمَر عَائِشةَ فِي الحَديثِ الآخَرِ أن تَستَرقِيَ.

• **س: أحسَنَ اللهُ إليكَ، رُقيَةُ جِبرِيلَ للنَّبيِّ ﷺ هَل كَانَت بطَلَبٍ مِنهُ عليه الصلاة والسلام؟**

○ ج: ما بَلَغَني، مِن تَبُرُّعِ جَبرائِيلَ ﵇، ما بَلَغَني أنَّهُ طَلَبَها عليه الصلاة والسلام، وهَكَذا رُقيَتُه لنَفسِهِ عليه الصلاة والسلام.

• **س: هَل وَرَد: «خَيرُ النَّاسِ مَن يَنفَعُ النَّاسَ»[1]؟**

○ ج: ما أَعرِفُ هَذَا، لكِنْ: «مِن استَطَاعَ أن يَنفَعَ أَخاهُ فلْيَنفَعْهُ».

٢٢ ـ بَاب مَا يُكْرَهُ مِنْ قِيلَ وَقَالَ

٦٤٧٣ ﴿ حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُسْلِمٍ، حَدَّثَنَا هُشَيْمٌ، أَخْبَرَنَا غَيْرُ وَاحِدٍ، مِنْهُمْ مُغِيرَةُ، وَفُلَانٌ، وَرَجُلٌ ثَالِثٌ أَيْضًا، عَنِ الشَّعْبِيِّ عَنْ وَرَّادٍ كَاتِبِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ أَنَّ مُعَاوِيَةَ كَتَبَ إِلَى الْمُغِيرَةِ أَنِ اكْتُبْ إِلَيَّ بِحَدِيثٍ سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قال: فَكَتَبَ إِلَيْهِ الْمُغِيرَةُ: أَنِّي سَمِعْتُهُ يَقُولُ عِنْدَ انْصِرَافِهِ مِنَ الصَّلَاةِ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ، لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»، قال: «وَكَانَ يَنْهَى عَنْ: قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةِ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةِ الْمَالِ، وَمَنْعٍ وَهَاتِ، وَعُقُوقِ الأُمَّهَاتِ، وَوَأْدِ الْبَنَاتِ»، وَعَنْ هُشَيْمٍ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ عُمَيْرٍ قال: سَمِعْتُ وَرَّادًا يُحَدِّثُ هَذَا الْحَدِيثَ، عَنِ الْمُغِيرَةِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ. [سبق برقم ٨٤٤، وأخرجه مسلم، برقم ٥٩٣]

---

(١) قال البوصيري: أخرجه أبو يعلى. . . . ، هذا إسناد ضعيف سكين بن أبي سراج، قال ابن حبان: يضع الحديث يروي الموضوعات، وقال البخاري والأزدي: منكر الحديث. «إتحاف الخيرة المهرة» (٥١٧٦).

الشَّرح

(ع): يَعْنِي: يَنْهَى النَّبِيُّ ﷺ عَنْ **﴿قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةِ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةِ المَالِ﴾**؛ لِأَنَّ هَذِهِ أَشْيَاءُ تَضُرُّ العَبدَ، فَينبَغِي لَهُ الحَذَرُ مِنْهَا.

(قارِئُ العُمدَةِ): أَحسَنَ اللهُ إِلَيكَ، هُنَا زِيادةٌ: «ثَلاثَ مرَّاتٍ» يَقولُ: **﴿لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلكُ ولَهُ الحَمدُ يُحيِي ويُمِيتُ، وهُوَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَديرٌ﴾** ثَلاثَ مرَّاتٍ. [انتهىٰ كلامه]

(الشَّيخُ): يَعنِي: هَذِه زِيادةٌ عَلَى المَتنِ، وَارِدةٌ فِي غَيرِ الصَّحِيحِ، رَواهَا النَّسائِيُّ، وعَبدُ بنُ حُمَيدٍ، وأَحمَدُ، زِيادَةُ «ثَلاثَ مرَّاتٍ»[1]، لكِنْ فِي الصَّحِيحِ من دُونِ ذِكرِ الزِّيادةِ، مَاذَا قَالَ عَليهَا العَينِيُّ؟ تَكلَّم الحافِظُ؟ تَكلَّم عَليهَا أو قَالَ: مَضَى الحَديثُ؟

[قالَ الحَافِظُ ابنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «فتْحِ البَارِي» (١١/ ٣٠٧)]: «قَوْلُهُ: **﴿فَكَتَبَ إِلَيْهِ الْمُغِيرَةُ﴾** ظَاهِرُهُ أَنَّ الْمُغِيرَةَ بَاشَرَ الْكِتَابَة، وَلَيْسَ كَذَلِك، فقد أخرجه ابن حِبَّانَ مِنْ طَرِيقِ عَاصِمٍ الْأَحْوَلِ عَنِ الشَّعْبِيِّ، أَنَّ مُعَاوِيَةَ كَتَبَ إِلَى الْمُغِيرَةِ: اكْتُبْ إِلَيَّ بِحَدِيثٍ سَمِعْتَهُ، فَدَعَا غُلَامَهُ وَرَّادًا فَقَالَ: اكْتُبْ... فَذَكَرَهُ. وَقَوْلُهُ: **﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ...﴾** إِلَى قَوْلِهِ: **﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾**. زَادَ فِي نُسْخَةِ الصَّغَانِيِّ هُنَا: ثَلَاثَ مَرَّاتٍ. وَأَخْرَجَهُ الطَّبَرَانِيُّ مِنْ طَرِيقِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عُمَيْرٍ عَنْ وَرَّادٍ، كَتَبَ مُعَاوِيَةُ إِلَى الْمُغِيرَةِ: اكْتُبْ إِلَيَّ بِشَيْءٍ سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: فَكَتَبْتُ إِلَيْهِ بِخَطِّي وَلَمْ أَقِفْ عَلَى تَسْمِيَةِ مَنْ كَتَبَ لِمُعَاوِيَةَ صَرِيحًا، إِلَّا أَنَّ الْمُغِيرَةَ كَانَ مُعَاوِيَةُ أَمَّرَهُ عَلَى الْكُوفَةِ فِي سَنَةِ إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ إِلَى أَنْ مَاتَ سَنَةَ خَمْسِينَ أَوْ فِي الَّتِي بَعْدَهَا، وَكَانَ كَاتِبُ مُعَاوِيَةَ إِذْ ذَاكَ عُبَيْدُ بْنُ أَوْسٍ الْغَسَّانِيُّ.

---

(١) أخرجه النسائي (٣/ ٧١)، وأحمد (٣٠/ ١٢٧) رقم (١٨١٩٢).
وجاء إثباتها في بعض نسخ البخاري، كما في النسخة اليونينية ـ السلطانية.

وَفِي الْحَدِيثِ حُجَّةٌ عَلَى مَنْ لَمْ يَعْمَلْ فِي الرِّوَايَةِ بِالْمُكَاتَبَةِ، وَاعْتَلَّ بَعْضُهُمْ بِأَنَّ الْعُمْدَةَ حِينَئِذٍ عَلَى الَّذِي بَلَّغَ الْكِتَابَ، كَأَنْ يَكُونَ الَّذِي أَرْسَلَهُ أَمَرَهُ أَنْ يُوَصِّلَ الْكِتَابَ وَأَنْ يُبَلِّغَ مَا فِيهِ مُشَافَهَةً. وَتُعُقِّبَ بِأَنَّ هَذَا يَحْتَاجُ إِلَى نَقْلٍ، وَعَلَى تَقْدِيرِ وُجُودِهِ فَتَكُونُ الرِّوَايَةُ عَنْ مَجْهُولٍ، وَلَوْ فُرِضَ أَنَّهُ ثِقَةٌ عِنْدَ مَنْ أَرْسَلَهُ وَمَنْ أَرْسَلَ إِلَيْهِ فَتَجِيءُ فِيهِ مَسْأَلَةُ التَّعْدِيلِ عَلَى الْإِبْهَامِ، وَالْمُرَجَّحُ عَدَمُ الِاعْتِدَادِ بِهِ». [انتهى كلامه].

قَالَ ابنُ بَازٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: تَقدَّمَ البَحثُ فِيهِ، فِي الصَّلاةِ، ذَكَر المُؤلِّفُ أنَّ عَبْدَ بنَ حُميدٍ والنَّسائِيَّ وأحمَدَ زَادُوا فِيهِ «ثَلاثًا»، أمَّا فِي «الصَّحِيحِ» نُسخَةُ الصَّغانِيِّ كأنَّها غَيرُ مُعتمَدةٍ.

والمَقصُودُ من هَذَا: أنَّهُ يُستحَبُّ أن يَقولَ بَعدَ الصَّلاةِ إذَا سلَّم بَعدَ الِاستِغفَارِ ثَلاثًا بَعد قَولِكَ: «**اللَّهُمَّ أَنتَ السَّلامُ ومِنكَ السَّلامُ تَبارَكْتَ يا ذَا الجَلالِ والإكرَامِ**» عَمَلًا بحَديثِ ثَوبانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي مُسلِمٍ: كَانَ إذَا سَلَّم من صَلاتِه قَالَ: «**أَستَغفِرُ اللهَ** ـ ثَلاثًا ـ **اللَّهُمَّ أَنتَ السَّلامُ...**»[1]، ثُمَّ يَقولُ بَعد هَذَا: ﴿**لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلكُ ولَهُ الحَمدُ وهُوَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ**﴾، زَادَ أَحمَدُ رَحِمَهُ اللَّهُ والنَّسائِيُّ وعَبدُ بنُ حُمَيدٍ بسَندٍ جيِّدٍ فِي هَذَا الحَديثِ: «**ثَلاثَ مرَّاتٍ**» ﴿**لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ..**﴾ ثَلاثَ مرَّاتٍ، وزَادَ أَيضًا عَبدُ بنُ حُمَيدٍ: «**يُحيِي ويُمِيتُ**». كلُّ هَذَا ثابِتٌ عَنهُ عليه الصلاة والسلام؛ فإذَا كرَّرَها ثلاثًا كَانَ أَفضَلَ، وإذَا قَالَها ثَلاثًا فِي بَعضِ الأَحيانِ وبَعضِ الأَحيَانِ مرَّةً فلَا بَأسَ، كُلُّه طيِّبٌ، والزِّيادةُ مِنَ الثِّقةِ مَقبولَةٌ.

والشَّارِعُ قد عُرِفَ مِن عَادَتِه التَّثلِيثُ فِي كَثيرٍ مِنَ المَسائِلِ عليه الصلاة والسلام، ثُمَّ يَقولُ بَعدَها: «**اللَّهُمَّ لَا مانِعَ لِمَا أَعطَيتَ، ولَا مُعطِيَ لِمَا مَنَعتَ، ولَا يَنفَعُ ذا الجَدِّ مِنكَ الجَدُّ**»، وفِي رِوايَةِ ابنِ الزُّبيرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عِندَ مُسلِمٍ يَقولُ: «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ**

(١) أخرجه مسلم (٥٩١).

قَدِيرٌ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ، لَا نَعْبُدُ إِلَّا إِيَّاهُ، لَهُ النِّعْمَةُ وَلَهُ الْفَضْلُ، وَلَهُ الثَّنَاءُ الْحَسَنُ، لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ، مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ». فيَنبَغِي أن يُجمَع بَينَ هَذَا وهَذَا؛ يَأتِي المُؤمِنُ بهَذَا وهَذَا كَمَا فِي حَديثِ المُغِيرَةِ، وحَديثِ ابنِ الزُّبَيرِ، وحَديثِ ثَوبَانَ ﷺ؛ فكُلُّها ثَبَتَتْ عَنهُ عليه الصلاة والسلام، اللَّهُمَّ صلِّ عَليهِ وسَلِّم.

• **س: زِيادَةُ: «بيَدِكَ الخَيرُ» أَحسَنَ اللهُ إِلَيكَ؟**

○ **ج**: جَاءَت فِي بَعضِ الرِّواياتِ لكِنَّهَا خارِجَ الصَّحِيحِ، ذَكَرها المُؤلِّفُ فِي «الفَتحِ» فِيمَا تَقدَّم بسَندٍ جيِّدٍ فِي بَعض الرِّوايَاتِ.

• **س: هل هَذَا الذِّكرُ خاصٌّ بالصَّلَواتِ المَفرُوضةِ؟**

○ **ج**: هَذَا جَاءَ بَعدَ المَفرُوضةِ، ما سَمِعناهُ إِلَّا بَعدَ المَفرُوضَةِ، المَكتُوبةُ يَعنِي.

• **س: أَحسَنَ اللهُ إِلَيكَ، عِندَنَا زِيَادَةٌ «ثَلَاثَ مَرَّاتٍ» أَحسَنَ اللهُ إِلَيكَ.**

(الشَّيخُ): لَا مَا هِيَ فِي الصَّحِيحِ، هَذِهِ فِي رِوَايَةِ عَبدِ بنِ حُمَيدٍ «ثَلَاثَ مَرَّاتٍ».

(الطَّالِبُ): لَكِنْ ثَابِتَةٌ أَحسَنَ اللهُ إِلَيكَ، ثَابِتَةٌ فِي رِوَايَةِ الحُمَيدِيِّ، العَينِيُّ ذَكَرَهَا فِي الصُّلبِ أَحسَنَ اللهُ إِلَيكَ، ذَكَرَهَا فِي الأَصلِ.

(الشَّيخُ): لَا، هَذِهِ مَا هِيَ ثَابِتَةٌ فِي الأَصلِ، لَكِنْ جَاءَ فِي رِوَايَةِ عَبدِ بنِ حُمَيدٍ: «ثَلَاثَ مَرَّاتٍ»، يَقُولُها ثَلَاثَ مَرَّاتٍ بَعدَ كُلِّ فَرِيضَةٍ، **﴿لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ وَحدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلكُ وَلَهُ الحَمدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾**. لَكِنْ فِي الفَجرِ وَالْمَغرِبِ يَأتِي بِهِ عَشْرًا زِيَادَةً عَلَى هَذَا، عَشْرًا بَعدَ الْمَغرِبِ وَبَعدَ الفَجرِ.

• **س: «صَحِيحُ البُخَارِيِّ» مِن غَيرِ شَرحِ ابنِ حَجَرٍ ذَكَرَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فِي الْمَتْنِ؟**

○ **ج**: لَا؛ مَا هِيَ بِثَابِتَةٍ فِي «الصَّحِيحِ».

• س: ذكر أَنَّهَا رِوَايةٌ للصَّاغَانِي؛ يَعْني: مِنْ رِوَاياتِ البُخَارِيِّ؟

○ ج: ذَكَرَها الصَّاغَانِيُّ، لَكِنْ مَا هِيَ بِثَابِتَةٍ فِي الحَدِيثِ مِن طَرِيقِ البُخَارِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ.

• س: فِي غَيرِ البُخَارِيِّ صَحِيحٌ سَنَدُهَا أَحسَنَ اللهُ إِلَيكَ؟

○ ج: لَا بَأسَ بِهَا عِندَ عَبدِ بنِ حُمَيدٍ.

• س: عَفَا اللهُ عَنكَ يَرفَعُ بِهَا صَوتَهُ؟

○ ج: نَعَمْ؛ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ يَرفَعُ بِهَا صَوتَهُ، ثُمَّ يَقُولُ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَلَا نَعبُدُ إِلَّا إِيَّاهُ، لَهُ النِّعمَةُ وَلَهُ الفَضلُ، وَلَهُ الثَّنَاءُ الحَسَنُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُخلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَو كَرِهَ الكَافِرُونَ»[١]، كَمَا رَوَاهُ ابنُ الزُّبَيرِ عِندَ مُسلِمٍ: «اللَّهُمَّ لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلَا يَنْفَعُ ذَا الجَدِّ مِنْكَ الجَدُّ»[٢]، وَيَقُولُ أَيْضًا بَعدَهَا: «لَا حَولَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ». وَفِي الْمَغرِبِ وَالفَجرِ يَزِيدُ: {لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ}، عَشرَ مَرَّاتٍ[٣].

---

(١) أخرجه مسلم (٥٩٤) عن ابن الزبير رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه البخاري (٨٤٤)، ومسلم (٥٩٣) عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه الترمذي (٣٤٧٤) عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ قَالَ فِي دُبُرِ صَلَاةِ الفَجْرِ وَهُوَ ثَانٍ رِجْلَيْهِ قَبْلَ أَنْ يَتَكَلَّمَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، عَشْرَ مَرَّاتٍ، كُتِبَتْ لَهُ عَشْرُ حَسَنَاتٍ، وَمُحِيَ عَنْهُ عَشْرُ سَيِّئَاتٍ، وَرُفِعَ لَهُ عَشْرُ دَرَجَاتٍ، وَكَانَ يَوْمَهُ ذَلِكَ كُلَّهُ فِي حِرْزٍ مِنْ كُلِّ مَكْرُوهٍ، وَحُرِسَ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَلَمْ يَنْبَغِ لِذَنْبٍ أَنْ يُدْرِكَهُ فِي ذَلِكَ اليَوْمِ إِلَّا الشِّرْكَ بِاللهِ». وصححه. وأخرج الترمذي أيضًا (٣٥٣٤) عن عمارة بن شبيب السبئي قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، عَشْرَ مَرَّاتٍ عَلَى إِثْرِ الْمَغْرِبِ بَعَثَ اللهُ لَهُ مَسْلَحَةً يَحْفَظُونَهُ مِنَ الشَّيْطَانِ حَتَّى يُصْبِحَ، وَكَتَبَ اللهُ لَهُ بِهَا عَشْرَ حَسَنَاتٍ مُوجِبَاتٍ، وَمَحَا عَنْهُ عَشْرَ سَيِّئَاتٍ مُوبِقَاتٍ، وَكَانَتْ لَهُ بِعَدْلِ عَشْرِ رِقَابٍ مُؤْمِنَاتٍ».

وقال: هذا حديث غريب، لا نعرفه إلا من حديث ليث بن سعد، ولا نعرف لعمارة بن شبيب سماعًا من النبي ﷺ.

• س: فِي الْمَغرِبِ وَالفَجرِ يَقُولُ ثَلَاثَ عَشرَةَ مَرَّةً: «لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ وَحدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ»؟

○ ج: ثَلَاثَةً أَوَّلًا: «لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ، وَلَا نَعبُدُ إِلَّا إِيَّاهُ، وَلَا حَولَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ»، وَالعَشرَ بَعدَهَا، أَفضَلُ.

• س: فِي أَذكَارِ الصَّبَاحِ وَالْمَسَاءِ تُقَالُ أَيْضًا؟

○ ج: جِنسُ الذِّكرِ مَن أَصبَحَ بَعدَ السَّلَامِ.

• س: مَا يَكتَفِي فِي الْمَغرِبِ وَالفَجرِ بِعَشرٍ؟

○ ج: بَعدَ ﴿لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ﴾ ثَلَاثًا، وَبَعدَ «لَا حَولَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ»، وَبَعدَ «لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ وَلَا نَعبُدُ إِلَّا إِيَّاهُ، لَهُ النِّعمَةُ وَلَهُ الفَضلُ وَلَهُ الثَّنَاءُ الحَسَنُ، لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ مُخلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَو كَرِهَ الكَافِرُونَ، اللَّهُمَّ لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلَا يَنْفَعُ ذَا الجَدِّ مِنْكَ الجَدُّ». يَزِيدُ العَشَرَةَ.

• س: بَعدَ مَرَّةٍ وَاحِدَةٍ؛ يَعْنِي: يَقُولُها؟

○ ج: يَزِيدُ العَشَرَةَ بَعدَهَا، هَذِهِ [الوَاحِدَةُ] مُستَمِرَّةٌ فِي الأَوْقَاتِ الخَمسَةِ.

٢٣ ـ بَاب حِفْظِ اللِّسَانِ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا، أَوْ لِيَصْمُتْ وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ [ق: ١٨]

٦٤٧٤ ﴿ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ الْمُقَدَّمِيُّ، حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ عَلِيٍّ سَمِعَ أَبَا حَازِمٍ عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قال: «مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ، وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ أَضْمَنْ لَهُ الْجَنَّةَ». [طرفه في: ٦٨٠٧]

الشَّرح

(ع): يَعْنِي: اللِّسَانَ وَالفَرجَ، مَن يَحفَظْ لِسَانَهُ وَفَرجَهُ لَهُ الجَنَّةُ، اللهُ أَكْبَرُ.

وهَذَا خَبَرٌ عَظيمٌ يَدلُّ عَلَى خَطرِ اللِّسانِ، وخَطرِ الفَرجِ، وأنَّ مَن عَافاهُ اللهُ مِن شرِّ لِسَانِه ومِن شَرِّ فَرجِه تَمَّت لَهُ السعادة، ولهَذَا قَالَ: **﴿مَن يَضمَنْ لي ما بَينَ لَحْيَيْهِ وما بَينَ رِجلَيهِ أَضمَنْ لَهُ الجَنَّةَ﴾**؛ يَعنِي: مَن يَضمَنْ لي أنَّهُ يَسلَمَ من شَرِّ لِسانِه ومن شَرِّ فَرجِه فيَكُونَ من أَهلِ الجَنَّةِ والسَّعادَةِ بضَمانَتِه ﷺ، وهَذَا يَحتاجُ إِلَى **أَمرَينِ**:

الأَمرِ الأَوَّلِ: كَثرةُ الذِّكرِ والتَّدبُّرِ فِي كِتابِ الله ﷻ، وما يَترتَّبُ عَلَى الذِّكرِ مِنَ الخَيرِ.

والثَّانِي: اجتِنابُ مَجالِسِ اللَّغوِ، مَجالِسِ القِيلِ والقَالِ، ومَجالِسِ الغَفلَةِ؛ لأنَّ هَذَا يَضرُّه، ومَجالِسِ الشُّبَهِ والأَشيَاءِ الَّتِي تَجُرُّه إِلَى الزِّنَا؛ فيَبتعِدُ عَن أَسبَابِ الزِّنا، وأَسبَابِ اللَّغوِ فِي القَولِ، ويَجتهِدُ فِي حِفظِ لِسانِهِ بذِكرِ اللهِ، وتَذكُّرِ ما وَعَد اللهُ بِهِ الذَّاكِرين، ومَن عَفَّ عَن مَحارِمِ اللهِ؛ فيَكُونُ هَذَا عَونًا لَهُ عَلَى حِفظِ فَرجِهِ وحِفظِ لِسانِهِ.

(الشَّيخُ): ضَبَط عِندَك: «لَحيَيهِ» ذَكَر اللُّغَتَين أوِ اقتَصر عَلَى الفَتحِ فَقطْ؟

[قالَ الحَافِظُ ابنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللهُ فِي «فتْحِ البَارِي» (١١/ ٣٠٧)]: «قَوْلُهُ: ﴿لَحْيَيْهِ﴾ بِفَتْحِ اللَّامِ وَسُكُونِ الْمُهْمَلَةِ، وَالتَّثْنِيَةِ هُمَا العظْمَانِ فِي جَانِبَيِ الْفَمِ، وَالْمُرَادُ بِمَا بَيْنَهُمَا اللِّسَانُ وَمَا يَتَأَتَّى بِهِ النُّطْقُ، وَبِمَا بَيْنَ الرِّجْلَيْنِ الْفَرْجُ، وَقَالَ الدَّاوُدِيُّ: الْمُرَادُ بِمَا بَيْنَ اللَّحْيَيْنِ: الْفَمُ، قَالَ: فَيَتَنَاوَلُ الْأَقْوَالَ وَالْأَكْلَ وَالشُّرْبَ وَسَائِرَ مَا يَتَأَتَّى بِالْفَمِ مِنَ الْفِعْلِ، قَالَ: وَمَنْ تَحَفَّظْ مِنْ ذَلِكَ أَمِنَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَبْقَ إِلَّا السَّمْعُ وَالْبَصَرُ. كَذَا قَالَ. وَخَفِيَ عَلَيْهِ أَنَّهُ بَقِيَ الْبَطْشُ بِالْيَدَيْنِ، وَإِنَّمَا مَحْمَلُ الْحَدِيثِ عَلَى أَنَّ النُّطْقَ بِاللِّسَانِ أَصْلٌ فِي حُصُولِ كُلِّ مَطْلُوبٍ، فَإِذَا لَمْ يَنْطِقْ بِهِ إِلَّا فِي خير سلم.

وَقَالَ ابن بَطَّالٍ: دَلَّ الْحَدِيثُ عَلَى أَنَّ أَعْظَمَ الْبَلَاءِ عَلَى الْمَرْءِ فِي الدُّنْيَا لِسَانُهُ وَفَرْجُهُ، فَمَنْ وُقِيَ شَرَّهُمَا وُقِيَ أَعْظَمَ الشَّرِّ». [انتهى كلامه].

[قال فِي «القاموس المحيط» (١/ ١٣٣٠)]: «أي: اللِّحْيَةُ، بالكسر: شَعَرُ الخَدَّيْنِ والذَّقَنِ ج: لِحًى ولُحًى، والنِّسْبَةُ: لِحَوِيٌّ.

ورَجُلٌ أَلْحَى ولِحْيانِيٌّ: طَويلُها، أو عَظيمُها». [انتهى كلامه].

* * *

٦٤٧٥ حَدَّثَنِي عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ عَبْدِ اللهِ، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ، فَلْيَقُلْ خَيْرًا، أَوْ لِيَصْمُتْ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ، فَلَا يُؤْذِ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ، فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ». [سبق برقم ٥١٨٥، وأخرجه مسلم، برقم ٤٧]

الشَّرح

وهَذَا: ﴿فلا يُؤذِ جَارَه﴾، وفِي اللَّفظِ الآخَرِ: «فليُكْرِمْ جَارَهُ»[(١)]، وفِي اللَّفظِ الآخَرِ: «فلْيُحسِنْ إِلَى جَارِه»[(٢)]. فالمُؤمِنُ مَأمورٌ بهَذِه الأُمورِ: بِالإِحسَانِ إِلَى جَارِه، وإِكرَامِه، وعَدمِ أَذاهُ، كلُّ هَذَا واجِبٌ، مَعَ أَنَّهُ يَنبَغِي لَهُ بل يَجِبُ عَليهِ أن يَحفَظَ لِسانَه؛ فيَقولَ خَيرًا أو يَصمُتَ؛ اللهُ المُستَعانُ.

(ع): وَفِي هَذَا الحَثُّ عَلَى حِفظِ اللِّسَانِ، وَأَنَّهُ يَنبَغِي لِلمُؤمِنِ أَنْ يَصُونَ لِسَانَهُ، ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ [ق: ١٨]، ﴿مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ﴾، وَيَقُولُ فِي كِتَابِهِ العَظِيمِ: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ [النساء: ١١٤]، كَذَلِكَ الحَذَرُ مِن إِيذَاءِ الجَارِ، وَالوَاجِبُ إِكرَامُهُ وَالإِحسَانُ إِلَيهِ، وَالحَذَرُ مِنْ إِيذَائِهِ.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٠١٩) عن أبي شريح العدوي رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم (٤٨)، وابن ماجه (٣٦٧٢) عن أبي شريح العدوي رضي الله عنه.

• س: قَولُهُ فِي الحَدِيثِ السَّابِقِ: «وَإِضَاعَةِ الْمَالِ وَمَنعًا وَهَاتِ»؟

○ ج: نَعَمْ؛ يُنهَى عَنْ هَذَا.

• س: مَنْعًا وَهَاتِ مَا مَعنَاهَا؟

○ ج: يَعْنِي: يَطلُبُ، يَمنَعُ الَّذِي عِنْدَهُ؛ شَحِيحٌ بَخِيلٌ، وَمَعَ هَذَا يَسأَلُ النَّاسَ، يَسأَلُ، سَؤُولٌ وَبَخِيلٌ الجمِيعُ، شَحِيحٌ بَخِيلٌ.

• س: أَحسَنَ اللهُ إِلَيكَ، الحَلُّ لجَارِ السُّوءِ إِذَا نُصِحَ ولم يَقبَلِ النُّصْحَ هلِ الوَاحِدُ يَنقُلُ مِنَ المَكانِ هَذَا إِذَا استَطَاعَ أو يَصبِرُ عَليهِ؟

○ ج: يَعمَل بالأَصلَحِ، إِذَا كَانَ فِي بَقائِهِ فِي المَحَلِّ خَيرٌ يَصبِرُ عَلَى النُّصحِ، يُذكِّرُ النَّاسَ ويَدعُو إِلَى اللهِ، وإِنْ رَأَى الِانتِقالَ إِلَى مَحلٍّ آخَرَ أَصلَحَ انتَقَل.

* * *

٦٤٧٦ حَدَّثَنَا أَبُو الْوَلِيدِ، حَدَّثَنَا لَيْثٌ، حَدَّثَنَا سَعِيدٌ الْمَقْبُرِيُّ، عَنْ أَبِي شُرَيْحٍ الْخُزَاعِيِّ قَالَ: سَمِعَ أُذُنَايَ، وَوَعَاهُ قَلْبِي النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «الضِّيَافَةُ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ، جَائِزَتُهُ»، قِيلَ: ومَا جَائِزَتُهُ؟ قَالَ: «يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ»، قال: «وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ، فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ، فَلْيَقُلْ خَيْرًا، أَوْ لِيَسْكُتْ». [سبق برقم ٦٠١٩، وأخرجه مسلم، برقم ٤٨]

الشَّرح

• س: يَومٌ وَلَيلَةٌ أَمْ ثَلَاثَةُ أَيَّام، بِالنِّسبَةِ لِإِكرَامِ الضَّيفِ؟

○ ج: السُّنَّةُ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ، وَالوَاجِبُ يَومٌ وَلَيلَةٌ، وَالسُّنَّةُ وَالكَمَالُ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ.

* * *

٦٤٧٧ حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ حَمْزَةَ، حَدَّثَنِي ابْنُ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ يَزِيدَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ عَنْ عِيسَى بْنِ طَلْحَةَ بن عُبيدِ اللهِ التَّيْمِيِّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ، مَا يَتَبَيَّنُ فِيهَا، يَزِلُّ بِهَا فِي النَّارِ أَبْعَدَ مِمَّا بَيْنَ الْمَشْرِقِ». [طرفه في: ٦٤٧٨، وأخرجه مسلم، برقم ٢٩٨٨]

الشَّرح

(ع): يَعْنِي: مَا يَتَبَيَّنُ؛ يَعْنِي: مَا يَثْبُتُ فِيهَا، يَتَكَلَّمُ بِكَلِمَةٍ مَا يَتَثَبَّتُ فِيهَا تَكُونُ خَبِيثَةً، يَزِلُّ بِهَا فِي النَّارِ أَبعَدَ مَا بَينَ الْمَشرِقِ، وَفِي اللَّفظِ الآخَرِ: «**أَبعَدَ مَا بَينَ الْمَشرِقِ وَالْمَغرِبِ**»(١) فِي اللَّفظِ الآخَرِ: «**يَزِلُّ بِهَا فِي النَّارِ سَبعِينَ خَرِيفًا**»(٢)، نَسأَلُ اللهَ العَافِيَةَ، لَا حَولَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ.

[قَالَ الحَافِظُ ابنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «فتْحِ البَارِي» (١١/ ٣٠٧)]: «قَوْلُهُ: ﴿**أَبْعَدَ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ**﴾ كَذَا فِي جَمِيعِ النُّسَخِ الَّتِي وَقَعَتْ لَنَا فِي الْبُخَارِيِّ، وَكَذَا فِي رِوَايَةِ إِسْمَاعِيلَ الْقَاضِي عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ حَمْزَةَ شَيْخِ الْبُخَارِيِّ فِيهِ عِنْدَ أَبِي نُعَيْمٍ، وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ وَالْإِسْمَاعِيلِيُّ مِنْ رِوَايَةِ بَكْرِ بْنِ مُضَرَ عَنْ يَزِيدَ بْنِ الْهَادِ بِلَفْظِ: أَبْعَدَ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ. وَكَذَا وَقَعَ عِنْدَ ابن بَطَّالٍ.

وَشَرَحَهُ الْكِرْمَانِيُّ عَلَى مَا وَقَعَ عِنْدَ الْبُخَارِيِّ فَقَالَ: قَوْلُهُ: ﴿**مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ**﴾ لَفْظُ «بَيْنَ» يَقْتَضِي دُخُولَهُ عَلَى الْمُتَعَدِّدِ، وَالْمَشْرِقِ مُتَعَدِّدٌ مَعْنًى؛ إِذْ مَشْرِقُ الصَّيْفِ غَيْرُ مَشْرِقِ الشِّتَاءِ، وَبَيْنَهُمَا بُعْدٌ كَبِيرٌ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ اكْتَفَى بِأَحَدِ الْمُتَقَابِلَيْنِ عَنِ الْآخَرِ مِثْلَ: ﴿سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾، قَالَ: وَقَدْ ثَبَتَ فِي بَعْضِهَا بِلَفْظِ: «**بَيْنَ الْمشرق وَالْمغرب**».

قَالَ ابن عَبْدِ الْبَرِّ: الْكَلِمَةُ الَّتِي يَهْوِي صَاحِبُهَا بِسَبَبِهَا فِي النَّارِ هِيَ الَّتِي يَقُولُهَا عِنْدَ السُّلْطَانِ الجائر. وَزَاد ابن بَطَّالٍ: بِالْبَغْيِ أَوْ بِالسَّعْيِ عَلَى الْمُسْلِمِ؛ فَتَكُونُ سَبَبًا لِهَلَاكِهِ، وَإِنْ لَمْ يُرِدِ الْقَائِلُ ذَلِكَ لَكِنَّهَا رُبَّمَا أَدَّتْ إِلَى ذَلِكَ؛ فَيُكْتَبُ عَلَى الْقَائِلِ إِثْمُهَا. وَالْكَلِمَةُ الَّتِي تُرْفَعُ بِهَا الدَّرَجَاتُ وَيُكْتَبُ بِهَا الرِّضْوَانُ هِيَ الَّتِي يَدْفَعُ بِهَا عَنِ الْمُسْلِمِ مَظْلِمَةً أَوْ يُفَرِّجُ بِهَا عَنْهُ كُرْبَةً

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٨٨) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه الترمذي (٢٣١٤) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال الترمذي: حسن غريب من هذا الوجه.

أَوْ يَنْصُرَ بِهَا مَظْلُومًا. وَقَالَ غَيْرُهُ فِي الْأُولَى: هِيَ الْكَلِمَةُ عِنْدَ ذِي السُّلْطَانِ يرضيه بِهَا فِيمَا يسْخط الله.

قَالَ ابن التِّينِ: هَذَا هُوَ الْغَالِبُ، وَرُبَّمَا كَانَتْ عِنْدَ غَيْرِ ذِي السُّلْطَانِ مِمَّنْ يَتَأَتَّى مِنْهُ ذَلِكَ، وَنقل عَن ابن وَهْبٍ أَنَّ الْمُرَادَ بِهَا التَّلَفُّظُ بِالسُّوءِ وَالْفُحْشُ مَا لَمْ يُرِدْ بِذَلِكَ الْجَحْدَ لِأَمْرِ اللهِ فِي الدِّينِ». [انتهى كلامه].

قَالَ ابنُ بَازٍ رَحِمَهُ اللهُ: الصَّوابُ: كَلامُهُم لَيسَ خَاصًّا بِالسُّلطَانِ، الصَّوابُ العُمُومُ، هَذَا وَعيدٌ شَدِيدٌ وتَحْذِيرٌ أَكيدٌ من إِطلَاقِ الكَلامِ الَّذِي يَضُرُّ ويُغضِبُ اللهَ ﷻ مُطلَقًا؛ فالعَبدُ قد يَتكَلَّمُ بكَلِمةٍ ما يَتبيَّنُ فِيهَا، أو ما يُلقِي لَهَا بالًا يَزِلُّ بِهَا فِي النَّارِ أبعَدَ ما بَينَ المَشرِقِ والمَغرِبِ؛ نَسأَلُ اللهَ العَافِيةَ. وهَذَا لَيسَ خَاصًّا بِمَا عِندَ السُّلطَانِ، لكِنْ ما كَانَ عِندَ السُّلطَانِ يَكُونُ أَشدَّ؛ لأنَّ الضَّرَرَ الَّذِي يَحصُلُ عِندَ السُّلطانِ قد يَكُونُ أَغلَبَ وأكثَرَ؛ فَالواجِبُ الحَذرُ مِن شرِّ وَرْطاتِ اللِّسَانِ؛ ولهَذَا تَقدَّم: «**مَن يَضمَنْ لي ما بَينَ لَحْيَيْهِ وما بَينَ رِجلَيهِ أَضمَنْ لَهُ الجَنَّةَ**»[1]. فَالكَلامُ الرَّديءُ يَضُرُّ مُطلَقًا، وفِي اللَّفظِ الآخَرِ: «**إنَّ العَبدَ لَيتَكلَّمُ بِالكَلِمةِ من سَخطِ اللهِ ما يَتبيَّنُ فِيهَا**»؛ يَعنِي: ما يَتثبَّتُ فِيهَا «**يَكتُبُ اللهُ بِهَا سَخَطَه إِلَى يَومِ القِيامَةِ**»[2]. نَسأَلُ اللهَ العَافِيةَ.

[قَالَ الإِمَامُ العَينِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «عُمدَةِ القَارِي» (٢٣/ ٧٢)]: «قَوْله: ﴿**لَيَتَكَلَّمُ**﴾ بِاللَّام فِي رِوَايَةِ الْأَكْثَرين وَفِي رِوَايَة أَبِي ذَرٍّ: «يتَكَلَّمُ»، بِدُونِ اللَّام. قَوْلُه: ﴿**مَا يتَبَيَّنُ فِيهَا**﴾؛ أَي: لَا يَتدبَّرُ فِيهَا وَلَا يَتفكَّرُ فِي قُبحِها وَمَا يَترَتَّب عَلَيْهَا، وَتُطلَقُ الْكَلِمَةُ وَيُرَادُ بهَا الْكَلَامُ كَقَوْلِهِم: كَلِمةُ الشَّهَادَةِ، ويُروَى: «**ولْيَتَكَلَّم بِالْكَلِمَةِ مَا يَتَّقِي فِيهَا**». قَوْله: ﴿**يَزِلُّ بِهَا**﴾؛ أَي: بِتِلْكَ الْكَلِمَة، وَهَذَا كِنَايَةٌ عَن دُخُولِ النَّارِ. قَوْلُه: ﴿**أَبعَدَ مِمَّا بَينَ الْمشرِقِ**﴾..».

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤٧٤) عن سهل بن سعد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٢) وهو حديث الباب هنا.

(الشَّيخُ): كُلُّكُم ما عِندَكُم ﴿مِمَّا﴾؟ كُلُّكُم: «أَبعَدَ مَا» فِي الشَّرحِ؟

(القارئ): ﴿مِمَّا﴾ فِي المَتنِ، وفِي الشَّرحِ: «مَا».

قَالَ ابنُ بَازٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: رِوايَةُ ﴿مَا﴾ بمَعنَى «مِمَّا»؛ يَعنِي: المَعنَى مُتقارِبٌ.

• س: ما بَينَ المَشرِقِ؟

○ ج: هَذَا مِنَ التَّنبِيهِ؛ لأنَّ المَشرِقَ لَهُ مُقابِلٌ وهُوَ المَغرِبُ؛ فالشَّارِعُ قد يَكتَفِي بأحدِ المُتقابِلَينِ عَنِ الآخَرِ، مِثلُ: ﴿تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ﴾ [النحل: ٨١]؛ يَعنِي: والبَردَ؛ ولهَذَا فِي رِوايَة مُسلِم: «أَبعَدَ مِمَّا بَينَ المَشرِقِ والمَغرِبِ»[1]. نَسأَلُ اللهَ العَافِيَةَ؛ يَعنِي: بُعدًا واسِعًا، نَسأَلُ اللهَ العَافِيَةَ.

• س: أَحسَنَ اللهُ إِلَيكَ، «يَهوِي فِي النَّارِ سَبعِينَ خَرِيفًا»[2]؟ صَحِيحةٌ؟

○ ج: هَذِه رِوايَةٌ أُخرَى. نَعَم؛ صَحيحَةٌ.

• س: يَعنِي: المَعنَى مُتقارِبٌ: «ما بَينَ» و«مِمَّا»؟

○ ج: كُلُّها وَاحِدٌ؛ هَذِه رِوايَةٌ، وهَذِه رِوايَةٌ.

* * *

٦٤٧٨ ﴿حَدَّثَنِي﴾ عَبْدُ اللهِ بْنُ مُنِيرٍ سَمِعَ أَبَا النَّضْرِ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمٰنِ بْنُ عَبْدِ اللهِ؛ يَعْنِي: ابْنَ دِينَارٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال: «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللهِ، لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَرْفَعُه اللهُ بِهَا دَرَجَاتٍ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللهِ، لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ».

[سبق برقم ٦٤٧٧، وأخرجه مسلم، برقم ٢٩٨٨]

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٨٨) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه الترمذي (٢٣١٤) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
قال الترمذي: حسن غريب من هذا الوجه.

الشَّرح

نَسأَلُ اللهَ العَافِيةَ، لَا حَولَ ولَا قُوَّةَ إلَّا بِاللهِ.

المَقصُودُ من هَذَا كُلِّه: أنَّ الوَاجِبَ عَلَى المُؤمِنِ حِفظُ لِسانِه والحَذرُ من شَرِّه؛ فإنْ تكلَّم فليَتكَلَّمْ بخَيرٍ يَرفَعُه اللهُ بِهِ الدَّرَجاتِ، ويَكتُبَ لَهُ بِهِ الرِّضَا، ويَحذَرَ أن يَكُونَ كَلامُه شَرًّا من غِيبةٍ أو نَميمَةٍ أو سَبٍّ لِلدِّينِ أو لَعنٍ، أو غَيرِ هَذَا ممَّا يَضُرُّه، نَسأَلُ اللهَ العَافِيةَ.

[قالَ الحَافِظُ ابنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللهُ فِي «فتْحِ البَارِي» (١١/ ٣١١)]: «قَوْلُهُ: ﴿يَهْوِي﴾ بِفَتْحِ أَوَّلِهِ وَسُكُونِ الْهَاءِ وَكَسْرِ الْوَاوِ، قَالَ عِيَاضٌ: الْمَعْنَى: يَنْزِلُ فِيهَا سَاقِطًا، وَقَدْ جَاءَ بِلَفْظِ: «ينزل بهَا فِي النَّار»؛ لِأَن دركات النَّارِ إِلَى أَسْفَلَ، فَهُوَ نُزُولُ سُقُوطٍ. وَقِيلَ: أَهْوَى مِنْ قَرِيبٍ وَهَوَى مِنْ بَعِيدٍ. وَأَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ هَذَا الْحَدِيثَ مِنْ طَرِيقِ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ التَّيْمِيُّ بِلَفْظِ: «لَا يَرَى بِهَا بَأْسًا يَهْوِي بِهَا فِي النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفًا». [انتهى كلامه].

(الشَّيخُ): لَا حَولَ ولَا قُوَّةَ إلَّا بِاللهِ.

٢٤ ـ بَاب الْبُكَاءِ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ ﷻ

٦٤٧٩ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، حَدَّثَنَا يَحْيَى، عَنْ عُبَيْدِ اللهِ، قال: حَدَّثَنِي خُبَيْبُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ، عَنْ حَفْصِ بْنِ عَاصِمٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّه: رَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ». [سبق برقم ٦٦٠، وأخرجه مسلم، برقم ١٠٣١]

الشَّرح

(ع): وذَلِكَ مِن تَدَبُّرِهِ وَعِنَايَتِهِ، فَإنَّ تَدَبُّرَ القُرْآنِ وَالإِقبَالَ عَلَى مَا فِيهِ مِنَ

الْمَعَانِي يُسَبِّبُ خُشُوعَ القَلبِ وَدَمعَ العَينِ، وَهَكَذَا مَنْ نَظَرَ وَتَدَبَّرَ فِي مَخلُوقَاتِ اللهِ وَأَمرِهِ وَنَهْيِهِ وَمَا شَرَعَ لِعِبَادِهِ، كُلُّ هَذَا مِمَّا يُلَيِّنُ القُلُوبَ وَيَدعُو إِلَى الخَشْيَةِ؛ وَلِهَذَا يَقُولُ ﷺ: «**سَبعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ ... وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خَالِيًا** ـ يَعْنِي: مَا عِنْدَهُ أَحَدٌ، بَعِيدٌ عَنِ الرِّيَاءِ ـ **رَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَينَاهُ**».

وهَذَا مُختَصَرٌ مِنَ الحَدِيثِ الصَّحِيحِ: «**سَبعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّه يَومَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّه: إِمامٌ عادِلٌ، وشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبادَةِ اللهِ، ورَجلٌ قَلبُهُ مُعَلَّقٌ بِالمَسَاجِدِ، ورَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللهِ اجتَمَعَا عَلَيهِ وتَفَرَّقَا عَلَيهِ، ورَجُلٌ دَعَتْه امرَأَةٌ ذَاتُ مَنصِبٍ وجَمالٍ؛ فقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللهَ، ورَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقةٍ فأَخفَاهَا حتَّى لَا تَعلَمَ شِمالُهُ ما تُنفِقُ يَمِينُه، ورَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خَالِيًا ففَاضَتْ عَينَاهُ**». ذَكَر هنا هَذَا الجُزءَ السَّابِعَ: ﴿**ذَكَرَ اللهَ فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ**﴾، ولم يَذكُرْ: «**خَالِيًا**».

وإِنَّمَا جَاءَ فِي الحَدِيثِ «**خَالِيًا**»؛ لأَنَّهُ إِذَا كَانَ خالِيًا صَارَ أَقرَبَ إِلَى الإِخلاصِ والصِّدقِ فِي بُكائِهِ، وإِلا هُوَ لَيسَ بِشَرْطٍ، لَيسَ شَرْطًا؛ فإِذَا ذَكَرَ اللهَ فِي إِخلَاصٍ وصِدقٍ وخَشيَةٍ للهِ ﷻ فهُوَ مَوعُودٌ بِهَذَا الخَيرِ؛ ولِهَذَا فِي الأَحَادِيثِ الأُخرَى الدَّلالَةُ عَلَى ذَلِكَ من غَيرِ شَرطٍ كحَدِيثِ: «**عَينَانِ لَا تَمَسُّهُما النَّارُ: عَينٌ بَكَت من خَشيةِ اللهِ، وعَينٌ حَرَسَتْ فِي سَبيلِ اللهِ**»[1]. وهَذَا المَعنَى كَثِيرٌ فِي الأَحَادِيثِ، وهُوَ يَدلُّ عَلَى أَنَّ البُكاءَ من خَشيَةِ اللهِ والفَرَقَ مِنهُ، وتَذكُّرَ عَذابِه ونِقمَتِه من أَعدَائِه، وتَذكُّرَ نَعيمِهِ وإِحسَانِه وجُودِه وكَرَمِه لأَولِيَائِه ـ أَنَّ هَذَا من أَسبَابِ الفَوزِ بالجَنَّةِ والكَرامَةِ، وأن يَكُونَ من هَؤلَاءِ السَّبعةِ الَّذِينَ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ، وفِي اللَّفظِ الآخَرِ: «**فِي ظِلِّ عَرشِهِ**»[2].

---

(١) أخرجه الترمذي (١٦٣٩)، وابن أبي عاصم في «الجهاد» (١٤٦) عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.
قال الترمذي: حديث حسن غريب، لا نعرفه إلا من حديث شعيب بن رزيق.

(٢) أخرجه الحاكم (٤/١٦٩) عن أبي إدريس عائذ الله قال: مَرَّ رَجُلٌ فَقُمْتُ إِلَيْهِ فَقُلْتُ: إِنَّ هَذَا حَدَّثَنِي بِحَدِيثِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَهَلْ سَمِعْتَهُ؟ يَعْنِي: مُعَاذًا، قَالَ: مَا كَانَ =

• س: هَلْ يَتَكَلَّفُ قَارِئُ القُرْآنِ البُكَاءَ حَتَّى يَحصُلَ عِنْدَهُ رِقَّةٌ فِي قَلبِهِ؟

○ ج: يَعتَنِي بِالتَّدَبُّرِ، يَتَدَبَّرُ وَيَتَعَقَّلُ جَاءَ البُكَاءُ.

• س: أَحسَنَ اللهُ أَعمَالَكَ، رِوَايَةُ فِي ظِلِّ عَرشِهِ؟

○ ج: هَذَا حَقٌّ، وَهَذَا حَقٌّ.

٢٥ ـ بَاب الْخَوْفِ مِنَ اللهِ

٦٤٨٠ حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنْ مَنْصُورٍ عَنْ رِبْعِيٍّ عَنْ حُذَيْفَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال: «كَانَ رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ يُسِيءُ الظَّنَّ بِعَمَلِهِ، فَقَالَ لأَهْلِهِ: إِذَا أَنَا مُتُّ، فَخُذُونِي، فَذَرُّونِي فِي الْبَحْرِ فِي يَوْمٍ صَائِفٍ، فَفَعَلُوا بِهِ، فَجَمَعَهُ اللهُ ثُمَّ قَالَ: مَا حَمَلَكَ عَلَى الَّذِي صَنَعْتَ؟ قَالَ: مَا حَمَلَنِي عليهِ إِلَّا مَخَافَتُكَ، فَغَفَرَ لَهُ». [سبق برقم ٣٤٥٢]

الشَّرح

(ع): وَهَذَا يُبَيِّنُ أَنَّ الخَوفَ مِنَ اللهِ، وَالخَشيَةَ للهِ مِن أَسبَابِ النَّجَاةِ، قَالَ ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَـٰبِقُونَ ﴿٦١﴾ وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا

= يُحَدِّثُكَ إِلَّا حَقًّا، فَأَخْبَرْتُهُ قَالَ: قَدْ سَمِعْتُ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ: يَعْنِي: فِي الْمُتَحَابِّينَ فِي اللهِ يُظِلُّهُمْ اللهُ فِي ظِلِّ عَرْشِهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ، وَمَا هُوَ أَفْضَلُ مِنْهُ. قُلْتُ: إِيْ رَحِمَكَ اللهُ وَمَا هُوَ أَفْضَلُ مِنْهُ؟ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَأْثُرُ عَنِ اللهِ ﷻ قَالَ: حَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ، وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَوَاصِلِينَ فِيَّ، وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ، وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ، وَلَا أَدْرِي بِأَيَّتِهِمَا بَدَأَ، قُلْتُ: مَنْ أَنْتَ رَحِمَكَ اللهُ؟ قَالَ: أَنَا عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ. وصححه.

وقال الذهبي: الصحيح أن أبا إدريس لم يشافه معاذًا وقد أدرك حياته. «العلو للعلي الغفار» (٢٢٨).

وَلَدَيْنَا كِتَٰبٌ يَنطِقُ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [المؤمنون: ٥٧ ـ ٦٢]، وَقَالَ ﷺ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾﴾ [الملك: ١٢]، وَقَالَ تَعَالَى فِي مَدحِ الخَائِفِينَ: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾ [الرحمٰن: ٤٦]، قَالَ: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ [آل عمران: ١٧٥].

فَينبَغِي لِلمُؤمِنِ أَنْ يَخَافَ اللهَ وَيُرَاقِبَهُ خَوفًا حَقِيقِيًّا، خَوفًا يَحمِلُهُ عَلَى أَدَاءِ الفَرَائِضِ وَتَركِ الْمَحَارِمِ، وَالْمُسَارَعَةِ إِلَى الخَيرَاتِ، مِثْلَمَا جَاءَ فِي الآيَةِ الكَرِيمَةِ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾﴾ [المؤمنون: ٦١]، خَوفُهُمْ حَمَلَهُم عَلَى الْمُسَارَعَةِ فِي الخَيرَاتِ، قَالَتْ عَائِشَةُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَهُوَ الرَّجلُ يَزنِي وَيَشرَبُ الخَمرَ؟ قَالَ: «**لَا، وَلَكِنَّهُ الرَّجُلُ يُصَلِّي وَيَصُومُ وَيَتَصَدَّقُ وَيَخَافُ أَلَّا يُقبَلَ مِنهُ**»[1]، هَذَا الرَّجُلُ خَافَ مِن سُوءِ عَمَلِهِ، فَأَمَرَهُ قَومُهُ أَنْ يَحرِقُوهُ، غَيرُ مُكَذِّبٍ، مُؤمِنٌ بِاللهِ، وَلَكِنْ مِن شِدَّةِ خَوفِهِ أَمَرَ بِتَحرِيقِ جِسمِهِ، فَغَفَرَ اللهُ لَهُ، لَمَّا حَمَلَهُ هَذَا الخَوفُ أَخطَأَ فِي هَذَا العَمَلِ، وَلَكِنِ اللهُ ﷻ رَحِمَهُ وَغَفَرَ لَهُ.

قوله: ﴿**مَا حَمَلَنِي عليه إِلَّا مَخَافَتُكَ**﴾: هَذَا مِثلُ ما قَالَ أبو العبَّاسِ ابنُ تَيمِيَّةَ وغَيرُه: هَذَا يَدلُّ عَلَى أنَّ الإنسَانَ إِذَا جَهِلَ شَيئًا مِنَ الدَّقائِقِ الَّتِي قد تَخفَى عَلَى العامِّيِّ وشِبهِ العامِّيِّ أَنَّهُ لَا يُؤخَذُ بِها؛ فإنَّ هَذَا رَجلٌ خَافَ مِنْ سُوءِ عَمَلِه، خَافَ من تَقصِيرِه؛ فقَالَ لأَولَادِه: إِذَا مِتُّ فأَحرِقُونِي، ثُمَّ اسحَقُونِي، ثُمَّ ذَرُّونِي فِي البَحرِ فِي يومٍ صائِفٍ شَدِيدِ الرِّياحِ؛ لعَلِّي أَسلَمُ؛ يَعنِي: لأنِّي لم أَعمَلْ خَيرًا؛ فإنِّي إنْ لَقِيتُ ربِّي ليُعذِّبَنِّي. أو كَمَا قَالَ.

والمَقصُودُ من هَذَا: خَوفُه من سُوءِ عَملِه، وظنَّ أنَّهُ بهَذَا العَملِ يَفوتُ اللهَ؛ فجَمَع اللهُ أَجزاءَه، وهُوَ العالِمُ بأَحوالِه ﷻ وقَالَ: لِمَ فَعلْتَ هَذَا؟

---

(١) أخرجه الترمذي (٣١٧٥)، وابن ماجه (٤١٩٨)، وأحمد (٤٢/١٥٦) رقم (٢٥٢٦٣)، والحاكم (٢/٣٩٣) عن عائشة رضي الله عنها. وصححه الحاكم.

قَالَ: مَخافَتُك؛ فغَفَر لَهُ ﷻ؛ فدلَّ عَلَى أنَّ شدَّةَ الخَوفِ الَّذِي يَحمِلُ صاحِبَه عَلَى مِثلِ هَذَا جَهلًا مِنهُ بعُمومِ قُدرةِ اللهِ، وعُمومِ مَشيئَتِه ﷻ أنَّهُ قد يُغفَرُ لَهُ فِي دَقائِقِ الأُمورِ الَّتِي يَجهَلُها، بخِلافِ مَن يَتعاطَى الأُمورَ الواضِحَةَ المُنكَرةَ؛ فَإنَّهُ لَا عُذرَ لَهُ.

* * *

٦٤٨١ - حَدَّثَنَا مُوسَى، حَدَّثَنَا مُعْتَمِرٌ سَمِعْتُ أَبِي، حَدَّثَنَا قَتَادَةُ عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَبْدِ الْغَافِرِ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «ذَكَرَ رَجُلًا فِيمَنْ كَانَ سَلَفَ، أَوْ قَبْلَكُمْ، آتَاهُ اللهُ مَالًا وَوَلَدًا؛ يَعْنِي: أَعْطَاهُ، قَالَ: فَلَمَّا حُضِرَ قَالَ لِبَنِيهِ: أَيَّ أَبٍ كُنْتُ لكُمْ؟ قَالُوا: خَيْرَ أَبٍ، قَالَ: فَإِنَّهُ لَمْ يَبْتَئِرْ عِنْدَ اللهِ خَيْرًا» فَسَّرَهَا قَتَادَةُ: لَمْ يَدَّخِرْ، «وَإِنْ يَقْدَمْ عَلَى اللهِ يُعَذِّبْهُ، فَانْظُرُوا، فَإِذَا مُتُّ فَأَحْرِقُونِي، حَتَّى إِذَا صِرْتُ فَحْمًا، فَاسْحَقُونِي، أَوْ قَالَ: فَاسْهَكُونِي، ثُمَّ إِذَا كَانَ رِيحٌ عَاصِفٌ، فَأَذْرُونِي فِيهَا، فَأَخَذَ مَوَاثِيقَهُمْ عَلَى ذَلِكَ وَرَبِّي، فَفَعَلُوا، فَقَالَ اللهُ: كُنْ، فَإِذَا رَجُلٌ قَائِمٌ، ثُمَّ قَالَ: أَيْ عَبْدِي، مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا فَعَلْتَ؟ قَالَ: مَخَافَتُكَ، أَوْ فَرَقٌ مِنْكَ، فَمَا تَلَافَاهُ أَنْ رَحِمَهُ اللهُ»، فَحَدَّثْتُ أَبَا عُثْمَانَ فَقال: سَمِعْتُ سَلْمَانَ، غَيْرَ أَنَّهُ زَادَ: «فَأَذْرُونِي فِي الْبَحْرِ»، أَوْ كَمَا حَدَّثَ، وَقَالَ مُعَاذٌ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ قَتَادَةَ، سَمِعْتُ عُقْبَةَ، سَمِعْتُ أَبَا سَعِيدٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ». [سبق برقم ٣٤٧٨، وأخرجه مسلم، برقم ٢٧٥٧]

الشَّرح

[قالَ الحَافِظُ ابنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللهُ فِي «فتْحِ البَارِي» (١١/ ٣١٥)]: «قَوْلُهُ: ﴿فَأَخَذَ مَوَاثِيقَهُمْ عَلَى ذَلِكَ﴾ وَرَبِّي هُوَ مِنَ الْقَسَمِ الْمَحْذُوفِ، جَوَابُهُ وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ حِكَايَةَ الْمِيثَاقِ الَّذِي أَخَذَهُ أَيْ، قَالَ لِمَنْ أَوْصَاهُ: قُلْ وَرَبِّي لَأَفْعَلَنَّ ذَلِكَ، وَيُؤَيِّدُهُ أَنَّ عِنْدَ مُسْلِمٍ فَأَخَذَ مِنْهُمْ يَمِينًا، لَكِنْ يُؤَيِّدُ الْأَوَّلَ أَنَّهُ وَقَعَ فِي رِوَايَةِ مُسْلِمٍ أَيْضًا فَفَعَلُوا بِهِ ذَلِكَ وَرَبِّي فَتَعَيَّنَ أَنَّهُ قَسَمٌ مِنَ الْمُخْبِرِ». [انتهى كلامه].

(الشَّيخُ): ماشٍ.

(الطَّالِبُ): عِندَنا ـ حَفِظَك اللهُ ـ: «وَقَالَ مُعَاذٌ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ قَتَادَةَ، سَمِعْتُ عُقْبَةَ[1] سَمِعْتُ أَبَا سَعِيدٍ الخُدْرِيَّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ».

(الشَّيخُ): اقرَأِ السَّندَ الَّذِي قَبلَه.

(القَارِئُ): «حَدَّثَنَا مُوسَى، حَدَّثَنَا مُعْتَمِرٌ، سَمِعْتُ أَبِي، حَدَّثَنَا قَتَادَةُ، عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَبْدِ الغَافِرِ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ».

(الشَّيخُ): الصَّوابُ: «سَمِعْتُ عُقبةَ»، قَصدُه تَصريحُ قَتادةَ بالسَّماعِ من عُقبةَ؛ لأنَّهُ لم يَلقَ أبا سَعيدٍ، قَتادةُ بَينَه وبَينَه مَسافةٌ، ساقِطٌ عِندَكُمْ: «سَمِعتُ عُقبةَ».

• **س: أَحسَنَ اللهُ إِليكَ،...؟**

○ **ج**: نَعَم، هَذَا ممَّا جَرَى فِي عَهدِ مَن قَبلَنَا، وأقرَّهُ النَّبيُّ ﷺ، لم يُنكِرْه عليه الصلاة والسلام، ذَكَرَها لَنَا وأقرَّها. اللَّهُمَّ صَلِّ عَليهِ وسَلِّمْ.

• **س: الآنَ إِذَا حَرَّقُوا الميِّتَ؟**

○ **ج**: ما يَجوزُ العَملُ هَذَا؛ لكنِ المَقصُودُ أنَّ مِثلَ هَذَا الَّذِي وَقَع مِنهُ من أَجلِ الخَوفِ مِنَ اللهِ أنَّهُ حَصلتْ لَهُ المَغفِرةُ بسَبَبِ جَهلِه بسَعةِ قُدرةِ اللهِ ﷻ، أمَّا شَرعُنا فجَاءَ بأنَّه يُغسَّلُ ويُصَلَّى عَليهِ ويُدفَنُ، ولا يُسحَقُ ولَا يُحرَقُ، هَذَا ما يَجُوزُ، جَاءَ فِي شَرعِنا عَدَمُ التَّحريقِ بالنَّارِ وعَدمُ تَحريقِ الميِّتِ، هَذَا لَا يَزالُ عَمَلَ الهُندوسِ الآنَ، نَسأَلُ اللهَ السَّلامةَ.

• **س: لو طَلَبَ الإِنسَانُ فِي وَصِيَّتِه أَنَّهُ يُرمَى للكِلابِ مَثلًا؟**

○ **ج**: ما يُطرَحُ، ما يُطاعُ؛ هَذَا يُخالِفُ الشَّرعَ.

• **س: الصَّوابُ: حدَّثَنا قَتادَةُ عَن عُقبةَ؟**

○ **ج**: قَالَ: «سَمِعتُ عُقبةَ»، «عن» تُشطَبُ بَدَلَها: «قَالَ سَمِعتُ» سَاقِطةٌ عِندَكُم.

---

(١) فِي نسخة القارئ بإسقاط (عقبة).

٢٦ ـ بَاب الانتهَاءِ عَنِ المَعَاصِي

﴿٦٤٨٢﴾ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ عَنْ بُرَيْدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَثَلِي وَمَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللهُ، كَمَثَلِ رَجُلٍ أَتَى قَوْمًا فَقَالَ: رَأَيْتُ الْجَيْشَ بِعَيْنَيَّ، وَإِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْعُرْيَانُ؛ فَالنَّجَاءَ النَّجَاءَ، فَأَطَاعَتْهُ طَائِفَةٌ، فَأَدْلَجُوا عَلَى مَهْلِهِمْ، فَنَجَوْا، وَكَذَّبَتْهُ طَائِفَةٌ، فَصَبَّحَهُمُ الْجَيْشُ، فَاجْتَاحَهُمْ». [طرفه في: ٧٢٨٣، وأخرجه مسلم، برقم ٢٢٨٣]

الشَّرح

وَهَذِهِ الحَقِيقَةُ، هُوَ أَنذَرَ عَلَيهِ الصلاة والسلام، مَن تَابَعَهُ نَجَا، وَمَنْ تَخَلَّفَ هَلَكَ، هُوَ كَالنَّذِيرِ العُريَانِ، الصَّادِقِ. العُرْيَانُ الصَّادِقُ الَّذِي مِن شِدَّةِ خَوفِهِ عَلَى قَومِهِ خَلَعَ ثَوبَهُ وَجعَلَ يُومِئُ بِهِ يُحَذِّرُهُمْ: الحَذَرَ الحَذَرَ، اهْرُبُوا، فَأَطَاعَهُ قَوْم فَنَجَوا وَعَصَاهُ آخَرُونَ فَصَبَّحَهُمُ العَدُوّ، فهَذَا مَثَلُهُ ﷺ، أَنذَرَ النَّاسَ وَبَشَّرَ وَحَذَّرَ وَأَبدَى وَأَعَادَ، فَأَطَاعَهُ قَوم وَهُمُ القَلِيلُ فَنَجوا، وَعَصَاهُ آخَرُونَ فَهَلَكُوا، ﴿وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ ١٠٣﴾ [يوسف: ١٠٣]، ﴿وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾ [الأنعام: ١١٦]، ويقول ﷻ: ﴿وَلَقَدۡ صَدَّقَ عَلَيۡهِمۡ إِبۡلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ﴾ [سبإ: ٢٠] فَالوَاجِبُ عَلَى العَاقِلِ أَنْ يَنتَبِهَ، وَأَنْ يَأخُذَ حِذرَهُ، وَأَنْ يَكُونَ مَعَ الأَقَلِّينَ لَا مَعَ الأَكثَرِينَ، مَعَ الأَقَلِّيَّةِ النَّاجِينَ، مَعَ الْمُطِيعِينَ، مَعَ الْمُسَارِعِينَ لِلخَيرَاتِ.

وهَذَا مَثَلٌ عَظِيمٌ ضَرَبَه النَّبِيُّ ﷺ للأُمَّةِ، وأنَّ مَثَلَهُم كمَثَلِ جَماعةٍ جَاءهمُ النَّذيرُ فقَالَ لَهُم: رَأيتُ العدُوَّ بعَينِي أو بعينَيَّ، ﴿وأَنَا النَّذيرُ العُريَانُ﴾؛ يَعنِي: الَّذِي لم يدَّخِرْ وُسعًا فِي الإنذارِ والتَّحذيرِ؛ فأَطاعَهُ قَومٌ وسَارُوا عَلَى مَهلِهِم

ونَجوا من شرِّ العَدُوِّ، وعَصاهُ آخَرُون فصَبَّحهمُ العَدُوُّ واجتَاحَهُم، فهَكَذا الأُمَّةُ مِنهُم مَن أطاعَ الرَّسُولَ ﷺ، وسَارَ عَلَى الطَّريقِ القَويمِ؛ فنَجَا وسَلِم وفَازَ بالكَرَامةِ والسَّعادَةِ، وأَكثَرُهُم تَخلَّفَ فصَارَ بمَثابةِ مَن صَبَّحهمُ العَدُوُّ فاجتَاحَهُم؛ يَعنِي: صَارَ سَبيًا لعَدُوِّ اللهِ الشَّيطَانِ، ونَصِيبًا من نُصُبِ الشَّيطَانِ؛ نَسأَلُ اللهَ العَافِيةَ.

[قالَ الحَافِظُ ابنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «فتْحِ البَارِي» (١١/ ٣١٥)]: «قَوْلُهُ: ﴿بِعَيْنِي﴾ بِالْإِفْرَادِ وَلِلْكُشْمِيهَنِيِّ بِالتَّثْنِيَةِ بِفَتْحِ النُّونِ وَالتَّشْدِيدِ». [انتهى كلامه].

قَالَ ابنُ بَازٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: والقاعِدَةُ: إِذَا قَالَ فِي المُفرَدِ المُتعدِّدِ، المُفردُ المُضافُ وهُوَ متعدِّدٌ يَعُمُّ الأَفرَادَ ﴿بِعَيْنِي﴾؛ يَعنِي: بعَيْنَيَّ «بيدِي» بيدَيَّ، وهَكَذا إِذَا أُضِيفَ المُفرَدُ إِلَى المَعرِفةِ، ومَعلُومٌ أنَّ لَهُ عَينَينِ، وهَكَذا «**لا يَغمِسُ يَدَه فِي الإِناءِ**»[1]؛ يَعنِي: يَدَيهِ.

• **س: مَن تَعَلَّقَ يَا شَيخُ بِرَحمَةِ اللهِ، وَيُصِرُّ عَلَى الْمَعَاصِي، يَكُونُ...؟**

○ ج: مَعَ العَمَلِ، ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٦] مَا هُوَ لكُلِّ أَحَدٍ.

* * *

٦٤٨٣ - حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، حَدَّثَنَا أَبُو الزِّنَادِ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ أَنَّهُ حَدَّثَهُ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ النَّاسِ، كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ نَارًا، فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ، جَعَلَ الْفَرَاشُ وَهَذِهِ الدَّوَابُّ الَّتِي تَقَعُ فِي النَّارِ يَقَعْنَ فِيهَا، فَجَعَلَ يَزَعُهُنَّ، وَيَغْلِبْنَهُ، فَيَقْتَحِمْنَ فِيهَا، فَأَنَا آخُذُ بِحُجَزِكُمْ عَنِ النَّارِ، وَأَنْتُمْ تَقْتَحِمُونَ فِيهَا». [سبق برقم ٣٤٢٦، وأخرجه مسلم، برقم ٢٢٨٤]

---

(١) أخرجه البخاري (١٦٢)، ومسلم (٢٧٨) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الشَّرح

(ع): يَعْنِي: بِأعمَالِكُمْ وَعِصيَانِكُمْ، اللهُ المُستَعَانُ، اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَيهِ وَسَلِّمْ.

هَذَا مَثلٌ آخَرُ ضَرَبه النَّبيُّ ﷺ للنَّاسِ عليه الصلاة والسلام، والله يَقولُ ﷻ: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [العنكبوت: ٤٣]، فضَرَب اللهُ أَمثالًا عَظيمَةً فِي القُرآنِ، وهَكَذا النَّبيُّ ﷺ ضَرَبَ أَمثالًا، وهَكَذا المَثلُ الثَّانِي، مثَّل لَهُم بإنسَانٍ استَوقَدَ نَارًا فِي البَريَّةِ الصَّحراءِ، فجَعَلَت هَذِه الجَنادِبُ وهَذَا الفِراشُ وهَذِه الطُّيورُ الصَّغيرَةُ تَقعُ فِي هَذِه النَّارِ، وهُوَ يَزَعهُنَّ ويَذبُّهُنَّ، ويُحاوِلُ مَنْعهُنَّ فيَغلِبْنَه حتَّى يَقعْنَ فِيهَا، وهَذَا مُشاهَدٌ، يُشاهِدُ هَذَا مَن أَوقَدَ النَّارَ فِي الصَّحرَاءِ.

قال: ﴿**فأَنَا آخِذٌ بحُجَزِكُم**﴾؛ يَعنِي: يَقولُ: «**هَلُمَّ إليَّ هَلُمَّ إليَّ**» كَمَا جَاءَ فِي الرِّوايَة الأُخرَى: «**هَلُمَّ إليَّ هَلُمَّ إليَّ، وأَنتُم تَأبَون إلَّا أنْ تَتقحَّمهُنَّ**»، وفِي اللَّفظِ الآخَرِ: «**تَتفَلَّتُونَ عَليَّ**».

المَقصُودُ: أنَّهُ ﷺ بدَعوَتِه للنَّاسِ، وإرشادِه للنَّاسِ، وبَيانِه للنَّاسِ حُكمَ اللهِ وشرْعَ اللهِ ـ هُوَ بمَثابةِ الَّذِي يَذُبُّ هَذِه الدَّوابَّ وهَذِه الجَنادِبَ وهَذَا الفَراشَ الَّذِي يَقَعُ فِي النَّارِ، والنَّاسُ أَكثَرُهُم مِثلُ الفَرَاشِ هَذَا، أَكثَرُهُم لَا عُقُولَ لَهُ، وإنْ كَانَ يَأكُلُ ويَشرَبُ ويَلبَسُ الثِّيابَ، ويَتكَلَّمُ، ولكِنَّهُ مِثلُ الفَرَاشِ، يَأبَى إلَّا اتِّباعَ هَواهُ وشَيطَانه، إلَّا اتِّباعَ شَهوتِه، إلَّا اتِّباعَ نَفسِه الأمَّارةِ بِالسُّوءِ، يَأبَى إلَّا أن يُخالِفَ النَّاصِحِينَ، ويَأبَى إلَّا أن يُخالِفَ المُهتَدِينَ؛ فلَا يَزالُ فِي هَواهُ ونَفسِه الأمَّارَةِ بِالسُّوءِ وشَياطِينِه حتَّى يَقَعَ فِي النَّارِ ويَعصِيَ وَليَّ الأَمرِ وأَهلَ الدَّعوَةِ إلَى الحَقِّ، وهَذِه حَالُ أَكثَرِ الخَلقِ: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ

سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾ [الفرقان: ٤٤]، ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الأنفال: ٢٢].

هَذِه حَالُ أَكثَرِ الخَلقِ هم الَّذِينَ قَالَ اللهُ فِيهِم ﷻ: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ [الأعراف: ١٧٩] أَضلُّ مِنَ الأَنعَامِ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [الأعراف: ١٧٩]، نَعوذُ بِاللهِ، قد غَفَلوا عَنِ اللهِ، وعَنِ الدَّارِ الآخِرَةِ، وعَن كُلِّ ما يُنجِّيهِم من عَذابِه، لَيسَ لَهُم هم إِلَّا حَظُّهمُ العاجِلُ، لَيسَ لَهُم إِلَّا حَظهُمُ العاجِلُ من أَكلٍ وشُربٍ ونِكَاحٍ وغَيرِ هَذَا من حُظوظِهمُ العاجِلَةِ، نَسأَلُ اللهَ السَّلامةَ.

فالعَاقِلُ إِذَا سَمِع هَذِه الأَمثَالَ يَحذَرُ ويَسأَلُ ربَّه العَافِيةَ والهِدَايةَ، ويُحاسِبُ نَفسَه دَائمًا لَعلَّهُ يَنجُو من شرِّ هَذِه الفِتنَةِ العَظيمَةِ، ولَا حَولَ ولَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ.

• **س: أَحسَنَ اللهُ إِليكَ، قَولُه: «وإِنِّي أَنَا النَّذيرُ العُريَانُ»؟**

○ **ج:** يَعنِي: المُبالَغةَ فِي النِّذارَةِ، كَانَ بَعضُ النُّذُر إِذَا خَافَ أَلَّا يَفطُنُوا لَهُ أَخَذَ رِداءَهُ من عَلَى جَسدِهِ وجَعَل يُومِئُ بِهِ هَكَذا، ويُومِئُ بِهِ هَكَذا حتَّى يَفطُنُوا لَهُ، عُريَانٌ؛ يَعنِي: ما عَلَى جَسَدِه شَيءٌ، ما عَلَيهِ إِلَّا الإِزارُ قد يَحمِلُه حِرصُه حتَّى عَلَى خَلَع إِزَارِه إِذَا كَانَ ما عِندَه شَيءٌ إِلَّا الإِزارُ يَخلَعُ الإِزارَ ويُومِئُ بِهِ. المَقصُودُ: أَنَّهُ النَّذيرُ العُريَانُ؛ يَعنِي: المُبالِغَ فِي النِّذارَةِ، حَمَلَه شِدَّةُ الحِرصِ عَلَى أَنَّهُ خَلَع ثَوبَه الَّذِي عَليهِ لِيُومِئَ بِهِ: الحَذَرَ الحَذَرَ، النَّجاءَ النَّجاءَ.

[قالَ الحَافِظُ ابنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «فتْحِ البَارِي» (١١/٣١٦)]: «قَوْلُهُ: **«وَإِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْعُرْيَانُ»** قَالَ ابن بَطَّالٍ: النَّذِيرُ الْعُرْيَانُ: رَجُلٌ مِنْ خَثْعَمٍ، حَمَلَ عَلَيْهِ رَجُلٌ يَوْمَ ذِي الْخَلَصَةِ فَقَطَعَ يَدَهُ وَيَدَ امْرَأَتِهِ؛ فَانْصَرَفَ إِلَى قَوْمِهِ

فَحَذَّرَهُمْ فَضُرِبَ بِهِ الْمَثَلُ فِي تَحْقِيقِ الْخَبَرِ. قُلْتُ: وَسَبَقَ إِلَى ذَلِك يَعْقُوب بن السِّكِّيتِ وَغَيْرُهُ، وَسَمَّى الَّذِي حَمَلَ عَلَيْهِ عَوْفَ بْنَ عَامِرٍ الْيَشْكُرِيَّ، وَأَنَّ الْمَرْأَةَ كَانَتْ مِنْ بَنِي كِنَانَةَ. وَتُعُقِّبَ بِاسْتِبْعَادِ تَنْزِيلِ هَذِهِ الْقِصَّةِ عَلَى لَفْظِ الْحَدِيثِ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ فِيهَا أَنَّهُ كَانَ عُرْيَانًا.

وَزعم ابن الْكَلْبِيِّ أَنَّ النَّذِيرَ الْعُرْيَانَ امْرَأَةٌ مِنْ بَنِي عَامر بن كَعْبٍ لَمَّا قَتَلَ الْمُنْذِرُ بْنُ مَاءِ السَّمَاءِ أَوْلَادَ أَبِي دَاوُدَ، وَكَانَ جَارَ الْمُنْذِرِ خَشِيَتْ عَلَى قَوْمِهَا؛ فَرَكِبَتْ جَمَلًا وَلَحِقَتْ بِهِمْ وَقَالَتْ: أَنَا النَّذِيرُ الْعُرْيَانُ، وَيُقَالُ: أَوَّلُ مَنْ قَالَهُ أَبْرَهَةُ الْحَبَشِيُّ لَمَّا أَصَابَتْهُ الرَّمْيَةُ بِتِهَامَةَ وَرَجَعَ إِلَى الْيَمَنِ، وَقَدْ سَقَطَ لَحْمُهُ.

وَذَكَرَ أَبُو بِشْرٍ الْآمِدِيُّ: أَنَّ زَنْبَرًا - بِزَايٍ وَنُونٍ سَاكِنَةٍ ثمَّ مُوَحدَة - بن عَمْرٍو الْخَثْعَمِيَّ كَانَ نَاكِحًا فِي آلِ زُبَيْدٍ، فأرادوا أَن يغزوا قَوْمَهُ وَخَشُوا أَنْ يُنْذِرَ بِهِمْ؛ فَحَرَسَهُ أَرْبَعَةُ نَفَرٍ فَصَادَفَ مِنْهُمْ غِرَّةً فَقَذَفَ ثِيَابَهُ وَعَدَا، وَكَانَ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ عَدْوًا؛ فَأَنْذَرَ قَوْمَهُ، وَقَالَ غَيْرُهُ: الْأَصْلُ فِيهِ أَنَّ رَجُلًا لَقِيَ جَيْشًا فَسَلَبُوهُ وَأَسَرُوهُ، فَانْفَلَتَ إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ: إِنِّي رَأَيْتُ الْجَيْشَ فَسَلَبُونِي فَرَأَوْهُ عُرْيَانًا؛ فَتَحَقَّقُوا صِدْقَهُ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَعْرِفُونَهُ وَلَا يَتَّهِمُونَهُ فِي النَّصِيحَةِ وَلَا جَرَتْ عَادَتُهُ بِالتَّعَرِّي فَقَطَعُوا بِصِدْقِهِ لِهَذِهِ الْقَرَائِنِ؛ فَضَرَبَ النَّبِيُّ ﷺ لِنَفْسِهِ وَلِمَا جَاءَ بِهِ مَثَلًا بِذَلِكَ لِمَا أَبْدَاهُ مِنَ الْخَوَارِقِ وَالْمُعْجِزَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى الْقَطْعِ بِصِدْقِهِ تَقْرِيبًا لِأَفْهَامِ الْمُخَاطَبِينَ بِمَا يَأْلَفُونَهُ وَيَعْرِفُونَهُ.

قُلْتُ: وَيُؤَيِّدُهُ مَا أَخْرَجَهُ الرَّامَهُرْمُزِيُّ فِي «الْأَمْثَالِ» وَهُوَ عِنْدَ أَحْمَدَ أَيْضًا بِسَنَدٍ جَيِّدٍ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ فَنَادَى ثَلَاثَ مَرَّاتٍ: **«أَيُّهَا النَّاسُ، مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ مَثَلُ قَوْمٍ خَافُوا عَدُوًّا أَنْ يَأْتِيَهُمْ، فَبَعَثُوا رَجُلًا يَتَرَايَا لَهُمْ؛ فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ أَبْصَرَ الْعَدُوَّ؛ فَأَقْبَلَ لِيُنْذِرَ قَوْمَهُ؛ فَخَشِيَ أَنْ يُدْرِكَهُ الْعَدُوُّ قَبْلَ أَنْ يُنْذِرَ قَوْمَهُ، فَأَهْوَى بِثَوْبِهِ، أَيُّهَا النَّاسُ، أُتِيتُمْ...»**

ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، وَأَحْسَنُ مَا فُسِّرَ بِهِ الْحَدِيثُ مِنَ الْحَدِيثِ، وَهَذَا كُلُّهُ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْعُرْيَانَ مِنَ التَّعَرِّي، وَهُوَ الْمَعْرُوفُ فِي الرِّوَايَةِ.

وَحَكَى الْخَطَّابِيُّ أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ خَالِدٍ رَوَاهُ بِالْمُوَحَّدَةِ قَالَ: فَإِنْ كَانَ مَحْفُوظًا فَمَعْنَاهُ الْفَصِيحُ بِالْإِنْذَارِ لَا يُكَنَّى وَلَا يُوَرِّي، يُقَالُ: رَجُلٌ عُرْيَانُ؛ أَيْ: فَصِيحُ اللِّسَانِ». [انتهى كلامه].

قَالَ ابنُ بَازٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: لَا، المَقصُودُ هُوَ المَعروفُ «عُريَان» بِاليَاءِ.

* * *

٦٤٨٤ حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْم، حَدَّثَنَا زَكَرِيَّاءُ، عَنْ عَامِرٍ قال: سَمِعْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرٍو يَقُولُ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللهُ عَنْهُ».

[سبق برقم ١٠، وأخرجه مسلم، برقم ٤٠]

الشَّرح

وهَذَا تقدَّمَ فِي أوَّلِ كِتابِ الإيمَانَ: ﴿**الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللهُ عَنْهُ**﴾؛ يَعنِي: المُسلِمُ الكامِلُ والمُهاجِرُ الكامِلُ مَن سَلِمَ النَّاسُ من شَرِّه، والمُهاجِرُ مَن هَجَر ما نَهَى اللهَ عَنهُ؛ اللهُ المُستَعانُ.

(ع): يَعْنِي: **الْمُسلِمَ الكَامِلَ الْمُحقَّقَ** الَّذِي سَلِمَ المُسلِمُونَ مِن لِسَانِهِ وَيَدِهِ، خَافَ اللهَ وَرَاقَبَ اللهَ، فَلَمْ يُؤذِ النَّاسَ، لَا بِلِسَانِهِ بِالغِيبَةِ وَالنَّمِيمَةِ وَغَيرِ ذَلِكَ، وَلَا بِيَدِهِ؛ بِنَهبٍ أَوْ سَرِقَةٍ وَضَربٍ أَوْ غَيرِ ذَلِكَ، وَالْمُهَاجِرُ الكَامِلُ مَن هَجَرَ مَا نَهَى اللهُ عَنهُ، مَنِ انْتَقَلَ مِنْ بِلَادَ الشِّركِ إِلَى بِلَادِ الإِسْلَامِ يُقَالُ: مُهَاجِرٌ. لَكِنِ الأَفضَلُ مِنهُ مَن هَجَرَ مَا نَهَى اللهُ عَنهُ مِن جَمِيعِ الوُجُوهِ.

• س: يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الإِسْلَامَ يَزِيدُ وَيَنقُصُ كَالإِيمَانِ؟

○ ج: مَا فِيهِ شَكٌّ، لَيسَ النَّاسُ سَوَاءً فِي إِسلَامِهِمْ، وَإِنْ فَاتَهُمْ كَمَالُ الإِيمَانِ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى رَسُولِ اللهِ، اللَّهُمَّ اجْزِهِ عَنَّا خَيرًا، جَزَاهُ اللهُ أَفضَلَ الجَزَاءِ، لَقَدْ بَلَّغَ وَأَنذَرَ، اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَيهِ وَسَلِّمْ.

٢٧ ـ بَاب قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا»

٦٤٨٥ ـ حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ، حَدَّثَنَا اللَّيْثُ، عَنْ عُقَيْلٍ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ رضي الله عنه كَانَ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ، لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا، وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا». [طرفه في: ٦٦٣٧]

٦٤٨٦ ـ حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ مُوسَى بْنِ أَنَسٍ، عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قال: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ، لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا، وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا». [سبق برقم ٩٣، وأخرجه مسلم، برقم ٢٣٥٩]

الشَّرح

والمَعنَى ظاهِرٌ: لو يَعلَمُ النَّاسُ ما يَعلَمُه رَسُولُ اللهِ ﷺ ما عِندَ الله مِنَ النَّعِيمِ العَظِيمِ لأَولِيائِه والعَذابِ الشَّدِيدِ لأَعدَائِه ـ لَضَحِكُوا قَليلًا ولَبَكَوا كَثيرًا؛ خَوفًا من شِدَّةِ العَذابِ؛ نَسأَلُ اللهَ السَّلامةَ.

(ع): وَالمَعْنَى وَاللهُ أَعلَمُ: لَو تَعلَمُونَ مَا أَعلَمُ مَا عِندَ اللهِ مِنَ العُقُوبَةِ العَظِيمَةِ لِمَنْ خَالَفَ أَمرَهُ وَتَعَدَّى حُدُودَهُ؛ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا، وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا، وَلَكِنِ الجَهلُ قَدْ يَحمِلُ عَلَى مَا لَا يَنبَغِي، وَلَكِنْ مَتَى تَأَمَّلَ الإِنسَانُ مَا عِندَ اللهِ مِنَ العُقُوبَةِ عَذَابِ جَهنَّمَ لِمَنْ خَالَفَ أَمرَهُ وَتَعَدَّى حُدُودَهُ كَثُرَ بُكَاؤُهُ

خَوفًا مِنَ اللهِ ﷻ: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الذاريات: ١٧، ١٨]؛ فَالْمُؤمِنُ كَثِيرُ الخَوفِ مِنَ اللهِ، كَثِيرُ الحَذَرِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ خُذُوا۟ حِذْرَكُمْ﴾ [النساء: ٧١]، وَقَالَ سُبحَانَهُ: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾ [الرحمٰن: ٤٦]، ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾﴾ [إبراهيم: ١٤].

فَجَدِيرٌ بِالْمُؤمِنِ دَائِمًا أَنْ يَحذَرَ عِقَابَ اللهِ، وَأَنْ يَكُونَ خَائِفًا مِن مَقتِهِ وَاسْتِدرَاجِهِ بِإِصرَارِهِ عَلَى الْمَعَاصِي وَإِقَامَتِهِ عَلَيهَا، فَلْيُحَاسِبْ نَفسَهُ، وَلْيَستَقِمْ عَلَى أَمرِ رَبِّهِ، وَلْيَحذَرْ مَا يُغضِبُهُ، هَذَا هُوَ طَرِيقُ النَّجَاةِ، وَهَذَا هُوَ طَرِيقُ السَّلَامَةِ.

٢٨ ـ بَاب حُجِبَتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ

٦٤٨٧ ـ حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، قال: حَدَّثَنِي مَالِكٌ، عَنْ أَبِي الزِّنَادِ، عَنِ الأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قال: «حُجِبَتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ، وَحُجِبَتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ». [وأخرجه مسلم، برقم ٢٨٢٣]

الشَّرح

المَعنَى: أَنَّهُ جُعِل الحِجابُ هَكَذا؛ يَعنِي: بَينَ العَبدِ وبَينَ النَّارِ أن يَتَّبِعَ شَهَواتِه؛ فإذَا اتَّبَع شَهَواتِه صَارَ إِلَى النَّارِ؛ لأنَّ فِيهَا المُباحَ وفِيهَا المُحرَّم؛ يَعنِي: إِذَا اتَّبَع شَهَواتِه ولم يُفرِّقْ بَينَ الحَلالِ والحَرامِ جَرَّه هَذَا إِلَى النَّارِ؛ نَسأَلُ اللهَ العَافِيةَ.

و﴿حُجِبَتِ الجَنَّةُ بِالمَكارِهِ﴾: بِمَا يَكرَهُ الإِنسَانُ؛ فإذَا جَاهَد نَفْسَه وأَلزَمَها الحَقَّ وإنْ كَرِهَت، وحَمَلَها عَلَى الخَيرِ مِنَ الجِهادِ والأَمرِ بِالمَعرُوفِ والنَّهيِ

عَنِ المُنكرِ، وأداءِ ما أَوجَبَ اللهُ، وتَركِ ما حَرَّم اللهُ، والوُقُوفِ عِندَ حُدودِ اللهِ صَارَ إِلَى الجَنَّةِ والسَّعادَةِ.

جَاءَ «حُجِبَتْ» وجَاءَ «حُفَّتْ» كُلُّه جَاءَ فِي النَّصِّ؛ نَسأَلُ اللهَ السَّلامةَ.

(ع): جَاءَ هَذَا وَهَذا، جَاءَ حُفَّتْ وَحُجِبَتِ الجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ وَحُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ، فَمَنِ اخْتَرَقَ الشَّهَوَاتِ دَخلَ فِي جَهَنَّمَ، وَمَن صَبَرَ عَلَى الْمَكَارِهِ صَارَ إِلَى الجَنَّةِ؛ فَالإِنسَانُ قَدْ يَكرَهُ الخُرُوجَ مِنَ البَيتِ لِأَدَاءِ الصَّلَاةِ، قَدْ تَأمُرُهُ نَفسُهُ بِذَلِكَ، قَدْ يَكرَهُ القِيَامَ لِلوُضُوءِ فِي البَردِ أَوِ الغُسلِ، وَقَدْ يَكرَهُ الجِهَادَ، قَدْ يَكرَهُ الأَمرَ بِالْمَعرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنكَرِ، قَدْ يَضعُفُ فِي هَذِهِ الأُمُورِ، لَكِنْ مَتَى أَقدَمَ وَجَاهَدَ نَفسَهُ ابْتِغَاءَ مَا عِندَ اللهِ صَارَ إِلَى الجَنَّةِ بِهَذِهِ الْمَكَارِهِ الَّتِي تَكْرَهُهَا النُّفُوسُ؛ لِأَنَّهَا تُخَالِفُ رَاحَتَهَا، فَإِذَا أَقدَمَ عَلَيهَا الْمُؤمِنُ صَابِرًا مُحتَسِبًا رَاغِبًا فِيمَا عِندَ اللهِ يَرجُو ثَوَابَهُ صَارَ إِلَى الجَنَّةِ وَالسَّعَادَةِ.

• **س: أَحسَنَ اللهُ إِلَيكَ، مَعنى الحِجابِ؟**

○ **ج:** حِجابٌ بَينَه وبَينَ الجَنَّةِ والنَّارِ، وأَمَّا حُفَّتْ فظَاهِرُ المَعنَى: جُعِل أَمامَها هَذَا الشَّيءُ.

٢٩ ـ بَاب الجَنَّةُ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ، والنَّارُ مِثْلُ ذَلِكَ

٦٤٨٨ حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ مَسْعُودٍ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ مَنْصُورٍ وَالأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ ﷺ قال: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «الْجَنَّةُ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ، وَالنَّارُ مِثْلُ ذَلِكَ».

الشَّرح

وهَذَا من جَوامِعِ الكَلِمِ، ومِن عَظيمِ فَضلِ اللهِ ﷻ؛ فَإِنَّهُ لَيسَ بَينَ العَبدِ

وبَينَ الجَنَّةِ إلَّا أَنْ يَمُوتَ عَلَى الإيمَانِ، ولَيسَ بَينَه وبَينَ النَّارِ إلَّا أَنْ يَمُوتَ عَلَى الكُفرِ، هَذِه لَحظةٌ وَاحِدةٌ أَقرَبُ من شِرَاكِ نَعْلِه؛ فإذَا فاضَتِ الرُّوحُ عَلَى الإيمَانِ فهُوَ من أَهلِ الجَنَّةِ، وإذَا فاضَتِ الرُّوحُ عَلَى الكُفرِ بِاللهِ صَارَ من أَهلِ النَّارِ؛ نَسأَلُ اللهَ العَافِيةَ، لَا حَولَ ولَا قُوَّةَ إلَّا بِاللهِ.

(ع): وذَلِكَ لِأَنَّهُ إنَّمَا بَينَهُ وَبَينَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ الخَاتِمَةُ، فَإِنْ خُتِمَ لَهُ بِالجَنَّةِ خُتِمَ لَهُ بِالعَمَلِ الصَّالِحِ صَارَ إِلَى الجَنَّةِ، وَإِنْ خُتِمَ لَهُ بِالعَمَلِ السَّيِّئِ صَارَ إِلَى النَّارِ؛ فَالأَعمَالُ بِالخَوَاتِيمِ؛ فَالجَنَّةُ أَقرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِن شِرَاكِ نَعلِهِ، وَالنَّارُ مِثلُ ذَلِكَ، فَإِذَا مَنَّ اللهُ عَلَيهِ بِحُسنِ الخَاتِمَةِ صَارَ إِلَى الجَنَّةِ، وَإِذَا ابْتُلِيَ بِسُوءِ الخَاتِمَةِ صَارَ إِلَى النَّارِ، نَسأَلُ اللهَ العَافِيَةَ.

* * *

٦٤٨٩ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، حَدَّثَنَا غُنْدَرٌ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عُمَيْرٍ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال: «أَصْدَقُ بَيْتٍ قَالَهُ الشَّاعِرُ: أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللهَ بَاطِلُ». [سبق برقم ٣٨٤١، وأخرجه مسلم، برقم ٢٢٠٦]

الشَّرح

• **س: الشَّاهِدُ مِنَ الحَديثِ...؟**

○ ج: ظاهِرٌ، كلُّ ما خَلَا اللهَ باطِلُ، كلُّ شَيءٍ لا يَتعلَّقُ بِاللهِ والإيمَانِ بِهِ وتَقواهُ والقِيامِ بحَقِّه والدَّعوةِ إليهِ، ضائِعٌ باطِلٌ ما يَنفَعُ صاحِبَه بل يَضُرُّه؛ نَسأَلُ اللهَ العَافِيةَ.

• **س: أَحسَنَ اللهُ عَمَلَكَ يَا شَيخُ، قَولُهُ: «أَصدَقُ بَيتٍ قَالَهُ الشَّاعِرِ». ذكرَه فِي (بَابِ الجَنَّةِ أَقرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِن شِرَاكِ نَعلِهِ)، وَجهُ مُنَاسَبَةِ ذِكرِهِ بَارَكَ اللهُ فِيكَ؟**

○ ج: أَلَا كُلُّ شيء مَا خَلَا اللهَ بَاطِلٌ، مَا سِوَى اللهَ بَاطِلٌ؛ لِأَنَّهُ زَائِلٌ، أَمَّا الَّذِي عِنْدَهُ فَهُوَ دَائِمٌ وَهُوَ الجَنَّةُ، نَعِيمٌ دَائِمٌ.

٣٠ ـ بَاب لِيَنْظُرْ إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْهُ، وَلَا يَنْظُرْ إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَهُ

٦٤٩٠ ـ حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، قال: حَدَّثَنِي مَالِكٌ، عَنْ أَبِي الزِّنَادِ، عَنِ الأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قال: «إِذَا نَظَرَ أَحَدُكُمْ إِلَى مَنْ فُضِّلَ عَلَيْهِ فِي الْمَالِ وَالْخَلْقِ، فَلْيَنْظُرْ إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْهُ مِمَّنْ فُضِّلَ عَلَيْهِ». [وأخرجه مسلم، برقم ٢٩٦٣]

الشَّرح

وذَلِكَ ليَعلَمَ فَضْلَ اللهِ عَليهِ؛ ولهَذَا فِي الرِّوايَةِ الأُخرَى: «**لِئَلَّا تَزدَرُوا نِعمةَ اللهِ عَلَيكُم**»[1]؛ فإِذَا نَظَر الإِنسَانُ إِلَى مَن فُضِّلَ عَليهِ فِي خَلقٍ أو جَمالٍ أو قُوَّةٍ أو نحو ذَلِكَ، أو فِي خُلُقٍ أو فِي خَلقٍ أو مَالٍ فليَنظُرْ إِلَى مَن دُونَه فِي ذَلِكَ؛ حتَّى يَعرِفَ قَدْرَ نِعمةِ اللهِ عَليهِ، وأنَّ اللهَ فَضَّلَه عَلَى كَثيرٍ؛ فإِذَا رَأَى مَن هُوَ قَويٌّ عَظيمٌ فِي جِسمِه وهُوَ دُونَه فليَنظُرْ إِلَى مَن هُوَ ضَعيفٌ أَقلُّ مِنهُ عَلَى فِراشِهِ مَريضٌ أو نَحوُه؛ حتَّى يَعرِفَ أنَّ اللهَ فَضَّلَه عَلَى جَماعةٍ كَثيرَةٍ، وإِذَا رَأَى إِلَى مَن أَعطاهُ اللهُ المَالَ الكَثيرَ وهُوَ دُونَه فليَنظُرْ إِلَى مَن هُوَ دُونَه فِي الفَقرِ والحَاجةِ؛ حتَّى يَعرِفَ أنَّ اللهَ فَضَّلَه عَلَى أُناسٍ كَثيرٍ.

أما الخُلُقُ فلَهُ شأنٌ آخَرُ ـ الخُلق بضَمِّ الخَاءِ واللَّام ويُقالُ: الخُلْق بالتَّسكِينِ ـ هَذَا من شَأنِ الأَعمَالِ الصَّالِحةِ؛ هَذَا شَأنُه شَأنُ الأَعمَالِ الصَّالِحةِ فليُنافِسْ وليُسارِعْ، إِذَا نَظَر إِلَى مَن فُضِّلَ عَليهِ فِي الخُلقِ فِي الجُودِ والكَرمِ

(١) أخرجه مسلم (٣٩٦٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

والسَّماحَةِ والعَفوِ والحِلمِ ونَحوِ ذَلِكَ فليُنافِسْ، وليَقتَدِ بِهِ، وليَتخَلَّقْ بتِلكَ الأَخلَاقِ الفَاضِلةِ، كَمَا إِذَا نَظَر إِلَى مَن فُضِّلَ فِي العِبادَاتِ والحَجِّ والعُمرَةِ والجِهادِ ونَحوِ ذَلِكَ؛ فليُنافِسْ فِي هَذَا كُلِّه، وهَذَا داخِلٌ فِي قَولِه تَعالَى: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ الآيَةَ [الحديد: ٢١]، و﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ الآيَةَ [آل عمران: ١٣٣]، ﴿فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ﴾ [البقرة: ١٤٨].

ففِي أَعمَالِ الخَيرِ يُسارِعُ ويُنافِسُ ويَتأَسَّى بِالأَعلَى، ويَقتَدِي بِالأَعلَى، وفِي أُمورِ الدُّنيَا وفِي أُمورِ الجِسمِ الخَلقِ ونَحوِ ذَلِكَ يَنظُرُ إِلَى مَن دُونَه حتَّى يَعرِفَ قدْرَ نِعمَةِ الله عَليهِ ﷻ، ولَا يَقولُ: إِنِّي مَغبونٌ مَبخوسٌ، فرُبَّما أَفضَى بِهِ الأَمرُ إِلَى أن يُسِيءَ ظَنَّه برَبِّه، ويَقولُ: ظَلَمنِي رَبِّي، أَعطَى فُلانًا وأَعطَى فُلانًا ولم يُعطِنِي، هَذَا مِنَ البَلاءِ العَظيمِ، والفَسادِ الكَبيرِ وانحِرَافِ الفِطرَةِ، ولَا حَولَ ولَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ!

(ع): ﴿فَلۡيَنظُرۡ إِلَىٰ مَنۡ هُوَ أَسۡفَلَ مِنۡهُ﴾: وذَلِكَ لِأَنَّهُ أَجدَرُ أَلَّا يَزدَرِي نَعمَةَ اللهِ، فَإِذَا نَظَرَ إِلَى مَن فَوقَهُ اسْتَحقَرَ نَفسَهُ وَرَأَى أَنَّ مَا أُعطِيَ قَلِيلٌ، وَأَنَّهُ مَبخُوسُ الحَظِّ، وَلَكِنْ مَتَى نَظَرَ إِلَى مَن دُونَهُ، صَارَ هَذَا مِمَّا يَدعُوهُ إِلَى شُكرِ اللهِ، وَأَنَّ اللهَ فَضَّلَهُ عَلَى كَثِيرٍ؛ وَلِهَذَا قَالَ عَلَيهِ الصلاة والسلام: «**انْظُرُوا إِلَى مَن هُوَ أَسفَلَ مِنكُمْ، وَلَا تَنظُرُوا إِلَى مَن فَوقَكُمْ، فَهُوَ أَجدَرُ** - يَعْنِي: أَحرَى - **أَلَّا تَزْدَرُوا نَعْمَةَ اللهِ عَلَيكُمْ**»[1]، وَهَذَا فِي أُمُورِ الدُّنْيَا، فِي الْمَالِ وَالخَلْقِ وَالبَنِينِ وَالقُصُورِ وَنَحوِ ذَلِكَ، يَنظُرُ إِلَى مَن دُونَهُ؛ حَتَّى يَعرِفَ قَدرَ نِعْمَةِ اللهِ عَلَيهِ، وَلَا يَنظُرُ إِلَى مَن فَوقَهُ مِنَ الْمُلُوكِ وَالأَغْنِيَاءِ الَّذِينَ فَوقَهُ؛ فَإِنَّ هَذَا يَجُرُّهُ إِلَى عَدَمِ الشُّكرِ.

أَمَّا فِي الدِّينِ يَنظُرُ إِلَى مَن فَوقَهُ، فِي الدِّينِ وَالأَعمَالِ الصَّالِحَةِ يَنظُرُ إِلَى مَن فَوقَهُ؛ حَتَّى يَتَأَسَّى بِهِ، كَمَا قَالَ ﷺ: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ

(١) أخرجه مسلم (٣٩٦٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ﴾ [التوبة: ١٠٠]؛ فَالْمُؤمِنُ يَنظُرُ إِلَى مَن فَوقَهُ فِي الأَعمَالِ الصَّالِحَةِ، حَتَّى يَتَأَسَّى بِهِ، يَنظُرُ إِلَى الصَّحَابَةِ وَالسَّلَفِ الصَّالِحِ؛ فَيَتَأَسَّى بِهِم فِي الخَيرِ وَالصَّبرِ وَالجِهَادِ.

• **س: عَفَا اللهُ عَنكَ: يَقولُ: «ورَأيتُ فِي نُسخَةٍ مُعتمَدةٍ مِنَ «الغَرائِبِ» للدَّراقُطنِيِّ: «والخُلقُ» بضَمِّ الخَاءِ فِي الحَديثِ السَّابِقِ»؟**

○ ج: لَيسَ بجيِّدٍ، الَّذِي يَظهَرُ أَنَّهُ الخَلقُ خاصَّةً، الظَّاهِرُ أَنَّهُ غَلطٌ، مَن ضَبَطَها هَكَذا غَلِطَ.

٣١ ـ بَاب مَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ أَوْ بِسَيِّئَةٍ

٦٤٩١ حَدَّثَنَا أَبُو مَعْمَرٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَارِثِ، حَدَّثَنَا جَعْدٌ أَبُو عُثْمَانَ، حَدَّثَنَا أَبُو رَجَاءٍ الْعُطَارِدِيُّ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِيمَا يَرْوِي عَنْ رَبِّهِ ﷻ قال: «قَالَ: إِنَّ اللهَ كَتَبَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ، ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ، فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ، فَلَمْ يَعْمَلْهَا، كَتَبَهَا اللهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا، كَتَبَهَا اللهُ لَهُ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ، إِلَى سَبْعِمِئَةِ ضِعْفٍ، إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ، فَلَمْ يَعْمَلْهَا، كَتَبَهَا اللهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا، فَعَمِلَهَا، كَتَبَهَا اللهُ لَهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً». [وأخرجه مسلم، برقم ١٣١]

الشَّرح

وهَذَا يَدلُّ عَلَى جُودِه وكَرَمِه ﷻ، وأَنَّهُ سُبحانَهُ لَطيفٌ كَريمٌ جَوادٌ عَظيمٌ؛ فالإِنسَانُ بَينَ هَذِه **الأُمورِ الأَربَعةِ**:

* قد يَهُمُّ بحَسنةٍ فيَعمَلُها أو لا يَعمَلُها.

* **الحَالُ الثَّانِيةُ**: يَهُمُّ بِهَا فيَعمَلُ بِهَا.

* **الحَالةُ الثَّالِثةُ**: يَهُمُّ بسَيِّئةٍ فيَعمَلُها أو لَا يَعمَلُها.

* **الرابعة**: أن يَهُمَّ بِهَا فيَعمَلَها.

بيَّنَ اللهُ ﷻ عَلَى لِسانِ نَبِيِّه ﷺ أَحكامَ هَذِه الأُمورِ، وأنَّهُ إِذَا همَّ بِالحَسنةِ فلَم يَعمَلْها كَتَبَها اللهُ لَهُ حَسنةً، صَارَ هَذَا الهَمُّ حَسنَةً، فإِذَا همَّ أنَّهُ يَزُورُ أَخاهُ فِي اللهِ، أو هَمَّ أنَّهُ يَتصدَّقُ، أو همَّ أنَّهُ يَصِلُ رَحِمَه، أو همَّ أنَّهُ يَعُودُ مَريضًا ولكِنْ ما فَعَل، حالَ حائِلٌ؛ فإنَّهَا تُكتَبُ لَهُ حَسَنةٌ، وإنْ لم يَعمَلْ؛ فإنْ همَّ بهَذِه الحَسَنةِ فعَمِلَها كَتَبَها اللهُ لَهُ عَشْرَ حَسَناتٍ إِلَى سَبعمِائةِ ضِعفٍ إِلَى أَضعَافٍ كَثيرةٍ، والحَسَناتُ تَختلِفُ فِي عِظَمِها وعِظَمِ ثَوابِها، وعَدمِ ذَلِكَ؛ فلَيسَت حَسنةُ التَّوحِيدِ مِثلَ حَسَنةِ غَيرِها، ولَيسَت حَسَنةُ الجِهادِ فِي سَبيلِ اللهِ مِثلَ حَسَنةِ الصَّدَقةِ بدِرهمٍ أو دِرهَمَينِ أو عَشَرةٍ أو عِشرِينَ أو أَشبَاهِ ذَلِكَ؛ فهِيَ تَختلِفُ الحَسَناتُ.

الحالُ الثَّالِثةُ: أن يَهُمَّ بسيِّئةٍ فلَا يَعمَلَها، تُكتَبُ لَهُ حَسَنةٌ، وهَذِه الحَالُ الرَّابِعةُ فِيهَا تَفصِيلٌ دَلَّت عَليهِ السُّنَّةُ؛ فالهَمُّ بِالسَّيِّئةِ لَهُ أَحوالٌ ثَلاثةٌ، كَمَا دَلَّت عَليهِ الأَحَادِيثُ الصَّحِيحةُ:

الحَالُ الأُولَى: هِيَ أن يَهُمَّ بِهَا ولَا يَعمَلَ، ويَترُكَها تَشاغُلًا عَنهَا، أو كَسَلًا عَنهَا؛ فهَذَا لَا شَيءَ عَليهِ، لَا تُكتَبُ عَليهِ.

والحَالُ الثَّانِيةُ: أن يَهُمَّ بِهَا ثُمَّ يَترُكَها خَوفًا مِنَ اللهِ، من أَجلِ اللهِ، فهَذَا تُكتَبُ لَهُ حَسَنةٌ، كَمَا فِي الرِّوايَةِ الأُخرَى: **«إِنَّما تَرَكَها مِن جَرَّائِي»**[1]؛ يَعنِي: من أَجلِي، تُكتَبُ لَهُ حَسَنةٌ.

والحَالُ الثَّالِثةُ: أن يَهُمَّ بِهَا، ويَجتهِدَ ويَحرِصَ عَلَى أنَّ يَعمَلَ بِهَا لكِنْ يُحالُ بَينه وبَينَها أَنْ يَعجِزَ؛ فهَذَا تُكتَبُ عَليهِ سَيِّئةٌ؛ لأَنَّهُ حاوَلَ فِعلَها وبَذَل

---

(١) أخرجه مسلم (١٢٩) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وُسْعَه فتُكتَبُ عَليهِ؛ لِمَا ثَبَت فِي «الصَّحيحَينِ» عَنِ النَّبيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**إِذَا الْتَقَى الْمُسْلِمانِ بسَيفَيهِمَا؛ فَالقَاتِلُ والمَقتُولُ فِي النَّارِ**»، قِيلَ: يا رَسُولَ اللهِ، هَذَا القاتِلُ فمَا بَالُ المَقتُولِ؟ قَالَ: «**لأَنَّه كَانَ حَرِيصًا عَلَى قَتْلِ صَاحِبِه**»[1]، صَارَ بعَمَلِه وجِدِّه وحِرصِه عَلَى القَتلِ آثِمًا بذَلِكَ، وصَارَ كَالقاتِلِ مُتوعَّدًا بالنَّارِ؛ لأَنَّهُ أَرادَ قَتْلَ صَاحِبِه وحَاوَلَ لكِنْ غُلِبَ فبَاءَا جَميعًا بالإثمِ.

الحَالُ الرَّابِعةُ: أن يَهُمَّ بالسَّيِّئةِ فيَعمَلُها فتُكتَبُ لَهُ سَيِّئةٌ وَاحِدةٌ، فهَذَا من لُطفِه وجُودِه ﷻ، ومن هَذَا البَابِ قَولُه ﷺ فِي قِصَّةِ يُوسُفَ عليه السلام: ﴿**وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا**﴾ [يوسف: ٢٤] عَلَى الصَّحِيحِ، همَّ لكِنْ لم يَعمَلْ فكَتَبَ اللهُ لَهُ حَسَنَةَ ذَلِكَ وثَوابَ ذَلِكَ.

أمَّا قَولُ مَن قَالَ: همَّ أن يَضرِبَها أو ما أَشبَهَ ذَلِكَ هَذَا لَيسَ بشَيءٍ عِندَ أَهلِ العِلمِ.

(ع): ﴿**فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ، فَلَمْ يَعْمَلْهَا**﴾: وَهَذَا مِنْ فَضلِهِ ﷺ وَكَرَمِهِ وَجُودِهِ، فَإِنَّهُ كَتَبَ الحَسَنَاتِ وَالسَّيئَاتِ ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ، فَمَنْ هَمَّ بِالحَسَنَة فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً، بِهَمِّهِ، فَإِنْ عَمِلَهَا كَتَبَهَا اللهُ لَهُ بِعَشرِ حَسَنَاتٍ، إِلَى سَبعِمِائَةِ ضِعفٍ إِلَى أَضعَافٍ كَثِيرَةٍ، مِثلُ: هَمَّ أَنْ يَزُورَ أَخًا لَهُ فِي اللهِ، أَوْ يَعُودَ مَرِيضًا فَلَمْ يَعمَلْ؛ كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةٌ، فَإِنْ عَمِلَ كَانَتْ عَشرَ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبعِمِائَةِ أَجرٍ إِلَى أَضعَافٍ كَثِيرَةٍ، أَمَّا السَّيئَةُ إِذَا هَمَّ بِهَا فَلَمْ يَعمَلْهَا، كَتَبَهَا اللهُ لَهُ حَسَنَةً، إِذَا لَمْ يَعمَلْهَا خَوفًا مِنَ اللهِ، فَإِنْ تَرَكَهَا تَشَاغُلًا عَنْهَا لَمْ تُكتَبْ عَلَيهِ، فَأَمَّا إِذَا تَرَكَهَا خَوفًا مِنَ اللهِ، كَتَبَهَا اللهُ لَهُ حَسَنَةً، أَمَّا إِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ عَلَيهِ سَيِّئَةٌ وَاحِدَةٌ لَا تُضَاعَفُ؛ إِلَّا أَنَّهَا قَدْ تَكُونُ سَيِّئَةً عَظِيمَةً كَالسَّيِّئَةِ فِي الحَرَمِ الْمَكِّيِّ أَوْ فِي الْمَدَنِيِّ، أَوْ فِي رَمَضَانَ أَوْ فِي عَشرِ ذِي الحِجَّةِ، تُضَاعَفُ مِن جِهَةِ الكَيفِيَّةِ،

---

(١) أخرجه البخاري (٣١)، ومسلم (٢٨٨٨) عن أبي بكرة رضي الله عنه.

السَّيئَةُ قَدْ تعظُمُ مِن جِهَةِ الكَيفِيَّةِ، لَا مِن جِهَةِ العَدَدِ؛ فَالسَّيِّئَةُ الوَاحِدَةُ بِوَاحِدَةٍ، لَكِنْ سَيِّئَةُ الحَرَمِ وَسَيئَةُ رَمَضَانَ وَسِيئَةُ ذِي الحِجَّةِ تَكُونُ أَعظَمَ، أَمَّا إِذَا هَمَّ بِالسَّيئَةِ وَلَكِنْ لَمْ يَعمَلْهَا خَوفًا مِنَ اللهِ كَتَبَهَا اللهُ لَهُ حَسَنَةً، فَإِنْ تَرَكَهَا تَشَاغُلًا عَنْهَا أَوْ نِسْيَانًا لَهَا أَوْ لِأَسبَابٍ أُخْرَى لَمْ تُكتَبْ عَلَيهِ، فَضْلًا مِنَ اللهِ ﷻ.

• **س: السَّيِّئَةُ تُكتَبُ عَلَيهِ إِذَا لم يَعمَلْها: «إِذَا هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فلَم يَعمَلْها»؟**

○ **ج:** إِذَا اجتَهَد فِي فِعلِها وبَذَل المُستَطَاعَ ولكِنْ حِيلَ بَينَه وبَينَ ذَلِكَ، مِثلُ الَّذِي أَرادَ قَتْلَ صَاحِبِه، ومِثلُ الَّذِي نَقَّبَ البَيتَ ودَخَل؛ فلَمَّا أَرادَ السَّرِقةِ حِيلَ بَينَه وبَينَ ذَلِكَ وما أَشبَهَ ذَلِكَ.

• **س: أَحسَنَ اللهُ إِليكَ، ما يُقالُ: إِنَّ شرْعَ فِي السَّيِّئَةِ تُكتَبُ عَليهِ؟**

○ **ج:** إِنَّ شرْعَ فِيهَا؛ ولهَذَا قَالَ: **«القَاتِلُ والمَقتُولُ فِي النَّارِ»** نَسأَلُ اللهَ العَافِيةَ، المَقتُولُ مَعلُومٌ أَنَّهُ ما نَفَّذَ لكِنْ حِيلَ بَينَه وبَينَ ذَلِكَ.

• **س: «فَهُما فِي الوِزْرِ سَواءٌ»؟**

○ **ج:** هَذَا حَديثٌ آخَرُ، هَذَا إِذَا كَانَ الإِنسَانُ لَيسَ لَهُ عِلمٌ وقد آتَاهُ اللهُ مَالًا ولم يُعطِهِ عِلمًا فهُوَ يَتخبَّطُ فِي مَالِه؛ فلَا يَصِلُ بِهِ رَحِمَه ولَا يَتَّقِي فِيهِ رَبَّه، ولَا يَعرِفُ للهِ فِيهِ حَقًّا؛ فهَذَا بأَخبَثِ المَنازِلِ، والثَّانِي لم يُعطَ عِلمًا ولَا مَالًا فهُوَ يَقولُ: لو أُعطِيتُ مالًا لعَمِلتُ بمِثلِ عَملِ فُلانٍ قَالَ: **«فهَذَا بِنِيَّتِه فهُمَا فِي الوِزرِ سَواءٌ»**[1]؛ هَذَا حَديثُ أَبِي كَبشَةَ الأَنمارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. رَواهُ التِّرمذِيُّ وغَيرُه.

• **س: أَحسَنَ اللهُ إِلَيكَ، ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ﴾ [يوسف: ٢٤] تَفسِيرُ بُرهانِ رَبِّه؟**

○ **ج:** اللهُ أَعلَمُ.

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٣٢٥)، وابن ماجه (٤٢٢٨)، وأحمد (٢٩/ ٥٥٢) رقم (١٨٠٢٤) عن أبي كبشة الأنماري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

• س: أَحسَنَ اللهُ عَمَلَكَ يَا شَيخُ، إِذَا كَانَتِ الصَّلَاةُ فِي الحَرَمِ بِمِائَةِ أَلفِ حَسَنَةٍ هَلْ السَّيِّئَةُ مِثلُهَا؟

○ ج: لَا، السَّيِّئَةُ مَا تُضَاعَفُ فِي العَدَدِ، السَّيئَةُ مِن جِهَةِ الكَيفِيَّةِ ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾ [الحج: ٢٥]، يَكُونُ إِثْمُهَا أَكبَرَ، لَكِنْ وَاحِدَةٌ مَا تُضَاعَفُ مِن جِهَةِ العَدَدِ، لَا فِي مَكَّةَ وَلَا فِي غَيرِهَا، ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠] هَذِهِ آيَةٌ مُحكَمَةٌ، لَا يُجزَى إِلَّا مِثلَهَا فِي الحَرَمِ وَفِي غَيرِ الحَرَمِ، لَكِنْ سَيِّئَةُ الحَرَمِ أَعظَمُ فِي الإِثمِ، سَيِّئَةُ رَمَضَانَ أَعظَمُ فِي الإِثمِ، سِيِّئَةُ عَشرِ ذِي الحِجَّةِ أَعظَمُ مِنْ جِهَةِ الكَيفِيَّةِ، مِنْ جِهَةِ شِدَّةِ الإِثمِ.

٣٢ ـ بَاب مَا يُتَّقَى مِنْ مُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ

٦٤٩٢ حَدَّثَنَا أَبُو الْوَلِيدِ، حَدَّثَنَا مَهْدِيٌّ عَنْ غَيْلَانَ، عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: «إِنَّكُمْ لَتَعْمَلُونَ أَعْمَالًا هِيَ أَدَقُّ فِي أَعْيُنِكُمْ مِنَ الشَّعَرِ، إِنْ كُنَّا نَعُدُّهَا عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ الْمُوبِقَاتِ»، قَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ: يَعْنِي: بِذَلِكَ الْمُهْلِكَاتِ.

الشَّرح

وَهَذَا يُفِيدُ الحَذرَ مِنَ السَّيِّئَاتِ، صَغِيرِهَا وَكَبِيرِهَا، ولهَذَا قَالَ أَنسٌ رضي الله عنه: ﴿إِنَّكُم لتَعْمَلُونَ أَعمَالًا هِيَ فِي أَعيُنِكُم أَدَقُّ مِنَ الشَّعْرِ، كُنَّا نَعُدُّها فِي عَهدِ النَّبِيِّ ﷺ مِنَ المُوبِقَاتِ﴾، نَعُدُّها مِنَ المُهلِكاتِ وأَنتُم تَحتَقِرونَها، هَذَا يُفيدُ الحَذرُ؛ يَعْنِي: أَنَّكُمْ تَتَسَاهَلُونَ فِي بَعضِ الأَعمَالِ، وَنَحنُ نُعَظِّمُهَا؛ كَالغِيبَةِ وَالنَّمِيمَةِ وَأَشبَاهِ ذَلِكَ، يَتَسَاهَلُ فِيهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَهِيَ مِنَ الْمُوبِقَاتِ.

وهَذَا فِيهِ الحَذرُ من مُحقَّراتِ الذُّنُوبِ الَّتِي يَحتَقِرُها الإِنسَانُ؛ فإِنَّها تَجتمِعُ عَلَى العَبدِ حتَّى تَهلِكه نَعوذُ بِاللهِ.

وجَاءَ عَنهُ عليه الصلاة والسلام أنَّهُ قَالَ: «**إِيَّاكُمْ ومُحقَّرَاتِ الذُّنُوبِ؛ فإنَّ لَهَا مِنَ اللهِ طالبًا**»(١)، وفِي اللَّفظِ: «**فإنَّها تَجتمِعُ عَلَى العَبدِ حتَّى تُهلِكَه**»(٢). ثُمَّ ضَرَب لهَذَا مَثلًا بِالرَّكبِ يَنزِلُون مَنزِلًا فيَحضُرُ صَنيعُهُم طَعامَهُم؛ فيَأتِي هَذَا بعُودٍ، ويَأتِي هَذَا ببَعَرةٍ، ويَأتِي هَذَا بكَذَا؛ فيُوقِدُونَ نارًا ليُنضِجُوا صَنِيعَهُم؛ فهَكَذا مَن جَمَع السَّيِّئاتِ وإنْ كَانَت صَغائِرَ تَجتمِعُ عَليهِ، حتَّى تَكُونَ عَظائِمَ وحَتَّى تُهكِلَه؛ نَسألُ اللهَ السَّلامةَ.

[قالَ الحَافِظُ ابنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «فتْحِ البَارِي» (١١/ ٣٢٩)]: «قَوْلُهُ: ﴿**بَابٌ مَا يُتَّقَى مِنْ مُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ**﴾ التَّعْبِيرُ بِالْمُحَقَّرَاتِ وَقَعَ فِي حَدِيثِ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَفَعَهُ: «**إِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ، فَإِنَّمَا مَثَلُ مُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ كَمَثَلِ قَوْمٍ نَزَلُوا بَطْنَ وَادٍ؛ فَجَاءَ ذَا بِعُودٍ، وَجَاءَ ذَا بِعُودٍ حَتَّى جَمَعُوا مَا أَنْضَجُوا بِهِ خُبْزَهُمْ، وَإِنَّ مُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ مَتَى يُؤْخَذْ بِهَا صَاحِبُهَا تُهْلِكْهُ**». أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ بِسَنَدٍ حَسَنٍ، وَنَحْوُهُ عِنْدَ أَحْمَدَ وَالطَّبَرَانِيِّ من حَدِيث ابن مَسْعُود، وَعند النَّسَائِيّ وابن مَاجَهْ عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لَهَا: «**يَا عَائِشَةُ، إِيَّاكِ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ؛ فَإِنَّ لَهَا مِنَ اللهِ طَالِبًا**». وَصَححهُ ابن حبَان».

(الشَّيخُ): اقرَأِ الكَلامَ عَلَى قَولِه: ﴿**مِنَ المُوبِقَاتِ**﴾. ما هُناكَ رِوايَةٌ: ﴿**مِنَ المُهلِكَاتِ**﴾ بزِيادَةِ «مِن»؟

[قَالَ الحَافظُ رَحِمَهُ اللَّهُ]: «قَوْلُهُ: ﴿**إِنْ كُنَّا لَنَعُدُّهَا**﴾ كَذَا لِلْأَكْثَرِ بِلَامِ التَّأْكِيدِ وَفِي رِوَايَةِ أَبِي ذَرٍّ عَنِ السَّرَخْسِيِّ وَالْمُسْتَمْلِي بِحَذْفِهَا وَبِحَذْفِ الضَّمِيرِ أَيْضًا

---

(١) أخرجه النسائي في «الكبرى» (١١٨١١)، وابن ماجه (٤٢٤٣)، والدارمي (٢٧٦٨)، وابن حبان (٥٥٦٨) عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.
قال ابن حجر: صححه ابن حبان. «فتح الباري» (١١/ ٣٢٩).
وصححه البوصيري في «مصباح الزجاجة» (١٥٢٤).

(٢) أخرجه أحمد (٦/ ٣٦٧) رقم (٣٨١٨)، وأبو يعلى في «المسند» (٥١٢٢) عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَلَفْظُهُمَا «إِنْ كُنَّا نَعُدُّ» وَلَهُ عَنْ الْكُشْمِيهَنِيِّ «إِنْ كُنَّا نَعُدُّهَا» وَإِنْ مُخَفَّفَةٌ مِنَ الثَّقِيلَةِ وَهِيَ لِلتَّأْكِيدِ قَوْلُهُ: «مِنَ الْمُوبِقَاتِ» بِمُوَحَّدَةٍ وَقَافٍ وَسَقَطَ لَفْظُ مِنْ لِلسَّرَخْسِيِّ وَالْمُسْتَمْلِي أَيْضًا». [انتهى كلامه].

قَالَ ابْنُ بَازٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: صَارَ أَصْلُه «مِن». سَقَطت فِي السَّرَخْسِيِّ والمُستَملِي. ماشٍ[1]. بَعضُ النُّسَخِ مَا فِيهَا «مِن»[2]؟

كُنَّا نَعُدُّهَا مِنَ الْمُوبِقَاتِ؛ يَعْنِي: الكَبَائِرَ؛ كَالغِيبَةِ وَالنَّمِيمَةِ، وَالسُّخرِيَةِ وَأَشبَاهِ ذَلِكَ.

• **س: أَحسَنَ اللهُ إِليكَ، مَعنى مُحقَّراتٍ؟**

○ **ج**: مُحقَّرَاتٌ الَّتِي يَحتَقِرُها الإِنسَانُ؛ يَعنِي: يَراهَا صَغيرَةً ويَجتَرِئُ عَليهَا، مِثلُ سَرِقةِ المَالِ القَليلِ الَّذِي لَا يُوجِبُ قَطْعَ اليَدِ، ومِثلُ مُلامَسَةِ النِّساءِ، ومِثلُ النَّظرِ إِلَى بَعضِ النِّساءِ من غَيرِ المَحارِمِ، وما أَشبَهَ ذَلِكَ، الَّتِي لَيسَ فِيهَا وَعيدٌ بغَضبٍ ولَا لَعنَةٍ ولَا نَارٍ ولَا حَدٌّ فِي الدُّنيَا، الجُمهورُ عَلَى أَنَّ هَذِه هِيَ الصَّغيرَةُ المُحقَّراتِ.

٣٣ ـ بَاب الأَعْمَالُ بِالْخَوَاتِيمِ، وَمَا يُخَافُ مِنْهَا

﴿٦٤٩٣﴾ حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَيَّاشٍ الأَلْهَانِيُّ الحِمْصِيُّ، حَدَّثَنَا أَبُو غَسَّانَ، قال: حَدَّثَنِي أَبُو حَازِمٍ عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ قَالَ: نَظَرَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى رَجُلٍ يُقَاتِلُ الْمُشْرِكِينَ، وَكَانَ مِنْ أَعْظَمِ الْمُسْلِمِينَ غَنَاءً عَنْهُمْ، فَقَالَ: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَلْيَنْظُرْ إِلَى هَذَا» فَتَبِعَهُ رَجُلٌ، فَلَمْ يَزَلْ عَلَى ذَلِكَ، حَتَّى جُرِحَ، فَاسْتَعْجَلَ الْمَوْتَ، فَقَالَ بِذُبَابَةِ سَيْفِهِ، فَوَضَعَهُ بَيْنَ ثَدْيَيْهِ، فَتَحَامَلَ عَلَيْهِ حَتَّى خَرَجَ مِنْ بَيْنِ كَتِفَيْهِ، فَقَالَ

(١) الْمَعرُوفُ «مِنَ الْمُوبِقَاتِ».
(٢) المَعْنَى صَحِيحٌ، حَتَّى لَو سَقَطَتْ.

النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَعْمَلُ، فِيمَا يَرَى النَّاسُ، عَمَلَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَإِنَّهُ لَمِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَيَعْمَلُ، فِيمَا يَرَى النَّاسُ، عَمَلَ أَهْلِ النَّارِ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَإِنَّمَا الأَعْمَالُ بِخَوَاتِيمِهَا». [سبق برقم ٢٨٩٨، وأخرجه مسلم، برقم ١١٢]

الشَّرح

(ع): مَنْ خُتِمَ لَهُ بِالخَاتِمَةِ الحَسَنَةِ فَهُوَ مِنْ أَهلِ الجَنَّةِ، وَمَن خُتِمَ لَهُ بَالكُفرِ وَالضَّلَالِ فَهُوَ مِن أَهلِ النَّارِ.

هَذَا فِيهِ الحَذَرُ، وَأَنَّ الْمُؤمِنَ يَحبِسُ نَفسَهُ وَيُجَاهِدُهَا، وَيَتَّقِي اللهَ حَتَّى يُختَمَ لَهُ بِالخَيرِ، يَحذَرُ التَّسَاهُلَ، فَقَدْ يُعَاقَبُ وَيُبتَلَى فَيُختَمُ لَهُ بِخَاتِمَةِ السُّوءِ، هَذَا الَّذِي يُقَاتِلُ قَدْ يَكُون قَاتَلَ رِيَاءً وَسُمعَةً، فَلَمَّا جُرِحَ تَحَامَلَ عَلَى نَفسِهِ وَقَتَلَهَا، نَسأَلُ اللهَ العَافِيَةَ، واللهُ يَقُولُ: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾﴾ [النساء: ٢٩، ٣٠]؛ فَالوَاجِبُ الحَذَرُ.

فِي الحَدِيثِ: «مَن قَتَلَ نَفسَهُ بِشَيءٍ عُذِّبَ بِهِ يَومَ القِيَامَةِ»[1]؛ فَالْمُؤمِنُ يَحذَرُ وَيُرَاقِبُ رَبَّهُ وَيَستَقِيمُ، وَلَا يَتَسَاهَلُ؛ فَقَدْ يُبتَلَى بِسَبَبِ تَسَاهُلِهِ وَإِصرَارِهِ عَلَى الْمَعَاصِي، وَلَا حَولَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ.

قوله: ﴿إِنَّ الْعَبْدَ لَيَعْمَلُ، فِيمَا يَرَى النَّاسُ﴾: وهَذَا من جِنسِ ما جَاءَ فِي حَدِيثِ ابنِ مَسعُودٍ رضي الله عنه فِي «الصَّحِيحَينِ» لمَّا ذَكَر الطِّفلَ وأَطوَارَه قَالَ: «إِنَّ العَبدَ لَيَعْمَلُ بعَمَلِ أَهلِ الجَنَّةِ حتَّى لَا يَكُونُ بَينَه وبَينَها إِلَّا ذِرَاعٌ فيَسبِقُ عَلَيهِ الكِتابُ فيَعمَلُ بعَمَلِ أَهلِ النَّارِ فيَدخُلُها، وإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعمَلُ بعَمَلِ أَهلِ النَّارِ حتَّى لَا يَكُونُ بَينَه وبَينَها إِلَّا ذِرَاعٌ فيَسبِقُ عَلَيهِ الكِتابُ فيَعمَلُ بعَمَلِ أَهلِ الجَنَّةِ فيَدخُلُها»[2].

---

(١) أخرجه البخاري (٦٠٤٧)، ومسلم (١١٠) عن ثابت بن الضحاك رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٣٢٠٨)، ومسلم (٢٦٤٣) عن ابن مسعود رضي الله عنه.

فالمَعنَى ﴿الأَعمَالُ بِالخَواتِيمِ﴾، الإِنسَانُ قد يَكُونُ ظَاهِرُه الخَيرُ، وهُوَ مُنافِقٌ أو نَحوُ ذَلِكَ، ثُمَّ يَتبيَّنُ أَمرُه ويَموتُ عَلَى النِّفاقِ، وقد يَكُونُ مُظهِرًا للخَيرِ ولكِنْ فِي قَلبِه أَشيَاءُ لَا تَزالُ بِهِ حتَّى أَظهَرَ الشَّرَّ والمَعاصِيَ ومَاتَ عَلَى ذَلِكَ، أوِ ارتَدَّ عَنِ الإِسلَامِ ومَاتَ عَلَى ذَلِكَ... إِلَى غَير ذَلِكَ؛ نَسأَلُ اللهَ العَافِيةَ.

المَقصُودُ: أنَّ الواجِبَ الحَذرَ؛ ولهَذَا كَانَ السَّلفُ يَخشَون الخَاتِمةَ، كَانَت تُخِيفُهم السَّابِقةُ واللَّاحِقةُ، يَحذَرُون السَّابِقةَ واللَّاحِقةَ، وما سَبَق فِي عِلمِ اللهِ، وما يُختَمُ للعَبدِ بِهِ؛ ولهَذَا يَخافُونَ كَثيرًا مَاذَا يَختِمُ اللهُ فِي أَمرِهِم، ولكِنْ فِي سُنَّتِه الغَالِبةِ ﷻ أنَّ مَن أَظهَرَ الخَيرَ صِدقًا خَتَم الله لَهُ بِهِ، ومَن أَظهَرَ الشَّرَّ صِدقًا خُتِم لَهُ بِهِ؛ نَسأَلُ اللهَ العَافِيةَ، لكِنْ قد يَقَعُ للإِنسَانِ خِلافُ ذَلِكَ، ولَا حَولَ ولَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ.

• **س: عَفَا اللهُ عَنكَ، حَديثُ ابنِ مَسعُودٍ ﷺ يُحمَلُ عَلَى هَذَا الحَديثِ؟**

○ **ج**: يَحتَمِلُ هَذَا ويَحتمِلُ هَذَا، يَحتمِلُ أَنَّهُ يُحمَلُ عَلَى هَذَا، ويَكُونُ هَذَا هُوَ المُراد، ويَحتمِلُ أَنَّهُما نَوعانِ: نَوعٌ يَتظاهَرُ بهَذَا ويَتظاهَرُ بهَذَا، ونَوعٌ لَيسَ فِي الحَقيقَةِ قاصِدًا للنَّارِ، ولَيسَ مُرِيدًا لَهَا، ولكِنْ قد يُبتَلَى بأَعمَالٍ سيِّئةٍ تَسوءُ بِهَا خَاتِمَتُه لِمَا مَضَى فِي عِلمِ اللهِ ﷻ، وبَعضُ أَهلِ العِلمِ، حَملَ حَديثَ ابنِ مَسعُودٍ ﷺ عَلَى هَذَا.

• **س: قَولُه: «فِيمَا يَرَى النَّاسُ» ما يدَّعِي فِي المُنافِقِ؛ يَعنِي: رَبَط بَاطِنَه بظَاهِرِه؟**

○ **ج**: هَذَا يَظهَرُ مِنهُ أَنَّهُ مُنافِقٌ أو مُراءٍ فِي الأَعمَالِ الَّتِي يُظهِرُها، وإِنْ كَانَ لَيسَ مُنافِقًا فِي البَاطِنِ، لكِنْ جرَّهُ الرِّياءُ وجرَّهُ التَّساهُلُ حتَّى سَاءَتْ خَاتِمَتُه؛ نَسأَلُ اللهَ العَافِيةَ.

• **س: مَعنَى قَولِه: «وكَانَ من أَعظَمِ المُسلِمينَ غَنَاءً عَنهُ»؟**

○ ج: يَعنِي: نَفعًا، الغَنَاءُ النَّفعُ؛ لأَنَّهُ قَتَل أُناسًا كَثيرًا مِنَ المُشرِكِين، وعَلِمَ النَّاسُ نَشاطَه فِي القِتالِ، لكِنْ كَانَ فِيمَا سَبَقَ فِي عِلمِ اللهِ أَنَّهُ يَقعُ مِنهُ يَقتُلُ نَفسَهُ، نَسأَلُ اللهَ العَافِيةَ، وهَذَا من بَابِ الوَعيدِ، إِذَا كَانَ ما هُوَ مُنافِقٌ يَكُونُ من بَابِ الوَعيدِ، أمَّا إِذَا كَانَ مُنافِقًا كَمَا جَاءَ فِي بَعضِ الرِّوايَاتِ أَنَّهُ سُئِلَ هَذَا أو غَيرُه؛ قَالَ: «لَم أُقاتِلْ لدِينِكُمْ، وإِنَّما قَاتَلْتُ لحِمَايةِ قَومِي». فظَهَر نِفاقُه، نَسأَلُ اللهَ العَافِيةَ.

• **س: هَل إِذَا رُئيَ الرَّجلُ يَعمَلُ بعَملِ أَهلِ النَّارِ ما يُفسَّقُ عَلَى ظاهِرِ الحَديثِ؟**

○ ج: لا، يَنصَحُه، ويَدعُوهُ إِلَى الخَيرِ: «**الدِّينُ النَّصيحَةُ**»[1].

• **س: قَولُهُ: «مِن أَهلِ النَّارِ» تَدُلُّ عَلَى الخُلُودِ؟**

○ ج: لَا، مِن بَابِ الوَعِيدِ، اللهُ أَعلَمُ بِهِ، إن كَانَ عَلَى التَّوحِيدِ فَلَا خُلُودَ، وَإِنْ كَانَ مِن غَيرِ أَهلِ التَّوحِيدِ فَهُوَ خُلُودٌ، نَسأَلُ اللهَ العَافِيَةَ.

٣٤ ـ بَاب العُزْلَةُ رَاحَةٌ مِنْ خُلّاطِ السُّوءِ

٦٤٩٤ حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، قال: حَدَّثَنِي عَطَاءُ بْنُ يَزِيدَ أَنَّ أَبَا سَعِيدٍ حَدَّثَهُ قَالَ: «قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ...» (ح)، وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ، حَدَّثَنَا الأَوْزَاعِيُّ، حَدَّثَنَا الزُّهْرِيُّ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَزِيدَ اللَّيْثِيِّ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ؟ قَالَ: «رَجُلٌ جَاهَدَ بِنَفْسِهِ، وَمَالِهِ، وَرَجُلٌ فِي شِعْبٍ مِنَ الشِّعَابِ يَعْبُدُ رَبَّهُ، وَيَدَعُ النَّاسَ مِنْ شَرِّهِ»، تَابَعَهُ الزُّبَيْدِيُّ، وَسُلَيْمَانُ بْنُ كَثِيرٍ، وَالنُّعْمَانُ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، وَقَالَ مَعْمَرٌ عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ

(١) أخرجه مسلم (٥٥)، وأبو داود (٤٩٤٤)، والنسائي (٧/ ١٥٦) عن تميم الداري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

عَطَاءٍ، أَوْ عُبَيْدِ اللهِ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، وَقَالَ يُونُسُ، وَابْنُ مُسَافِرٍ، وَيَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ عَطَاءٍ عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ». [سبق برقم ١٩، وأخرجه مسلم، برقم ١٨٨٨].

٦٤٩٥ حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْم، حَدَّثَنَا الْمَاجِشُونُ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ بْنِ أَبِي صَعْصَعَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ أَنَّهُ سَمِعَهُ يَقُولُ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ: خَيْرُ مَالِ الرَّجُلِ الْمُسْلِمِ: الْغَنَمُ، يَتْبَعُ بِهَا شَعَفَ الْجِبَالِ، وَمَوَاقِعَ الْقَطْرِ، يَفِرُّ بِدِينِهِ مِنَ الْفِتَنِ». [سبق برقم ١٩]

الشَّرح

وفِي الرِّوايَةِ الأُخرَى تَصريحٌ بِالتَّرتِيبِ «ثُمَّ»، لمَّا سُئِل قَالَ: أيُّ النَّاسِ أفضَلُ؟ فقَالَ ﷺ: «مُؤمِنٌ مُجاهِدٌ فِي سَبيلِ اللهِ بنَفسِهِ ومَالِهِ» قِيلَ: ثُمَّ مَن؟ قَالَ: «رَجلٌ مُؤمِنٌ فِي شِعبٍ مِنَ الشِّعابِ يَعبُدُ اللهَ ويَدَعُ النَّاسَ من شَرِّه»[1]، قَالَ كَثيرٌ من أهلِ العِلمِ: إنَّ هَذَا مَحمُولٌ عَلَى أوقاتِ الفِتَنِ، وأوقاتِ فَسَادِ المُدُنِ والقُرَى، أمَّا إذَا صَلَحتِ الأُمورُ وصَلَحتِ المُدنُ والقُرَى صَالِحةٌ فكَونُه مَعَ المُسلِمينَ وفِي جَماعَتِهِم أولَى وأفضَلُ وأبعَدُ عَنِ الشَّرِّ، لكِنْ عِندَ تَغيُّرِ الأحوَالِ تَكونُ العُزلَةُ أفضَلُ، وفِي هَذَا المَعنَى يَقولُ ﷺ: «يُوشِكُ أن يَكُونَ خَيرُ مالِ المَرءِ المُسلِمِ غَنمٌ يَتبَعُ بِهَا شَعَفَ الجِبَالِ، ومَواقِعَ القَطرِ؛ يَفِرُّ بدِينِهِ مِنَ الفِتَنِ»[2]. يُوشِكُ؛ يَعنِي: يَقرُبُ عِندَ تَغيُّرِ الزَّمانِ؛ نَسأَلُ اللهَ السَّلامةَ.

(ع): وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى فَضلِ العُزلَةِ عِندَ الحَاجَةِ إِلَيهَا، «أَفضَلُ النَّاسِ مُؤمِنٌ مُجَاهِدٌ فِي سَبِيلِ اللهِ بِنَفسِهِ وَمَالِهِ»، ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «مُؤمِنٌ فِي شِعبٍ مِنَ الشِّعَابِ

(١) أخرجه البخاري (٢٧٨٦)، ومسلم (١٨٨٨) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.
(٢) أخرجه البخاري (١٩)، وأبو داود (٤١٠٠)، وابن ماجه (٣٩٨٠) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

يَعبُدُ اللهَ وَيَدَعُ النَّاسَ مِن شَرِّهِ». إِذَا كَانَتِ الخُلطَةُ فِيهَا الخَطَرُ؛ فَالعُزلَةُ خَيرٌ مِنَ الخُلطَةِ.

• **س: قَولُه: «ويَدعُ النَّاسَ من شَرِّه»...؟**

○ **ج:** يَعنِي: يَبتعِدُ عَن إِيذاءِ النَّاسِ بغِيبَةٍ أو نَميمَةٍ أو ضَربٍ أو غَيرِ هَذَا من أَنوَاعِ الشَّرِّ، إِذَا اعتَزَل صَارَ بَعيدًا عَنِ الشَّرِّ عَن إِيذاءِ النَّاسِ أنْ يُؤذِيَهُم أو يُؤذُوهُ جَمِيعًا.

• **س: فِي الحَديثِ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «المُؤمِنُ الَّذِي يُجالِسُ النَّاسَ ويَصبِرُ عَلَى أَذاهُم خَيرٌ مِنَ المُؤمِنِ الَّذِي لَا يُجالِسُ النَّاسَ ولَا يَصبِرُ عَلَى أَذاهُم»[1]؟**

○ **ج:** ما يُنافِي هَذَا، ما يُنافِي لَا بَأسَ بِهِ. رَواهُ ابنُ مَاجَهْ بسَندٍ حَسنٍ لَا بَأسَ بِهِ، لكن هَذَا عِندَ النفع، عِندَ حصُولِ الفَائدَةِ، أمَّا إِذَا كَانَ يَخشَى عَلَى نَفسِه فبُعدُهُ أَسلَمُ؛ لأنَّ هَذَا الحَديثِ أَصحُّ من رِوايَةِ البُخارِيِّ، هَذَا أصَحُّ.

• **س: المَقصُودُ مِنَ العُزْلَةِ الرَاحَةُ مِنْ خُلَّاطِ السُّوءِ، بَارَكَ اللهُ فِيكَ؟**

○ **ج:** البُعدُ عَنْ مُخالَطَةِ الأَشرَارِ؛ لِئَلَّا يَتَأَسَّى بِهِم، وَلِئَلَّا يُضِلُّوهُ.

• **س: فِي نِهَايَةِ الحَدِيثِ بَارَكَ اللهُ فِيكُمْ يَقُولُ: «وَيَدَعُ النَّاسَ مِن شَرِّهِ»؛ يَعْنِي: الشَّرَّ مِنْ عِنْدَهُ هُوَ وَلَيسَ مِنَ الآخَرِينَ؟**

○ **ج:** يَعْنِي: لَا يُؤذِي النَّاسَ، لَا يَظلِمُ النَّاسَ، وَلَا يَتَعَدَّى عَلَيهِمْ.

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٤٠٣٢)، وأحمد (٩/ ٦٤) رقم (٥٠٢٢) عن ابن عمر رضي الله عنهما.
وأخرجه الترمذي (٢٥٠٧) وفيه: عن شيخ من أصحاب النبي ﷺ، أراه عن النبي ﷺ.
قال الترمذي: قال ابن أبي عدي: كان شعبة يرى أنه ابن عمر.
قال ابن حجر: أخرجه ابن ماجه بإسناد حسن، وهو عند الترمذي إلا أنه لم يسم الصحابي. «بلوغ المرام» (١٥٣٦).

• **س: أَحسَنَ اللهُ إِلَيكَ يَا شَيخُ، مَنِ اعْتَزَلَ فِي غَيرِ وَقتِ الفِتنَةِ؟**

○ **ج**: لا، السُّنَّةُ أَنْ يَكُونَ مَعَ المُسلِمِينَ، لَا يَعتَزِلُ إِلَّا وَقتَ الحَاجَةِ.

• **س: إِذَا جَاءَتِ الفِتَنُ يَجُوزُ لِلإِنسَانِ أَنْ يَتَمَنَّى الْمَوتَ؟**

○ **ج**: لَا يَنبَغِي تَمَنِّي الْمَوتِ، يَطلُبُ مِن رَبِّهِ حُسنَ الخَاتِمَةِ.

• **س: عَفَا اللهُ عَنكَ يَا شَيخُ، أَيُّهُمَا أَفضَلُ الصَّبرُ ومُخَالَطَةُ النَّاسِ عَلَى الفِتَنِ وَمَا هُمْ فِيهِ أو الابْتِعَادُ عَنِ هَذِهِ الفِتَنِ؟**

○ **ج**: إِذَا كَانَ عَلَى خَطَرٍ يَبتَعِدُ، إِذَا اشْتَدَّ الخَطَرُ يَبتَعِدُ إِذَا تَيَسَّرَ.

• **س: عَفَا اللهُ عَنكَ يَا شَيخُ، بِالنِّسبَةِ لِهَذَا الزَّمَانِ، هَلْ يَعْنِي يَنطَبِقُ عَلَيهِ الآنَ الفِتَنُ؟**

○ **ج**: لَا، الخُلطَةُ هُنَا فِي هَذِهِ الْمَملَكَةِ أَولَى، مَعَ المُؤْمِنِينَ أَولَى، الحَمدُ للهِ فِي هَذِهِ الْمَملَكَةِ، الحَمدُ للهِ يُتَوخَّى فِيهَا الخَيرُ، الحَمدُ للهِ.

* * *

٣٥ ـ بَاب رَفْعِ الأَمَانَةِ

٦٤٩٦ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سِنَانٍ، حَدَّثَنَا فُلَيْحُ بْنُ سُلَيْمَانَ، حَدَّثَنَا هِلَالُ بْنُ عَلِيٍّ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا ضُيِّعَتِ الأَمَانَةُ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ» قَالَ: كَيْفَ إِضَاعَتُهَا يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «إِذَا أُسْنِدَ الأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ، فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ». [سبق برقم ٥٩]

الشَّرح

وهَذَا إِضاعةُ الأَمَانةِ، إِذَا أُسنِدَتِ الأُمورُ إِلَى أَهلِ الخِيانَةِ والفَسادِ والمَعاصِي الظَّاهِرةِ ـ فهَذَا عَلامةُ إِضاعَةِ الأَمانَةِ، وهَذِه عَلامةُ قُربِ السَّاعةِ؛

لهَذَا الواجِبُ عَلَى وُلاةِ الأُمورِ، وعَلَى كُلِّ مَن عَليهِ مَسؤولِيَّةٌ أن يُولِّيَ الأُمورَ أَهلَها من أَهلِ الثِّقَةِ والأَمانَةِ والغَيرةِ للهِ، والصِّدقِ فِي عِلَاجِ أُمورِ المُسلِمينَ، وطَلبِ الخَيرِ لَهُم وحِمايَتِهِم مِنَ الشَّرِّ؛ فإِذَا أُسنِدَ الأَمرَ إِلَى مَن لَيسَ بهَذهِ الصِّفةِ مِنَ الخَوَنةِ وضُعفَاءِ الدِّينِ، ومَن لَا يَهمُّه إِلَّا نَفسُه؛ صار هَذَا مِن دَلائِلِ قُربِ السَّاعةِ وقُربِ انقِضَاءِ الدُّنيَا.

(ع): ﴿قَوْلُهُ إِذَا أُسْنِدَ الأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ، فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ﴾؛ يَعْنِي: فَهِي قَرِيبَةٌ، إِذَا وُسِّدَتِ الأُمُورُ إِلَى غَيرِ أَهلِهَا، إِذَا وُلِّيَ عَلَى الأُمُورِ مَن لَيسَ لَهَا بِأَهلٍ؛ فَالسَّاعَةُ قَرِيبَةٌ، وَالمَقصُودُ مِنْ هَذَا كُلِّهِ الحَثُّ عَلَى أَنْ تُسنَدَ الأُمُورُ إِلَى أَهلِهَا، القَضَاءُ إِلَى أَهلِهِ، الإِمَارَةُ إِلَى أَهلِهَا، الدَّعوَةُ إِلَى اللهِ إِلَى أَهلِ العِلمِ، وَهَكَذَا؛ يَعْنِي: يَتَوَخَّى وَلِيُّ الأَمرِ إِسنَادَ الأُمُورِ إِلَى أَهلِهَا، لَا يُسنِدُهَا إِلَى غَيرِ أَهلِهَا؛ بَلْ يَتَحَرَّى فِي القَضَاءِ أَهلَهُ، فِي الإِمَارَةِ أَهلَهَا، فِي الأَمَانَةِ أَهلَهَا، فِي وِلَايَةِ الأَوقَافِ أَهلَهَا، فِي إِمَامَةِ الْمَسَاجِدِ أَهلَهَا، الأَذَانِ أَهلَهُ، وَهَكَذَا، يَجتَهِدُ فِي أَنْ تُسنَدَ الأُمُورُ إِلَى مَن هُوَ أَقرَبُ إِلَى الخَيرِ، وَأَولَى بِأَدَاءِ الأَمَانَةِ.

* * *

٦٤٩٧ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ كَثِيرٍ، أَخْبَرَنَا سُفْيَانُ، حَدَّثَنَا الأَعْمَشُ، عَنْ زَيْدِ بْنِ وَهْبٍ، حَدَّثَنَا حُذَيْفَةُ قال: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ حَدِيثَيْنِ، رَأَيْتُ أَحَدَهُمَا، وَأَنَا أَنْتَظِرُ الآخَرَ، حَدَّثَنَا «أَنَّ الأَمَانَةَ نَزَلَتْ فِي جَذْرِ قُلُوبِ الرِّجَالِ، ثُمَّ عَلِمُوا مِنَ الْقُرْآنِ، ثُمَّ عَلِمُوا مِنَ السُّنَّةِ»، وَحَدَّثَنَا عَنْ رَفْعِهَا قَالَ: «يَنَامُ الرَّجُلُ النَّوْمَةَ، فَتُقْبَضُ الأَمَانَةُ مِنْ قَلْبِهِ، فَيَظَلُّ أَثَرُهَا مِثْلَ أَثَرِ الْوَكْتِ، ثُمَّ يَنَامُ النَّوْمَةَ فَتُقْبَضُ، فَيَبْقَى أَثَرُهَا مِثْلَ الْمَجْلِ؛ كَجَمْرٍ دَحْرَجْتَهُ عَلَى رِجْلِكَ فَنَفِطَ، فَتَرَاهُ مُنْتَبِرًا، وَلَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ، فَيُصْبِحُ النَّاسُ يَتَبَايَعُونَ، فَلَا يَكَادُ أَحَدٌ يُؤَدِّي الأَمَانَةَ، فَيُقَالُ: إِنَّ فِي بَنِي فُلَانٍ رَجُلًا أَمِينًا، وَيُقَالُ لِلرَّجُلِ: مَا أَعْقَلَهُ، وَمَا أَظْرَفَهُ، وَمَا أَجْلَدَهُ، وَمَا فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ

مِنْ إِيمَانٍ، وَلَقَدْ أَتَى عَلَيَّ زَمَانٌ، وَمَا أُبَالِي أَيَّكُمْ بَايَعْتُ، لَئِنْ كَانَ مُسْلِمًا رَدَّهُ الإِسْلَامُ، وَإِنْ كَانَ نَصْرَانِيًّا رَدَّهُ عَلَيَّ سَاعِيهِ، فَأَمَّا الْيَوْمَ فَمَا كُنْتُ أُبَايِعُ إِلَّا فُلَانًا وَفُلَانًا»، قَالَ الْفَرَبْرِيُّ قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: حَدَّثْتُ أَبَا عَبْدِ اللهِ فَقال: سَمِعْتُ أبا أَحْمَدَ بْنَ عَاصِمٍ يَقُولُ: سَمِعْتُ أَبَا عُبَيْدٍ يَقُولُ: قَالَ الأَصْمَعِيُّ، وَأَبُو عَمْرٍو، وَغَيْرُهُمَا: جَذْرُ قُلُوبِ الرِّجَالِ: الْجَذْرُ الأَصْلُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، وَالْوَكْتُ: أَثَرُ الشَّيْءِ الْيَسِيرُ مِنْهُ، وَالْمَجْلُ: أَثَرُ الْعَمَلِ فِي الْكَفِّ إِذَا غَلُظَ». [طرفاه: ٧٠٨٦، ٧٢٧٦، وأخرجه مسلم، برقم ١٤٣]

الشَّرح

(ع): هَذَا فِيهِ الحَثُّ عَلَى الاسْتِقَامَةِ عَلَى دِينِ اللهِ، وَالاسْتِقَامَةِ عَلَى الصِّدقِ، حَتَّى تَكُونَ الأَمَانَةُ مَوجُودَةً، أَمَّا إِذَا كَانَ الرِّيَاءُ، وَكَانَتِ الْمُجَامَلَاتُ وَكَانَ قِلَّةُ الخَوفِ مِنَ اللهِ؛ جَاءَ البَلَاءُ، فُقِدَتِ الأَمَانَةُ، نَسأَلُ اللهَ العَافِيَةَ.

وهَذَا أَيضًا من أَمارَاتِ السَّاعةِ، ومِمَّا يُوجِبُ عَلَى العاقِلِ الحَذرَ والحِرصَ عَلَى أَسبَابِ بَقاءِ الأَمانَةِ، يَقولُ حُذَيفةُ رضي الله عنه عَنِ النَّبيِّ ﷺ أَنَّهُ حدَّثَه بحَدِيثَينِ: **﴿رَأيتُ أَحَدَهُما وأَنا أَنتظِرُ الآخَرَ، حدَّثَنا عَنِ الأَمانَةِ وأَنَّها نَزَلَت فِي جَذرِ قُلوبِ الرِّجالِ﴾** الجَذرُ: الأَصلُ يَعنِي، يُقَالُ: «جَذْرٌ» بالفَتحِ ويُقالُ: «جِذرٌ» بِالكَسرِ، جَذرُ الشَّيءِ أَصلُه، يُكسَرُ ويُفتَحُ.

﴿ثُمَّ عَلِمُوا مِنَ القُرآنِ ثُمَّ عَلِمُوا مِنَ السُّنَّةِ﴾ وهَكَذا وَقَع؛ فإنَّ الرُّسُلَ عليهم الصلاة والسلام جَاؤوا بِالأَمانةِ، بتَوحيدِ اللهِ، والدَّعوَةِ إِليهِ، وأَداءِ الحُقوقِ والنَّهيِ عمَّا حرَّمَ اللهُ، وهَكَذا خَاتَمُهم مُحمَّدٌ ﷺ جَاءَ بذَلِكَ، ودَعَا النَّاسَ إِلَى تَوحِيدِ اللهِ، وهُوَ أَعظَمُ الأَمانَاتِ، وحَذَّرَهُم مِنَ الشِّركِ بِاللهِ وهُوَ أَعظَمُ الخِيَانَاتِ، وهَدَى اللهُ عَلَى يَدَيهِ مَنْ هَدَى، وتَعلَّمُوا القُرآنَ وتَعلَّمُوا السُّنَّةَ وتَبصَّرُوا فِي ذَلِكَ، ونَفَعَ اللهُ بِهِمُ العِبادَ، وهَدَى بِهِمُ الخَلقَ، وفَتَحُوا بِلادَ اللهِ، وأَرشَدُوا النَّاسَ إِلَى دِينِ اللهِ.

قَالَ حُذَيفةُ رضي الله عنه: «ثمَّ حدَّثَنا عَن نَزعِها»؛ يَعنِي: عِندَ تَغيُّرِ الأَحوَالِ يَنامُ الرَّجلُ النَّومَةَ فِي لَيلٍ أو نَهارٍ فتُقبَضُ الأَمانَةُ مِن قَلبِه؛ يَعنِي: قَبضًا يَسِيرًا بأَسبَابِ أَعمَالِه الخَبيثَةِ، بأَسبَابِ أَعمَالِه السَّيِّئةِ، بسَبَبِ انحِرَافِه؛ فيَظَلُّ أَثَرُها كأَثَرِ الوَكْتِ: الأَثَرُ اليَسيرُ، حُروقٌ يَسيرَةٌ فِي اليَدِ ونَحوِها.

ثمَّ يَنامُ النَّوْمةَ الأُخرَى وقد زَادَ شَرُّه وزَادَتْ أَعمَالُه السَّيِّئةُ؛ فتُقبَضُ الأَمانَةُ من قَلبِه؛ يَعنِي: بَقِيَّتَها، ﴿فَيَظَلُّ أَثَرُها كأَثَرِ المَجْلِ﴾، والمَجْلُ: ما يَقعُ فِي يدِ الإِنسَانِ بَعدَ العَملِ، فِي اليَدِ بَعدَ عَمَلِ المَسحَاتِ والفَارُوعِ...[1] وأَشبَاهِ ذَلِكَ؛ فيَكُونُ هُناكَ جُرُوحٌ وخُدُوشٌ فِي يَدِه واضِحةٌ؛ فيُصبِحُ النَّاسُ يَتبايَعُونَ؛ لَا يَكادُ فِيهِم أَحدٌ يُؤدِّي الأَمانَةَ؛ يَعنِي: يَقِلُّ فِيهِم مَن يُؤدِّي الأَمانَةَ، حتَّى يُقالَ: إنَّ فِي بَنِي فُلانٍ رَجُلًا أَمينًا يَتحدَّثُ النَّاسُ بِهِ، لقِلَّةِ الأُمَناءِ.

فيُقالُ عَنِ الرَّجُلِ: ﴿مَا أَعقَلَه! ما أَظرَفَه! ما أَجلَدَه!﴾ يَتعجَّبُونَ مِنهُ من إِظهَارِه أَداءَ الأَمانَةِ. قَالَ: ﴿ولَيسَ فِي قَلبِه حبَّةُ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ﴾ مَعَ هَذَا المَدحِ لَهُ فهُوَ مَعدومُ الإِيمَانِ ـ نَسأَلُ اللهَ العَافِيةَ؛ لكِنْ يَتظاهَرُ بهَذَا الشَّيءِ.

«ولَقَد كُنتُ فِيمَا مَضَى لَا أُبالِي مَن بَايَعتُ، إنْ كَانَ مُسلِمًا ردَّه عَلَيَّ إِسلَامُه، وإنْ كَانَ نَصرانِيًّا أو يَهودِيًّا ردَّه عَلَيَّ سَاعِيهِ»؛ يَعنِي: أَمِيرَه، «أَمَّا اليَومَ»؛ يَعنِي: فِي عَهدِ عُثمانَ رضي الله عنه بَعدَمَا تَغيَّرتِ الأَحوَالُ «فمَا كُنتُ أُبايِعُ إِلَّا فُلانًا وفُلانًا»؛ يَعنِي: لأَنِّي وَثِقتُ بِهِم وعَرَفتُ دِينَهُم؛ فهَذَا يَدلُّ عَلَى أَنَّهُ تَغيَّرتِ الأَحوَالُ فِي عَهدِ الخَليفَةِ الرَّاشِدِ الثَّالِثِ لمَّا كَثُر النَّاسُ وانتَشَرَ الإِسلَامُ، ودَخَل فِيهِ الأُممُ الكَثيرَةُ، وبَدَأ بَعضُ التَّقصيرِ؛ فلِهَذَا قَالَ حُذيفَةُ رضي الله عنه مَا قَالَ.

فإِذَا كَانَ هَذَا فِي ذَاكَ العَصرِ؛ فكَيفَ بِالحَالِ الَّذِي هُوَ اليَومَ حَالُ القَرنِ الخَامِسَ عَشَرَ، الَّذِي قد بَعُد كَثيرًا عَن عَهدِ النُّبوَّةِ؟! فالأَمرُ لَا يَزدادُ إِلَّا شِدَّةً،

(١) كلمة غير واضحة.

ولكِنْ هَذَا لَا يُعطِي اليَأسَ، ولَا يُوجِبُ اليَأسَ، ولكِنْ يُوجِبُ الحَذرَ، يُوجِبُ العِنايَةَ، ويُوجِبُ الاجتِهادَ فِي الخَيرِ والمُسابَقةَ إِلَى الخَيرِ، والثَّباتَ عَلَى الحَقِّ، وألَّا يَغتَرَّ الإِنسَانُ بِالنَّاسِ؛ بل يَتثبَّتُ فِي الأُمورِ ولَا يُخدَعُ.

والأَمانَةُ أَمانَتَانِ:

أمانة: هِيَ حقُّ الله الَّذِي أَوجَبَها عَلَى عِبادِه: مِن تَوحِيدِه، وجَميعِ ما أَوجَبَ من طَاعةٍ، وصَلاةٍ، وصَومٍ وغَيرِ ذَلِكَ؛ فَالوَاجِبُ أَداءُ هَذِه الأَمانَةِ كَمَا أَمَر الله، وهَكَذا ما حَرَّمَ اللهُ فالوَاجِبُ أَداءُ الأَمانةِ فِي الكَفِّ عمَّا حرَّمَ الله بصِدقٍ وإِخلاصٍ.

والأَمانَةُ الثَّانِيةُ: حَقُّ النَّاسِ مِن دُيونِهِم ووَدائِعِهم وعَوارِيهِم ورُهونِهِم وغَيرِ هَذَا، وأَسرارِهِم وغَيرِ هَذَا ممَّا يُؤتَمنُ عَليهِ الإِنسَانُ؛ فَالوَاجِبُ عَليهِ أَيضًا أن يَعتنِيَ بهَذهِ الأَمانَةِ، وأن يُؤدِّيَها إِلَى أَهلِها عَملًا بقَولِه سُبحانَهُ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾ [النساء: ٥٨] وحَذرًا من قَولِه سُبحانَهُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٢٧]، وتخلُّقًا بأَخلَاقِ المُؤمِنينَ الَّذِينَ قَالَ فِيهِم سُبحانَهُ: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ ۝٨﴾ [المؤمنون: ٨]. رَزَقَ اللهُ الجَميعَ التَّوفِيقَ والهِدايَةَ. لَا حَولَ ولَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ.

• **س: أَحسَنَ اللهُ إِليكَ، كَيفَ نُوفِّقُ بَينَ مَعنَى حَديثِ: «بَدَأَ الإِسلَامُ غَرِيبًا وسَيَعُودُ غَرِيبًا»[(١)]، وبَينَ حَدِيثِ: «لَا تَزالُ طَائِفةٌ مِن أُمَّتِي مَنصُورةٌ»[(٢)]؟**

○ **ج**: ما فِيهِ مُنافَاةٌ، تَكونُ الغُربَةُ، ومَعهَا وُجُودُ الطَّائِفةِ المَنصُورةِ، يَكُونُ غَرِيبًا والطَّائِفةُ المَنصُورةُ مَوجُودة ولكِنَّها قَليلةٌ بِالنِّسبةِ إِلَى كَثرَةِ الشَّرِّ.

---

(١) أخرجه مسلم (١٤٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٤١)، ومسلم (١٠٣٧) عن معاوية رضي الله عنه.

• **س: هَل يَنطبِقُ عَلَى تَارِكي الصَّلاةِ فِي هَذَا العَصرِ: «مَا أَجلَدَه! وما أَظرَفَه! وهُوَ لَيسَ فِي قَلبِه...»؟**

○ ج: نَعَم؛ يَنطبِقُ عَليهِم وعَلَى غَيرِهِم مِنَ المُشرِكِين مِنَ الضُّلَّالِ والمُنافِقِينَ مِمَّن يَتظاهَرُونَ بِالإِسلَامِ وهُم بَعِيدُون عَنهُ.

* * *

﴿٦٤٩٨﴾ حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، قال: أَخْبَرَنِي سَالِمُ بْنُ عَبْدِ اللهِ أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّمَا النَّاسُ كَالإِبِلِ الْمِائَةِ، لَا تَكَادُ تَجِدُ فِيهَا رَاحِلَةً». [وأخرجه مسلم، برقم ٢٥٤٧]

الشَّرح

هَذَا الحَالُ فِي النَّاسِ؛ كَالإِبلِ المِائةِ لَا تَكادُ تَجِدُ فِيهَا رَاحِلةً، عِندَ التَّفتيشِ وإِرادَةِ أن تُولِّيَ هَذَا قَضاءً أو تُولِّيَ هَذَا تَدرِيسًا أو تُولِّيَ هَذَا أَمانَةً أو نَحوَ ذَلِكَ تَتعَبُ؛ كالإِبلِ المِائةِ لَا تَكادُ تَجِدُ فِيهَا رَاحِلةً جيِّدةً مُناسِبةً وَاطِئةً؛ يَعنِي: يُمكِنُ الحَملُ عَليهَا والرُّكونُ إِلَيهَا فِي حُسنِ سَيرِها، وعَدمِ شُموسِهَا، وعَدمِ جُهورِهَا وإِيذَائِها للرَّاكِبِ.

فَالحَاصِل: أنَّ الإِبلَ تَختلِفُ؛ فهَكَذا النَّاسُ يَختلِفونَ كإِبلِ المِائةِ لَا تَكادُ تَجِدُ فِيهَا رَاحِلةً؛ يَعنِي: يَصعُبُ عَليكَ الْتِماسُ الرَّاحِلةِ الذَّلُولِ الهَادِئةِ الَّتِي يَحسُنُ رَحْلُهَا وشَدُّها، ويَرتَاحُ مَعَهَا صَاحِبُها؛ اللهُ المُستَعانُ.

اللهُ أَكْبَرُ، هَكَذَا حَالُ النَّاسِ، اللهُ المُستَعَانُ، عَلَى حَسبِ أَحوَالِهِمْ وَصِدْقِهِمْ وَإِخلَاصِهِمْ، اللهُ المُستَعَانُ.

• **س: أَحسَنَ اللهُ إِلَيكَ، كِنَايَةٌ عَن عَدَمِ أَهلِيَّتِهِمْ لِلعَمَلِ أَوْ...؟**

○ ج: كِنَايَةٌ أَنَّهُ قَلَّ أَنْ تَجِدَ مَن تَتَوَفَّرُ فِيهِ الشُّرُوطُ الْمَطلُوبَةُ، اللهُ المُستَعَانُ.

• **س: شُرُوطُ الأَمَانَةِ؛ يَعْنِي: قَلَّمَا تَتَوَفَّرُ فِيهِ شُرُوطُ الأَمَانَةِ؟**

○ ج: يَعْنِي: مِن كُلِّ الوُجُوهِ؛ يَعْنِي: لَا تَكَادُ تَرَى فِيهَا وَاحِدَةً مُنَاسِبَةً مِن كُلِّ الوُجُوهِ، إِنْ سَلِمَ مِن كَذَا وُجِدَ فِيهِ عَيبٌ مِنْ كَذَا؛ بِسَبَبِ كَثْرَةِ الاخْتِلَاطِ، وَكَثْرَةِ الجَهلِ، إِنْ سَلِمَ مِن عَيبٍ وُجِدَ عَيبٌ آخَرُ، اللهُ المُستَعَانُ.

٣٦ ـ بَاب الرِّيَاءِ وَالسُّمْعَةِ

٦٤٩٩ حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، حَدَّثَنَا يَحْيَى، عَنْ سُفْيَانَ، حَدَّثَنِي سَلَمَةُ بْنُ كُهَيْلٍ، (ح)، وَحَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْم، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ سَلَمَةَ قال: سَمِعْتُ جُنْدَبًا يَقُولُ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ وَلَمْ أَسْمَعْ أَحَدًا يَقُولُ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ غَيْرَهُ، فَدَنَوْتُ مِنْهُ فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ سَمَّعَ سَمَّعَ اللهُ بِهِ، وَمَنْ يُرَائِي يُرَائِي اللهُ بِهِ». [طرفه في ٧١٥٢، وأخرجه مسلم، برقم ٢٩٨٧]

الشَّرح

وهَذَا لأنَّ الجَزَاءَ مِن جِنسِ العَملِ: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ﴾ [الشورى: ٤٠]، و﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ٣١﴾ [النجم: ٣١].

ولهَذَا يَقولُ ﷺ: ﴿مَن سَمَّع سَمَّع اللهُ بِهِ، ومَن يُرائِي يُرائِي اللهُ بِهِ﴾، وهَذَا المَتنُ جَاءَ عَلَى لَفظَينِ: جَاءَ بالمَاضِي والمُضارِعِ جَاءَ: «مَن سَمَّع سَمَّع اللهُ بِهِ، ومَن رَاءَى رَاءَى اللهُ بِهِ»، وجَاءَ: «مَنْ يُسمِّعْ يُسمِّعِ اللهُ بِهِ، ومَن يُرائِي يُرائِي اللهُ بِهِ».

فمَن يَعمَلُ لأَجلِ السُّمعَةِ يَقرَأُ أو يَتكلَّمُ بِالكَلام الطَّيِّب من أَجلِ أن يُمدَحَ ويُثنَى عَليهِ، أو يَفعَلَ ما يُرَى ويُشاهَدُ ليُثنَى عَليهِ ويُرائِي النَّاس بِهِ ـ فَضَحه اللهُ يَومَ القِيامَةِ، وسَمَّع بِهِ ورَاءَى بِهِ يَومَ القِيامَةِ عَلَى رُؤوسِ الأَشهَادِ؛ فَضيحَةٌ لَهُ

عَلَى عَمَلِهِ السَّيِّئِ الَّذِي لَا يَعلَمُه إلَّا اللهُ؛ فإنَّ الرِّياءَ عَملُ القُلوبِ، والقُلوبُ إلَيهِ ﷻ.

فَفِي هَذَا: الحَذرُ مِنَ الرِّياءِ والسُّمعةِ، والسُّمعَةُ تَكونُ فِي الأَقوالِ، والرِّياءُ يَكُونُ فِي الأَعمَالِ المُشاهَدةِ؛ فَالوَاجِبُ عَلَى المُؤمِنِ أن يُخلِصَ للهِ فِي عَملِه القَولِيِّ والفِعلِيِّ؛ حتَّى تَكُونَ أَعمَالُه كُلُّها لوَجهِ اللهِ ﷻ، لَيسَ فِيهَا رِياءٌ للنَّاسِ ولَا تَسمِيعٌ للنَّاسِ: فَالتَّسبِيحُ والتَّهلِيلُ والاِستِغفَارُ والدَّعوَةُ إلَى اللهِ والأَمرُ بِالمَعرُوفِ والنَّهيُ عَنِ المُنكَرِ ممَّا يُقَالُ بِاللِّسانِ، ومِمَّا يُسمَّعُ بِهِ.

والصَّلاةُ والصَّدَقاتُ والجِهادُ ونَحوُ ذَلِكَ ممَّا يُفعَلُ، ومِمَّا يُشاهَدُ فيَجِبُ أن تَكُونَ هَذِه الأَعمَالُ وهَذِه الأَقوالُ للهِ وَحدَه ﷻ، يَرجُو ثَوابَه ويَخشَى عِقابَه، ذمَّهُ النَّاسُ أو مَدَحَه النَّاسُ عَلِمُوا أو لم يَعلَمُوا.

(ع): ﴿مَنْ سَمَّعَ سَمَّعَ اللهُ بِهِ﴾ وَهَذَا فِيهِ التَّحذِيرُ مِنَ الرِّيَاءِ، سَوَاءٌ قَولًا ـ قَولِيًّا أَوْ عَمَلِيًّا ـ فَالوَاجِبُ عَلَى الْمُؤمِنِ أَنْ يَحذَرَ ذَلِكَ، وَأَنْ يَكُونَ فِي أَعمَالِهِ مُخلِصًا للهِ ﷻ، ﴿مَنْ سَمَّعَ سَمَّعَ اللهُ بِهِ، وَمَنْ يُرَائِي يُرَائِي اللهُ بِهِ﴾، يَقُولُ ﷺ: «إِنَّ أَخوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيكُمْ الشِّركُ الأَصغَرُ» فَسُئِلَ عَنهُ فَقَالَ: «الرِّيَاءُ»[1]، كَونُ الإِنسَانِ يَقرَأُ أَوْ يُسَبِّحُ أَوْ يُهَلِّلُ حَتَّى يُثنَى عَلَيهِ، حَتَّى يُمدَحَ هَذَا القَولُ، أَوْ يُصَلِّي أَوْ يَتَصَدَّقُ أَوْ يَفعَلُ غَيرَ ذَلِكَ مِنَ العِبَادَاتِ لِيُثنَى عَلَيهِ، لِيُمدَحَ هَذَا هُوَ الرِّيَاءُ، رِيَاءُ النَّاسِ؛ فَالوَاجِبُ أَنْ يَكُونَ العَملُ للهِ وَحدَهُ، يُصَلِّي للهِ، يُسَبِّحُ للهِ، يَذكُرُ اللهَ للهِ، يُرِيدُ وَجهَهُ وَالتَّقَرُّبَ إِلَيهِ ﴿مَنْ سَمَّعَ سَمَّعَ اللهُ بِهِ﴾؛ يَعْنِي: يَومَ القِيَامَةِ فَضَحَهُ: ﴿وَمَنْ يُرَائِي يُرَائِي اللهُ بِهِ﴾، نَسأَلُ اللهَ العَافِيَةَ.

• س: ...[2]؟

---

(١) أخرجه أحمد (٣٩/٣٩) رقم (٢٣٦٣٠) عن محمود بن لبيد رضي الله عنه.
قال الهيثمي: أخرجه أحمد، ورجاله رجال الصحيح. «مجمع الزوائد» (٢/٢٠٧).
وقال العراقي: رجاله ثقات. «المغني عن حمل الأسفار» (١٢٠٣).

(٢) انقطاع في الأصل المسموع.

○ ج: إِذَا كَانَت صَلَاةَ الفَرِيضَةِ يُنظَرُ فِيهَا، مَا صَلَّى للهِ صَلَّى لِيُرَائِيَ؛ بَاطِلَةٌ، صَلَاتُهُ بَاطِلَةٌ.

• س: يَكُونُ الرِّيَاءُ شِركًا أَكبَرَ؟

○ ج: مِثلُ الْمُنَافِقِينَ، الَّذِي يُرَائِي النَّاسَ بِإِسلَامِهِ، مَا أَسلَمَ صِدْقًا، إِنَّمَا أَسلَمَ لِيُرَائِيَ النَّاسَ؛ كَالْمُنَافِقِينَ؛ هَذَا شِركٌ أَكبَرُ؛ يَعْنِي: فِي البَاطِنِ كَافِرٌ بِاللهِ غَيرُ مُؤمِنٍ بِاللهِ.

• س: عَفَا اللهُ عَنكَ يَا شَيخُ، وَرَدَ فِي الحَدِيثِ: «الرَّجُلُ يَعمَلُ عَمَلًا فَيَحمَدُهُ النَّاسُ عَلَيهِ»، قَالَ ﷺ: «تِلكَ عَاجِلُ بُشرَى الْمُؤمِنِ»[1]؟

○ ج: هَذَا إِذَا حَمِدَهُ النَّاسُ وَهُوَ مَا قَصَدَ ذَلِكَ، عَلِمَ النَّاسُ أَنَّهُ يَصُومُ الاثْنَينَ وَالخَمِيسَ، عَلِمُوا وَمَا قَصَدَهُمْ، أَوْ عَلِمُوا أَنَّهُ يَصُومُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهرٍ، أَوْ عَلِمُوا أَنَّهُ يَحفَظُ القُرآنَ فَأَثنَوا عَلَيهِ وَهُوَ مَا قَصَدَ ذَلِكَ مَا يَضُرُّهُ، وَلَو سَرَّهُ ذَلِكَ لَا يَضُرُّهُ، مِثْلَمَا جَاءَ فِي حَدِيثِ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: «تِلكَ عَاجِلُ بُشرَى الْمُؤمِنِ»، مَا قَصَدَهُمْ، وَلَكِنْ هَذَا أَنطَقَهُمُ اللهُ بِهِ، مِثْلَمَا يُثنَى عَلَى العُلَمَاءِ فِي تَرَاجُمِهِمُ الآنَ، كُتُبُ التَّرَاجُمِ مَلِيئَةٌ مِن هَذَا، مَا يَضُرُّهُمْ.

• س: يُعِيدُ العَملَ الَّذِي رَاءَى فِيهِ إِذَا كَانَ مِن أَوَّلِهِ؟

○ ج: إِذَا كَانَ فَرِيضَةً يَلزَمُهُ إِعَادَتُهُ، وَإِنْ كَانَ نَافِلَةً مَا يَلزَمُ.

[قَالَ الحَافِظُ ابنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللهُ فِي «فَتْحِ البَارِي» (١١/ ٣٣٦)]: «قَالَ الْخَطَّابِيُّ: مَعْنَاهُ: مَنْ عَمِلَ عَمَلًا عَلَى غَيرِ إِخْلَاصٍ وَإِنَّمَا يُرِيدُ أَنْ يَرَاهُ النَّاسُ وَيَسْمَعُوهُ؛ جُوزِيَ عَلَى ذَلِكَ بِأَنْ يُشَهِّرَهُ اللهُ وَيَفْضَحَهُ). [انتهى كلامه].

(الشَّيخُ): نَعَمْ، هَذَا هُوَ الرِّيَاءُ.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٤٢) عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه.

٣٧ ـ بَاب مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ فِي طَاعَةِ اللهِ

٦٥٠٠ حَدَّثَنَا هُدْبَةُ بْنُ خَالِدٍ، حَدَّثَنَا هَمَّامٌ، حَدَّثَنَا قَتَادَةُ، حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه قَالَ: بَيْنَمَا أَنَا رَدِيفُ النَّبِيِّ ﷺ، لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ إِلَّا آخِرَةُ الرَّحْلِ، فَقَالَ: «يَا مُعَاذُ» قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ، وَسَعْدَيْكَ، ثُمَّ سَارَ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ: «يَا مُعَاذُ»، قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللهِ، وَسَعْدَيْكَ، ثُمَّ سَارَ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ: «يَا مُعَاذُ بْنَ جَبَلٍ» قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللهِ، وَسَعْدَيْكَ، قَالَ: «هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ اللهِ عَلَى عِبَادِهِ؟» قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «حَقُّ اللهِ عَلَى عِبَادِهِ أَنْ يَعْبُدُوهُ، وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا» ثُمَّ سَارَ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ: «يَا مُعَاذُ بْنَ جَبَلٍ» قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللهِ، وَسَعْدَيْكَ، قَالَ: «هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللهِ إِذَا فَعَلُوهُ؟» قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللهِ أَنْ لَا يُعَذِّبَهُمْ». [سبق برقم ٢٨٥٦، وأخرجه مسلم، برقم ٣٠]

الشَّرح

وهَذَا الحَدِيثُ فِيهِ فَوائِدُ:

أَوَّلًا: تَواضُعُ النَّبِيِّ ﷺ؛ كَونُه أَردَفَ عَلَى الدَّابَّةِ، بَعضُ النَّاسِ يَستنكِفُ من ذَلِكَ، فهُوَ أردَفَ عَلَى الدَّابَّةِ فِي هَذَا الحَديثِ وفِي غَيرِه.

ومِنهَا: تَواضُعُه ﷺ من جِهةِ المُحادَثةِ بَينَه وبَينَ رَديفِه، والتَّلطُّفُ فِي ذَلِكَ.

وأَعظَمُ من ذَلِكَ الفَائِدةُ العَظيمَةُ الَّتِي أَخبَرَ بِهَا مُعاذًا بَعدَما سَأَله وهِيَ حقُّ اللهِ عَلَى العِبادِ وحقُّ العِبادِ عَلَى اللهِ، وكَونُه سَأَل وكَرَّر كلُّ هَذَا لِيَستعِدَّ مُعاذٌ لِلفَائِدةِ، ولِيُحضِرَ قَلبَه؛ حتَّى تَكونَ الفَائِدةُ أرسَخَ فِي قَلبِه، وأَثبَتَ فِي قَلبِه؛ فإِنَّ الجَوابَ بَعدَ السُّؤالِ يَكُونُ أَثبَتَ فِي قَلبِ المَسؤُولِ، ولا سِيَّما مَعَ التَّكرارِ أَيضًا: {يَا مُعاذُ، يَا مُعاذُ، يَا مُعاذُ أَتَدرِي؟}.

وفِي هَذَا: بَيانُ أنَّ حقَّ اللهِ عَلَى عِبَادِه أن يَعبُدوهُ ﷻ؛ يَعنِي: أن يُؤَدُّوا حَقَّه عَن ذُلٍّ وخُضوعٍ، ﴿أن يَعبُدوهُ﴾؛ يَعنِي: أن يُؤَدُّوا حَقَّه الَّذِي أَمرَهُم بِهِ من سَائرِ الطَّاعَاتِ عَلَى وَجهِ الذُّلِّ لَهُ، والخُضوعِ لَهُ، وعَلَى تَخصِيصِه بذلِك دُونَ كلِّ ما سِواهُ ﷻ، هَكَذا يَجِبُ عَلَى العِبادِ أن يَعبُدُوا الله، سُمِّيتِ الطَّاعاتُ عِبادةً؛ لأَنَّها تُؤدَّى بالذُّلِّ والخُضوعِ، هَكَذا يَجِبُ عَلَى النَّاس أن يُؤدُّوهَا خَاضِعينَ ذَلِيلينَ عَن حُبٍّ للهِ ورَغبةٍ فِيمَا عِندَه ﷻ؛ ولهَذَا تَقولُ العَرَبُ: «طَريقٌ مُعبَّدٌ»؛ يَعنِي: مُذلَّلًا قد وَطِئتْه الأَقدَامُ، ويَقُولُونَ: «بَعيرٌ مُعبَّدٌ»؛ أي: مُذلَّلٌ قد شُدَّ ورُحِلَ عَليهِ.

فالعِباداتُ الَّتِي أَمَر اللهُ بِهَا عِبادَه هِيَ طَاعَاتُه، وتَركُ ما نَهَى عَنهُ؛ فَالوَاجِبُ أن تُؤدَّى هَذِه العِبادَاتُ؛ يَعنِي: هَذِه الطَّاعَاتُ وهَذِه الأَوامِرُ، وأن تُترَكَ هَذِه المُحرَّماتُ عَن ذُلٍّ، وعَن خُضوعٍ وعَن تَعبُّدٍ للهِ، وإخلَاصٍ لَهُ ﷻ.

ثُمَّ بَيَّنَ حقَّ العِبادِ عَليهِ إذَا أدَّوْا حَقَّه، وأنَّهُ سُبحانَهُ لَا يُعذِّبُهم، مَتَى أدَّوْا حَقَّه أدخَلَهم الجَنَّةَ وأنجَاهُم مِنَ النَّارِ ولم يُعذِّبْهُم، وإنَّما العَذابُ لِمَنِ استَكبَرَ عَن طَاعةِ اللهِ، وابتَعَد عَن أَمرِه ﷻ، فأَمَّا مَن أدَّى حَقَّه فَإنَّهُ لَا يُعذَّبُ.

وفَرْقٌ بَينَ الحَقَّينِ: حَقُّه سُبحانَهُ حَقُّ افتِراضٍ حَقُّ إلزامٍ لَا بُدَّ مِنهُ، أمَّا حَقُّهُم عَليهِ فهُوَ حَقُّ تَفضُّلٍ وإحسَانٍ؛ ولهَذَا يَقولُ ﷺ: **«واعْلَمُوا أَنَّهُ لن يَدخُلَ الجَنَّةَ أَحدٌ مِنكُم بعَملِهِ»** قَالُوا: ولَا أَنتَ يا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: **«ولا أَنَا، إلَّا أن يَتغمَّدَنِيَ اللهُ برَحمةٍ مِنهُ ومَغفِرةٍ»**[1]. فالأَعمَالُ كُلُّها من فَضلِه؛ هُوَ الَّذِي وَفَّق لَهَا وهَدَى لَهَا، وجَعَلها أَسبَابًا لمَغفِرَتِه، أَسبَابًا إِلَى رَحمَتِه، وهُوَ الَّذِي يَتفضَّلُ بإدخَالِ عِبادِهِ المُطِيعينَ الجَنَّةَ وإنجَائِهِم مِنَ النَّارِ؛ فحَقُّه سُبحانَهُ حَقُّ إيجابٍ وإلزامٍ، وفَرضٍ لَا بُدَّ مِنهُ عَلَى العِبادِ، وحَقُّهُم عَليهِ حَقُّ تَفضُّلٍ وإحسانٍ مِنهُ ﷻ؛

(١) أخرجه البخاري (٥٦٧٣)، ومسلم (٢٨١٦)، عن أبي هريرة ﷺ

إذ لو عَذَّبَهُم وهُوَ غَيرُ ظالِمٍ لَهُم إنَّمَا يُعذِّبُهم بذُنوبِهِم؛ ولهَذَا يَقولُ الشَّاعِرُ:

مَا لِلعِبادِ عَليهِ حقٌّ وَاجِبٌ كَلَّا ولَا سَعيٌ لَديهِ ضَائِعُ
إنْ عُذِّبُوا فبَعدلِه أو نُعِّمُوا فبَفضلِه وهُوَ الكَريمُ الوَاسِعُ

فهُوَ ﷻ ذُو الفَضلِ والإحسَانِ.

فعَلَى المُؤمِن أن يَستشعِرَ هَذَا دَائمًا، وأنَّهُ عبدٌ ذَليلٌ مَأمورٌ مَنهِيٌّ مَربوبٌ، رَبُّه الَّذِي خَلَقه وتَفضَّلَ عَليهِ حتَّى وَفَّقَه لطَاعَتِه، وحتَّى هَداهُ لطَاعَتِه، ولَولَا فَضْلُه لَمَا اهتَدَى؛ ولهَذَا من شِعرِ الصَّحابَةِ رضي الله عنهم مَعَ النَّبيِّ ﷺ فِي الخَندقِ يَومَ الأَحزَابِ يَقُولُون:

اللَّهُمَّ لَولَا أنتَ مَا اهتَدَينَا ولا تَصَدَّقْنَا ولَا صَلَّيْنَا
فأَنزِلَنْ سَكِينَةً عَلَينَا وثَبِّتِ الأَقدامَ إنْ لَاقَيْنَا[1]

والنَّبيُّ مَعهُم ﷺ؛ فلَولَا اللهُ الَّذِي منَّ بالفَضلِ ومَنَّ بِالهِدايَةِ لَمَا اهتَدَى المُهتَدُون ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [البقرة: ٢٧٢].

• **س: التَّرجَمَةُ بَابُ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ فِي طَاعَةِ اللهِ؟**

○ **ج:** لَعَلَّهُ يُشِيرُ إِلَى آخِرِ الحَدِيثِ، قُلتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أفَلَا أُبَشِّرُ النَّاسَ؟ قَالَ: «**لَا تُبَشِّرْهُم فَيَتَّكِلُوا**»؛ فَكَانَ مُعَاذٌ رضي الله عنه لَا يُحدِّثُ بِهِ النَّاسَ مَخَافَةَ أَنْ يَتَّكِلُوا، حَتَّى يُجاهِدُوا أَنفُسَهُمْ لِيَعمَلُوا، يَحتَمِلُ أَنَّهُ أَرَادَ قَولَ مُعَاذٍ رضي الله عنه: «لَبَّيكَ يَا رَسُولَ اللهِ وَسَعدَيكَ»، كَرَّرَهَا ثَلَاثًا، كُلُّ هَذَا مِنَ الْمُجَاهَدَةِ.

[قَالَ الحَافِظُ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ في «فتح الباري» (١١/ ٣٣٧): «يَعْنِي: بَيَانَ فَضْلِ مَنْ جَاهَدَ، وَالْمُرَادُ بِالْمُجَاهَدَةِ: كَفُّ النَّفْسِ عَنْ إِرَادَتِهَا مِنَ الشُّغْلِ بِغَيْرِ

---

(١) أخرجه البخاري (٣٠٣٤)، ومسلم (١٨٠٣) عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَوْمَ الخَنْدَقِ وَهُوَ يَنْقُلُ التُّرَابَ حَتَّى وَارَى التُّرَابُ شَعَرَ صَدْرِهِ، وَكَانَ رَجُلًا كَثِيرَ الشَّعَرِ، وَهُوَ يَرْتَجِزُ بِرَجَزِ عَبْدِ اللهِ:
وَاللَّهِ لَوْلَا أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا.....

الْعِبَادَةِ، وَبِهَذَا تظهر مُنَاسبَة التَّرْجَمَة لحَدِيث الْبَاب، وَقَالَ ابن بَطَّالٍ: جِهَادُ الْمَرْءِ نَفْسَهُ هُوَ الْجِهَادُ الْأَكْمَلُ». [انتهى كلامه].

قال ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: حَقُّ اللهِ عَلَى العِبَادِ أَنْ يَعبُدُوهُ وَلَا يُشرِكُوا بِهِ شَيئًا، يَحتَاجُ إِلَى مُجَاهَدَةٍ أَيْضًا، فَإِنَّ الإِخلَاصَ للهِ يَحتَاجُ إِلَى مُجَاهَدَةٍ لِلنَّفسِ، يُفهَمُ مِنَ المَعْنَى، اللهُ أَكْبَرُ.

٣٨ ـ بَاب التَّوَاضُعِ

٦٥٠١ حَدَّثَنَا مَالِكُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا زُهَيْرٌ، حَدَّثَنَا حُمَيْدٌ، عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه «كَانَ لِلنَّبِيِّ ﷺ نَاقَةٌ...» (ح)، قال: وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدٌ، أَخْبَرَنَا الْفَزَارِيُّ، وَأَبُو خَالِدٍ الأَحْمَرُ عَنْ حُمَيْدٍ الطَّوِيلِ، عَنْ أَنَسٍ قَالَ: كَانَتْ نَاقَةٌ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ تُسَمَّى الْعَضْبَاءَ، وَكَانَتْ لَا تُسْبَقُ، فَجَاءَ أَعْرَابِيٌّ عَلَى قَعُودٍ لَهُ فَسَبَقَهَا، فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، وَقَالُوا: سُبِقَتِ الْعَضْبَاءُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ حَقًّا عَلَى اللهِ أَنْ لَا يَرْفَعَ شَيْئًا مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا وَضَعَهُ». [سبق برقم ٢٨٧١]

الشَّرح

(ع): يَعْنِي: فَلَا يَنبَغِي لِلإِنسَانِ أَنْ يَتَرَفَّعَ وَيَتَكَبَّرَ؛ بَلْ عَلَيهِ أَنْ يَتَوَاضَعَ للهِ، مَهمَا بَلَغَ مِنَ العِلمِ، أَوْ مِنَ التِّجَارَةِ وَالغِنَى، فَإِنَّ حَقًّا عَلَى اللهِ أَلَّا يَرفَعَ شَيْئًا مِن هَذِهِ الدُّنْيَا إِلَّا وَضَعَهُ، فَإِنَّهُ قَدْ يَكُونُ هُنَاكَ مَن هُوَ أَوسَعُ مِنهُ وَأَعظَمُ مِنهُ، فَلَا يَنبَغِي أَنْ يَغتَرَّ بِمَا أُعطِيَ؛ بَلْ يَنبَغِي أَنْ يَتَوَاضَعَ للهِ، وَيَتَبَاعَدَ عَنِ الكِبرِ، مَهمَا أُعطِيَ مِنَ الدُّنْيَا وَالجَاهِ وَنَحوِ ذَلِكَ؛ فَإِنَّ الرَّبَّ عَزَّوَجَلَّ يُرِي عِبَادَهُ أَنَّهُ يَتَصَرَّفُ فِي عِبَادِهِ كَيفَ يَشَاءُ، هَذِهِ النَّاقَةُ لَا تُسبَقُ، هَذِهِ النَّاقَةُ لَهَا شَأنٌ كَبِيرٌ فِي كَذَا، ثُمَّ يَأتِي غَيرُهَا، وَهَكَذَا غَيرُهَا مِنَ السَّيَّارَاتِ، مِنَ البَوَاخِرِ، مِنَ

الطَّائِرَاتِ، مِنْ بَنِي آدَمَ، مِنَ الْمَلَابِسِ، مِنَ الْمَسَاكِنِ إِلَى غَيرِ هَذَا، يَنبَغِي لِلإِنسَانِ أَلَّا يَغتَرَّ بِشَيءٍ مِن هَذَا؛ بَلْ يَتَوَاضَعُ للهِ وَيَنكَسِرُ، وَيَحذَرُ الكِبرَ، فَإِنَّ حَقًّا عَلَى اللهِ أَلَّا يَرتَفِعَ مِنَ هَذِهِ الدُّنْيَا شَيءٌ إِلَّا وَضَعَهُ، أَمَّا مَا رَفَعَهُ اللهُ لَا يَضَعُهُ أَحَدٌ.

قوله: ﴿إِنَّ حَقًّا عَلَى اللهِ أَنْ لَا يَرْفَعَ شَيْئًا مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا وَضَعَهُ﴾: وهَذَا واضِحٌ فِي التَّواضُعِ؛ لأنَّ هَذِه الدَّارَ لَيسَت مَحلَّ تَمامِ النَّعيمِ؛ فإنَّها مُنغَّصةٌ ويَعتَرِيهَا ما يَعتَرِيهَا مِنَ النَّقصِ؛ حتَّى ولو كَانَ الرُّسلُ ـ وهُم أَفضَلُ الخَلقِ عَليهِم الصَّلاة والسلام ـ يُصِيبُهُم مِنَ اللَّأوَاءِ والبَلاءِ ما يُصِيبُهُم؛ فلهَذَا العَضبَاءُ كَانَت لَا تُسبَقُ؛ فجَاءَ أعرابِيٌّ عَلَى قَعُودٍ فسَبَقَها فِي هَذِه المُسابَقةِ؛ فشَقَّ ذَلِكَ عَلَى النَّاسِ فبَيَّن النَّبيُّ ﷺ أنَّ هَذِه الدُّنيَا ما هِيَ بدَارِ نَعيمٍ ولَا دَارِ كَمالٍ، ولَكِنَّها دارُ امتِحانٍ، ودَارُ عِبادةٍ، ودَارُ عَملٍ.

[قالَ الحَافِظُ ابنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «فتْحِ البَارِي» (١١/ ٣٤١)]: «﴿بَابُ التَّوَاضُعِ﴾ بِضَمِّ الضَّادِ الْمُعْجَمَةِ، مُشْتَقٌّ مِنَ الضِّعَةِ بِكَسْرِ أَوَّلِهِ وَهِيَ الْهَوَانُ، وَالْمُرَادُ بِالتَّوَاضُعِ: إِظْهَارُ التَّنَزُّلِ عَنِ الْمَرْتَبَةِ لِمَنْ يُرَادُ تَعْظِيمه، وَقيل: هُوَ تَعْظِيم منْ فَوْقه فَضله، وَذُكر فِي حَدِيثَيْنِ: أَحَدُهُمَا: حَدِيثُ أَنَسٍ فِي ذِكْرِ النَّاقَةِ لَمَّا سُبِقَتْ، وَقَدْ تَقَدَّمَ شَرْحُهُ فِي كِتَابِ الْجِهَادِ فِي بَابِ نَاقَةِ النَّبِيِّ ﷺ، وَزَعَمَ بَعْضُهُمْ أَنَّهُ لَا مَدْخَلَ لَهُ فِي هَذِهِ التَّرْجَمَةِ، وَغَفَلَ عَمَّا وَقَعَ فِي بَعْضِ طُرُقِهِ عِنْدَ النَّسَائِيِّ بِلَفْظِ: «حَقٌّ عَلَى اللهِ أَنْ لَا يَرْفَعَ شَيْءٌ نَفْسَهُ فِي الدُّنْيَا إِلَّا وَضَعَهُ»[1]؛ فَإِنَّ فِيهِ إِشَارَةً إِلَى الْحَثِّ عَلَى عَدَمِ التَّرَفُّعِ، وَالْحَثِّ عَلَى التَّوَاضُعِ، وَالْإِعْلَامِ بِأَنَّ أُمُورَ الدُّنْيَا نَاقِصَةٌ غَيْرُ كَامِلَة.

قَالَ ابن بَطَّالٍ: فِيهِ هَوَانُ الدُّنْيَا عَلَى اللهِ، وَالتَّنْبِيهُ عَلَى تَرْكِ الْمُبَاهَاةِ وَالْمُفَاخَرَةِ، وَأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ هَانَ عَلَى اللهِ فَهُوَ فِي مَحَلِّ الضِّعَةِ؛ فَحَقٌّ عَلَى كُلِّ

(١) أخرجه النسائي (٦/ ٢٢٨) عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ذِي عَقْلٍ أَنْ يَزْهَدَ فِيهِ وَيُقِلَّ مُنَافَسَتَهُ فِي طَلَبِهِ. وَقَالَ الطَّبَرِيُّ: فِي التَّوَاضُعِ مَصْلَحَةُ الدِّينِ وَالدُّنْيَا؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوِ اسْتَعْمَلُوهُ فِي الدُّنْيَا لَزَالَتْ بَيْنَهُمُ الشَّحْنَاءُ، وَلَاسْتَرَاحُوا مِنْ تَعَبِ الْمُبَاهَاةِ وَالْمُفَاخَرَةِ.

قُلْتُ: وَفِيهِ أَيْضًا حُسْنُ خُلُقِ النَّبِيِّ ﷺ وَتَوَاضُعُهُ لِكَوْنِهِ رَضِيَ أَنَّ أَعْرَابِيًّا يُسَابِقُهُ، وَفِيهِ جَوَازُ الْمُسَابَقَةِ، وَزُهَيْرٌ فِي السَّنَدِ الْأَوَّلِ هُوَ ابن مُعَاوِيَةَ أَبُو خَيْثَمَةَ الْجُعْفِيُّ، وَمُحَمَّدٌ فِي السَّنَدِ الثَّانِي هُوَ ابن سَلَامٍ». [انتهى كلامه].

قَالَ ابنُ بَازٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: قَولُه: ﴿**أَلَّا يَرفَعَ شَيئًا مِنَ الدُّنيَا إِلَّا وَضَعَه**﴾ هَذَا مَحلُّ نَظرٍ من بَعضِ أَهلِ العِلمِ، قَالَ لَعلَّ الرِّوايَةَ: ﴿**أَلَّا يَرتفِعَ**﴾؛ لأنَّ ما رَفَعه الله فلَا يُوضَعُ، ولكِنَّ الأَمرَ مُقيَّدٌ، ما ارتَفَع شَيءٌ مِنَ الدُّنيَا، وأُمورُ الدُّنيَا مَحلُّ الزَّوالِ ومَحلُّ التَّغيُّراتِ؛ فلَيسَ فِي اللَّفظِ إشكالٌ: ﴿**أَلَّا يَرفَعَ شَيئًا مِنَ الدُّنيَا**﴾ أو ﴿**أَلَّا يَرتفِعَ شَيءٌ مِنَ الدُّنيَا**﴾ كُلُّه مَعناهُ مُتقارِبٌ. بخِلافِ مَن رَفَعه اللهُ بِالعِبادةِ والطَّاعةِ؛ فهَذَا لَا يُوضَعُ لَا يُزادُ إلَّا قُربًا مِنَ اللهِ، مَن رَفَعه اللهُ بِالإخلاصِ والصِّدقِ والعَملِ الصَّالِحِ؛ فهَذَا إلَى ارتفاعٍ وإلَى عُلوٍّ وإلَى فَضلٍ لَا يُوضَعُ، وإنَّما المُرادُ الدُّنيَا؛ فقد تَرتفِعُ، قد يُرفَعُ الإنسَانُ فِيهَا لأَسبَابٍ مِن مُلكٍ، أو تِجارَةٍ أو وَظيفَةٍ، أو غَيرِ ذَلِكَ ثُمَّ تَتغيَّرُ الأَحوالُ فيَحصُلُ الوَضعُ.

والمَقصُودُ: جِنسُ هَذِه الأُمورِ أَلَّا يَرفَعَ شَيئًا مِنَ الدُّنيَا إلَّا وَضَعَه، المَقصُودُ جِنسُ أُمورِ الدُّنيَا، ولَيسَ المَعنَى أنَّ كلَّ شَيءٍ يُرفَعُ يُوضَعُ، هَذِه نَاقةٌ اشتَهَرت بِالسَّبقِ والقُوَّةِ قُوَّةِ العَدْوِ، ثُمَّ جَاءَ هَذَا الأَعرابِيُّ بقَعودٍ فسَبَقَها؛ لِيُبيِّنَ ﷺ أنَّ هَذِه الأُمورَ يَعتَرِيها ما يَعتَرِيهَا، وأنَّ النَّاقةَ أوِ الفَرَسَ أو الإنسَانَ وإنْ بَلَغ ما بَلَغ فِي القُوَّةِ والعَدْوِ ونَحوِ ذَلِكَ قد يَأتِي مَن هُوَ أَقوَى مِنهُ وأسرَعُ مِنهُ؛ يُبيِّنُ بهَذَا سُبحانَهُ حَالَ هَذِه الدُّنيَا، وأَنَّها مُتفاوِتةٌ مُختلِفةٌ، وأَنَّها يَعتَرِيهَا النَّقصُ؛ فقَد يَضعُفُ القَويُّ، وقد يَجهَلُ بَعضَ أُمورِهِ العالِمُ، وقد يَعتَرِي

السَّابِقُ والقَوِيُّ ما يَحجُزُه أو يَعوقُه عَنِ السَّبقِ. . . إلَى غَيرِ هَذَا مِنَ الأَسبَابِ الَّتِي يُقدِّرُها ﷻ.

• س: أَحسَنَ اللهُ إِليكَ، سِباقُ الإِبلِ يا شَيخُ؟

○ ج: السِّباقُ كلُّه طيِّبٌ، الإِبِلُ والعَدْوُ عَلَى الأَقدامِ والخَيلِ، السِّباقُ لَا بَأسَ بِهِ، لكِنَّ الكَلامَ فِي مَسألةِ العِوَضِ، العِوضُ لَا يَكُونُ إِلَّا فِي الإِبلِ والخَيلِ والنِّضالِ ـ الرَّمي ـ، هَذَا مَحلُّ العِوضِ؛ لقَولِ النَّبيِّ ﷺ: «**لَا سَبْقَ إِلَّا فِي نَصلٍ أو خُفٍّ أو حَافِرٍ**»[1]. فَالخُفُّ للإِبلِ، والحافِرُ للخَيلِ، والنَّصلُ لِلرَّمي.

* * *

٦٥٠٢ - **حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عُثْمَانَ بْنِ كَرَامَةَ، حَدَّثَنَا خَالِدُ بْنُ مَخْلَدٍ، حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ بِلَالٍ، حَدَّثَنِي شَرِيكُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي نَمِرٍ، عَنْ عَطَاءٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا، فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُه عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطُشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ، تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ، يَكْرَهُ الْمَوْتَ، وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ».

الشَّرح

(ع): اللهُ أَكْبَرُ، هَذَا مِنَ الأَحَادِيثِ العَظِيمَةِ القُدُسِيَّةِ، هَذَا مِنْ أَحَادِيثِ

---

(١) أخرجه أبو داود (٢٥٧٤)، والترمذي (١٧٠٠)، والنسائي (٦/٢٢٦)، وابن ماجه (٢٧٨٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه. وحسنه الترمذي.
وقال ابن حجر: وصححه ابن القطان، وابن دقيق العيد. «تلخيص الحبير» (٤/ ٣٩٥). وقال أيضًا: وصححه ابن حبان. «بلوغ المرام» (١/١٧٦).

الأَربَعِينَ: ﴿مَن عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنتُهُ بِالحَربِ﴾. فِيهِ الحَذَرُ مِن مُعَادَاةِ المُؤْمِنِينَ وَإِيذَائِهِمْ، وَأَنَّ هَذَا حَربٌ للهِ ﷻ، تَجِبُ مَحَبَّتُهُمْ للهِ وَمُوَالَاتُهُمْ وَإِعَانَتُهُمْ عَلَى الخَيرِ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [يونس: ٦٢، ٦٣].

فَمَن عَادَى مُؤمِنًا فَهُوَ حَربٌ للهِ، فَيَجِبُ الحَذَرُ مِن إِيذَاءِ المُؤْمِنِينَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾﴾ [الأحزاب: ٥٨].

وَفِيهِ أَنَّ التَّقَرُّبَ إِلَى اللهِ بِالفَرَائِضِ أَهَمُّ، فَلْيَحرِصْ عَلَى أَدَاءِ الفَرَائِضِ؛ لِأَنَّ اللهَ يَقُولُ: ﴿وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ﴾، يَتَقَرَّبُ بِالفَرِيضَةِ؛ مِن صَومٍ وَصَلَاةٍ وَصَدَقَةٍ وَغَيرِ ذَلِكَ أَهَمُّ وَأَعظَمُ، ثُمَّ النَّوَافِلُ بَعدَ ذَلِكَ.

قَولُهُ: ﴿فَبِي يَسمَعُ، وَبِي يُبصِرُ، كُنتُ يَدَهُ الَّذِي يَبطِشُ بِهَا﴾؛ يَعْنِي: «فَبِي يَسمَعُ» كَمَا فِي الرِّوَايَةِ الأُخْرَى، المَعْنَى: أَنَّ اللهَ يُسَدِّدُهُ وَيُوَفِّقُهُ، فَبِاللهِ يَسمَعُ وَبِاللهِ يَمشِي، وَبِاللهِ يَبطِشُ، وَبِاللهِ يَأخُذُ وَيُعطِي، يَكُونُ مُوَفَّقًا؛ وَلِهَذَا فِي الرِّوَايَةِ الأُخْرَى: «فَبِي يَسمَعُ، وَبِي يُبصِرُ، وَبِي يُعطِي، وَبِي يُمشِي»[1]؛ يَعْنِي: يُسَدَّدُ وَيُوَفَّقُ.

﴿وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ﴾: هَذَا تَرَدُّدٌ يَلِيقُ بِهِ سُبحَانَهُ، لَا يُشَابِهُ خَلقَهُ، وَهُوَ يَعلَمُ كُلَّ شَيءٍ، وَيَعلَمُ العَوَاقِبَ وَلَا تَخفَى عَلَيهِ خَافِيَةٌ ﷻ.

[قَالَ الحَافِظُ ابنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللهُ فِي «فَتْحِ البَارِي» (١١/ ٣٤١)]: «قَوْلُهُ: ﴿مُحَمَّدُ بْنُ عُثْمَانَ بْنِ كَرَامَةَ﴾ بِفَتْحِ الْكَافِ وَالرَّاءِ الْخَفِيفَةِ، هُوَ مِنْ صِغَارِ شُيُوخِ الْبُخَارِيِّ، وَقَدْ شَارَكَهُ فِي كَثِيرٍ مِنْ شُيُوخِهِ مِنْهُمْ خَالِدُ بْنُ مَخْلَدٍ شَيْخُهُ فِي

(١) لم أقف عليه فيما تحت يدي من المصادر، وعزاها ابن تيمية إلى «صحيح البخاري» ولم أجدها هناك. انظر: «مجموع الفتاوى» (٢/ ٣٤٠).

هَذَا الْحَدِيثِ، فَقَدْ أَخْرَجَ عَنْهُ الْبُخَارِيُّ كَثِيرًا بِغَيْرِ وَاسِطَةٍ مِنْهَا فِي بَابِ الِاسْتِعَاذَةِ مِنَ الْجُبْنِ فِي كِتَابِ الدَّعَوَاتِ، وَهُوَ أَقْرَبُهَا إِلَى هَذَا.

قَوْلُهُ: ﴿عَنْ عَطاء﴾ هُوَ: ابن يَسَارٍ، وَوَقَعَ كَذَلِكَ فِي بَعْضِ النُّسَخِ، وَقِيلَ: هُوَ ابن أَبِي رَبَاحٍ، وَالْأَوَّلُ أَصَحُّ، نَبَّهَ عَلَى ذَلِكَ الْخَطِيبُ، وَسَاقَ الذَّهَبِيُّ فِي تَرْجَمَةِ خَالِدٍ مِنَ الْمِيزَانِ بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ قَوْلَ أَحْمَدَ فِيهِ: لَهُ مَنَاكِيرُ، وَقَوْلُ أَبِي حَاتِمٍ: لَا يُحْتَجُّ بِهِ، وَأخرج ابن عَدِيٍّ عَشَرَةَ أَحَادِيثَ مِنْ حَدِيثِهِ اسْتَنْكَرَهَا، هَذَا الْحَدِيثُ مِنْ طَرِيقِ مُحَمَّدِ بْنِ مَخْلَدٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عُثْمَانَ بْنِ كَرَامَةَ شَيْخِ الْبُخَارِيِّ فِيهِ، وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ جِدًّا لَوْلَا هَيْبَةُ الصَّحِيحِ لَعَدُّوهُ فِي مُنْكَرَاتِ خَالِدِ بْنِ مَخْلَدٍ؛ فَإِنَّ هَذَا الْمَتْنَ لَمْ يُرْوَ إِلَّا بِهَذَا الْإِسْنَادِ، وَلَا خَرَّجَهُ مَنْ عَدَا الْبُخَارِيَّ وَلَا أَظُنُّهُ فِي «مُسْنَدِ أَحْمَدَ».

قُلْتُ: لَيْسَ هُوَ فِي «مُسْنَدِ أَحْمَدَ» جَزْمًا، وَإِطْلَاقُ أَنَّهُ لَمْ يُرْوَ هَذَا الْمَتْنُ إِلَّا بِهَذَا الْإِسْنَادِ مَرْدُودٌ، وَمَعَ ذَلِكَ فَشَرِيكٌ شَيْخُ شَيْخِ خَالِدٍ فِيهِ مَقَالٌ أَيْضًا، وَهُوَ رَاوِي حَدِيثِ الْمِعْرَاجِ الَّذِي زَادَ فِيهِ وَنَقَصَ، وَقَدَّمَ وَأَخَّرَ، وَتَفَرَّدَ فِيهِ بِأَشْيَاءَ لَمْ يُتَابَعْ عَلَيْهَا كَمَا يَأْتِي الْقَوْلُ فِيهِ مُسْتَوْعَبًا فِي مَكَانِهِ، وَلَكِنْ لِلْحَدِيثِ طُرُقٌ أُخْرَى يَدُلُّ مَجْمُوعُهَا عَلَى أَنْ لَهُ أَصْلًا، مِنْهَا:

عَنْ عَائِشَةَ، أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي «الزُّهْدِ»، وابن أَبِي الدُّنْيَا، وَأَبُو نُعَيْمٍ فِي «الْحِلْيَةِ» وَالْبَيْهَقِيُّ فِي الزُّهْدِ مِنْ طَرِيقِ عَبْدِ الْوَاحِدِ بْنِ مَيْمُونٍ، عَنْ عُرْوَةَ عَنْهَا، وَذكر ابن حبَّان وابن عَدِيٍّ أَنَّهُ تَفَرَّدَ بِهِ، وَقَدْ قَالَ الْبُخَارِيُّ: إِنَّهُ مُنْكَرُ الْحَدِيثِ، لَكِنْ أَخْرَجَهُ الطَّبَرَانِيُّ مِنْ طَرِيقِ يَعْقُوبَ بْنِ مُجَاهِدٍ عَنْ عُرْوَةَ وَقَالَ: لَمْ يَرْوِهِ عَنْ عُرْوَةَ إِلَّا يَعْقُوبُ وَعَبْدُ الْوَاحِدِ، وَمِنْهَا عَنْ أَبِي أُمَامَةَ أَخْرَجَهُ الطَّبَرَانِيُّ وَالْبَيْهَقِيُّ فِي «الزُّهْدِ» بِسَنَدٍ ضَعِيفٍ.

وَمِنْهَا: عَنْ عَلِيٍّ عِنْدَ الْإِسْمَاعِيلِيِّ فِي مُسْنَدِ عَلِيٍّ، وَعَنِ ابن عَبَّاسٍ، أَخْرَجَهُ الطَّبَرَانِيُّ، وَسَنَدُهُمَا ضَعِيفٌ، وَعَنْ أَنَسٍ أَخْرَجَهُ أَبُو يَعْلَى وَالْبَزَّارُ

وَالطَّبَرَانِيُّ، وَفِي سَنَدِهِ ضَعْفٌ أَيْضًا، وَعَنْ حُذَيْفَةَ أَخْرَجَهُ الطَّبَرَانِيُّ مُخْتَصَرًا وَسَنَدُهُ حَسَنٌ غَرِيبٌ، وَعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ أخرجه ابن مَاجَهْ، وَأَبُو نُعَيْم فِي «الْحِلْيَةِ» مُخْتَصَرًا، وَسَنَدُهُ ضَعِيفٌ أَيْضًا، وَعَنْ وَهْبِ بْنِ مُنَبِّهٍ مَقْطُوعًا أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي «الزُّهْدِ»، وَأَبُو نُعَيْم فِي «الْحِلْيَةِ»، وَفِيه تعقب عَلَى ابن حِبَّانَ حَيْثُ قَالَ بَعْدَ إِخْرَاجِ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ: لَا يُعْرَفُ لِهَذَا الْحَدِيثِ إِلَّا طَرِيقَانِ؛ يَعْنِي: غَيْرَ حَدِيثِ الْبَابِ وَهُمَا: هِشَامٌ الْكِنَانِيُّ عَنْ أَنَسٍ، وَعَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ مَيْمُونٍ عَنْ عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ، وَكِلَاهُمَا لَا يَصِحُّ، وَسَأَذْكُرُ مَا فِي رِوَايَاتِهِمْ مِنْ فَائِدَةٍ زَائِدَةٍ.

قَوْلُهُ: ﴿**إِنَّ اللهَ تَعَالَى**﴾ قَالَ الْكِرْمَانِيُّ: هَذَا مِنَ الْأَحَادِيثِ الْقُدْسِيَّةِ، وَقَدْ تَقَدَّمَ الْقَوْلُ فِيهَا قَبْلَ سِتَّةِ أَبْوَابٍ. قُلْتُ: وَقَدْ وَقَعَ فِي بَعْضِ طُرُقِهِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ حَدَّثَ بِهِ عَنْ جِبْرِيلَ عَنِ اللهِ ﷻ، وَذَلِكَ فِي حَدِيثِ أَنَسٍ. قَوْلُهُ: ﴿**مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا**﴾ الْمُرَادُ بِوَلِيِّ اللهِ الْعَالِمُ بِاللهِ، الْمُوَاظِبُ عَلَى طَاعَتِهِ الْمُخْلِصُ فِي عِبَادَتِهِ». [انتهى كلامه].

قَالَ ابنُ بَازٍ رَحِمَهُ اللهُ: وضَابِطُه: مِثلَما قَالَ الله فِي كِتابِه العَظيمِ، الوَليُّ هُوَ المُؤمِنُ المُطيعُ للهِ ولرَسُولِه، أَولِياءُ اللهِ هم أَهلُ الإِيمَانِ مِنَ الرِّجالِ والنِّساءِ مِن كُلِّ جِنسٍ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [يونس: ٦٢، ٦٣]، ﴿وَمَا كَانُوٓا۟ أَوْلِيَآءَهُۥٓ ۚ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [الأنفال: ٣٤]. فأَولِياءُ اللهِ هُم أَهلُ التَّقوَى والإِيمَانِ، أَهلُ الطَّاعةِ والاستِقامةِ، لَا أَهلُ الشَّعوَذةِ كَمَا يَظُنُّ بَعضُ النَّاسِ من أَهلِ التَّصوُّفِ، وإِنَّما أَولياءُ اللهِ هُم أَهلُ الإِيمَانِ والتَّقوَى.

[قَالَ الحَافظُ رَحِمَهُ اللهُ]: «وَقَدِ اسْتُشْكِلَ وُجُودُ أَحَدٍ يُعَادِيهِ؛ لِأَنَّ الْمُعَادَاةَ إِنَّمَا تَقَعُ مِنَ الْجَانِبَيْنِ وَمَنْ شَأْنِ الْوَلِيِّ الْحِلْمُ وَالصَّفْحُ عَمَّنْ يَجْهَلُ عَلَيْهِ. وَأُجِيبَ بِأَنَّ الْمُعَادَاةَ لَمْ تَنْحَصِرْ فِي الْخُصُومَةِ وَالْمُعَامَلَةِ الدُّنْيَوِيَّةِ مَثَلًا؛ بَلْ قَدْ تَقَعُ عَنْ بُغْضٍ يَنْشَأُ عَنِ التَّعَصُّبِ كَالرَّافِضِيِّ فِي بُغْضِهِ لِأَبِي بَكْرٍ، وَالْمُبْتَدِعِ فِي

بُغْضِهِ لِلسُّنِّيِّ؛ فَتَقَعُ الْمُعَادَاةُ مِنَ الْجَانِبَيْنِ، أَمَّا مِنْ جَانِبِ الْوَلِيِّ فَلِلَّهِ تَعَالَى وَفِي اللهِ، وَأَمَّا مِنْ جَانِبِ الْآخَرِ فَلِمَا تَقَدَّمَ».

(الشَّيخُ): انظُرْ كَلامَه بَعدَه عَلَى: ﴿وما تَردَّدتُ﴾ فِي آخِرِه: ﴿ولا بُدَّ لَهُ مِنهُ﴾.

[قَالَ الحَافظُ رَحِمَهُ اللَّهُ]: «قَوْلُهُ: ﴿وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ﴾، وَفِي حَدِيثِ عَائِشَةَ: «تَرَدُّدِي عَنْ مَوْتِهِ»، وَوَقَعَ فِي «الْحِلْيَةِ» فِي تَرْجَمَةِ وَهْبِ بْنِ مُنَبِّهٍ: «إِنِّي لَأَجِدُ فِي كُتُبِ الْأَنْبِيَاءِ أَنَّ اللهَ تَعَالَى يَقُولُ: مَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ قَطُّ تَرَدُّدِي عَنْ قَبْضِ رُوحِ الْمُؤْمِنِ...» إِلَخْ.

قَالَ الْخَطَّابِيُّ: التَّرَدُّدُ فِي حَقِّ اللهِ غَيْرُ جَائِزٍ، وَالْبَدَاءُ عَلَيْهِ فِي الْأُمُورِ غَيْرُ سَائِغٍ، وَلَكِنْ لَهُ تَأْوِيلَانِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّ الْعَبْدَ قَدْ يُشْرِفُ عَلَى الْهَلَاكِ فِي أَيَّامِ عُمُرِهِ مِنْ دَاءٍ يُصِيبُهُ، وَفَاقَةٍ تَنْزِلُ بِهِ؛ فَيَدْعُو اللهَ فَيَشْفِيهِ مِنْهَا، وَيَدْفَعُ عَنْهُ مَكْرُوهَهَا؛ فَيَكُونُ ذَلِكَ مِنْ فِعْلِهِ كَتَرَدُّدِ مَنْ يُرِيدُ أَمْرًا ثُمَّ يَبْدُو لَهُ فِيهِ فَيَتْرُكُهُ، وَيُعْرِضُ عَنْهُ، وَلَا بُدَّ لَهُ مِنْ لِقَائِهِ إِذَا بَلَغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ؛ لِأَنَّ اللهَ قَدْ كَتَبَ الْفَنَاءَ عَلَى خَلْقِهِ، وَاسْتَأْثَرَ بِالْبَقَاءِ لِنَفْسِهِ.

وَالثَّانِي: أَنْ يَكُونَ مَعْنَاهُ: مَا رَدَدْتُ رُسُلِي فِي شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ كَتَرْدِيدِي إِيَّاهُمْ فِي نَفْسِ الْمُؤْمِنِ، كَمَا رَوَى فِي قِصَّةِ مُوسَى وَمَا كَانَ مِنْ لَطْمَةِ عَيْنَ مَلَكِ الْمَوْتِ وَتَرَدُّدِهِ إِلَيْهِ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى. قَالَ: وَحَقِيقَةُ الْمَعْنَى عَلَى الْوَجْهَيْنِ عَطْفُ اللهِ عَلَى الْعَبْدِ وَلُطْفُهُ بِهِ وَشَفَقَتُهُ عَلَيْهِ، وَقَالَ الْكَلَابَاذِيُّ مَا حَاصِلُهُ: أَنَّهُ عَبَّرَ عَنْ صِفَةِ الْفِعْلِ بِصِفَةِ الذَّاتِ؛ أَيْ: عَنِ التَّرْدِيدِ بِالتَّرَدُّدِ، وَجَعَلَ مُتَعَلَّقَ التَّرْدِيدِ اخْتِلَافَ أَحْوَالِ الْعَبْدِ مِنْ ضَعْفٍ وَنَصَبٍ إِلَى أَنْ تَنْتَقِلَ مَحَبَّتُهُ فِي الْحَيَاةِ إِلَى مَحَبَّتِهِ لِلْمَوْتِ، فَيُقْبَضُ عَلَى ذَلِكَ قَالَ: وَقَدْ يُحْدِثُ اللهُ فِي قَلْبِ عَبْدِهِ مِنَ الرَّغْبَةِ فِيمَا عِنْدَهُ وَالشَّوْقِ إِلَيْهِ وَالْمَحَبَّةِ لِلِقَائِهِ مَا يَشْتَاقُ مَعَهُ إِلَى الْمَوْتِ؛ فَضْلًا

عَنْ إِزَالَةِ الْكَرَاهَةِ عَنْهُ؛ فَأَخْبَرَ أَنَّهُ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَيَسُوءُهُ وَيَكْرَهُ اللهُ مُسَاءَتَهُ؛ فَيُزِيلُ عَنْهُ كَرَاهِيَةَ الْمَوْتِ». [انتهى كلامه].

(الشَّيخُ): ما زَادَ زِيادَةَ: ﴿ولا بُدَّ لَهُ مِنهُ﴾؟

[قَالَ الحَافظُ رَحِمَهُ اللهُ]: «قَوْلُهُ: ﴿يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مُسَاءَتَهُ﴾، فِي حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: «إِنَّهُ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أكره مساءته». زَاد ابن مخلد عَن ابن كَرَامَةَ فِي آخِرِهِ: ﴿وَلَا بُدَّ لَهُ مِنْهُ﴾، وَوَقَعَتْ هَذِهِ الزِّيَادَةُ أَيْضًا فِي حَدِيثِ وَهْبٍ». [انتهى كلامه].

قَالَ ابنُ بَازٍ رَحِمَهُ اللهُ: المَقصُودُ: أنَّ هذا الَّذِي أَشكَل عَلَى كَثيرٍ مِنَ الشُّرَّاحِ قَولُه: ﴿مَا تَرَدَّدتُ عَن شَيءٍ أَنَا فَاعِلُه تَرَدُّدِي عَن قَبضِ رُوحِ عَبدِي. . .﴾ لَيسَ فِيهِ إشكالٌ؛ فإنَّ التَّردُّدَ من صِفةِ المَخلُوقِ عَنِ الشَّكِّ، وعَن عَدمِ العِلمِ بِالعَواقِبِ؛ فيَتردَّدُ فِيمَا هُوَ الأَحسَنُ وما هُوَ الأَصلَحُ، أمَّا فِي حقِّ الرَّبِّ ﷻ فهُوَ تَردُّدٌ يَليقُ بِهِ ﷻ لَا يُشبِهُ تَردُّدَ المَخلُوقِينَ، تَردُّدٌ يَليقُ بِهِ ﷻ لَيسَ عَن شكٍّ ولَيسَ عَن جَهلٍ؛ فهُوَ العالِمُ بُكلِّ شَيءٍ، ولكِنَّهُ تَردُّدٌ يَليقُ بِهِ ﷻ، مُقتَضاهُ رَحمَتُه بعَبدِه، وعَطفُه عَليهِ، وإحسَانُه إليهِ؛ فلَا يَكُونُ هَذَا التَّردُّدُ نَقصًا ولَا شَبِيهًا بِمَا يَقعُ لِلمَخلُوقِين، وإنَّما هُوَ تَردُّدٌ يَليقُ بِهِ لَا يَعلَمُ كَيفِيتَّه ولَا كُنهَه إلَّا هُوَ ﷻ، كَمَا نَقولُ فِي بَقيَّةِ الصِّفاتِ فِي كُنهِها وكَيفِيَّتِها، إنَّمَا نُؤمِنُ بِهَا ونُقِرُّها كَمَا جَاءَت، ونَعلَمُ أنَّهَا حقٌّ، وأنَّ مَعناهَا لائِقٌ بِاللهِ عَلَى الوَجهِ الَّذِي يُناسِبُه سُبحانَهُ لَا عَلَى وَجهِ المُشابَهةِ للمَخلُوقِينَ؛ فعِندَنَا القَاعِدةُ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى: ١١]، و﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص: ٤]، و﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ﴾ [النحل: ٧٤].

فهُوَ تَردُّدٌ لائِقٌ بِهِ سُبحانَهُ لَا يَتضمَّنُ نَقصًا، ولَا شَكًّا، ولَا جَهلًا، ولكِنَّهُ تَردُّدٌ يَليقُ بِاللهِ ﷻ، ومُقتَضاهُ رَحمَتُه لعَبدِه وإحسانه إليهِ، ولُطفُه بِهِ ﷻ وكَراهَةُ ما يُؤذِيهِ.

• **س: أَحسَنَ اللهُ إليكَ، هل يُؤخَذُ مِنَ الحَديثِ أنَّ بَعضَ الأَولِياءِ يُعرَفونَ؟**

○ ج: ما فِيهِ شكٌّ نَعَمْ، الرُّسلُ مِن أَولياءِ اللهِ يَقينًا، الرُّسلُ من أَولِياءِ اللهِ، والأَنبِياءُ مِن أَولِياءِ اللهِ، والمُؤمِنونَ من أَولياءِ اللهِ، كلُّ مُؤمِنٍ فهُوَ من أَولِياءِ اللهِ، ومَن عَادَى المُؤمِنينَ فقد عَادَى أَولِياءَ اللهِ، مَن عَادَى أَهلَ الاِستِقامةِ بطَاعةِ اللهِ فقَد عَادَى أَولِياءَ اللهِ، همُ المُؤمِنونَ لكِنَّ الإِنسَانَ لَا يُزكِّي نَفسَه ويَقولُ: أَنَا وَليُّ اللهِ، قد يَكُونُ قصَّرَ، لكِنِ المُؤمِنونَ فِي نَفسِ الأَمرِ هم أَولِياءُ اللهِ، المُتَّبِعونَ للهِ والمُتَّبِعونَ لشَرِيعَتِه هم أَولِياءُ اللهِ.

• **س: قوله: «كُنتُ سَمْعَه الَّذِي يَسمَعُ بِهِ وبَصَرَه الَّذِي يُبصِرُ بِهِ»؟**

○ ج: مِثلَما قُلنَا؛ يَعنِي: تَسدِيدَه وتَوفِيقَه لهَذَا الشَّيءِ؛ لأَنَّهُ قَالَ بَعدَه: **{وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ}** وفِي اللَّفظِ الآخَرِ: **«فَبِي يَسمَعُ، وبِي يَبطِشُ، وبِي يُبصِرُ، وبِي يَمشِي»**؛ يَعنِي: أَنَّهُ يُوفَّقُ فِي حَرَكاتِه وسَكَناتِه، وفِي حَواسِّه، وفِي جَوارِحِه، بسَبَبِ طَاعتِهِ للهِ، وإِيمَانِه بِهِ وتَقواهُ للهِ، يُوفَّقُ فِي أَعمَالِه وتَصرُّفاتِه؛ هَذَا من ثَوابِ اللهِ لَهُ، أَنَّهُ يُوفِّقَه للعَملِ الصَّالِحِ، ولإِصابَةِ الحَقِّ فِيمَا يَأتِي ويَذرُ.

• **س: أَحسَنَ اللهُ إليكَ، نِسبةُ الشَّفقةِ إِلَى اللهِ؟**

○ ج: ما أَعرِفُ هَذَا فِي شَيءٍ مِنَ الأَلفاظِ، تَقعُ فِي كَلِماتِ بَعضِ النَّاسِ؛ لكِنْ ما أَعرِفُ لَهَا شَيئًا.

• **س: أَحسَنَ اللهُ إليكَ، مُناسَبةُ دُخُولِ الحَديثِ فِي البَابِ؟**

○ ج: التَّواضُعُ.

• **س: كَيفَ يُؤخَذُ من هَذَا الحَديثِ التَّواضُعُ؟**

○ ج: **{مَن عَادَى لي وليًّا فقَد آذَنْتُه بِالحَربِ}**، فواجِبٌ عَلَى المُؤمِنِ أَنْ يَتواضَعَ، ولَا يُعادِيَ أَولِياءَ اللهِ، ولَا يَتكبَّرَ عَليهِم، ولَا يُؤذِيَهُم، وأن يَعرِفَ لَهُم حَقَّهُم وفَضْلَهُم؛ لأَنَّهُم أَولِياؤُه أَهلُ طَاعَتِه؛ فلَا يَجوزُ لَهُم أن يُؤذِيَهُم،

ولَا أن يَتكبَّرَ عَليهِم، ولَا أن يُظهِرَ أنَّهُ فَوقَهُم؛ لأنَّ هَذَا شَيءٌ مِنَ الأَذَى؛ فيَنبَغِي للمُؤمِنِ أن يَعرِفَ قَدْرَ أَخيهِ، وأن يَحترِمَ أَخاهُ، وأن يَتواضَعَ مَعهُ، ولَا يَتكبَّرَ عَليهِ لَا فِي كَلامِه ولَا أفعالِهِ، وإنْ كَانَ لَا يَعلَمَ أنَّهُ وَليٌّ؛ فقَد يَكُونُ وليًّا من أَولِياءِ اللهِ وهُوَ لَا يَدرِي، لم يَعرِفْ حَالَه؛ فإنَّ الأَولِياءَ لَيسَ كلُّ أَحدٍ يَعرِفُ أَحوالَهُم، إنَّمَا يَعرِفُ أَحوَالَهُم مَن خَالَطَهُم وعَرَف أَعمَالَهُم؛ فمَن خَالَطَهُم وعَرَف أَعمَالَهُم بتَقوَى اللهِ والإِيمَانِ والاِستِقامَةِ عَليهِ؛ فقد يُقَالُ له: مِن أَولياءِ اللهِ؛ إذَا كَانَت أَعمَالُه عَلَى ما ظَهَر مِنهَا؛ ولهَذَا تقَدَّم لَكُم قَولُه ﷺ: «وَجَبَت، وَجَبَت»[1]، أنَّ مَن أَثنَى عَليهِ المُسلِمونَ خَيرًا وَجَبَت لَهُ الجَنَّةُ، وهُم شُهَداءُ اللهِ فِي أَرضِه.

• **س: مَقصُودُ آذَنْتُهُ بِالحَربِ، بَارَكَ اللهُ فِيكُمْ؟**

○ ج: عَادَيتُهُ؛ يَعْنِي: فَهُوَ عَدُوٌّ لِي، مُطلَقًا، حَتَّى يَتُوبَ إِلَى اللهِ.

• **س: أَحسَنَ اللهُ إِلَيكَ، المُنَاسَبَةُ لبَابِ التَّوَاضُعِ؟**

○ ج: هَذَا مِنهُ؛ لِأَنَّهُ إِذَا عَادَى أَولِيَاءَ اللهِ مَا تَوَاضَعَ، وإِذَا أَحَبَّهُمْ فِي اللهِ فَقَدْ تَوَاضَعَ، يَلِيقُ بِاللهِ سُبحَانَهُ، تَرَدُّدٌ يَلِيقُ بِهِ، اللهُ أَعلَمُ بِكَيفِيَّتِهِ ﷻ.

• **س: الخَطَّابِيُّ كَابنِ حَجَرٍ فِي التَّأوِيلِ عَفَا اللهُ عَنكَ؟**

○ ج: لَا، مَا يَنبَغِي التَّأوِيلُ، يُقَالُ: تَرَدُّدٌ يَلِيقُ بِاللهِ، لَا يُشَابِهُ خَلقَهُ.

• **س: قَولُ ابنِ أَبِي حَاتِمٍ[2]: «لَولَا جَلَالَةُ الصَّحِيحِ لَقُلتُ: إِنَّ هَذَا الحَدِيثَ مِنْ مَنَاكِيرِ خَالِدِ بنِ مَخْلَدٍ»؟**

○ ج: بَعْضُهُمْ أَعَلَّهُ بِخَالِدٍ، لَكِنْ لَا بَأسَ بِهِ، مَعْنَاهُ صَحِيحٌ.

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٦٧)، ومسلم (٩٤٩) عن أنس بن مالك ﷺ.

(٢) القائل هو: الإمام الذهبي، وليس ابن أبي حاتم.
قال الذهبي رَحِمَهُ اللهُ بعد ذكره للحديث: «فهذا حديث غريب جدًّا، لولا هيبة «الجامع الصحيح» لعدوه في منكرات خالد بن مخلد، وذلك لغرابة لفظه» «ميزان الاعتدال» (١/ ٦٤١).

٣٩ ـ بَاب قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةَ كَهَاتَيْنِ» ﴿وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٧﴾﴾

[النحل: ٧٧]

٦٥٠٣ ـ حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ أَبِي مَرْيَمَ، حَدَّثَنَا أَبُو غَسَّانَ، حَدَّثَنَا أَبُو حَازِمٍ عَنْ سَهْلٍ قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةَ كَهَاتَيْنِ، وَيُشِيرُ بِإِصْبَعَيْهِ فَيَمُدُّهُمَا». [سبق برقم ٤٩٣٦، وأخرجه مسلم، برقم ٢٩٥٠]

الشَّرح

هَكَذا، السَّبَّاحَةُ والوُسْطَى؛ يَعنِي: قَريبًا هُوَ خَاتَمُ الأَنْبِياءِ عليه الصلاة والسلام؛ فلَيسَ بَعدَه نَبيٌّ، لَيسَ بَعدَه إلَّا السَّاعةُ، ولَا يَزالُ الأَمرُ يَشْتَدُّ غُربةً حتَّى يَقبِضَ اللهُ أَرْوَاحَ المُؤمِنينَ والمُؤمِناتِ فِي آخِرِ الزَّمانِ؛ فيَبقَى الأَشْرارُ؛ فعَليهِم تَقُومُ السَّاعةُ؛ فهُوَ نَبيُّ السَّاعةِ: ﴿بُعِثْتُ أَنَا والسَّاعةَ كهَاتَينِ﴾. المَعنَى: أَنَّهُ لَيسَ بَعدَه نَبيٌّ؛ بل تَقُومُ السَّاعةُ عَلَى عَقِبِه، عَلَى أَتبَاعِهِ بَعدمَا يَقبِضُ اللهُ أَرْوَاحَ المُؤمِنِينَ.

ويَدلُّ هَذَا عَلَى أنَّ مَا مَضَى مِنَ الدُّنيَا هُوَ الأَكثَرُ، وأَنَّهُ ما بَقِي مِنهَا إلَّا القَلِيلُ، مِثلَما بَينَ أَصبُعَيهِ؛ فالَّذِي بَينَهُما قَليلٌ؛ فَالمَاضِي أَكثَرُ؛ فالمَعنَى أنَّ الَّذِي مَضَى مِنهَا هُوَ الأَكثَرُ، مَضَى أَكثَرُها ومَضَى مُعظَمُها ولم يَبقَ إلَّا القَليلُ الَّذِي تَقومُ السَّاعةُ فِيهِ.

فَالوَاجِبُ عَلَى أُمَّتِهِ الاسْتِعدَادُ لَهَا، وَالحَذَرُ مِنَ الغَفلَةِ، وَالحَذَرُ مِنَ التَّمَادِي فِي البَاطِلِ، وَالحَذَرُ مِنَ التَّسوِيفِ، كُلُّ وَاحِدٍ يَجِبُ عَلَيهِ أَنْ يُعِدَّ العُدَّةَ؛ فَالسَّاعَةُ قَرِيبَةٌ.

• س: كِنَايَةٌ عَنْ قُربِهَا يَا شَيخُ؟

○ ج: إِيْ؛ يَعْنِي: مِثْلَمَا بَينَ الإِصبَعَينِ الوُسْطَى وَالسَّبَّابَةِ، قَرِيبَةٌ.

* * *

٦٥٠٤ حَدَّثَنِي عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدٍ، هُوَ: الْجُعْفِيُّ، ـ حَدَّثَنَا وَهْبُ بْنُ جَرِيرٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ قَتَادَةَ وَأَبِي التَّيَّاحِ، عَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال: «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةَ كَهَاتَيْنِ». [وأخرجه مسلم، برقم ٢٩٥١]

٦٥٠٥ حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ يُوسُفَ، أَخْبَرَنَا أَبُو بَكْرٍ، عَنْ أَبِي حَصِينٍ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال: «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةَ كَهَاتَيْنِ؛ يَعْنِي: إِصْبَعَيْنِ»، تَابَعَهُ إِسْرَائِيلُ، عَنْ أَبِي حَصِينٍ.

٤٠ ـ بَـــاب

٦٥٠٦ حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، حَدَّثَنَا أَبُو الزِّنَادِ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قال: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَإِذَا طَلَعَتْ فَرَآهَا النَّاسُ آمَنُوا أَجْمَعُونَ، فَذَلِكَ حِينَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا، لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ، أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ نَشَرَ الرَّجُلَانِ ثَوْبَهُمَا بَيْنَهُمَا، فَلَا يَتَبَايَعَانِهِ، وَلَا يَطْوِيَانِهِ، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ، وَقَدِ انْصَرَفَ الرَّجُلُ بِلَبَنِ لِقْحَتِهِ، فَلَا يَطْعَمُهُ، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَهُوَ يَلِيطُ حَوْضَهُ، فَلَا يَسْقِي فِيهِ، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ رَفَعَ أُكْلَتَهُ إِلَى فِيهِ، فَلَا يَطْعَمُهَا».

[سبق برقم ٨٥، وأخرجه مسلم، برقم ٢٩٥٤]

الشَّرح

(ع): كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا﴾ [الأنعام: ١٥٨]؛ يَعْنِي: طُلُوعَ الشَّمسِ مِن مَغرِبِهَا؛ لِأَنَّهَا العَلَامَةُ القَرِيبَةُ العَظِيمَةُ

العَامَّةُ، فَعِندَ ذَلِكَ يُؤْمِنُ النَّاسُ كُلُّهُمْ وَلَكِنْ لَا يَنفَعُهُمْ، إِنَّمَا يَنفَعُ الإِيمَانُ مَن سَبَقَ إِيمَانُهُ قَبلَ طُلُوعِهَا.

وقَولُهُ: ﴿وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ نَشَرَ الرَّجُلَانِ ثَوْبَهُمَا...﴾ إلخ: المَعْنَى أَنَّهَا تَفجَؤُهُمْ، تَفجَؤُهُمْ السَّاعَةُ، مِن عِظَمِ الهَولِ أَنَّ الإِنسَانَ فِي يَدِهِ الثَّوبُ فَلَا يَطْوِيهِ وَلَا يَنشُرُهُ، وَفِي يَدِهِ اللُّقمَةُ فَلَا يَرفَعُهَا إِلَى فِيهِ، يَلُوطُ حَوضَ إِبِلِهِ لَا يَستَطِيعُ إِتمَامَهُ، إِلَى غَيرِ هَذَا؛ يَعْنِي: تَفجَؤُهُمُ السَّاعَةُ ﴿لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً﴾ [الأعراف: ١٨٧].

قوله: ﴿وَقَدْ رَفَعَ أُكْلَتَهُ إِلَى فِيهِ﴾: يَعنِي: اللُّقْمَةَ، الأُكلةُ: اللُّقمَةُ، والمَعنَى: أَنَّهُ تَقُومُ السَّاعةُ عَلَى النَّاسِ وهُم فِي شُغُلِهِم فِي غَفلَتِهِم، كلٌّ مَشْغُولٌ فِي شَأنِه؛ فتَهجُمُ عَليهِمُ السَّاعةُ وتَقومُ عَليهِم وهُم فِي غَفلةٍ وسَكْرةٍ بَعدَما قَبَض اللهُ المُؤمِنينَ والمُؤمِناتِ، تَقومُ السَّاعةُ والنَّاسُ عَلَى أَعمَالِهِمُ الَّتِي اعتَادُوهَا؛ فهَذَا مَعَ صَاحِبِه قد مدَّ الثَّوبَ أو نَحوَ الثَّوبِ لِيَتَبايَعاهُ؛ فتَهجُمُ السَّاعةُ عَليهِم فلَا يَطْوِيانِه ولَا يَتِمُّ بَيعُهُم.

وتَقومُ السَّاعةُ والآخَرُ بيَدِهِ اللَّبنُ قد حَلَبه مِن لِقحَتِه من نَاقَتِه فتَقومُ السَّاعةُ وهُوَ لَا يَشرَبُه، وتَقومُ السَّاعةُ واللُّقمَةُ فِي يَدِهِ فلَا يَأكُلُها، وتَقومُ الساعة وقد لَاطَ حَوضَ إِبلِه وأَعَدَّ الحَوضَ لِيَسقِيَ الإِبلَ، فتَقومُ السَّاعةُ والحَوضُ لم تَشرَبْ مِنهُ الإِبلُ ولم يَأتِ فِيهِ المَاءُ؛ المَعنَى: أَنَّهُ تَقومُ السَّاعةُ وهُم عَلَى غَفلَتِهِم وأَشغَالِهِم، والآخَرُ تَقومُ السَّاعةُ والفَسيلَةُ فِي يَدِه الحَيشَةُ النَّخلةُ يُرِيدُ أن يَغرِسَها فلَا يَغرِسُها؛ اللهُ المُستَعانُ.

• **س: ما تَجيئُهُمُ عَلاماتُ السَّاعةِ من قَبلُ؟**

○ **ج**: غرَّتْهُمُ العَلامَاتُ ومرَّتْ عَلَى غَيرِهِم وبَقُوا فِي سَكرَتِهِم، فتَهجُمُ عَليهِمُ السَّاعةُ وهُم فِي سَكرَتِهِم؛ ولهَذَا يَقولُ النَّبيُّ ﷺ: «**لا تَقومُ السَّاعةُ إِلَّا**

عَلَى شِرارِ الخَلقِ»[١]، يَبقَونَ كبَهيمَةِ الأَنعَامِ يَتهارَجُونَ تَهارُجَ الحُمرِ فِي الأَسوَاقِ وفِي الطُّرُقاتِ، ويَنكِحُ بَعضُهُم بَعضًا؛ نَسأَلُ اللهَ العَافِيةَ، لَا حَولَ ولَا قُوَّةَ إلَّا بِاللهِ!

• **س: يُرفَعُ القُرآنُ، أَحسَنَ اللهُ إِليكَ؟**

○ **ج:** يُرفَعُ القُرآنُ ويُرفَعُ الدِّينُ كُلُّه ما يَبقَى شَيءٌ، ما يَبقَى إلَّا الكُفرُ؛ ولهَذَا قَالَ: «**إذا طَلَعَتِ الشَّمْسُ مِن مَغرِبِها آمَنَ النَّاسُ كُلُّهُم**»[٢]، لكِنْ لَا يَنفَعُهُم ذَلِكَ؛ لأنَّ طُلوعَهَا مِن مَغرِبِها عَلامةٌ ظَاهِرةٌ؛ فلهَذَا إذَا رَآهَا النَّاسُ آمَنُوا كُلُّهم، لكِنْ لَا يَنفَعُهُم لَا يَنفَعُ الَّذِينَ كَانُوا كفَّارًا إيمَانُهُم بَعدَمَا رَأَوا طُلوعَ الشَّمسِ من مَغرِبِها؛ نَسأَلُ اللهَ السَّلامةَ، ﴿يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَـٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَـٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَـٰنِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام: ١٥٨]؛ فالأَمرُ مُحدَّدٌ بطُلوعِ الشَّمْسِ من مَغرِبِها، مَتَى طَلَعَتْ مِن مَغرِبِها خُتِم عَلَى الأَعمَالِ؛ فالمُؤمِنُ عَلَى إيمَانِه والكَافِرُ عَلَى كُفرِهِ؛ نَسأَلُ اللهَ العَافِيةَ.

ثمَّ يَبعُثُ اللهُ رِيحًا طيِّبةً مَسُّها مَسُّ الحَريرِ؛ فتَقبِضُ أَرواحَ المُؤمِنينَ والمُؤمِناتِ؛ فلَا يَبقَى إلَّا الأَشرارُ فعَليهِم تَقومُ السَّاعةُ.

• **س: طُلُوعُ الشَّمْسِ بَعدَ نُزُولِ عِيسَى عليه الصلاة والسلام؟**

○ **ج:** نَعَمْ، فَهِي آخِرُ السَّاعَاتِ، بَعدَ رَفعِ القُرآنِ، وَبَعدَ آيَةِ الدُّخَانِ، هِيَ مِنْ آخِرِهَا، هِيَ وَالدَّابَّةُ آخِرُ شَيءٍ، وَآخِرُ الآيَاتِ حَشرُ النَّارِ.

• **س: بَعدَهَا عَمَلٌ؟**

○ **ج:** مَا بَعدَهَا عَمَلٌ إلَّا الْمُؤمِنُ يَعمَلُ بِعَمَلِهِ، وَيَجتَهِدُ، أَمَّا العَملُ الجَدِيدُ لَا.

• **س: أَوَّلُ السَّاعَاتِ الشَّمسُ؟**

---

(١) أخرجه مسلم (١٩٢٤) عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه مسلم (١٥٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

○ ج: الْمَهدِيّ، أَوَّلُ السَّاعَاتِ القَرِيبَةُ عِندَ قِيَامِهَا طُلُوعُ الشَّمسِ مِن مَغرِبِهَا، كَمَا فِي بَعضِ الرِّوَايَاتِ.

• س: أَحسَنَ اللهُ إِلَيكَ، قِيَامُ السَّاعَةِ هُنَا الصَّيحَةُ؟

○ ج: نَعَمْ، الصَّيحَةُ، الصَّيحَةُ الأُولَى هِيَ الصَّاعِقَةُ الأُولَى الَّتِي يَمُوتُ بِهَا النَّاسُ، يَمُدُّهَا إِسرَافِيلُ حَتَّى يَمُوتَ النَّاسُ، اللهُ أَكْبَرُ.

• س: عَفَا اللهُ عَنكَ يَا شَيخُ، رَفعُ القُرْآنِ مِنَ الْمَصَاحِفِ أو مِنَ الصُّدُورِ بَارَكَ اللهُ فِيكُمْ؟

○ ج: مِنَ الْمَصَاحِفِ وَمِنَ الصُّدُورِ، جميعًا.

• س: أَحسَنَ اللهُ إِلَيكَ، مَفهُومُ قَولِهِ: «أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا»؟

○ ج: يَعْنِي: عَمَلًا صَالِحًا.

٤١ ـ بَاب مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ

٦٥٠٧ حَدَّثَنَا حَجَّاجٌ، حَدَّثَنَا هَمَّامٌ، حَدَّثَنَا قَتَادَةُ، عَنْ أَنَسٍ، عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال: «مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللهِ، أَحَبَّ اللهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللهِ، كَرِهَ اللهُ لِقَاءَهُ» قَالَتْ عَائِشَةُ، أَوْ بَعْضُ أَزْوَاجِهِ: إِنَّا لَنَكْرَهُ الْمَوْتَ؟ قَالَ: «لَيْسَ ذَاكَ، وَلَكِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا حَضَرَهُ الْمَوْتُ، بُشِّرَ بِرِضْوَانِ اللهِ وَكَرَامَتِهِ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا أَمَامَهُ، فَأَحَبَّ لِقَاءَ اللهِ، وَأَحَبَّ اللهُ لِقَاءَهُ، وَإِنَّ الْكَافِرَ إِذَا حُضِرَ، بُشِّرَ بِعَذَابِ اللهِ وَعُقُوبَتِهِ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَهَ إِلَيْهِ مِمَّا أَمَامَهُ، فكَرِهَ لِقَاءَ اللهِ، وَكَرِهَ اللهُ لِقَاءَهُ»، اخْتَصَرَهُ أَبُو دَاوُدَ، وَعَمْرٌو، عَنْ شُعْبَةَ، وَقَالَ سَعِيدٌ، عَنْ قَتَادَةَ عَنْ زُرَارَةَ عَنْ سَعْدٍ، عَنْ عَائِشَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ. [وأخرجه مسلم، برقم ٢٦٨٣، ٢٦٨٤].

الشَّرح

(ع): يَقُولُ ﷺ: ﴿مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللهِ أَحَبَّ اللهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللهِ كَرِهَ اللهُ لِقَاءَهُ﴾، قَالَتْ عَائِشَةُ رضي الله عنها: يَا رَسُولَ اللهِ، أَهُوَ الْمَوتُ، فَكُلُّنَا يَكرَهُ الْمَوتَ؟ قَالَ: ﴿لَا، وَلَكِنَّ الْمُؤمِنَ إِذَا حَضَرَهُ أَجَلُهُ بُشِّرَ بِالجَنَّةِ وَبِرَحمَةِ اللهِ، فَلَا يَكُونُ شَيءٌ أَحَبَّ إِلَيهِ مِن لِقَاءِ اللهِ، وَالكَافِرَ إِذَا حَضَرَهُ أَجَلُهُ بُشِّرَ بِالنَّارِ وَغَضَبِ اللهِ فَلَا شَيءَ أَكرَهَ لَهُ مِن لِقَاءِ اللهِ﴾. نَسأَلُ اللهَ العَافِيَةَ.

وهَذَا تَفسِيرُ: ﴿مَن أَحَبَّ لِقَاءَ اللهِ أَحَبَّ اللهُ لِقاءَه، ومَن كَرِهَ لِقاءَ اللهِ كَرِهَ اللهُ لِقاءَهُ﴾ هَذَا تَفسِيرُه: أنَّ المُؤمِنَ إِذَا حَضَره أَجَلُه بُشِّر برَحمةِ اللهِ ورِضوَانِه فعِندَ هَذَا يُحِبُّ لِقاءَ اللهِ فيُحِبُّ اللهُ لِقاءَه، والكَافِرُ مَتَى نَزَل بِهِ الأَمرُ بُشِّر بعِقابِ اللهِ وعَذابِه وبغَضَبِه فيَكرَهُ لِقاءَ اللهِ؛ فيَكرَهُ اللهُ لِقاءَه؛ نَسأَلُ اللهَ العَافِيةَ. لَا حَولَ ولَا قُوَّةَ إلَّا بِاللهِ.

* * *

٦٥٠٨ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ عَنْ بُرَيْدٍ، عَنْ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ أَبِي مُوسَى عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال: «مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللهِ، أَحَبَّ اللهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ، اللهِ كَرِهَ اللهُ لِقَاءَهُ». [وأخرجه مسلم، برقم ٢٦٨٦]

٦٥٠٩ حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ، حَدَّثَنَا اللَّيْثُ، عَنْ عُقَيْلٍ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، أَخْبَرَنِي سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ، وَعُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ فِي رِجَالٍ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّ عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقُولُ وَهُوَ صَحِيحٌ: «إِنَّهُ لَمْ يُقْبَضْ نَبِيٌّ قَطُّ، حَتَّى يَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ، ثُمَّ يُخَيَّرُ، فَلَمَّا نَزَلَ بِهِ، وَرَأْسُهُ عَلَى فَخِذِي غُشِيَ عَلَيْهِ سَاعَةً، ثُمَّ أَفَاقَ، فَأَشْخَصَ بَصَرَهُ إِلَى السَّقْفِ ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ الرَّفِيقَ الأَعْلَى»، قُلْتُ: إِذًا لَا يَخْتَارُنَا، وَعَرَفْتُ أَنَّهُ الْحَدِيثُ الَّذِي كَانَ يُحَدِّثُنَا بِهِ، قَالَتْ: فَكَانَتْ تِلْكَ آخِرَ كَلِمَةٍ تَكَلَّمَ بِهَا النَّبِيُّ ﷺ قَوْلُهُ: «اللَّهُمَّ الرَّفِيقَ الأَعْلَى». [سبق برقم ٤٤٣٥، وأخرجه مسلم، برقم ٢٤٤٤]

الشَّرح

(ع): ﴿اللَّهُمَّ الرَّفِيقَ الأَعْلَى﴾؛ يَعْنِي: الجَنَّةَ، اللهُ أَكْبَرُ، مُرَافَقَةَ أَهلِ الجَنَّةِ، اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَيهِ وَسَلِّمْ، لَمَّا بُشِّرَ بِالجَنَّةِ، اللهُ أَكْبَرُ، عِندَ خُرُوجِ الرُّوحِ، اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَيهِ وَسَلِّمْ.

يَعنِي: عَرَفَت أَنَّهُ خُيِّر فاختَارَ رَبَّه، اختَارَ الرَّفيقَ الأعلَى المَذكُورَ فِي قَولِه تَعالَى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ٦٩﴾ [النساء: ٦٩]. اللهُ أَكبَرُ، اللهُ المُستَعانُ.

- **س: التَّخْيِيرُ هُنَا فِي الحَدِيثِ فِي مَاذَا؟**

○ ج: بَينَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ فَيختَارُ الآخِرَةَ.

- **س: أَحسَنَ اللهُ إِلَيكَ، هَلْ هُنَاكَ قَولٌ صَحِيحٌ بِأَنَّ مَلَكَ الْمَوتِ كَانَ يَرَاهُ مَن يَمُوتُ، ثُمَّ اسْتَأْذَنَ الرَّسُولُ عَلَيهِ الصلاة والسلام اللهَ ﷻ أَلَا يَرَى أَحَدٌ مَلَكَ الْمَوتِ عِندَ الْمَوتِ؟**

○ ج: مَا بَلَغَنِي هَذَا، قِصَّةُ مُوسَى عليه الصلاة والسلام لَمَّا جَاءَهُ مَلَكُ الْمَوتِ، اسْتَأْذَنَ فَضَرَبَهُ مُوسَى عليه الصلاة والسلام حَتَّى فَقَأَ عَينَهُ[1].

- **س: هَذِهِ خَاصَّةٌ بِمُوسَى عليه الصلاة والسلام؟**

○ ج: هَذَا الَّذِي بَلَغَنَا.

- **س: ... إِنَّ لِلمَوتِ لَسَكَرَاتٍ، مَوتُ الفَجْأَةِ لَهُ سَكَرَاتٌ؟**

○ ج: يَعْنِي: عِندَ خُرُوجِ الرُّوحِ قَدْ يَقَعُ سَكَرَاتٌ لِبَعضِ النَّاسِ.

- **س: عَفَا اللهُ عَنكَ، هَلْ هَذَا...[2]؟**

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٣٩)، ومسلم (٢٣٧٢)، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) غير واضح

○ ج: إِذَا بُشِّرَ بِالجَنَّةِ، وَفِي حَالِ صِحَّتِهِ يَقُولُ: اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنَ أَولِيَائِكَ الصَّالِحِينَ، اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي فِي الرَّفِيقِ الأَعلَى، وَإِذَا بُشِّرَ عِندَ خُرُوجِ الرُّوحِ، يَقُولُ: اللَّهُمَّ الرَّفِيقَ الأَعلَى، وَإِذَا دَعَا فِي صِحَّتِهِ: اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنْ أَصحَابِ الرَّفِيقِ الأَعلَى، أَوِ اللَّهُمَّ الرَّفِيقَ الأَعلَى، هَذَا دُعَاءٌ.

• **س: المَقصُودُ بِالرَّفِيقِ؟**

○ ج: يَعْنِي: الجَنَّةَ.

• **س: ثُمَّ يُخَيَّرُ؟**

○ ج: بَينَ الدُّنْيَا والآخِرَةِ.

• **س: ما يَختَارُ الدُّنْيَا بَارَكَ اللهُ فِيكَ؟**

○ ج: مُحتَمِلٌ مَا اخْتَارَ الدُّنْيَا إِذَا خُيِّرَ بَينَ الآخِرَةِ وَالجَنَّةِ وَبَينَ الدُّنْيَا؛ بَلْ يَختَارُ الجَنَّةَ.

• **س: هَذَا مَا هُوَ بخاص بِالنَّبِيِّ ﷺ؟**

○ ج: لَا؛ مَا هُوَ بِخَاصٍّ.

• **س: يَعْنِي: مَا هُوَ بِخَاصٍّ بِالرَّسُولِ ﷺ: «الرَّفِيقَ الأَعلَى»؛ لِأَنَّهُ وَحْيٌ يَنزِلُ عَلَيهِ؟**

○ ج: الرَّفِيقُ الأَعلَى هُوَ الجَنَّةُ.

• **س: لَكِنِ الكَلِمَةُ هَذِهِ خَاصَّةٌ بِالنَّبِيِّ ﷺ؟**

○ ج: لَا؛ مَا هُوَ بِخَاصٍّ بِالنَّبِيِّ، تَقُولُ: اللَّهُمَّ اجْعَلنِي مِن أَهلِ الرَّفِيقِ الأَعلَى، اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِن أَصحَابِ الرَّفِيقِ الأَعلَى، اللَّهُمَّ اجْعَلنِي فِي الرَّفِيقِ الأَعلَى، اللَّهُمَّ أَسْكِنِّي الرَّفِيقَ الأَعلَى، الجَنَّةَ يَعْنِي؛ لِأَنَّهَا أَعلَى شَيءٍ بَعدَ الدُّنْيَا، سَقفُهَا عَرشُ الرَّحمٰنِ.

• **س: الرَّفِيقُ ـ أَحسَنَ اللهُ إِلَيكَ ـ الرَّفِيقُ مَا يُفِيدُ الرُّفقَةَ يَكُونُ مَعَهُمْ؟**

o ج: يَعْنِي: السُّكَّانَ مَعكَ فِي الجَنَّةِ، إخوَانكَ فِي الجَنَّةِ، أعلَى شَيءٍ رَفِيقُكَ فِي الجَنَّةِ، هُمْ أعلَى شَيءٍ، سَقفُهَا عَرشُ الرَّحمٰنِ.

• **س: أَلَا يُقصَدُ بِالرَّفِيقِ الأَعلَى الرَّحمٰنُ ﷻ؟**

o ج: الَّذِي يَظهَرُ أَنَّهُمْ أَصحَابُ الجَنَّةِ، مَا أَحَدٌ يَعلُو مَعَهُ فَوقَ العَرشِ، جَاءَ فِي رِوَايَةٍ أَنَّ اللهَ يُجلِسُهُمْ عَلَى العَرشِ لَكِنْ فِي أَحَادِيثِهَا ضَعفٌ.

• **س: مُمكِنٌ هِيَ؛ يَعْنِي: الفِردَوسُ الأَعلَى الَّتِي سَقفُهَا عَرشُ الرَّحمٰنِ؟**

o ج: هِيَ الجَنَّةُ كُلُّهَا، الجَنَّةُ سَقفُهَا عَرشُ الرَّحمٰنِ.

• **س: أَلَا يَكُونُ يَا شَيخُ ﴿مَعَ ٱلَّذِينَ أَنعَمَ ٱللَّهُ عَلَيهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾﴾ تَفسِيرُ الآيَةِ؟**

o ج: كُلُّ أَهلِ الجَنَّةِ، كُلُّهُمْ رُفَقَاءُ، مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ كُلُّهُمْ.

• **س: أَحسَنَ اللهُ إِلَيكَ، رَجُلٌ تُوفِّيَ بِالأَمسِ فَوَجَدُوا فِي وَصِيَّتِهِ أَنَّهُ أَوْصَى أَنْ يُدفَنَ يَومَ الجُمعَةِ، فَيَقُولُ وَرَثَتُهُ: هَلْ نُؤَخِّرُهُ لِيَومِ الجُمُعَةِ؟**

o ج: لَا، يُدفَنُ حِينَ مَاتَ، يُسَارَعُ بِهِ، وَلَا لُزُومَ لِلوَصِيَّةِ، يُبَادَرُ بِهِ وَيُغَسَّلْ.

• **س: وَكَذَا إِذَا أَوصَى بِنَقلِهِ إِلَى مَدِينَةٍ؟**

o ج: أَوْ أَوصَى بِنَقلِهِ مِنَ الرِّيَاضِ إِلَى القَصِيمِ، أَوْ إِلَى مَكَّةَ أَوْ إِلَى الْمَدِينَةِ، لَا يُنقَلُ، يُدفَنُ حَيثُ مَاتَ؛ يَعْنِي: هَذِهِ لَا أَصلَ لَهَا، وَبِهَا تَكَلُّفٌ وَإِيذَاءٌ لِلوَرَثَةِ.

• **س: أَحسَنَ اللهُ إِلَيكَ، القَولُ الرَّاجِحُ فِي إِمَامَةِ الْمُسَافِرِ فِي الجُمُعَةِ، هَلْ يَؤُمُّ الْمُسَافِرُ فِي الجُمُعَةِ، يَكُونُ إِمَامًا؟**

o ج: مَا أَعلَمُ فِيهَا شَيئًا، لَكِنْ إِذَا تَرَكَهَا خُرُوجًا مِنَ الخِلَافِ حَسَنٌ إِنْ شَاءَ اللهُ.

• **س: أَحسَنَ اللهُ إِلَيكَ، كَثِيرٌ مِنَ الدُّعَاةِ يَذهَبُونَ إِلَى بَعضِ القُرَى، وَيَحتَاجُونَ إِلَى أَنْ يَؤُمُّونَ النَّاسَ؟**

○ ج: مَا أَعلَمُ فِيهِ بَأسًا؛ لِأَنَّ لَهُ الإِتمَامَ وَلَهُ أَنْ يُصَلِّيَ الجُمُعَةَ.

• **س: يَعْنِي: مِن جِنسِ الإِتمَامِ يَعْنِي؟**

○ ج: نَعَمْ، مِثلُ الإِتمَامِ.

• **س: مِن جِنسِ الإِتمَامِ؟**

○ ج: لِيَنفَعَهُمْ، لِيَخطُبَ بِهِم، يُصَلِّي الجُمُعَةَ رَكعَتَينِ.

• **س: أَحسَنَ اللهُ إِلَيكَ، هَلْ وَرَدَ فَضلٌ لِمَنْ تُوفِّيَ يَومَ الجُمُعَةِ؟**

○ ج: أَحَادِيثُ ضَعِيفَةٌ.

• **س: مَن يُتَوَفَّى فِي رَمَضَانَ، هَلْ هُنَاكَ فَضلُ الْمَوتِ فِي رَمَضَانَ أَوْ نِهَايَةِ رَمَضَانَ؟**

○ ج: اللهُ أَعلَمُ.

• **س: قَولُها ﵂: «ورَأسُه عَلَى فَخِذِي»، وقَولُها فِي الحَدِيثِ الآخَرِ: «قُبض بَينَ سَحرِي ونَحرِي»؟**

○ ج: لَا مُنافَاةَ، فِي تِلكَ السَّاعةِ عَلَى فَخِذِها ثُمَّ اعتَدَلَ بَعدَ ذَلِكَ أَجلَسَتْه.

• **س: أَحسَنَ اللهُ إِلَيكَ، حَدِيثُ: «مَن سَمَّع سَمَّع اللهُ بِهِ»[1]، قيل: يَومَ القِيامَةِ، هُناكَ حَدِيثَانِ اختَلَف فِيهِمَا بَعضُ الطَّلَبَةِ بَعدَ صَلاةِ الصُّبحِ مِمَّا سَبَّب عَمَل مَشاكِلَ ما هِيَ بطَيِّبةٍ، مِن جِهةِ أَنَّهُ ما هُناكَ فِي البُخارِيِّ، و«صَحيحِ مُسلِمٍ» أَحادِيثُ ضَعيفَةٌ، فكَانَ لي شَرِيطٌ فِي السَّيَّارةِ لِلشَّيخِ**

(١) أخرجه البخاري (٦٤٩٩)، ومسلم (٢٩٨٧) عن جندب بن عبد الله ﵁.

ناصِرِ الأَلبانِيِّ فوَجَدتُ فِي الشَّرِيطِ يَقولُ: إنَّ حَديثَ: «سَبعةٌ يُظِلُّهمُ اللهُ فِي ظِلِّه يَومَ لَا ظِلَّ إلَّا ظِلُّه»[1]، يَقولُ: هَذَا جَاءَ فِي قَولِه ﷺ: «مَن تَصدَّق بيَمِينِه»، جَاءَ مَقلوبًا مَن تَصدَّق بِالشِّمالِ؟

○ ج: هَذِه رِوايَةٌ، لكِنَّ المَحفُوظَ فِي «الصَّحيحَينِ»: «ورَجلٌ تَصدَّقَ بِصَدَقةٍ فأَخفَاهَا حتَّى لَا تَعلَمَ شِمالُه ما تُنفِقُ يَمِينُه». وَهِم بَعضُ الرُّواةِ فقَالَ: «تَصَدَّق بشِمَالِه حتَّى لَا تَعلَمَ يَمِيْنُه مَا تُنفِقُ شِمَالُهُ»[2]. هَذَا وَهْمٌ من بَعضِ الرُّوَاةِ، يَقعُ بَعضُ الأَشيَاءِ فِي هَذَا نبَّهَ عَليهَا العُلَماءُ، ولَا يَضُرُّ؛ لأَنَّ «الصَّحيحَينِ» رَوَيا الشَّيءَ الصَّحِيحَ وأَثبَتاهُ؛ فكَونُه يَقعُ مَعَ بَعضِ الرُّواةِ غَلطٌ فِي بَعضِ الرِّوايَاتِ، هَذَا يَقعُ فِي «الصَّحِيحَينِ» وفِي غَير «الصَّحِيحَينِ»، لكِنَّ أَحادِيثَ «الصَّحِيْحَينِ» كُلَّها مَحفُوظةٌ سِوَى حَديثٍ وَاحِدٍ عِندَ مُسلِمٍ: «خَلَق اللهُ التُّربةَ يَومَ السَّبتِ...»[3]، إلَى آخِرِه وَقَع فِيهِ بَعضُ الغَلطِ.

(السَّائلُ): وحَدِيثُ ابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: أنَّ النَّبيَّ ﷺ تزَوَّجَ مَيمُونَةَ رضي الله عنها وهُوَ مُحرِمٌ[4]؟

○ ج: هَذَا حَديثٌ أَيضًا وَهمٌ من ابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما، وإلَّا الحَديثُ صَحِيحٌ، الحَدِيثُ صَحِيحٌ عَنِ ابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما، لكِنْ هُوَ الَّذِي وَهِم ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما، ظنَّ أنَّهُ تَزوَّجَها وهُوَ مُحرِمٌ، والصَّوابُ أنَّهُ تَزوَّجَها وهُوَ حَلالٌ، هَذَا ما هُوَ بغَلطٍ فِي الرِّوايَةِ؛ غَلطٌ فِي فَهمِ ابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما...

• س: من ذَلِكَ بَعضُ الأَحَادِيثِ مِثلُ حَديثِ التُّربةِ؟

○ ج: بَعضُ الأَلفَاظِ فِي بَعضِ الأَلفَاظِ اختَلَفَ فِيهَا الرُّواةُ، صَحَّح بَعضُهُم هَذَا اللَّفظَ وبَعضُهُم هَذَا اللَّفظَ، لكِنَّ أَصلَ الحَديثِ صَحيحٌ، أَصلُ

---

(١) أخرجه البخاري (٦٦٠)، ومسلم (١٠٣١) عن أبي هريرة رضي الله عنه.
(٢) لفظ مسلم (١٠٣١).
(٣) أخرجه مسلم (٢٧٨٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه.
(٤) أخرجه البخاري (١٨٣٧)، ومسلم (١٤١٠) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

الأَحَادِيثِ صَحِيْحةٌ؛ فوُجودُ بَعضِ الأَلفاظِ وَهمٌ فِي بَعضِ الأَلفاظِ هَذَا وَقَع فِي كُلِّ كِتابٍ.

• **س: حَديثُ الجَسَّاسةِ أَحسَنَ اللهُ إِلَيكَ؟**

○ **ج:** نَعَم، صَحيحٌ، فِي مُسلِمٍ[1].

المَقصُودُ: أنَّ «الصَّحِيحَينِ» تَلقَّاهُما أَهلُ العِلمِ والإِيمَانِ بِالقَبولِ، وهُمَا كِتابَانِ عَظِيمانِ تَلقَّاهُما الأَئِمَّةُ بِالقَبولِ؛ يَعنِي: ما فِيهِمَا مِنَ الأَحَادِيثِ المُسنَدةِ الصَّحِيحَةِ والمُعلَّقةِ الصَّحِيحةِ قد تَقبَّلَهُما الأَئِمَّةُ، لكِنْ وُجودُ بَعضِ الأَلفاظِ، وبَعضِ الأَغلَاطِ وبَعضِ الوَهمِ من بَعضِ الرُّواةِ هَذَا ما يَمنَعُ.

• **س: حَديثُ ابنِ صائِدٍ، حَديثُ ابنِ صيَّادٍ؟**

○ **ج:** كَذَلِكَ مَحفوظٌ ثابِتٌ[2].

٤٢ ـ بَاب سَكَرَاتِ المَوْتِ

٦٥١٠ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدِ بْنِ مَيْمُونٍ، حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ يُونُسَ عَنْ عُمَرَ بْنِ سَعِيدٍ قال: أَخْبَرَنِي ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ أَنَّ أَبَا عَمْرٍو ذَكْوَانَ مَوْلَى عَائِشَةَ أَخْبَرَهُ أَنَّ عَائِشَةَ رضي الله عنها كَانَتْ تَقُولُ: «إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٤٢) عن تميم الداري رضي الله عنه، وفيه: ثُمَّ أَرْفَئُوا إِلَى جَزِيرَةٍ فِي الْبَحْرِ حَتَّى مَغْرِبِ الشَّمْسِ، فَجَلَسُوا فِي أَقْرُبِ السَّفِينَةِ فَدَخَلُوا الْجَزِيرَةَ فَلَقِيَتْهُمْ دَابَّةٌ أَهْلَبُ كَثِيرُ الشَّعَرِ، لَا يَدْرُونَ مَا قُبُلُهُ مِنْ دُبُرِهِ، مِنْ كَثْرَةِ الشَّعَرِ، فَقَالُوا: وَيْلَكِ مَا أَنْتِ؟ فَقَالَتْ: أَنَا الْجَسَّاسَةُ، قَالُوا: وَمَا الْجَسَّاسَةُ؟ قَالَتْ: أَيُّهَا الْقَوْمُ انْطَلِقُوا إِلَى هَذَا الرَّجُلِ فِي الدَّيْرِ، فَإِنَّهُ إِلَى خَبَرِكُمْ بِالْأَشْوَاقِ، قَالَ: لَمَّا سَمَّتْ لَنَا رَجُلًا فَرِقْنَا مِنْهَا أَنْ تَكُونَ شَيْطَانَةً، قَالَ: فَانْطَلَقْنَا سِرَاعًا، حَتَّى دَخَلْنَا الدَّيْرَ، فَإِذَا فِيهِ أَعْظَمُ إِنْسَانٍ رَأَيْنَاهُ قَطُّ خَلْقًا، وَأَشَدُّهُ وِثَاقًا، مَجْمُوعَةٌ يَدَاهُ إِلَى عُنُقِهِ، مَا بَيْنَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى كَعْبَيْهِ بِالْحَدِيدِ، قُلْنَا: وَيْلَكَ مَا أَنْتَ؟ قَالَ: قَدْ قَدَرْتُمْ عَلَى خَبَرِي، فَأَخْبِرُونِي مَا أَنْتُمْ؟.....

(٢) أخرجه البخاري (١٣٥٤)، ومسلم (٢٩٣٠) عن ابن عمر رضي الله عنهما.

كَانَ بَيْنَ يَدَيْهِ رَكْوَةٌ، أَوْ عُلْبَةٌ فِيهَا مَاءٌ، ـ يَشُكُّ عُمَرُ ـ، فَجَعَلَ يُدْخِلُ يَدَيْهِ فِي الْمَاءِ، فَيَمْسَحُ بِهِمَا وَجْهَهُ، وَيَقُولُ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، إِنَّ لِلْمَوْتِ سَكَرَاتٍ» ثُمَّ نَصَبَ يَدَهُ، فَجَعَلَ يَقُولُ: «فِي الرَّفِيقِ الأَعْلَى» حَتَّى قُبِضَ وَمَالَتْ يَدُهُ»، قال أَبُو عَبْدِ الله: العُلْبَةُ مِنَ الخَشَبِ، وَالرَّكْوَةُ مِنَ الأَدَمِ». [سبق برقم ٨٩٠، وأخرجه مسلم، برقم ٢٤٤٣]

الشرح

وهَذَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، اشتَدَّ بِهِ الأَمرُ عِندَ المَوتِ عليه الصلاة والسلام حتَّى جَعَل يُدخِلُ أُصبَعُه فِي المَاءِ ويَمسَحُ وَجهَهُ ويَقولُ: ﴿إِنَّ لِلمَوتِ لَسَكراتٍ﴾ ثُمَّ رَفَع يَدَه وقَالَ: ﴿اللَّهُمَّ فِي الرَّفيقِ الأَعلَى، اللَّهُمَّ فِي الرَّفيقِ الأَعلَى﴾؛ يَعنِي: المَذكُورِين فِي قَولِه تَعالَى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا﴾ [النساء: ٦٩] عليه الصلاة والسلام.

(ع): وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ اشْتَدَّ بِهِ الأَمرُ، وَأَنَّ شِدَّةَ الْمَوتِ مِن أَدِلَّةِ الخَيرِ لِلرَّجُلِ، وَأَنَّ اللهَ ﷻ يُكَفِّرُ بِهِ مِن سَيئَاتِهِ، وَيَحُطُّ بِهِ مِنْ خَطَايَاهُ، فهَذَا رَسُولُ اللهِ سَيِّدُ الخَلقِ أَصَابَتْهُ الشِّدَّةُ، وَقَالَ: ﴿إِنَّ لِلمَوتِ لَسَكَرَاتٍ﴾، وَكَانَ يَطرَحُ الخَمِيصَةَ عَلَى وَجهِهِ، الخَمِيصَةَ، ثُمَّ يَرفَعُهَا، وَيَقُولُ: ﴿إِنَّ لِلمَوتِ لَسَكَرَاتٍ﴾ اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَيهِ وَسَلِّمْ.

• س: عَفَا اللهُ عَنكَ، مَا وَرَدَ أَنَّ الْمُؤمِنَ تَسِيلُ نَفسُهُ كَمَا تَسِيلُ القَطرَةُ؟

○ ج: مَا يَمنَعُ، نَعَمْ.

* * *

٦٥١١ حَدَّثَنِي صَدَقَةُ، أَخْبَرَنَا عَبْدَةُ عَنْ هِشَامٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: «كَانَ رِجَالٌ مِنَ الأَعْرَابِ جُفَاةً، يَأْتُونَ النَّبِيَّ ﷺ فَيَسْأَلُونَهُ: مَتَى السَّاعَةُ؟ فَكَانَ يَنْظُرُ إِلَى أَصْغَرِهِمْ فَيَقُولُ: «إِنْ يَعِشْ هَذَا لَا يُدْرِكْهُ الْهَرَمُ، حَتَّى

تَقُومَ عَلَيْكُمْ سَاعَتُكُمْ»، قَالَ هِشَامٌ: يَعْنِي: مَوْتَهُم». [وأخرجه مسلم، برقم ٢٩٥٢]

الشَّرح

لأنَّ السَّاعةَ سَاعَتانِ: مَوتُ الإنسَانِ؛ هَذِه السَّاعةُ الصُّغرَى والقِيامةُ الصُّغرَى، ومَوتُ الأُمَّةِ كُلِّها والجَمَاعةِ كُلِّها، وهَذِه السَّاعةُ الكُبرَى والقِيامَةُ الكُبرَى ـ اللهُ المُستَعانُ ـ كلُّ مَن مَاتَ فقَد قَامَت قِيامَتُه؛ اللهُ المُستَعانُ.

* * *

٦٥١٢ حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، قال: حَدَّثَنِي مَالِكٌ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ حَلْحَلَةَ، عَنْ مَعْبَدِ بْنِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ أَبِي قَتَادَةَ بْنِ رِبْعِيٍّ الأَنْصَارِيِّ أَنَّهُ كَانَ يُحَدِّثُ «أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ مُرَّ عَلَيْهِ بِجِنَازَةٍ، فَقال: «مُسْتَرِيحٌ، وَمُسْتَرَاحٌ مِنْهُ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا الْمُسْتَرِيحُ، وَالْمُسْتَرَاحُ مِنْهُ؟ قال: «الْعَبْدُ الْمُؤْمِنُ يَسْتَرِيحُ مِنْ نَصَبِ الدُّنْيَا وَأَذَاهَا إِلَى رَحْمَةِ اللهِ ﷻ، وَالْعَبْدُ الْفَاجِرُ يَسْتَرِيحُ مِنْهُ: الْعِبَادُ، وَالْبِلَادُ، وَالشَّجَرُ، وَالدَّوَابُّ». [طرفه في: ٦٥١٣، وأخرجه مسلم، برقم ٩٥٠]

الشَّرح

ويَقولُ هَذَا ﷺ تَرغِيبًا لأَهْلِ الإيمَانِ فِي الثَّبَاتِ، وتَحذِيرًا لأَهلِ الفُجُورِ والكُفرِ لِمَا هُمْ فِيهِ مِنَ البَاطلِ؛ ولهَذَا لمَّا مُرَّ عَليهِ بجَنازَةٍ قَالَ: ﴿مُستَرِيحٌ ومُستَرَاحٌ مِنهُ﴾، قَالُوا: يا رَسُول اللهِ، ما مُستَرِيحٌ وما مُستَرَاحٌ مِنهُ؟ قَالَ: ﴿المُؤمِن إِذَا مَاتَ يَستَرِيحُ مِن نَصبِ الدُّنيَا وأَذَاهَا﴾؛ يَعنِي: تَعَبَها ونَكَدَها إِلَى رَحمةِ اللهِ وفَضلِه ﷻ، وإِلَى ما يَحصُلُ لَهُ مِنَ النَّعيمِ فِي قَبرِه حتَّى يُنقَلَ إِلَى الجَنَّةِ، أمَّا الفاجِرُ فتَستَرِيحُ مِنهُ العِبادُ والبِلادُ والشَّجرُ والدَّوابُ؛ لأنَّ فُجورَهُ وشَرَّهُ وفَسادَهُ؛ يضُرُّ المُجتَمَعَ، ويَضُرُّ العِبادَ، ويَضرُّ البِلادَ ويَضرُّ الدَّوابَّ، ويَضرُّ الشَّجرَ بمَنعِ الغَيثِ، إِلَى غَيرِ هَذَا ممَّا يَتسبَّبُ عَن فُجورِه وشَرِّهِ؛ نَسأَلُ اللهَ العَافِيةَ.

(ع): ﴿مُسْتَرِيحٌ، وَمُسْتَرَاحٌ مِنْهُ﴾، هَكَذَا كُلُّ مَيِّتٍ، مُستَرِيحٌ وَمُستَرَاحٌ مِنهُ؛ إِنْ كَانَ مُؤمِنًا فَهُوَ مُستَرِيحٌ، وَإِنْ كَانَ خَبِيثًا فَمُستَرَاحٌ مِنهُ.

وَالمَعْنَى: أَنَّهُ يَنبَغِي لِلمُؤمِنِ أَنْ يَحرِصَ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُستَرِيحِينَ مِنَ المُؤمِنِينَ، مِن أَصحَابِ السَّعَادَةِ، وذَلِكَ بِالجدِّ فِي طَاعَةِ اللهِ وَالحَذَرِ مِنْ مَعَاصِي اللهِ، وَسُؤَالِ اللهِ الثَّبَاتَ.

* * *

٦٥١٣ حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، حَدَّثَنَا يَحْيَى، عَنْ عَبْدِ رَبِّهِ بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ حَلْحَلَةَ، حَدَّثَنِي ابْنُ كَعْبٍ، عَنْ أَبِي قَتَادَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال: «مُسْتَرِيحٌ، وَمُسْتَرَاحٌ مِنْهُ، الْمُؤْمِنُ يَسْتَرِيحُ».

[سبق برقم ٦٥١٢، وأخرجه مسلم، برقم ٩٥٠]

٦٥١٤ حَدَّثَنَا الْحُمَيْدِيُّ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي بَكْرِ بْنِ عَمْرِو بْنِ حَزْمٍ سَمِعَ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهُ ﷺ: «يَتْبَعُ الْمَيِّتَ ثَلَاثَةٌ، فَيَرْجِعُ اثْنَانِ، وَيَبْقَى مَعَهُ وَاحِدٌ، يَتْبَعُهُ: أَهْلُهُ، وَمَالُهُ، وَعَمَلُهُ، فَيَرْجِعُ: أَهْلُهُ وَمَالُهُ، وَيَبْقَى عَمَلُهُ». [وأخرجه مسلم، برقم ٢٩٦٠]

الشَّرح

وهَذَا فِيهِ الحَثُّ عَلَى الَّذِي يَبقَى مَعَك؛ وهُوَ العَملُ، هَذَا حَثٌّ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى العِنايَةِ بِالعَملِ الصَّالِحِ؛ هُوَ الَّذِي يَبقَى مَعَ الإِنسَانِ فِي قَبرِه، وفِي نُشورِه، وفِي وُقوفِه بَينَ يَدي اللهِ؛ حتَّى يَصِيرَ إِلَى الجَنَّة أو إِلَى النَّارِ؛ فهَذَا هُوَ الَّذِي يَنبَغِي للمُؤمِن أن يَكُونَ حَرِيصًا عَلَى صَلاحِ العَملِ وسَلامةِ العَملِ ممَّا يَضُرُّه؛ «فإِذَا مَاتَ المَيِّتُ تَبِعهُ ثَلاثةٌ: أَهلُه ومَالُه وعَملُه»؛ يَعنِي: غالِبًا إِذَا كَانَ فِي بِلادٍ لَهُ أَهلٌ ومَالٌ، قد يَكُونُ فِي بِلادِ غُربةٍ ما عِندَه أَهلٌ ولَا مالٌ، لكِنْ مَقصودُ النَّبِيِّ ﷺ فِي الأَغلَبِ يَتبَعُه أَهلُه، كزَوجِها وأَخِيها وعَمِّها، وأَخِيهِ وأَبِيهِ وعَمِّه وأَقارِبِه، ومالُه كَذَلِكَ يَتبَعُه، أَدواتُ الحَفرِ مَثلًا الَّتِي يُحفَرُ

بِهَا، أو ما أَشبَهَ ذَلِكَ ممَّا قد يَتبَعُه من أَوانٍ لِلمَاءِ أو لغَيرِ هَذَا، أو أَصدِقاؤُه بسَبَبِ المَالِ، ومَحبَّةِ المَالِ؛ فإِذَا دُفِن رَجَع أُولئِكَ، رَجَع الأَهلُ والمَالُ ويَبقَى العَملُ مَعهُ، جَاءَ فِي الحَديثِ: «**أَنَّه إِذَا سُئِل وفَرَغ؛ إن كَانَ مُؤمِنًا جَاءَه عَمَلُه فِي أَحسَنِ صُورةٍ وأَحسَنِ رَائِحةٍ فيُقالُ له: أَبشِرْ فيَقولُ: مَن أَنتَ؟ فوَجهُك الوَجهُ الَّذِي يَأتِي بِالخَيرِ؟ قَالَ: أَنَا عَمَلُك الصَّالِحُ، وإِنْ كَانَ بخِلافِ ذَلِكَ إِذَا سُئِل وارتَابَ وضُرِب** ـ نَسأَلُ اللهَ العَافِيةَ ـ **يَأتِيهِ عَمَلُه فِي أَبشَعِ صُورةٍ؛ فيَقولُ له: أبشِرْ بِمَا يَسوؤُك؛ فيَقولُ لَهُ: مَن أَنتَ فوَجهُك الوَجهُ الَّذِي يَأتِي بِالشَّرِّ؟ فيَقولُ: أَنَا عَمَلُك القَبيحُ**»[1]، نَسأَلُ اللهَ العَافِيةَ، لَا حَولَ ولَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ.

(ع): **هَذَا فِيهِ الحَثُّ عَلَى العَمَلِ الصَّالِحِ**، وَأَنَّ أَهلَهُ وَمَالَهُ لَا يَنفَعُونَهُ، لَا يَنفَعُهُ إِلَّا عَمَلُهُ الصَّالِحُ، يَقُولُ ﷺ: **﴿يَتْبَعُ المَيِّتَ ثَلَاثَةٌ، أَهْلُهُ، وَمَالُهُ، وَعَمَلُهُ، فَيَرجِعُ اثْنَانِ وَيَبقَى وَاحِدٌ، يَرْجِعُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَيَبْقَى عَمَلُهُ﴾**، أَهلُهُ مِثلُ إِخوَانِهِ وَأَبيهِ وَأَولَادِهِ وَنَحوِ ذَلِكَ.

وَمَالُهُ: مِثلُ الأَدوَاتِ الَّتِي يُحفَرُ بِهَا قَبرُهُ، أَوْ مَا يَتبَعُهُ مِن شَيءٍ مَوضُوعٍ عَلَى كَفَنِهِ، عَلَيهِ بِشتٌ أَوْ طرَّاحَةٌ مَطرُوحَةٌ عَلَى نَعشِهِ، أَوْ مَا أَشبَهَ ذَلِكَ مِمَّا يَكُونُ مَعَهُ فِي الْمَقبَرَةِ، فهَذَا يَرجِعُ وَيَبقَى الثَّالِثُ الْمُهِمُّ، وَهُوَ العَمَلُ الصَّالِحُ أَوِ السَّيِّئُ، إِنْ كَانَ عَمَلًا صَالِحًا نَفَعَهُ، وَاسْتَرَاحَ، وَفَرِحَ بِذَلِكَ، وَإِنْ كَانَ عَمَلًا سَيِّئًا سَاءَهُ ذَلِكَ وَضَرَّهُ.

وَالمَقصُودُ مِن هَذَا الحَثُّ عَلَى العَمَلِ الصَّالِحِ، وَأَنَّ الْمُؤمِنَ يَجتَهِدُ فِي الاسْتِقَامَةِ عَلَى طَاعَةِ اللهِ، وَالحَذَرُ مِن مَعَاصِي اللهِ حَتَّى يَبْقَى مَعَهُ عَمَلُهُ الطَّيِّبُ الَّذِي يَنفَعُهُ وَيُؤنِسُهُ فِي قَبرِهِ، وَيَقُولُ لَهُ: نِعْمَ الوَجهُ. فَإِنَّهُ يَرَاهُ، يَأتِيهِ فِي أَحسَنِ صُورَةٍ إِذَا كَانَ طَيِّبًا، وَيَقُولُ: أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُرُّكَ، فَيَقُولُ: مَنْ أَنتَ؟ فَوَجهُكَ

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٧٥٣)، وابن ماجه (١٥٤٩)، وأحمد (٣٠/ ٤٩٩) رقم (١٨٥٣٤)، والحاكم (١/ ١٢٠)، عن البراء بن عازب رضي الله عنه. وصححه الحاكم.

الوَجهُ الَّذِي يَأتِي بِالخَيرِ، فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ. وَالضِّدُّ بِالضِّدِّ، نَسأَلُ اللهَ العَافِيَةَ.

• **س: أَحسَنَ اللهُ عَمَلَكَ، مَا هُوَ بِالْمَالِ الَّذِي يَكسِبُهُ فِي الدُّنْيَا مِنَ الذَّهَبِ وَالفِضَّةِ؟**

○ ج: لَا مَا هُوَ يَرُوحُ مَعَهُ، مَا يَتبَعُهُ، الْمَالُ الَّذِي مَعَهُ فِي بَيتِهِ وَفِي مَخَازِنِهِ.

* * *

٦٥١٥ حَدَّثَنَا أَبُو النُّعْمَانِ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ، عَنْ أَيُّوبَ، عَنْ نَافِعٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا مَاتَ أَحَدُكُمْ عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ غُدْوَةً وَعَشِيًّا: إِمَّا النَّارُ، وَإِمَّا الْجَنَّةُ، فَيُقَالُ: هَذَا مَقْعَدُكَ حَتَّى تُبْعَثَ إليه». [سبق برقم ١٣٧٩، وأخرجه مسلم، برقم ٢٨٦٦]

الشَّرح

اللهُ المُستَعانُ، لَا حَولَ ولَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ! وهَذَا مِثلَما جَاءَ فِي الحَدِيثِ: «**القَبرُ إِمَّا رَوضَةٌ مِن رِياضِ الجَنَّةِ، وإِمَّا حُفرَةٌ مِن حُفَرِ النَّارِ؛ فإِمَّا مُعذَّبٌ وإِمَّا مُنعَّمٌ**»(١). فهُوَ مَبدأُ الآخِرَةِ فِي النَّعيمِ والعَذابِ ويُعرَضُ عَليهِ مَقعَدُه مِنَ الجَنَّة ومَقعَدُه مِنَ النَّارِ؛ فيَأتِي المُؤمِنَ شَيءٌ من رِيحِها وطِيبِها، ويَأتِي الكَافِرَ شَيءٌ من شَرِّها وسَمُومِها وعَذابِها؛ نَسأَلُ اللهَ العَافِيَةَ.

ومُعظَمُ هَذَا عَلَى الرُّوحِ والبَدنُ يَأتِيهِ نَصِيبُه، وإِنْ كَانَ فِي القَبرِ، وإِنْ

(١) أخرجه الترمذي (٢٤٦٠) عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
قال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه.
وقال المنذري: أخرجه الترمذي واللفظ له والبيهقي كلاهما من طريق عبيد الله بن الوليد الوصافي وهو واه عن عطية وهو: العوفي عن أبي سعيد. «الترغيب والترهيب» (٥٠٥١).

تَمزَّق، وإنْ كَانَ فِي بُطونِ السِّباعِ؛ وإنْ كَانَ فِي البِحارِ يَأتِيهِ نَصِيبُه بإذنِ اللهِ ﷻ، ورَبُّك عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَديرٌ ﷻ.

(ع): ﴿عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ غُدْوَةً وَعَشِيًّا﴾: وَهَذَا أَمرٌ عَظِيمٌ، كَونُهُ يُعرَضُ عَلَيهِ مَقعَدُهُ مِنَ الجَنَّةِ وَمَقعَدُهُ مِنَ النَّارِ بُكرَةً وَعَشِيًّا، هَذَا أَمرٌ عَظِيمٌ، خَيرٌ لِلمُؤمِنِ وَنَعِيمٌ مُعَجَّلٌ لِلمُؤمِنِ، وَشَرٌّ عَلَى غَيرِهِ، وَلَا حَولَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ.

تَكَلَّمَ الشَّارِحُ عَلَى مَا يَتبَعُ الْمَيِّتَ، أَوِ العَينِيُّ عَلَى قَولِهِ: «مَالُهُ»؟ مَاذَا عِندَكَ يَا شَيخُ عَبدُ العَزِيزِ؟

[قالَ الحَافِظُ ابنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللهُ في «فتْحِ البَارِي» (١١/ ٣٦٥)]: «قَوْلُهُ: ﴿يَتْبَعُ الْمَيِّتَ﴾ كَذَا لِلسَّرَخْسِيِّ، وَالْأَكْثَرِ وَفِي رِوَايَةِ الْمُسْتَمْلِي «الْمَرْءَ»، وَفِي رِوَايَةِ أَبِي ذَرٍّ عَنِ الْكُشْمِيهَنِيِّ «الْمُؤْمِنَ» وَالْأَوَّلُ الْمُعْتَمَدُ، فَهُوَ الْمَحْفُوظ من حَدِيث ابنِ عُيَيْنَةَ، وَهُوَ كَذَلِكَ عِنْدَ مُسْلِم. قَوْلُهُ: ﴿يَتْبَعُهُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَعَمَلُهُ﴾ هَذَا يَقَعُ فِي الْأَغْلَبِ، وَرُبَّ مَيِّتٍ لَا يَتْبَعُهُ إِلَّا عَمَلُهُ فَقَطْ، وَالْمُرَادُ مَنْ يَتْبَعُ جِنَازَتَهُ مِنْ أَهْلِهِ وَرُفْقَتِهِ وَدَوَابِّهِ عَلَى مَا جَرَتْ بِهِ عَادَةُ الْعَرَبِ، وَإِذَا انْقَضَى أَمْرُ الْحُزْنِ عَلَيْهِ رَجَعُوا، سَوَاءٌ أَقَامُوا بَعْدَ الدَّفْنِ أَمْ لَا.

وَمَعْنَى «بَقَاءِ عَمَلِه» أَنَّهُ يَدْخُلُ مَعَهُ الْقَبْرَ، وَقَدْ وَقَعَ فِي حَدِيثِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ الطَّوِيلِ فِي صِفَةِ الْمَسْأَلَةِ فِي الْقَبْرِ عِنْدَ أَحْمَدَ وَغَيْرِهِ فَفِيهِ: «**وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ حَسَنُ الْوَجْهِ حَسَنُ الثِّيَابِ، حَسَنُ الرِّيحِ فَيَقُولُ: أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُرُّكَ؛ فَيَقُولُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ**»، وَقَالَ فِي حَقِّ الْكَافِرِ: «**وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ قَبِيحُ الْوَجْهِ...**» الْحَدِيثَ وَفِيهِ: «**بِالَّذِي يَسُوؤُكَ**» وَفِيهِ «**عَمَلُكَ الْخَبِيثُ**». [انتهى كلامه].

قَالَ ابنُ بَازٍ رَحِمَهُ اللهُ: وَهَذَا الَّذِي قَالَه الشَّارِحُ وَجِيهٌ، كَونُهُ يَتبَعُ الْمَيِّتَ ثَلَاثَةٌ؛ يَعْنِي: وَصفًا أَغلَبِيًّا؛ لِأَنَّ بَعضَ الأَموَاتِ لَيسَ لَهُ أَهلٌ وَلَا مَالٌ، يَتبَعُهُ

الْمُحسِنُونَ مِمَّنْ صَلَّى عَلَيهِ، وَإِنَّمَا هُوَ وَصفٌ أَغلَبِيٌّ؛ لِأَنَّ غَالِبَ النَّاسِ لَهُم أَهلٌ وَمَالٌ.

[قَال الحَافظُ رَحِمَهُ اللَّهُ]: «قَالَ الْكَرْمَانِيُّ: التَّبَعِيَّةُ فِي حَدِيثِ أَنَسٍ بَعْضُهَا حَقِيقَةٌ وَبَعْضُهَا مَجَازٌ؛ فَيُسْتَفَادُ مِنْهُ اسْتِعْمَالُ اللَّفْظِ الْوَاحِدِ فِي حَقِيقَتِهِ وَمَجَازِهِ.

قُلْتُ: هُوَ فِي الْأَصْلِ حَقِيقَةٌ فِي الْحِسِّ وَيَطْرُقُهُ الْمَجَازُ فِي الْبَعْضِ، وَكَذَا الْمَالُ، وَأَمَّا الْعَمَلُ فَعَلَى الْحَقِيقَةِ فِي الْجَمِيعِ، وَهُوَ مَجَازٌ بِالنِّسْبَةِ إِلَى التَّبَعِيَّةِ فِي الْحِسِّ». [انتهى كلامه].

قَالَ ابنُ بَازٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: النِّسَاءُ مَنهِيَّاتٌ؛ يَعْنِي: عَنِ اتِّبَاعِ الجَنَائِزِ، المَقصُودُ أَهلُهُ؛ يَعْنِي: مِنَ الرِّجَالِ.

[قَالَ الحَافِظُ ابنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ في «فتْحِ البَارِي» (١١/ ٣٦٦)]: «قَوْلُهُ: ﴿**إِذَا مَاتَ أَحَدُكُمْ عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ**﴾ كَذَا لِلْأَكْثَرِ، وَفِي رِوَايَةِ الْمُسْتَمْلِي وَالسَّرَخْسِيِّ: «**عَلَى مَقْعَدِهِ**»، وَهَذَا الْعَرْضُ يَقَعُ عَلَى الرُّوحِ حَقِيقَةً وَعَلَى مَا يَتَّصِلُ بِهِ مِنَ الْبَدَنِ الِاتِّصَالَ الَّذِي يُمْكِنُ بِهِ إِدْرَاكُ التَّنْعِيمِ». [انتهى كلامه].

قَالَ ابنُ بَازٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: هَذَا كَلَامُ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى حَقِيقَتِهِ، يُعرَضُ عَلَيهِ مَقعَدُهُ مِنَ الجَنَّةِ وَمَقعَدُهُ مِنَ النَّارِ، يَرَاهُمَا جَمِيعًا فِي قَبرِهِ، وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ ﷻ، هُوَ القَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيءٍ، وَإِنْ كَانَتِ الجَنَّةُ فِي مَحلٍّ رَفِيعٍ بَعِيدٍ عَنهُ، لَكِنْ هُوَ قَادِرٌ ﷻ أَنْ يُرِيَ عَبدَهُ هَذَا وَهَذَا، مَقعَدَهُ مِنَ الجَنَّةِ وَمَقعَدَهُ مِنَ النَّارِ، النَّارُ فِي أَسفَلِ سَافِلِينَ، وَالجَنَّةُ فِي أَعلَى عِلِّيِّينَ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ ﷻ.

• **س: أَحسَنَ اللهُ إِلَيكَ، وإِنْ كَانَ المَيِّتُ مِنَ المُؤمِنِينَ ولكِنْ صَاحِبُ كَبائِرَ؟**

○ **ج**: هَذَا تَحتَ مَشيئَةِ اللهِ، أَمرُه إِلَى اللهِ ﷻ؛ نَسأَلُ اللهَ العَافِيَةَ.

* * *

٦٥١٦ - حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ الْجَعْدِ، أَخْبَرَنَا شُعْبَةُ، عَنِ الأَعْمَشِ عَنْ مُجَاهِدٍ، عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا تَسُبُّوا الأَمْوَاتَ، فَإِنَّهُمْ قَدْ أَفْضَوْا إِلَى مَا قَدَّمُوا». [سبق برقم ١٣٩٣]

الشَّرح

قوله: ﴿لَا تَسُبُّوا الأَمْوَاتَ، فَإِنَّهُمْ قَدْ أَفْضَوْا إِلَى مَا قَدَّمُوا﴾، لَا يَجُوزُ سَبُّهُمْ؛ بَلْ يُدْعَى لِلمُؤمِنِ ويُكفُّ عَن غَيرِهِ؛ قَدْ أفضَوا إِلَى مَا قَدَّمُوا.

عَلَى ظاهِرِ الحَديثِ: مَن مَاتَ فلَا يَنبَغِي سَبُّه، قد أَفضَى إِلَى ما قَدَّم مِن خَيرٍ وشَرٍّ، لكِنِ استَثنَى بَعضُ الأَئمَّةِ مَن يُخشَى شَرُّه عِندَ ذِكرِه، فإِذَا سُبَّ؛ يَعنِي: ذُمَّ، السَّبُّ: الذَّمُّ؛ يَعنِي: تَحذِيرًا من شَرِّه وبِدعَتِه ونَحوِ ذَلِكَ فهُوَ لَا يَدخُل فِي هَذَا إِذَا كَانَ بهَذَا القَصْدِ، كَمَا وَقَعَ للنَّبِيِّ ﷺ، ولغَيرِهِ فِي هَذَا البَابِ ما يَدلُّ عَلَى ذمِّ أَهلِ الشَّرِّ والتَّحذِيرِ مِنهُم، وإِنْ كَانُوا أَمواتًا من بَابِ التَّحذِيرِ مِن بِدَعِهِم وشَرِّهِم.

مِثلَما فِي الحَديثِ الصَّحِيحِ أنَّ النَّبِيَّ ﷺ مُرَّ عَليهِ بجَنازَةٍ فأَثْنَوا عَليهَا خَيرًا؛ فقَالَ: «وَجَبَتْ»، ثُمَّ مُرَّ بأُخرَى فأَثْنَوا عَليهَا شَرًّا فقَالَ: «وَجَبَت» ولم يُنكِرْ عَليهِم، قِيلَ: يا رَسُولَ اللهِ، ما وَجَبت؟ قَالَ: «أَثنَيتُم عَلَى هَذَا خَيرًا فوَجَبَتْ لَهُ الجَنَّةُ، وأَثنَيتُمْ عَلَى هَذَا شَرًّا فوَجَبَتْ لَهُ النَّارُ، أَنتُمْ شُهَدَاءُ اللهِ فِي الأَرْضِ»[1]؛ فدَلَّ ذَلِكَ عَلَى أنَّ الميِّتَ الَّذِي قد عُرِف بالشَّرِّ والفَسَادِ إِذَا ذُمَّ وشُهِد عَليهِ بِالشَّرِّ لِلتَّحذيرِ من شَرِّه، والتَّحذِيرِ مِنَ التَّأسِّي بِهِ لَا حَرَجَ فِي ذَلِكَ، ولَا يَكُونُ مِنَ السَّبِّ الَّذِي نُهِي عَنهُ.

• س: إِذَا سَنَّ فِي الإِسلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً؟

○ ج: كسَائرِ أَهلِ البِدَعِ.

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٦٧)، ومسلم (٩٤٩) عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

• **س: وكذَلِكَ الكَافِرُ الله يَرضَى عَلَيكَ؟**

○ ج: لَا يُسَبُّونَ بَعدَ الْمَوتِ.

• **س: عَلَى العُمُومِ؟**

○ ج: نَعَمْ.

• **س: عَفَا اللهُ عَنكَ يَا شَيخُ، التَّعذِيبُ وَالتَّنعِيمُ فِي القَبرِ يَكُونُ عَلَى الرُّوحِ وَالبَدَنِ أو عَلَى الرُّوحِ فَقَطْ؟**

○ ج: عَلَى الرُّوحِ وَالبَدَنِ جَمِيعًا، لَكِنْ نَصِيبُ الرُّوحِ مِنَ النَّعِيمِ وَالعَذَابِ أَشَدُّ.

• **س: أَحسَنَ اللهُ إِلَيكَ، هُنَاكَ بَعضُ الكُتُبِ تُثنِي عَلَى الكَفَرَةِ وَالْمَلَاحِدَةِ، فَـأَلَا يُبَيَّنُ مَثَلًا لِمَنْ يَدرُسُهَا أَحوَالَ هَؤُلَاءِ؟**

○ ج: النَّهْيُ عَنِ السَّبِّ، وَأَمَّا الثَّنَاءُ، فَلَا بَأسَ عَلَى مَن يَستَحِقُّ الثَّنَاءَ، النَّهْيُ عَنِ السَّبِّ، أَمَّا الثَّنَاءُ لَا بَأسَ بِالثَّنَاءِ لِمَنْ يَستَحِقُّ الثَّنَاءَ مِنَ المُؤْمِنِينَ، أَوْ ذِكرُ أَخبَارِ الكَافِرِينَ الَّتِي تَنفَعُ النَّاسَ.

• **س: أَقصِدُ الثَّنَاءَ فِي أَدِيَانِهِمْ، عَفَا اللهُ عَنكَ؟**

○ ج: لا، أَدْيَانُهُمْ بَاطِلَةٌ، لَا يُثنَى عَلَيهِمْ فِيهَا.

• **س: الجَمعُ بَينَ هَذَا الحَدِيثِ: «لَا تَسُبُّوا الأَموَاتَ»، وَحَدِيثُ: «فَأَثْنَوْا عَلَيْهَا شَرًّا»؟**

○ ج: هَذَا يَختَصُّ بِمَن أَظهَرَ الشَّرَّ، مَن أَظهَرَ الشَّرَّ فَلَا غِيبَةَ لَهُ.

• **س: حَتَّى وَلَو بَعدَ مَوتِهِ يَا شَيخُ؟**

○ ج: مَا لَهُ غِيبَةٌ إِذَا دَعَتِ الْمَصلَحَةُ إِلَى ذَلِكَ؛ لِأَنَّ الرَّسُولَ ﷺ مَا أَنكَرَ لَمَّا أَثْنُوا عَلَيهِ شَرًّا، قَالَ: «وَجَبَتْ لَهُ النَّارُ» نَسأَلُ اللهَ العَافِيَةَ، فَلَو قُلتُ: أَبُو جَهلٍ لَا خَيرَ فِيهِ شَرُّهُ عَظِيمٌ، وَأَبُو لَهَبٍ شَرُّهُ عَظِيمٌ، اللهُ قَدْ بَيَّنَ شَرَّهُمْ.

• **س: يَكُونُ مَن أَظهَرَ يُسَبُّ وَلَو بَعدَ مَوتِهِ؟**

○ ج: نَعَمْ.

• س: أَحسَنَ اللهُ إِلَيكَ، مَأمُومٌ رَأَى فِي الصَّفِّ الَّذِي أَمَامَهُ فُرجَةً، لَكِنَّهَا لَيسَتْ أَمَامَهُ مُبَاشَرَةً؛ بَلْ لَا بُدَّ أَنْ يَأخُذَ يَمِينًا، ثُمَّ يَتَقَدَّمُ، وَقَدْ فَعَلَ ذَلِكَ؟

○ ج: لَا بَأسَ، يَسُدُّ الفُرجَةَ وَلَو أَخَذَ يَمِينًا أَوْ شِمَالًا، إِذَا كَانَت فُرجَةٌ يَسُدُّهَا.

• س: أَحسَنَ اللهُ إِلَيكَ، مَأمُومٌ صَلَّى فَرَكَعَ الإِمَامُ، فَظَنَّ الْمَأمُومُ أَنَّهُ سَجَدَ، فَسَجَدَ الْمَأمُومُ ثُمَّ تَنَبَّهَ، فَقَامَ وَرَكَعَ وَالإِمَامُ لَمْ يَرفَعْ مِن رُكُوعِهِ، فَهَلْ عَلَيهِ شَيءٌ؟

○ ج: لا، مَا عَلَيهِ شَيءٌ، مَا دَامَ تَبِعَهُ وَلَحِقَهُ الحَمدُ للهِ، إِذَا كَانَ مَسبُوقًا يَسجُدُ لِلسَّهوِ إِذَا قَضَى مَا عَلَيهِ.

• س: أَحسَنَ اللهُ عَمَلَكَ يَا شَيخُ، سَدُّ الفُرجَةِ يُستَحَبُّ وَإِنْ كَثُرَتْ؟

○ ج: مُستَحَبٌّ أَوْ وَاجِبٌ، بَينَ الوُجُوبِ وَالسُّنِّيَّةِ.

• س: حَدِيثُ: «لَتُسَوُّونَ صُفُوفَكُمْ، أَوْ لَيُخَالِفَنَّ اللهُ بَينَ وُجُوهِكُمْ»[1] عَلَى ظَاهِرِهِ حِسًّا، أَوِ الْمُرَادُ المَعْنَى الاخْتِلَافُ وَالتَّفَرُّقُ؟

○ ج: ظَاهِرُهُ الوَعِيدُ، «لَيُخَالِفَنَّ اللهُ بَينَ وُجُوهِكُمْ» مِن جِهَةِ - وَاللهُ أَعلَمُ - مَا يَقَعُ مِن الشَّرِّ وَالفَسَادِ وَالاخْتِلَافِ، كُلٌّ يَكُونُ لَهُ وَجهٌ؛ يَعْنِي: مِن جِهَةِ الأَعمَالِ الَّتِي تُفَرِّقُهُمْ؛ عُقُوبَةً لَهُم فِي تَركِ التَّسْوِيَةِ.

• س: حَملُهُ عَلَى ظَاهِرِهِ كَمَا فِي الحَدِيثِ: «أَمَا يَخشَى الَّذِي يَرفَعُ رَأسَهُ قَبلَ الإِمَامِ أَنْ يُحَوِّلَ اللهُ رَأسَهُ رَأسَ حِمَارٍ»[2]؟

○ ج: اللهُ أَعلَمُ، لِيَحذَرِ الْمُؤمِنُ كُلَّ شَيءٍ.

---

(١) أخرجه البخاري (٧١٧)، ومسلم (٤٣٦)، عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه البخاري (٦٩١)، ومسلم (٤٢٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

٤٣ ـ بَاب نَفْخِ الصُّورِ، قَالَ مُجَاهِدٌ: الصُّورُ كَهَيْئَةِ الْبُوقِ، ﴿زَجْرَةٌ﴾ [الصافات: ١٩]: صَيْحَةٌ وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: ﴿النَّاقُورِ﴾ [المدثر: ٨]: الصُّورُ، ﴿الرَّاجِفَةُ﴾ [النازعات: ٦]: النَّفْخَةُ الأُولَى، وَ﴿الرَّادِفَةُ﴾ [النازعات: ٧]: النَّفْخَةُ الثَّانِيَة

٦٥١٧ ـ حَدَّثَنِي عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ عَبْدِ اللهِ، قال: حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ وَعبد الرحمٰن الأَعْرَجِ أَنَّهُمَا حَدَّثَاهُ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ قَالَ: اسْتَبَّ رَجُلَانِ: رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَرَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ، فَقَالَ الْمُسْلِمُ: وَالَّذِي اصْطَفَى مُحَمَّدًا عَلَى الْعَالَمِينَ، فَقَالَ الْيَهُودِيُّ: وَالَّذِي اصْطَفَى مُوسَى عَلَى الْعَالَمِينَ، قَالَ: فَغَضِبَ الْمُسْلِمُ عِنْدَ ذَلِكَ، فَلَطَمَ وَجْهَ الْيَهُودِيِّ، فَذَهَبَ الْيَهُودِيُّ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَأَخْبَرَهُ بِمَا كَانَ مِنْ أَمْرِهِ وَأَمْرِ الْمُسْلِمِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا تُخَيِّرُونِي عَلَى مُوسَى؛ فَإِنَّ النَّاسَ يَصْعَقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَأَكُونُ فِي أَوَّلِ مَنْ يُفِيقُ، فَإِذَا مُوسَى بَاطِشٌ بِجَانِبِ الْعَرْشِ، فَلَا أَدْرِي أَكَانَ مُوسَى فِيمَنْ صَعِقَ فَأَفَاقَ قَبْلِي، أَوْ كَانَ مِمَّنِ اسْتَثْنَى اللهُ ﷻ». [سبق برقم ٢٤١١، وأخرجه مسلم، برقم ٢٣٧٣]

الشَّرح

(ع): وَهَذَا مِن بَابِ التَّوَاضُعِ، قَولُهُ: ﴿لَا تُخَيِّرُونِي﴾ مِن بَابِ التَّوَاضُعِ عَلَيهِ الصلاة والسلام، وَمَنْعِ النَّاسِ مِنَ التَّعَصُّبِ الَّذِي لَا وَجهَ لَهُ، فَإِنَّ اليَهُودَ مُتَعَصِّبُونَ لِمُوسَى عليه الصلاة والسلام؛ فَخَشِيَ عَلَى أُمَّتِهِ التَّعَصُّبَ الَّذِي قَدْ يُفضِي بِهِم إِلَى تَنَقُّصِ الأَنبِيَاءِ، وَقَدْ قَالَ ﷺ: «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ وَلَا فَخرَ»[1]

(١) أخرجه الترمذي (٣١٤٨)، وابن ماجه (٤٣٠٨)، وأحمد (١٧/ ١٠) رقم (١٠٩٨٧) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه. =

عَلَيهِ الصلاة والسلام، فَهُوَ سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ، وَمُوسَى عليه الصلاة والسلام اصْطَفَاهُ الله عَلَى عَالَمِي زَمَانِهِ، وَبَنُو إِسرَائِيلَ اصْطَفَاهُمُ اللهُ عَلَى عَالَمِي زَمَانِهِم، وَأَمَّا هَذَا الزَّمَانُ زمَانُ مُحَمَّدٍ ﷺ فَهُمْ أَفضَلُ النَّاسِ، أُمَّتُهُ خُيرُ الأُمَمِ، وَهُوَ خَيرُ الأَنْبِيَاءِ عَلَيهِ الصلاة والسلام، قَالَ تَعَالَى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، فَبَنُو إِسرَائِيلَ مُصطَفَونَ فِي زَمَانِهِمْ، وَهُمْ أَفضَلُ أَهلِ زَمَانِهِمْ، وَمُوسَى أَفضَلُ الأَنْبِيَاءِ فِي زَمَانِهِ، فَاصْطَفَاهُ اللهُ بِرِسَالَاتِهِ، وَلَهُ مَزِيَّةٌ وَهُوَ مِنْ أُولِي العَزمِ مِنَ الرُّسُلِ، وَمِنْ أَفضَلِ الأَنْبِيَاءِ، وَمِنْ خِيرَةِ الأَنبِيَاءِ، وَلَكِنْ مُحَمَّدٌ ﷺ هُوَ أَفضَلُهُمْ، ثُمَّ يَلِيهِ إِبرَاهِيمُ عَلَيهِ الصلاة والسلام.

وقوله: ﴿لَا تُخَيِّرُونِي عَلَى مُوسَى﴾: وهَذَا عِندَ أهلِ العِلمِ مَحمُولٌ عَلَى التَّوَاضُعِ مِنهُ ﷺ، أَنَّهُ قَالَ هَذَا تواضعًا فِي لَفظِ: «لا تُفَضِّلُوني»[1]، وفِي لَفظِ: ﴿لا تُخَيِّرُوني﴾.

وقال بَعضُهُم: إِنَّمَا هَذَا إِذَا كَانَ عَلَى سَبيلِ الحَميَّةِ، وعَدمِ النَّظرِ فِي الأَدِلَّةِ الشَّرعيَّةِ؛ فَيَنبَغِي أن يَكُونَ التَّفضيلُ بالأَدِلَّةِ لَا بمُجرَّدِ الحَميَّةِ لنَبيٍّ دونَ نَبيٍّ، أو قَومٍ دُونَ قَومٍ؛ بل عَلَى حَسبِ الأَدِلَّةِ الشَّرْعِيَّةِ، وقَدْ ثَبَتَ بالأَدِلَّةِ الشَّرعِيَّةِ أَنَّهُ أفضَلُ من مُوسَى، وأَنَّهُ أَفضَلُ الرُّسلِ عليه الصلاة والسلام، وقَد قَالَ ﷺ: «أَنَا سيِّدُ وَلدِ آدَمَ يَومَ القِيامَةِ ولَا فَخْرَ»، اللَّهُمَّ صلِّ عَليهِ وسَلِّم.

وفِي هَذَا: أَنَّهُ لم يُعاتِبِ الأَنصارِيَّ لم يُؤدِّبْه ولم يَضرِبْه وقد لَطَمَ وجْهَ اليَهودِيِّ؛ فهَذَا قد يُستفَادُ مِنهُ أَنَّهُ عَلَى حقٍّ؛ حَيثُ أَنكَر عَليهِ هَذَا المُنكَرَ، ولكِنَّه أَمَر ﷺ تَواضُعًا أَمرَهُم أَلَّا يُفضِّلُوه ولَا يُخيِّرُوه، أو سدًّا لبَابِ الحَميَّةِ

= وأخرجه مسلم (٢٢٧٨) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ، وَأَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ».

(١) أخرجه الطحاوي في «شرح معاني الآثار» (٤/ ٣١٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

الَّتِي لَيسَ لَهَا أَساسٌ؛ بل عَلَى سَبيلِ الحَميَّةِ، أمَّا عَلَى سَبيلِ التَّفضِيلِ بالأدِلَّةِ الشَّرعيَّةِ فلَا حَرجَ فِي ذَلِكَ كَمَا هُوَ مَعلُومٌ مِنَ الأدلَّةِ الشَّرعيَّةِ.

وأمَّا هَذِه الصَّعقَةُ؛ فالصَّوابُ فِيهَا أنَّهَا فِي يَومِ القِيامَةِ كَمَا قَالَ النَّبيُّ ﷺ: ﴿يَومَ القِيامَةِ﴾، غَيرُ الصَّعقتَينِ المَعروفَتَينِ، غَيرُ صَعقةِ الفَزعِ والمَوتِ، وغَيرُ صَعقةِ البَعثِ والنُّشورِ، هُما صَعقَتانِ عَلَى الصَّحِيحِ: إحداهُما طَويلةٌ عَظيمةٌ لِلمَوتِ، والثَّانِيةُ طَويلةٌ عَظيمةٌ للبَعثِ والنُّشورِ.

أمَّا قَولُ مَن قَالَ: إنَّها ثَلاثٌ، وإنَّ نَفخةَ الفَزعِ غَيرَ نَفخةِ الصَّعقِ فهُوَ قَولٌ ضَعيفٌ، والأحَادِيثُ فِي هَذَا ضَعيفَةٌ؛ حَديثُ إسماعِيلَ بنِ رافِعٍ الأنصارِيِّ ضَعيفٌ، وأمَّا هَذِه الصَّعقَةُ الَّتِي أفاقَ مِنهَا ورَأى مُوسَى باطِشًا بقَائِمةِ العَرشِ هَذِه عِندَ اجتِماعِ النَّاس يَومَ القِيامَةِ بَعدَ البَعثِ والنُّشورِ.

وقَولُه: ﴿فلَا أَدرِي أَكانَ مِمَّن استَثنَى اللهُ﴾، فِي الرِّوايَةِ الأُخرَى: «**أم قد جُوزِيَ بصَعقَةِ الطُّورِ**»[1]، وهِيَ المَحفُوظةُ، هَذِه كَانَت يَومَ القِيامَةِ عِندَ اجتِماعِ النَّاسِ، يُصعَقُ النَّاسُ وتُصِيبُهُم غَشيةٌ عِندَ مَجيءِ الرَّبِّ يَومَ القِيامَةِ، يَعظُمُ عَليهِم الأمرُ فيُغشَى النَّاسُ غَشيةً وهُم أحياءُ يَومَ القِيامَةِ؛ فإذَا أفاقَ وَجَد مُوسَى باطِشًا بقَائِمةِ العَرشِ، فلَا يَدرِي أفاقَ قَبلَه بهَذِه الصَّعقةِ أم جُوزِيَ بصَعقةِ الطُّورِ السَّابِقةِ فِي الدُّنيَا.

• **س: تَكونُ ثَالِثةً؟**

○ **ج**: هَذِه بَعدَ البَعثِ والنُّشورِ، أمَّا صَعقةُ أهلِ الدُّنيَا فهِيَ ثِنتَانِ قَبلَ القِيامَةِ؛ يَعنِي: وَاحِدةٌ لِلفَزعِ والصَّعقِ يَمُدُّها إسرافِيلُ مَدَّةً طَويلةً حتَّى إنَّ مَن سَمِعها يُصغِي لِيتًا ويَرفَعُ لِيتًا هَكَذا وهَكَذا يَتسمَّعُون لَهَا، حتَّى تَطُولَ وتَعظُمَ، ثُمَّ إذَا امتَدَّت هَالَتِ النَّاسَ، ومَاتَ النَّاسُ مِنهَا، حتَّى إنَّ الرَّجُلَ يَرفَعُ اللُّقمةَ فلَا يَأكُلُها، وحتَّى إنَّ الرَّجلَ يَلوطُ حَوضَ إبِلِه فلَا يَسقِيهَا كَمَا تَقدَّم، وحتَّى أنَّ

(١) أخرجه البخاري (٣٣٩٨، ٦٩١٧)، ومسلم (٢٣٧٤) عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الرَّجُلَ يَمُدُّ الثَّوبَ مَعَ أَخيهِ فلَا يَستَطِيعانِ أن يَطوِياهُ ولَا يَبتَاعاهُ، تَبغَتُهُمُ الصَّعقَةُ فيَمُوتُون.

• **س: أَحسَنَ اللهُ إِليكَ، الصَّاعِقةُ تُسمَّى الرَّادِفةَ؟**

○ ج: تُسمَّى الرَّادِفةَ وصَاعِقةٌ وفَزعٌ .اللهُ أَكبَرُ.

• **س: تَسمِيَةُ صَاحِبِ الصُّورِ بِإِسرَافِيلَ صَحِيحٌ؟**

○ ج: نَعَمْ، جَاءَتْ بِهِ الأَحَادِيثُ. وَهِي نَفخَتَانِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ۝٦ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ۝٧﴾ [النازعات: ٦، ٧] الرَّاجِفَةُ الأُولَى نَفخَةُ الصَّعقِ وَالْمَوتِ، وَيُقَالُ لَهَا: نَفخَةُ الفَزَعِ، وَالثَّانِيَةُ نَفخَةُ البَعثِ وَالنُّشُورِ، أَمَّا حَدِيثُ الصُّورِ فِيهِ ثَلَاثُ نَفخَاتٍ، وَحَدِيثُ الصُّورِ ضَعِيفٌ؛ لِأَنَّهُ مِنْ رِوَايَةِ إِسمَاعِيلَ، فَهُوَ ضَعِيفٌ لِمَا فِيهِ مِنَ الأَشيَاءِ الْمُنكَرَةِ، وَلِضَعفِ إِسمَاعِيلَ الْمَكِّيِّ.

فَالمَقصُودُ أَنَّ النَّفخَتَينِ ثِنتَانِ فَقَطْ: نَفخَةُ الفَزَعِ وَهِيَ نَفخَةُ الصَّعقِ، وَالثَّانِيَةُ نَفخَةُ البَعثِ وَالنُّشُورِ؛ فَالأُولَى يَمُوتُ النَّاسُ، يُصعَقُونَ وَيَفزَعُونَ ثُمَّ يَمُوتُونَ، وَالثَّانِيَةُ يُبعَثُونَ فَيُجَازَى كُلُّ عَامِلٍ بِعَمَلِهِ، وَأَمَّا النَّفخَةُ الَّتِي أَشَارَ إِلَيهَا، وَأَنَّ مُوسَى بَاطِشٌ بِقَائِمَةِ العَرشِ، فَهَذِهِ نَفخَةٌ يَومَ القِيَامَةِ، وَالنَّاسُ فِي القِيَامَةِ قَدْ قَامُوا، فَهِي نَفخَةٌ خَاصَّةٌ، يُصعَقُ النَّاسُ يَومَ القِيَامَةِ فَيَكُونُ ﷺ أَوَّلَ مَن يُفِيقُ.

(الشَّيخُ): راجِعْ كَلامَه عَلَى أَوَّلِ ما قَرَأتَ؟ اللهُ أَكبَرُ، الأَمرُ عَظِيمٌ نَسأَلُ اللهَ حُسنَ الخِتامِ، ولَا حَولَ ولَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ.

[قَالَ الحَافِظُ ابنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللهُ فِي «فتْحِ البَارِي» (١١/ ٣٦٧)]: «قَوْلُهُ: **﴿بَابُ نَفْخِ الصُّورِ﴾** تَكَرَّرَ ذِكْرُهُ فِي الْقُرْآنِ فِي (الْأَنْعَامِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالنَّمْلِ وَالزُّمَرِ وَق) وَغَيْرِهَا، وَهُوَ بِضَمِّ الْمُهْمَلَةِ وَسُكُونِ الْوَاوِ، وَثَبَتَ كَذَلِكَ فِي الْقِرَاءَاتِ الْمَشْهُورَةِ وَالْأَحَادِيثِ، وَذُكِرَ عَنِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ أَنَّهُ قَرَأَهَا بِفَتْحِ الْوَاوِ جَمْعُ صُورَةٍ». [انتهى كلامه].

قَالَ ابنُ بَازٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: فِي الصُّورِ؛ يَعنِي: الأَروَاحَ إِذَا رُدَّت الأَرواحُ إِلَى أَجسَادِهَا يَعنِي، لكِنَّ هَذَا قَولٌ شاذٌّ لَيسَ بشَيءٍ، وإِنَّمَا هُوَ الصُّورُ فَقَط: القَرنُ الَّذِي يُنفَخُ فِيهِ.

[قَالَ الحَافظُ رَحِمَهُ اللَّهُ]: «وَتَأَوَّلَهُ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ النَّفْخُ فِي الْأَجْسَادِ لِتُعَادَ إِلَيْهَا الْأَرْوَاحُ، وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ فِي «الْمَجَازِ»: يُقَالُ: الصُّورُ؛ يَعْنِي: بِسُكُونِ الْوَاوِ جَمْعُ صُورَةٍ، كَمَا يُقَالُ: سُورُ الْمَدِينَةِ جَمْعُ سُورَة، قَالَ الشَّاعِر:

لـمّـا أتَـى خَـبَـرُ الـزّبَـيـر تَـوَاضَـعَـتْ سورُ المدينةِ.....

فَيَسْتَوِي مَعْنَى الْقِرَاءَتَيْنِ، وَحَكَى مِثْلَهُ الطَّبَرِيُّ عَنْ قَوْمٍ، وَزَادَ كَالصُّوفِ جَمْعِ صُوفَةٍ؛ قَالُوا: وَالْمُرَادُ النَّفْخُ فِي الصُّورِ، وَهِيَ الأجساد لتعاد فِيهَا الْأَرْوَاحُ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾ [الحجر: ٢٩]. وَتُعُقِّبَ قَوْلُهُ: «جَمْعٌ» بِأَنَّ هَذِهِ أَسْمَاءُ أَجْنَاسٍ لَا جُمُوعٌ، وَبَالَغَ النَّحَّاسُ وَغَيْرُهُ فِي الرَّدِّ عَلَى التَّأْوِيلِ. وَقَالَ الْأَزْهَرِيُّ: إِنَّهُ خِلَافُ مَا عَلَيْهِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ.

قُلْتُ: وَقَدْ أَخْرَجَ أَبُو الشَّيْخِ فِي كِتَابِ «الْعَظَمَةِ» مِنْ طَرِيقِ وَهْبِ بْنِ مُنَبِّهٍ مِنْ قَوْلِهِ قَالَ: «خَلَقَ اللهُ الصُّورَ مِنْ لُؤْلُؤَةٍ بَيْضَاءَ فِي صَفَاءِ الزُّجَاجَةِ، ثُمَّ قَالَ لِلْعَرْشِ: خُذِ الصُّورَ؛ فَتَعَلَّقْ بِهِ، ثُمَّ قَالَ: كُنْ فَكَانَ إِسْرَافِيلُ، فَأَمَرَهُ أَنْ يَأْخُذَ الصُّورَ فَأَخَذَهُ وَبِهِ ثُقْبٌ بِعَدَدِ كل روح مخلوقة وَنَفس منفُوسةٍ...» فذكَرَ الحَديثَ، وَفِيهِ: «ثُمَّ تُجْمَعُ الْأَرْوَاحُ كُلُّهَا فِي الصُّورِ، ثُمَّ يَأْمُرُ اللهُ إِسْرَافِيلَ فَيَنْفُخُ فِيهِ؛ فَتَدْخُلُ كُلُّ رُوحٍ فِي جَسَدِهَا». فَعَلَى هَذَا فَالنَّفْخُ يَقَعُ فِي الصُّورِ أَوَّلًا؛ لِيَصِلَ النَّفْخُ بِالرُّوحِ إِلَى الصُّورِ وَهِيَ الْأَجْسَادُ؛ فَإِضَافَةُ النَّفْخِ إِلَى الصُّورِ الَّذِي هُوَ الْقَرْنُ حَقِيقَةٌ، وَإِلَى الصُّورِ الَّتِي هِيَ الْأَجْسَادُ مَجَازٌ.

قَوْلُهُ: «قَالَ مُجَاهِدٌ: الصُّورُ كَهَيْئَةِ الْبُوقِ» وَصَلَهُ الْفِرْيَابِيّ من طَرِيق ابن أَبِي نَجِيحٍ عَنْ مُجَاهِدٍ، قَالَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ﴾ [الكهف: ٩٩]، قَالَ: كَهَيْئَةِ الْبُوقِ، وَقَالَ صَاحِبُ «الصِّحَاحِ»: الْبُوقُ الَّذِي يُزْمَرُ بِهِ، وَهُوَ

مَعْرُوفٌ، وَيُقَالُ لِلْبَاطِلِ؛ يَعْنِي: يُطْلَقُ ذَلِكَ عَلَيْهِ مَجَازًا؛ لِكَوْنِهِ مِنْ جِنْسِ الْبَاطِلِ.

تَنْبِيهٌ: لَا يَلْزَمُ مِنْ كَوْنِ الشَّيْءِ مَذْمُومًا أَنْ لَا يُشَبَّهَ بِهِ الْمَمْدُوحُ؛ فَقَدْ وَقَعَ تَشْبِيهُ صَوْتِ الْوَحْيِ بِصَلْصَلَةِ الْجَرَسِ، مَعَ النَّهْيِ عَنِ اسْتِصْحَابِ الْجَرَسِ، كَمَا تَقَدَّمَ تَقْرِيرُهُ فِي بَدْءِ الْوَحْيِ، وَالصُّورُ إِنَّمَا هُوَ قَرْنٌ كَمَا جَاءَ فِي الْأَحَادِيثِ الْمَرْفُوعَةِ، وَقَدْ وَقَعَ فِي قِصَّةِ بَدْءِ الْأَذَانِ بِلَفْظِ الْبُوقِ، وَالْقَرْنِ فِي الْآلَةِ الَّتِي يَسْتَعْمِلُهَا الْيَهُودُ لِلْأَذَانِ، وَيُقَالُ: إِنَّ الصُّورَ اسْمُ الْقَرْنِ بِلُغَةِ أَهْلِ الْيَمَنِ، وَشَاهِدُهُ قَوْلُ الشَّاعِرِ:

نَحْنُ نَفَخْنَاهُمْ غَدَاةَ النَّقْعَيْنِ ... نَطْحًا شَدِيدًا لَا كَنَطْحِ الصُّورَيْنِ

وَأَخْرَجَ أَبُو دَاوُد وَالتِّرْمِذِيّ وَحسنه، وَالنَّسَائِيّ وَصَححهُ ابن حِبَّانَ وَالْحَاكِم مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ قَالَ: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: مَا الصُّورُ؟ قَالَ: «**قَرْنٌ يُنْفَخُ فِيهِ**». وَالتِّرْمِذِيُّ أَيْضًا وَحَسَّنَهُ مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ مَرْفُوعًا: «**كَيْفَ أَنْعَمُ وَصَاحِبُ الصُّورِ قَدِ الْتَقَمَ الْقَرْنَ وَاسْتَمَعَ الْإِذْنَ مَتَى يُؤْمَرُ بِالنَّفْخِ؟**». وَأَخْرَجَهُ الطَّبَرَانِيُّ مِنْ حَدِيث زيد بن أَرقم وابن مَرْدَوَيْه، مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَلِأَحْمَدَ وَالْبَيْهَقِيِّ من حَدِيث ابن عَبَّاس وَفِيهِ: «**جِبْرِيلُ عَنْ يَمِينِهِ وَمِيكَائِيلُ عَنْ يَسَارِهِ، وَهُوَ صَاحِبُ الصُّورِ**»؛ يَعْنِي: إِسْرَافِيلَ، وَفِي أَسَانِيدِ كُلٍّ مِنْهُمَا مَقَالٌ، وَلِلْحَاكِمِ بِسَنَدٍ حَسَنٍ عَنْ يَزِيدَ بْنِ الْأَصَمِّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَفَعَهُ: «**إِنَّ طَرَفَ صَاحِبِ الصُّورِ مُنْذُ وُكِّلَ بِهِ مُسْتَعِدٌّ يَنْظُرُ نَحْوَ الْعَرْشِ؛ مَخَافَةَ أَنْ يُؤْمَرَ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْهِ طَرْفُهُ، كَأَنَّ عَيْنَيْهِ كَوْكَبَانِ دُرِّيَّانِ**».

قَوْلُهُ: «زَجْرَةٌ صَيْحَةٌ» هُوَ مِنْ تَفْسِيرِ مُجَاهِدٍ أَيْضًا، وَصَلَهُ الْفِرْيَابِيُّ مِنْ طَرِيق ابن أَبِي نَجِيحٍ عَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الصافات: ١٩]، قَالَ: صَيْحَةٌ. وَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ﴿١٩﴾ فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ ﴿١٤﴾﴾ [النازعات: ١٣، ١٤] قَالَ: صَيْحَةٌ. قُلْتُ: وَهِيَ

عِبَارَةٌ عَنْ نَفْخِ الصُّورِ النَّفْخَةَ الثَّانِيَةَ، كَمَا عَبَّرَ بِهَا عَنِ النَّفْخَةِ الْأُولَى فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ﴾ الْآيَة [يس: ٤٩].

قَوْله: «قَالَ ابن عَبَّاس: الناقور الصُّور» وَصله الطَّبَرِيّ وابن أَبِي حَاتِم مِنْ طَرِيقِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ، عَنِ ابن عَبَّاس فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ ۝٨﴾ [المدثر: ٨] قَالَ: الصُّورُ، وَمَعْنَى نُقِرَ نُفِخَ قَالَهُ فِي الْأَسَاسِ. وَأَخْرَجَ الْبَيْهَقِيُّ مِنْ طَرِيقٍ أُخْرَى عَنِ ابن عَبَّاس فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ ۝٨﴾ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**كَيْفَ أَنْعَمُ وَقَدِ الْتَقَمَ صَاحِبُ الْقَرْنِ الْقَرْنَ...**» الْحَدِيثَ.

تَنْبِيهٌ: اشْتُهِرَ أَنَّ صَاحِبَ الصُّورِ إِسْرَافِيلُ عليه السلام، وَنَقَلَ فِيهِ الْحَلِيمِيُّ الْإِجْمَاعَ، وَوَقَعَ التَّصْرِيحُ بِهِ فِي حَدِيثِ وَهْبِ بْنِ مُنَبِّهٍ الْمَذْكُورِ، وَفِي حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ عِنْدَ الْبَيْهَقِيِّ، وَفِي حَدِيث أبي هُرَيْرَة عِنْد ابن مَرْدَوَيْهِ». [انتهى كلامه].

قَالَ ابنُ بَازٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: نَسأَلُ اللهَ حُسنَ العَاقِبةِ.

* * *

٦٥١٨ حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، حَدَّثَنَا أَبُو الزِّنَادِ، عَنِ الأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قال النَّبِيُّ ﷺ: «يَصْعَقُ النَّاسُ حِينَ يَصْعَقُونَ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ قَامَ، فَإِذَا مُوسَى آخِذٌ بِالْعَرْشِ، فَمَا أَدْرِي أَكَانَ فِيمَنْ صَعِقَ»، رَوَاهُ أَبُو سَعِيدٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ. [سبق برقم ٢٤١١، وأخرجه مسلم، برقم ٢٣٧٣]

الشَّرح

قوله: ﴿**يَصْعَقُ النَّاسُ**﴾ صَعقَةٌ خَاصَّةٌ يَومَ القِيَامَةِ عِندَ مَجِيءِ الرَّبِّ عز وجل.

قوله: «**آخِذٌ بقَائِمةِ العَرشِ**»[1] **باطِشٌ وآخِذٌ بمَعنًى وَاحِدٍ.**

---

(١) أخرجه البخاري (٢٤١٢) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

قوله: «قَائِمةِ العَرشِ».

رُكنٌ من أَركانِهِ؛ يَعنِي: الَّتِي تَحمِلُ العَرشَ؛ يَعنِي: القَواعِدَ الَّتِي تَحمِلُ العَرشَ.

والعَرشُ يُؤتَى بِهِ يَومَ القِيامَةِ للفَصْلِ بَينَ القَضَاءِ، واللهُ يَجيءُ يَومَ القِيامَةِ للفَصلِ للقَضاءِ بَينَ عِبادِهِ، غَيرَ المَلائكَةِ الثَّمانِيةِ، الَّذِينَ كَانُوا يَحمِلُونَها فِي الدُّنيَا ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ ﴿١٧﴾﴾ يَومَ القِيامَةِ عَلَى أَحدِ القَولَين، وفِي الدُّنيَا أَربعَةٌ، وهَذِه قَائِمةٌ مِنَ القَوائِمِ يَومَ القِيامَةِ بَعدَ البَعثِ والنُّشورِ؛ اللهُ المُستَعانُ.

٤٤ ـ بَاب يَقْبِضُ اللَّهُ الأَرْضَ يوم القيامة، رَوَاهُ نَافِعٌ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ

٦٥١٩ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مُقَاتِلٍ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللهِ، أَخْبَرَنَا يُونُسُ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عن أبي سلمة، حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال: «يَقْبِضُ اللهُ الأَرْضَ، وَيَطْوِي السَّمَاءَ بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَيْنَ مُلُوكُ الأَرْضِ؟». [سبق برقم ٤٨١٢، وأخرجه مسلم، برقم ٢٧٨٧]

٦٥٢٠ حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ، حَدَّثَنَا اللَّيْثُ عَنْ خَالِدٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي هِلَالٍ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخَدْرِيِّ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «تَكُونُ الأَرْضُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ خُبْزَةً وَاحِدَةً، يَتَكَفَّؤُهَا الْجَبَّارُ بِيَدِهِ، كَمَا يَكْفَأُ أَحَدُكُمْ خُبْزَتَهُ فِي السَّفَرِ، نُزُلًا لأَهْلِ الْجَنَّةِ»، فَأَتَى رَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ فَقَالَ: بَارَكَ الرَّحْمَنُ عَلَيْكَ يَا أَبَا الْقَاسِمِ، أَلَا أُخْبِرُكَ بِنُزُلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ: «بَلَى» قَالَ: تَكُونُ الأَرْضُ خُبْزَةً وَاحِدَةً كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ، فَنَظَرَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَيْنَا، ثُمَّ ضَحِكَ

حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ، ثُمَّ قَالَ: «أَلَا أُخْبِرُكَ بِإِدَامِهِمْ؟» قَالَ: إِدَامُهُمْ بَالَامٌ وَنُونٌ، قَالُوا: وَمَا هَذَا؟ قَالَ: «ثَوْرٌ وَنُونٌ، يَأْكُلُ مِنْ زَائِدَةِ كَبِدِهِمَا سَبْعُونَ أَلْفًا». [وأخرجه مسلم، برقم ٢٧٩٢]

الشَّرح

يُقالُ: كَبْد وكَبِد، تُكسَرُ البَاءُ وتُسكَنُ.

• س: أَحسَنَ اللهُ إِليكَ، السَّبعُونَ ألفًا هم الَّذِينَ يَدخُلونَ الجَنَّةَ من دونِ حِسابٍ؟

○ ج: اللهُ أَعلَمُ؛ يَحتاجُ إِلَى تأمُّلٍ. قِيلَ: أَهلُ الجَنَّةِ.

• س: أَحسَنَ اللهُ إِليكَ، اليَومُ هَذَا يَوم الجَزاءِ؛ هلِ المُؤمِنونَ يَكُونُون؛ يَعنِي: مَكسِيِّينَ أو عُرياَنِينَ فِي الوُقوفِ هَذَا؟

○ ج: الوُقوفُ عُراةٌ، أَوَّلُ مَن يُكسَى إِبراهِيمُ عليه السلام.

• س: لَا يَأكُلونَ ولَا يَشرَبُونَ، حتَّى المُؤمِنونَ فِي اليَومِ هَذَا الطَّوِيلِ؟

○ ج: النَّاسُ مَشغُولُونَ بالهَمِّ العَظِيمِ، أَمَّا وَقتَ الكُسوَةِ اللهُ أَعلَمُ، أَوَّلُ مَن يُكسَى إِبراهِيمُ، ثُمَّ يُكسَى الأَنبياءُ والمُؤمِنونَ، لكِنْ مَتَى يَكُونُ هَذَا؟ اللهُ أَعلَمُ، فِي أَثناءِ اليَومِ أو بَعدَ دُخُولِهِمُ الجَنَّةَ؟ اللهُ أَعلَمُ.

• س: أَحسَنَ اللهُ إِليكَ، هَذَا السَّندُ مُرسلٌ يا شَيخُ؟

(القَارِئُ): حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مُقَاتِلٍ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللهِ، أَخْبَرَنَا يُونُسُ[1] عَنْ أَبِي سَلَمَةَ رضي الله عنه.

(الشَّيخُ): يُونسُ عَنِ الزُّهريِّ.

(الطُّلابُ): نَعَم، عِندَنا هَكَذا.

---

(١) كذا فِي نسخة القارئ (عَن يونس عَن أبي سلمة).

[قالَ الحَافِظُ ابنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «فتْحِ البَارِي» (١١/ ٣٧٢)]: «قَوْلُهُ: «عَنْ أَبِي سَلَمَةَ» كَذَا قَالَ يُونُسُ، وَخَالَفَهُ عَبْدُ الرَّحْمٰنِ بْنُ خَالِدٍ فَقَالَ: عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ». [انتهى كلامه].

قَالَ ابنُ بَازٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: خَالَفه فِي شَيخِ الزُّهرِيِّ، وإلَّا الزُّهرِيُّ مَوجُودٌ؛ لأنَّ يُونُسَ يَروِيه عَنِ الزُّهرِيِّ عَن أَبِي سَلمةَ، وفِي رِوايَةٍ أُخرَى: عَنِ الزُّهرِيِّ عَن سَعيدِ بنِ المُسيَّبِ بَدَلَ أبي سَلَمةَ؛ فالزُّهرِيُّ مَوجودٌ عَلَى كلِّ حالٍ، سَقَط عِندَك.

• **س: عَفَا اللهُ عَنكَم يَا شَيخُ، فِي البَابِ السَّابِقِ: لَمَّا قَالَ: «كَمَا يَكفَأُ أَحَدُكُمْ خُبزَتَهُ»، أَمَا فِي هَذَا تَشْبِيهٌ؟**

○ **ج**: هَذِهِ لِأَهلِ الجَنَّةِ، هَذِهِ خُبزَةٌ لِأَهلِ الجَنَّةِ خَاصَّةً.

* * *

٦٥٢١ - حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ أَبِي مَرْيَمَ، أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، قال: حَدَّثَنِي أَبُو حَازِمٍ قال: سَمِعْتُ سَهْلَ بْنَ سَعْدٍ قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى أَرْضٍ بَيْضَاءَ، عَفْرَاءَ كَقُرْصَةِ نَقِيٍّ»، قَالَ سَهْلٌ، أَوْ غَيْرُهُ: «لَيْسَ فِيهَا مَعْلَمٌ لأَحَدٍ». [وأخرجه مسلم، برقم ٢٧٩٠]

الشَّرح

وتُنسَفُ الجِبالُ، وتَذهَبُ الأَشيَاءُ، وتَبقَى أَرضًا نَقيَّةً لَيسَ فِيهَا عِوجٌ ولَا أَمتٌ، سُبحانَ الحَكيمِ العَليمِ!

(ع): كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾﴾ [طه: ١٠٥، ١٠٦]، اللهُ أَكْبَرُ، اللهُ المُستَعَانُ.

٤٥ ـ بَاب الحَشْرِ

٦٥٢٢ حَدَّثَنَا مُعَلَّى بْنُ أَسَدٍ، حَدَّثَنَا وُهَيْبٌ، عَنِ ابْنِ طَاوُوسٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال: «يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى ثَلَاثِ طَرَائِقَ، رَاغِبِينَ، ورَاهِبِينَ، وَاثْنَانِ عَلَى بَعِيرٍ، وَثَلَاثَةٌ عَلَى بَعِيرٍ، وَأَرْبَعَةٌ عَلَى بَعِيرٍ، وَعَشَرَةٌ عَلَى بَعِيرٍ، وَيَحْشُرُ بَقِيَّتَهُمُ النَّارُ، تَقِيلُ مَعَهُمْ حَيْثُ قَالُوا، وَتَبِيتُ مَعَهُمْ حَيْثُ بَاتُوا، وَتُصْبِحُ مَعَهُمْ حَيْثُ أَصْبَحُوا، وَتُمْسِي مَعَهُمْ حَيْثُ أَمْسَوْا». [وأخرجه مسلم، برقم ٢٨٦١]

الشَّرح

يَعنِي: إِلَى المَحشَرِ إِلَى جِهةِ الشَّامِ، قَبلَ النَّفخِ يُحشَرُونَ إِلَى أَرضِ الْمَحشَرِ.

(ع): هَذَا عِندَ النَّفخَةِ الأُولَى، حِينَ يُحشَرُونَ بِالنَّارِ الَّتِي تَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ، آخِرُ الآيَاتِ حَشرُ النَّارِ يَومَ القِيَامَةِ، قَبلَ قِيَامِ السَّاعَةِ، اللهُ المُستَعَانُ.

[قالَ الحَافِظُ ابنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ في «فتْحِ البَارِي» (١١/ ٣٧٨)]: «قَوْلُهُ: ﴿بَابُ الْحَشْرِ﴾ قَالَ الْقُرْطُبِيُّ: الْحَشْرُ الْجَمْعُ، وَهُوَ أَرْبَعَةٌ: حَشْرَانِ فِي الدُّنْيَا، وَحَشْرَانِ فِي الْآخِرَةِ؛ فَالَّذِي فِي الدُّنْيَا: أَحَدُهُمَا: الْمَذْكُورُ فِي سُورَةِ الْحَشْرِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ﴾ [٢].

وَالثَّانِي: الْحَشْرُ الْمَذْكُورُ فِي أَشْرَاطِ السَّاعَةِ الَّذِي أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ رَفَعَهُ: «إِنَّ السَّاعَةَ لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرَوْا قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ...» فَذَكَرَهُ.

وَفِي حَدِيثِ ابنِ عُمَرَ عِنْدَ أَحْمَدَ وَأَبِي يَعْلَى مَرْفُوعًا: «تَخْرُجُ نَارٌ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مِنْ حَضْرَمَوْتَ فَتَسُوقُ النَّاسَ...» الْحَدِيثَ، وَفِيهِ: فَمَا تَأْمُرُنَا؟ قَالَ:

«عَلَيْكُمْ بِالشَّامِ»، وَفِي لَفْظٍ آخَرَ: «ذَلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنْ قَعْرِ عَدَنَ تُرَحِّلُ النَّاسَ إِلَى الْمَحْشَرِ».

قُلْتُ: وَفِي حَدِيثِ أَنَسٍ فِي مَسَائِلِ عَبْدِ اللهِ بْنِ سَلَامٍ لَمَّا أَسْلَمَ: «أَمَّا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ فَنَارٌ تَحْشُرُ النَّاسَ مِنَ الْمَشْرِقِ إِلَى الْمَغْرِبِ». وَقَدْ قَدَّمْتُ الْإِشَارَةَ إِلَيْهِ فِي بَابِ طُلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَأَنَّهُ مَذْكُورٌ فِي بَدْءِ الْخَلْقِ، وَفِي حَدِيثِ عَبْدِ اللهِ ابْنِ عَمْرٍو عِنْدَ الْحَاكِمِ رَفَعَهُ: «تُبْعَثُ نَارٌ عَلَى أَهْلِ الْمَشْرِقِ فَتَحْشُرُهُمْ إِلَى الْمَغْرِبِ، تَبِيتُ مَعَهُمْ حَيْثُ بَاتُوا وَتَقِيلُ مَعَهُمْ حَيْثُ قَالُوا، وَيَكُونُ لَهَا مَا سَقَطَ مِنْهُمْ، وَتَخَلَّفَ تَسُوقُهُمْ سَوْقَ الْجَمَلِ الْكَسِيرِ».

وَقَدْ أَشْكَلَ الْجَمْعُ بَيْنَ هَذِهِ الْأَخْبَارِ، وَظَهَرَ لِي فِي وَجْهِ الْجَمْعِ أَنَّ كَوْنَهَا تَخْرُجُ مِنْ قَعْرِ عَدَنَ لَا يُنَافِي حَشْرَهَا النَّاسَ مِنَ الْمَشْرِقِ إِلَى الْمَغْرِبِ، وَذَلِكَ أَنَّ ابْتِدَاءَ خُرُوجِهَا مِنْ قَعْرِ عَدَنَ؛ فَإِذَا خَرَجَتِ انْتَشَرَتْ فِي الْأَرْضِ كُلِّهَا.

وَالْمُرَادُ بِقَوْلِهِ: «تَحْشُرُ النَّاسَ مِنَ الْمَشْرِقِ إِلَى الْمَغْرِبِ» إِرَادَةُ تَعْمِيمِ الْحَشْرِ لَا خُصُوصِ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، أَوْ أَنَّهَا بَعْدَ الِانْتِشَارِ أَوَّلَ مَا تَحْشُرُ أَهْلَ الْمَشْرِقِ، وَيُؤَيِّدُ ذَلِكَ أَنَّ ابْتِدَاءَ الْفِتَنِ دَائِمًا مِنَ الْمَشْرِقِ كَمَا سَيَأْتِي تَقْرِيرُهُ فِي كِتَابِ الْفِتَنِ.

وَأَمَّا جَعْلُ الْغَايَةِ إِلَى الْمَغْرِبِ فَلِأَنَّ الشَّامَ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْمَشْرِقِ مَغْرِبٌ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ تَكُونَ النَّارُ فِي حَدِيثِ أَنَسٍ كِنَايَةً عَنِ الْفِتَنِ الْمُنْتَشِرَةِ الَّتِي أَثَارَتِ الشَّرَّ الْعَظِيمَ وَالْتَهَبَتْ كَمَا تَلْتَهِبُ النَّارُ، وَكَانَ ابْتِدَاؤُهَا مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ حَتَّى خَرِبَ مُعْظَمُهُ وَانْحَشَرَ النَّاسُ مِنْ جِهَةِ الْمَشْرِقِ إِلَى الشَّامِ وَمِصْرَ وَهُمَا مِنْ جِهَةِ الْمَغْرِبِ، كَمَا شوهد ذَلِك مرارًا منَ الْمغل مِنْ عَهْدِ جَنْكِزْخَانْ وَمَنْ بَعْدَهُ، وَالنَّارُ الَّتِي فِي الْحَدِيثِ الْآخَرِ عَلَى حَقِيقَتِهَا وَاللهُ أَعْلَمُ.

وَالْحَشْرُ الثَّالِثُ: حَشْرُ الْأَمْوَاتِ مِنْ قُبُورِهِمْ وَغَيْرِهَا بَعْدَ الْبَعْثِ جَمِيعًا إِلَى الْمَوْقِفِ، قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾﴾ [الكهف: ٤٧].

وَالرَّابِعُ: حَشْرُهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ أَوِ النَّارِ. انْتَهَى مُلَخَّصًا بِزِيَادَاتٍ.

قُلْتُ: الْأَوَّلُ لَيْسَ حَشْرًا مُسْتَقِلًّا؛ فَإِنَّ الْمُرَادَ حَشْرُ كُلِّ مَوْجُودٍ يَوْمئِذٍ، وَالْأَوَّلُ إِنَّمَا وَقَعَ لِفِرْقَةٍ مَخْصُوصَةٍ، وَقَدْ وَقَعَ نَظِيرُهُ مِرَارًا تَخْرُجُ طَائِفَةٌ مِنْ بَلَدِهَا بِغَيْرِ اخْتِيَارِهَا إِلَى جِهَةِ الشَّامِ كَمَا وَقَعَ لِبَنِي أُمَيَّةَ أول مَا تَولَّى ابنُ الزُّبَيْرِ الْخِلَافَةَ فَأَخْرَجَهُمْ مِنَ الْمَدِينَةِ إِلَى جِهَةِ الشَّامِ وَلَمْ يعُدَّ ذَلِكَ أَحَدٌ حَشْرًا، وَذَكَرَ الْمُصَنِّفُ فِيهِ سِتَّةَ أَحَادِيثَ». [انتهى كلامه].

[قال الإمَامُ العَينِيُّ في «عُمدَةِ القَارِي» (٢٣/ ١٠٥)]: «قَالَ الْخَطَّابِيُّ: هَذَا الْحَشْرُ قُبَيلَ قِيَامِ السَّاعَةِ، يُحْشَرُ النَّاسُ أَحْيَاءً إِلَى الشَّامِ، وَأَمَّا الْحَشْرُ مِنَ الْقُبُورِ إِلَى الْمَوقِفِ فَهُوَ عَلَى خِلَافِ هَذِه الصُّورَةِ: مِن الرُّكُوبِ عَلَى الْإِبِلِ، وَالتَّعَاقُبِ عَلَيْهَا، وَإِنَّمَا هُوَ عَلَى مَا وَرَدَ فِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي الْبَابِ: «**حُفَاةً عُرَاةً مُشَاةً**». [انتهى كلامه].

(الطَّالِبُ): وَذَكَرَ عَنْ بَعضِ شُرَّاحِ «الْمَصَابِيحِ» قَالَ: «حَمْلُهُ عَلَى الْحَشْرِ مِنَ الْقُبُورِ أَقْوَى مِنْ أَوجُهٍ، وَذَكَرَ وُجُوهًا طَوَينَا ذِكرَهَا، وَاكْتفَينَا بِمَا قَالَهُ الْخطَّابِيُّ الَّذِي ذَكرْنَاهُ الْآنَ، وَفِيه كِفَايَةٌ لِلرَّدِّ عَلَيْهِ، عَلَى أَنَّه قَدْ وَرَدَتْ عِدَّةُ أَحَادِيثَ فِي وُقُوعِ الْحَشْرِ فِي الدُّنْيَا»[1]. [انتهى كلامه].

قَالَ ابنُ بَازٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَهَذَا لَا شَكَّ، هَذَا حَشرٌ فِي الدُّنْيَا فِي آخِرِ الزَّمَانِ، وَمِنْ أَشرَاطِ السَّاعَةِ، فَإِنَّ آخِرَ الآيَاتِ حَشرُ النَّارِ، تَحشُرُهُمْ إِلَى مَا شَاءَ اللهُ، وَالْمَعرُوفُ فِي الأَحَادِيْثِ أَنَّهَا تَحشُرُهُمْ إِلَى الشَّامِ، وَلَعَلَّ بَعْضَهَمْ يُحشَرُ إِلَى الْمَغرِبِ، فَلِلَّهِ الحِكمَةُ ﷻ، إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ، ثُمَّ تَقُومُ السَّاعَةُ عَلَيهِمْ.

- **س: هِيَ آخِرُ الآيَاتِ؛ يَعْنِي: خُرُوج النَّارِ؟**

○ **ج**: آخِرُ آيَاتِ قِيَامِ السَّاعَةِ.

---

(١) «عمدة القاري شرح صحيح البخاري» (٢٣/ ١٠٥).

• س: حَدِيثُ أَنَسٍ ﷺ تَقَدَّمَ فِي الشَّرحِ، قَالَ: أَمَّا أَوَّلُ أَشرَاطِ السَّاعَةِ فَنَارٌ تَحشُرُهُمْ؟

○ ج: هَذَا أَوَّلُهَا؛ يَعْنِي: مُبَاشَرَةً، وإِلَّا أَوَّلُهَا الحَقِيقَة: الْمَهدِيُّ، ثُمَّ الدَّجَّالُ، ثُمَّ نُزُولُ عِيسَى عليه الصلاة والسلام، لَكِنِ الأَوَّلُ النِّسْبِيُّ وَهُوَ مَا فِي الحَدِيثِ؛ يَعْنِي: عِندَ قِيَامِهَا حَشرُ النَّارِ، بَعضُ الرِّوَايَاتِ يُطلِقُ الأَوَّلِيَّةَ عَلَى خُرُوجِ الدَّابَّةِ، كُلُّهَا مُتَناسِبَةٌ نِسبِيَّاتٌ، وَالمَقصُودُ أَنَّ هَذِهِ الآيَاتِ كُلَّهَا تَكُونُ عِندَ قِيَامِ السَّاعَةِ.

* * *

٦٥٢٣ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا يُونُسُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْبَغْدَادِيُّ، حَدَّثَنَا شَيْبَانُ، عَنْ قَتَادَةَ، حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ ﷺ «أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا نَبِيَّ اللهِ، كَيْفَ يُحْشَرُ الْكَافِرُ عَلَى وَجْهِهِ؟ قَالَ: «أَلَيْسَ الَّذِي أَمْشَاهُ عَلَى الرِّجْلَيْنِ فِي الدُّنْيَا قَادِرًا عَلَى أَنْ يُمْشِيَهُ عَلَى وَجْهِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟»، قَالَ قَتَادَةُ: بَلَى، وَعِزَّةِ رَبِّنَا». [سبق برقم ٤٧٦٠، وأخرجه مسلم، برقم ٢٨٠٦]

الشَّرح

(ع): نَسأَلُ اللهَ العَافِيَةَ وَلَا حَولَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ.

هَذَا إِشارةٌ إِلَى قَولِه تَعالَى: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾ [الإسراء: ٩٧]؛ فالَّذِي أَمشَاهُ عَلَى رِجلَيهِ فِي الدُّنيَا هُوَ القادِرُ سُبحانَهُ عَلَى أَنْ يُمشِّيَه عَلَى وَجهِه فِي الآخِرَةِ؛ نَسأَلُ اللهَ العَافِيَةَ، لَا حَولَ ولَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ.

* * *

٦٥٢٤ حَدَّثَنَا عَلِيٌّ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ قَالَ عَمْرٌو: سَمِعْتُ سَعِيدَ بْنَ جُبَيْرٍ، سَمِعْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ، سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّكُمْ مُلَاقُو اللهِ: حُفَاةً، عُرَاةً، مُشَاةً، غُرْلًا»، قَالَ سُفْيَانُ: هَذَا مِمَّا نَعُدُّ أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ سَمِعَهُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ». [سبق برقم ٣٣٤٩، وأخرجه مسلم، برقم ٢٨٦٠]

٦٥٢٥ - حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ عَمْرٍو، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَخْطُبُ عَلَى الْمِنْبَرِ يَقُولُ: «إِنَّكُمْ مُلَاقُو اللهِ حُفَاةً، عُرَاةً، غُرْلًا».

[سبق برقم ٣٣٤٩، وأخرجه مسلم، برقم ٢٨٦٠]

الشرح

اللهُ أكبَرُ، ومَعنَى ﴿غُرًّا﴾ كَمَا هُوَ مَعلومٌ؛ أي: غَيْرَ مَختُونِينَ، تُعادُ الجِلدةُ الَّتِي قُطِعَت مِنهُم، تُعادُ إِلَيهِم: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٤]، ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ [الروم: ٢٧].

• س: مَعنى مُشاةً؟

○ ج: عَلَى ظاهِرِه، مُشاةً بدُونِ نِعالٍ، حُفاةٌ.

* * *

٦٥٢٦ - حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، حَدَّثَنَا غُنْدَرٌ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ النُّعْمَانِ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: «قَامَ فِينَا النَّبِيُّ ﷺ يَخْطُبُ فَقَالَ: «إِنَّكُمْ مَحْشُورُونَ حُفَاةً، عُرَاةً غُرلًا ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ﴾ الآيَةَ [الأنبياء: ١٠٤]، وَإِنَّ أَوَّلَ الْخَلَائِقِ يُكْسَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِبْرَاهِيمُ الخليل، وَإِنَّهُ سَيُجَاءُ بِرِجَالٍ مِنْ أُمَّتِي، فَيُؤْخَذُ بِهِمْ ذَاتَ الشِّمَالِ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أُصَيْحَابِي، فَيَقُولُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ، فَأَقُولُ كَمَا قَالَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾ [المائدة: ١١٧، ١١٨] قَالَ: فَيُقَالُ: إِنَّهُمْ لَمْ يَزَالُوا مُرْتَدِّينَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ». [سبق برقم ٣٣٤٩، وأخرجه مسلم، برقم ٢٨٦٠]

الشَّرح

وهَذِه فِي المُرتدِّين، الَّذِينَ ارتَدُّوا فِي عَهدِ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه؛ نَسأَلُ اللهَ العَافِيةَ.

(ع): وَهَؤُلَاءِ هُمْ أَهلُ الرِّدَّةِ، الَّذِينَ ارْتَدُّوا وَقَاتَلَهُمُ الصِّدِّيقُ رضي الله عنه.

* * *

٦٥٢٧ حَدَّثَنَا قَيْسُ بْنُ حَفْصٍ، حَدَّثَنَا خَالِدُ بْنُ الْحَارِثِ، حَدَّثَنَا حَاتِمُ بْنُ أَبِي صَغِيرَةَ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ، قال: حَدَّثَنِي الْقَاسِمُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ أَنَّ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «تُحْشَرُونَ حُفَاةً، عُرَاةً، غُرْلًا» قَالَتْ عَائِشَةُ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ؟ فَقَالَ: «الأَمْرُ أَشَدُّ مِنْ أَنْ يُهِمَّهُمْ ذَاكِ».

[وأخرجه مسلم، برقم ٢٨٥٩]

٦٥٢٨ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، حَدَّثَنَا غُنْدَرٌ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ عَمْرِو بْنِ مَيْمُونٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ قال: «كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي قُبَّةٍ فَقَالَ: «أَتَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا رُبُعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟» قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: «أَتَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟» قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: «أَتَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا شَطْرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟» قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، إِنِّي لأَرْجُو أَنْ تَكُونُوا شَطرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَذَلِكَ أَنَّ الْجَنَّةَ لَا يَدْخُلُهَا إِلَّا نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ، وَمَا أَنْتُمْ فِي أَهْلِ الشِّرْكِ إِلَّا كَالشَّعْرَةِ الْبَيْضَاءِ فِي جِلْدِ الثَّوْرِ الأَسْوَدِ، أَوْ كَالشَّعْرَةِ السَّوْدَاءِ فِي جِلْدِ الثَّوْرِ الأَحْمَرِ».

[طرفه في: ٦٦٤٢، وأخرجه مسلم، برقم ٢٢١]

الشَّرح

يَعنِي: المُؤمِنينَ من أُمَّتِه يَكونُونَ نِصفَ أَهلِ الجَنَّة، والنِّصفُ الآخَرُ لبَقيَّةِ

المُؤمِنينَ من جَميعِ الأُمَمِ، وجَاءَ فِي بَعضِ الرِّواياتِ أنَّهُم «**ثُلُثَا أَهلِ الجَنَّة، وأنَّ أَهلَ الجَنَّةِ مِائةٌ وعِشرُونَ صَفًّا، وأنَّ أُمَّةَ مُحمَّدٍ المُؤمِنونَ مِنهُم ثَمانُونَ صَفًّا**»[1]، ورَبُّك عَلَى كلِّ شَيءٍ قَديرٌ؛ فهَذِه الأُمَّةُ لَهَا شَأنٌ عَظيمٌ، وهِيَ أُمَّةٌ عَظيمَةٌ واسِعةٌ، وقد طَالَ أَمَدُها بَعدَهُ ﷺ؛ فآمَنَ مِنهَا الجَمُّ الغَفيرُ.

(ع): ﴿**إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ تَكُونُوا شَطرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ**﴾: يَعْنِي: أُمَّتَهُ عَلَيهِ الصلاة والسلام، المُؤمِنِينَ مِن أَصحَابِهِ وَمَن تَبِعَهُمْ بِإحسَانٍ. اللهُ أَكبَرُ.

• **س: مِائةٌ وعِشرُونَ صَفًّا؟**

○ ج: نَعَم.

• **س: مَا جَاءَ الثُّلُثَانِ، أَحسَنَ اللهُ إِلَيكَ؟**

○ ج: بَلَى جَاءَتْ رِوَايَةٌ «**أَنَّ أَهلَ الجَنَّةِ مِائَةٌ وَعِشرُونَ صَفًّا، وَإِنِّي لَأَرجُو أَنْ تَكُونُوا ثَمَانِينَ**»، أَوْ كَمَا قَالَ عَلَيهِ الصلاة والسلام.

وقَولُهُ: ﴿**وَمَا أَنْتُمْ فِي أَهْلِ الشِّرْكِ إِلَّا كَالشَّعْرَةِ الْبَيْضَاءِ فِي جِلْدِ الثَّوْرِ الْأَسْوَدِ، أَوْ كَالشَّعْرَةِ السَّوْدَاءِ فِي جِلْدِ الثَّوْرِ الْأَحْمَرِ**﴾: اللهُ أَكبَرُ، وَهَذَا لِلحَدِيثِ الآخَرِ: «**يَدخُلُ الجَنَّةَ مِن كُلِّ أَلفٍ وَاحِدٌ، تِسعُمِائَةٍ وَتِسعة وَتِسعُونَ مِن أَهلِ النَّارِ**»[2]، نَسأَلُ اللهَ العَافِيَةَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿**وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ ١٠٣**﴾ [يوسف: ١٠٣].

[قالَ الحَافِظُ ابنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ في «فتحِ البَارِي» (١١/ ٣٨٧)]: «قَوْلُهُ:

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٥٤٦)، وابن حبان (٧٤٥٩)، والحاكم (١/ ٨١)، وأحمد (٣٨/ ٢٣) رقم (٢٢٩٤٠) عن بريدة بن الحصيب رضي الله عنه. وحسنه الترمذي، وصححه الحاكم.

(٢) أخرجه البخاري (٣٣٤٨)، ومسلم (٢٢٢) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: يَا آدَمُ، فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، وَالخَيْرُ فِي يَدَيْكَ، فَيَقُولُ: أَخْرِجْ بَعْثَ النَّارِ، قَالَ: وَمَا بَعْثُ النَّارِ؟، قَالَ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَ مِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ....**».

﴿أَتَرْضَوْنَ﴾ فِي رِوَايَةِ يُوسُفَ: «إِذْ قَالَ لِأَصْحَابِهِ: **أَلَا تَرْضَوْنَ**»، وَفِي رِوَايَةِ إِسْرَائِيلَ: «**أَلَيْسَ تَرْضَوْنَ**»، وَفِي رِوَايَةِ مَالِك بنِ مِغوَلٍ: «**أَتُحِبُّونَ**»، قَالَ ابنُ التِّينِ: ذَكَرَهُ بِلَفْظِ الِاسْتِفْهَامِ لِإِرَادَةِ تَقْرِيرِ الْبِشَارَةِ بِذَلِكَ، وَذَكَرَهُ بِالتَّدْرِيجِ لِيَكُونَ أَعْظَمَ لِسُرُورِهِمْ.

قَوْلُهُ: ﴿قُلْنَا: نَعَمْ﴾، فِي رِوَايَةِ يُوسُفَ: قَالُوا: بَلَى. وَلِمُسْلِمٍ مِنْ طَرِيقِ أَبِي الْأَحْوَصِ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ: فَكَبَّرْنَا. فِي الْمَوْضِعَيْنِ، وَمِثْلُهُ فِي حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الْآتِي فِي الْبَابِ الَّذِي يَلِيهِ، وَزَاد: «فَحَمِدْنَا»، وَفِي حَدِيثِ ابنِ عَبَّاسٍ: «فَفَرِحُوا»، وَفِي ذَلِكَ كُلِّهِ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّهُمُ اسْتَبْشَرُوا بِمَا بَشَّرَهُمْ بِهِ؛ فَحَمِدُوا اللهَ عَلَى نِعْمَتِهِ الْعُظْمَى، وَكَبَّرُوهُ اسْتِعْظَامًا لِنِعْمَتِهِ بَعْدَ اسْتِعْظَامِهِمْ لِنِقْمَتِهِ.

قَوْلُهُ: ﴿إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ تَكُونُوا شَطْرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ﴾ فِي رِوَايَةِ أَبِي الْأَحْوَصِ وَإِسْرَائِيلَ فَقَالَ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ»، وَقَالَ: «**نِصْفَ**» بَدَلَ «**شَطْرَ**»، وَفِي حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ: «**إِنِّي لَأَطْمَعُ**» بَدَلَ «**لَأَرْجُو**» وَوَقَعَ لِهَذَا الْحَدِيثِ سَبَبٌ يَأْتِي التَّنْبِيهُ عَلَيْهِ عِنْدَ شَرْحِ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ، وَزَادَ الْكَلْبِيُّ عَنْ أَبِي صَالِحٍ عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ فِي نَحْوِ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ: «**وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ تَكُونُوا نِصْفَ أَهْلِ الْجَنَّةِ؛ بَلْ أَرْجُو أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَيْ أَهْلِ الْجَنَّةِ**» وَلَا تَصِحُّ هَذِهِ الزِّيَادَةُ؛ لِأَنَّ الْكَلْبِيَّ وَاهٍ.

وَلَكِنِ أَخْرَجَ أَحْمَدُ وابنُ أَبِي حَاتِمٍ، مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴿١٤﴾﴾ [الواقعة: ١٣، ١٤] شَقَّ ذَلِكَ عَلَى الصَّحَابَةِ؛ فَنَزَلَتْ: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [الواقعة: ٣٩، ٤٠] فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ تَكُونُوا رُبُعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ؛ بَلْ ثُلُثَ أَهْلِ الْجَنَّةِ؛ بَلْ أَنْتُمْ نِصْفُ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَتُقَاسِمُونَهُمْ فِي النِّصْفِ الثَّانِي**». وَأَخْرَجَهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ أَحْمَدَ فِي «زِيَادَاتِ الْمُسْنَدِ»، وَالطَّبَرَانِيُّ مِنْ وَجْهٍ آخَرَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ بِلَفْظِ: «**أَنْتُمْ رُبُعُ أَهْلِ الْجَنَّةِ، أَنْتُمْ ثُلُثُ أَهْلِ الْجَنَّةِ، أَنْتُمْ نِصْفُ أَهْلِ الْجَنَّةِ، أَنْتُمْ ثُلُثَا أَهْلِ الْجَنَّةِ**».

وَأَخْرَجَ الْخَطِيبُ فِي «الْمُبْهَمَاتِ» مِنْ مُرْسَلِ مُجَاهِدٍ نَحْوَ حَدِيثِ الْكَلْبِيِّ وَفِيهِ مَعَ إِرْسَالِهِ أَبُو حُذَيْفَةَ إِسْحَاقُ بْنُ بِشْرٍ أَحَدُ الْمَتْرُوكِينَ، وَأَخْرَجَ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ مِنْ حَدِيثِ بُرَيْدَةَ رَفَعَهُ: «**أَهْلُ الْجَنَّةِ عِشْرُونَ وَمِائَةُ صَفٍّ، أُمَّتِي مِنْهَا ثَمَانُونَ صَفًّا**». وَلَهُ شَاهِدٌ مِنْ حَدِيث ابن مَسْعُودٍ بِنَحْوِهِ، وَأَتَمُّ مِنْهُ أَخْرَجَهُ الطَّبَرَانِيُّ، وَهَذَا يُوَافِقُ رِوَايَةَ الْكَلْبِيِّ، فَكَأَنَّهُ ﷺ لَمَّا رَجَا رَحْمَةَ رَبِّهِ أَنْ تَكُونَ أُمَّتُهُ نِصْفَ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَعْطَاهُ مَا ارْتَجَاهُ وَزَادَهُ، وَهُوَ نَحْوُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ۝٥﴾ [الضحى: ٥]». [انتهى كلامه].

(الشَّيخُ): اللهُ يَجعَلُنَا وَإِيَّاكُمْ مِنهُم، اللهُ يَجعَلُنَا وَإِيَّاكُمْ مِنَ النَّاجِينَ وَمِنَ السُّعَدَاءِ، فَضلُ اللهِ وَاسِعٌ.

• **س: يَكُونُ يَا شَيخُ ثُلُثَانِ أَوِ النِّصفُ؟**

○ **ج**: اللهُ أَعلَمُ، ظَاهِرُ الخَبَرِ أَنَّ اللهَ زَادَ وَجَعَلَهُمُ الثُّلُثَينِ، لِهَذِهِ الأُمَّةِ، اللهُ أَكْبَرُ.

٦٥٢٩ حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، حَدَّثَنِي أَخِي، عَنْ سُلَيْمَانَ عَنْ ثَوْرٍ، عَنْ أَبِي الْغَيْثِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال: «أَوَّلُ مَنْ يُدْعَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ آدَمُ، فَتَرَاءَى ذُرِّيَّتُهُ فَيُقَالُ: هَذَا أَبُوكُمْ آدَمُ، فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، فَيَقُولُ: أَخْرِجْ بَعْثَ جَهَنَّمَ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ كَمْ أُخْرِجُ؟ فَيَقُولُ: أَخْرِجْ مِنْ كُلِّ مِئَةٍ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ»، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، إِذَا أُخِذَ مِنَّا مِنْ كُلِّ مِئَةٍ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ، فَمَاذَا يَبْقَى مِنَّا؟ قَالَ: «إِنَّ أُمَّتِي فِي الأُمَمِ كَالشَّعَرَةِ الْبَيْضَاءِ فِي الثَّوْرِ الأَسْوَدِ».

الشَّرح

(ع): يَعْنِي: المُؤْمِنِينَ؛ يَعْنِي: اللهُ يَقُولُ: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ۝١٣﴾ [سبأ: ١٣]، اللهُ المُستَعَانُ، اللهُ يَجعَلُنَا وَإِيَّاكُمْ مِنَ النَّاجِينَ، أَمرُ القِيَامَةِ وَأَمرُ الجَنَّةِ وَهَذِهِ الأَشيَاءُ أُمُورٌ عَظِيمَةٌ، نَسأَلُ اللهَ لَنَا وَلَكُمُ العَافِيَةَ وَالسَّلَامَةَ، هَذِهِ

نَفخَةُ الفَزَعِ وَهِيَ الصَّاعِقَةُ تَحشُرُهُمْ وَيَمُوتُونَ، النِّهَايَةُ الْمَوتُ.

قوله: ﴿إِنَّ أُمَّتِي فِي الأُمَمِ كَالشَّعَرَةِ الْبَيْضَاءِ فِي الثَّوْرِ الأَسْوَدِ﴾، وفِي اللَّفظِ الآخَرِ: «إِنَّ فِيكُم أُمَّتَينِ لَا تَكونَا فِي أُمَّةٍ إِلَّا كَثَّرَتَاه: يَأجوجُ ومَأجُوجُ؛ مِنكُم وَاحِدٌ ومِنهُم أَلفٌ»[1]، اللهُ أَكبَرُ.

• س: تَقُومُ السَّاعَةُ وَهَذَا يَلُوطُ حَوضَ الإِبلِ؟

○ ج: مَا تَمَكَّنَ هَذَا يَلُوطُ حَوضَ إِبِلِهِ، فَمَا يَتَمَكَّنُ مِن سَقْيِهَا، وَهَذَا يَرفَعُ اللُّقْمَةَ فَلَا يَتَمَكَّنُ مِن أَكلِهَا، أَقسَامٌ وَأَنوَاعٌ وَطَوَائِفُ.

• س: هَذَا بَعدَ حَشرِهِمْ أَحسَنَ اللهُ إِلَيكَ؟

○ ج: هَذَا عِندَ النَّفخَةِ الأُولَى نَفخَةِ الصَّعقِ وَالفَزعِ، نَفخَةِ الْمَوتِ.

٤٦ ـ بَاب قوله ﷻ: ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ۝١﴾ [الحج: ١]، ﴿أَزِفَتِ ٱلْآزِفَةُ﴾ [النجم: ٥٧]، ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ﴾ [القمر: ١]

٦٥٣٠ ﴿ حَدَّثَنِي ﴾ يُوسُفُ بْنُ مُوسَى، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنِ الأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَقُولُ اللهُ: يَا آدَمُ، فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ، قَالَ: يَقُولُ: أَخْرِجْ بَعْثَ النَّارِ، قَالَ: وَمَا بَعْثُ النَّارِ؟ قَالَ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَمِئَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ، فَذَاكَ حِينَ يَشِيبُ الصَّغِيرُ، وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا، وَتَرَى النَّاسَ سَكْرَى، وَمَا هُمْ بِسَكْرَى، وَلَكِنَّ عَذَابَ اللهِ شَدِيدٌ»، فَاشْتَدَّ ذَلِكَ

(١) أخرجه الترمذي (٣١٦٩)، والنسائي في «الكبرى» (١١٢٧٧)، وأحمد (٣٣/ ١٣٤) رقم (١٩٩٠١)، والحاكم (١/ ٢٨)، عن عمران بن حصين ﷺ.
وصححه الترمذي، والحاكم.
وبنحوه أخرجه البخاري (٣٣٤٨)، ومسلم (٢٢٢) عن أبي سعيد الخدري ﷺ.
وسيأتي في الباب القادم.

عَلَيْهِمْ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُّنَا ذلك الرَّجُلُ؟ قَالَ: «أَبْشِرُوا، فَإِنَّ مِنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ أَلْفًا، وَمِنْكُمْ رَجُلٌ»، ثُمَّ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي فِي يَدِهِ، إِنِّي لأَطْمَعُ أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الْجَنَّةِ»، قَالَ: فَحَمِدْنَا اللهَ وَكَبَّرْنَا، ثُمَّ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي فِي يَدِهِ، إِنِّي لأَطْمَعُ أَنْ تَكُونُوا شَطْرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، إِنَّ مَثَلَكُمْ فِي الأُمَمِ، كَمَثَلِ الشَّعَرَةِ الْبَيْضَاءِ فِي جِلْدِ الثَّوْرِ الأَسْوَدِ، أَوِ الرَّقْمَةِ فِي ذِرَاعِ الْحِمَارِ». [سبق برقم ٣٣٤٨، وأخرجه مسلم، برقم ٢٢٢]

الشَّرح

هَذَا يَدلُّنا عَلَى كَثرةِ أَهلِ النَّارِ ـ نَعوذُ بِاللهِ من ذَلِكَ! ـ، وأنَّ أَكثَرَ الخَلقِ لم يَستَجِيبُوا لِلرُّسلِ عليهم الصلاة والسلام، ولم يَنقَادُوا لِمَا جَاءَت بِهِ مِنَ الهُدَى؛ فلهَذَا فِي الحَديثِ أنَّ حِصَّةَ جَهنَّمَ من كل أَلفٍ تِسعُمِائةٍ وتِسعةٌ وتِسعُونَ، وهَذَا يَدلُّ عَلَى كَثرةٍ عَظيمَةٍ، وعَلَى قِلَّةِ مَنِ استَجَابَ للأَنبِيَاءِ، وقد قَالَ سُبحانَهُ: ﴿وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ ١٠٣﴾ [يوسف: ١٠٣]، وقَالَ ﷻ: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ١٣﴾ [سبأ: ١٣]، وقَالَ سُبحانَهُ: ﴿وَلَقَدۡ صَدَّقَ عَلَيۡهِمۡ إِبۡلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٢٠﴾ [سبأ: ٢٠]، وقَالَ ﷻ: ﴿وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الأنعام: ١١٦]، وفِي قِصَّةِ نُوحٍ وهُودٍ وصَالِحٍ وغَيرِهِم بَعدَ كلٍّ وَاحِدٍ يَقولُ: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ٨﴾ [الشعراء: ٨].

هذا يُوجِبُ للمُؤمِنِ، ويُوجِبُ للعَاقلِ الحَذرَ؛ لِئلَّا يُصِيبَه ما أَصابَ الأَكثَرِين، يُوجِبُ للإِنسَانِ أن يَسأَلَ رَبَّه دائِمًا الثَّباتَ عَلَى الحَقِّ، وأن يَبتعِدَ عَن أَسبَابِ الفِتنِ وأَسبَابِ الشَّرِّ، وأن يُجاهِدَ نَفْسَه للهِ، لَعلَّ الله يَمُنُّ عَليهِ بالثَّباتِ عَلَى الحَقِّ وحُسنِ الخِتامِ.

وقد عَظُم الأَمرُ عَلَى المُسلِمينَ لمَّا أَخبَرَهم بهَذَا عليه الصلاة والسلام، قَالُوا: أَيُّنا ذَلِكَ الوَاحِدُ من كلِّ أَلفٍ؟! قَالَ: ﴿أَبشِرُوا؛ فَإِنَّ فِيكُمْ يَأجُوجَ

ومَأجُوجَ، مِنهُم أَلفٌ ومِنكُم وَاحِدٌ﴾؛ لأنَّهُم عَلَى الشَّرِّ والفَسادِ، طَائِفةٌ يَأجُوجَ ومَأجُوجَ أكثَرُهُم عَلَى الكُفرِ بِاللهِ والضَّلالِ والفَسادِ فِي الأَرضِ، وقد بَيَّنَ أنَّ المُسلِمينَ كَالشَّعرةِ البَيضَاءِ فِي جِلدِ الثَّورِ الأَسوَدِ؛ يَعنِي: يَومَ القِيامَةِ إذَا اجتَمَع النَّاسُ النَّاجِي مِنهُم كَالشَّعرةِ البَيضَاءِ فِي جِلدِ الثَّورِ الأَسوَدِ أو العَكسُ؛ فهَؤلَاءِ همُ النَّاجُونَ، ومع ذَلِكَ يَأتِي عَلَى أبوابِ الجَنَّة وَقتٌ وهِيَ كَظيظٌ مِنَ الزِّحامِ لكَثرةِ أهلِ الجَنَّةِ، لكَثرةِ الأُممِ، الأُممُ كَثيرةٌ من عَهدِ آدَمَ إلَى قِيامِ السَّاعةِ الأُممُ كَثيرةٌ، مَعَ كَونِ النَّاجينِ قَليلًا لكِنَّهُم باجتِمَاعِهِم من هَذِه الأُممِ الكَثيرةِ والقُرونِ المُتَتابِعةِ كَثُروا حتَّى صَارَت أبوابُ الجَنَّةِ عِندَ دُخولِها عَليهَا قَدرٌ مِنَ الزِّحامِ، وما بَينَ المِصرَاعَينِ أربَعُون عَامًا.

هَذَا يَدلُّ عَلَى أنَّ الدَّاخِلِين لِلجنَّةِ كَثيرُونَ مِنَ الأُمَم، وأكثرُهُم من هَذِه الأُمَّةِ، قَالَ عليه الصلاة والسلام: ﴿**أَرجُو أَنْ تَكُونُوا شَطْرَ أَهلِ الجَنَّةِ**﴾؛ يَعنِي: نِصفَ أهلِ الجَنَّةِ، وجَاءَ فِي بَعضِ الرِّوايَاتِ الأُخرَى: «**إنَّ أَهلَ الجَنَّةِ مِائةٌ وعِشرُونَ صَفًّا، وهَذِه الأُمَّةُ ثَمانُونَ مِنهَا**»[1]، هَذَا نَحوُ الثُّلُثَينِ؛ وهَذَا يَدلُّ عَلَى كَثرةِ الدَّاخِلينَ الجَنَّةَ من هَذِه الأُمَّةِ أُمَّةِ مُحمَّدٍ عليه الصلاة والسلام.

ولا يُنافِي ذَلِكَ أنَّ أهلَ النَّارِ همُ الأكثَرُون، وأنَّ الظَّالِمينَ همُ الأكثَرُونَ، وأنَّ المتخلِّفِينَ عَنِ اتِّباعِ الرُّسلِ همُ الأكثَرُونَ؛ فنَصِيبُ النَّارِ همُ الأكثَرُونَ ـ نَسأَلُ اللهَ العَافِيةَ ـ فعَلَى المُؤمِنِ أن يَحذَرَ أسبَابَ الشَّرِّ، وأن يَسْأَلَ رَبَّه الثَّباتَ عَلَى الحَقِّ، وأن يَنصَحَ للهِ ولعِبَادِه، وألَّا يَغتَرَّ بعَمَلِه، وألَّا يَعجَبَ بعَمَلِه، وأن يَحذَرَ الخَطَرَ؛ ﴿أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [الأعراف: ٩٩]؛ يَحذَرُ ويَكُونُ دائِمًا دائِمًا عَلَى حَذرٍ وعَلَى خَوفٍ وعَلَى استِعْدادٍ، وعَلَى بُعدٍ من أَسبَابِ الهَلاكِ، واللهُ المُستَعانُ، ولَا حَولَ ولَا قُوَّةَ إلَّا بِاللهِ.

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٥٤٦)، وأحمد (٣٨/ ٢٣) رقم (٢٢٩٤٠)، وابن حبان (٧٤٥٩)، والحاكم (١/ ٨١)، عن بريدة بن الحصيب ﷺ. وحسنه الترمذي، وصححه الحاكم.

(ع): **قوله: ﴿مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَمِئَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ﴾**: يَعْنِي: أَنَّ غَالِبَ الأُمَمِ قَدْ ضَلَّتْ عَنِ السَّبِيلِ، ﴿وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾﴾؛ فَالْمُؤمِنُونَ قَلِيلُونَ بِالنِّسبَةِ إِلَى الأَعدَاءِ؛ وَلِهَذَا بَعْثُ النَّارِ مِن كُلِّ أَلفٍ تِسعُمِائَةٍ وَتِسعَةٌ وَتِسعُونَ، وَنَصِيبُ الجَنَّةِ وَاحِدٌ مِن كُلِّ أَلفٍ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى قِلَّةِ أَهلِ الإِيمَانِ مِن عَهدِ آدَمَ إِلَى يَومِنَا هَذَا بِالنِّسبَةِ إِلَى الأُمَمِ، اللهُ المُستَعَانُ، نَسأَلُ اللهَ أَنْ يَجعَلَنَا وَإِيَّاكُمْ مِنَ النَّاجِينَ، اللهُ أَكْبَرُ.

• **س: أَحسَنَ اللهُ إِلَيكَ، هل مَعرُوفٌ مَكانُ يَأجُوجَ ومَأجُوجَ الآنَ؟**

○ **ج**: المَعرُوفُ فِي الشَّرقِ شَرقِ الدُّنيَا، الصِّينُ وما حَولَها هُم مَحلُّ يَأجُوجَ ومَأجُوجَ، مَحلُّ السَّدِّ ـ نَسأَلُ اللهَ العَافِيَةَ ـ الآنَ هم أَلفُ مَليونٍ وَزِيادة مَلايينَ فَوقَ ذَلِكَ، الآنَ فكَيفَ بِالعُصورِ السَّابِقةِ، الصِّينُ الشَّعبِيةُ المَعرُوفةُ الشُّيوعِيَّةُ وما حَولَها مِنَ الكَفَرةِ داخِلٌ فِيهَا، واللهُ هُوَ الَّذِي يُحصِيهِم ويَعلَمُ أَحوَالَهُم ﷻ، ومَن يَلتحِقُ بِهِم ومَن لَا يَلتَحِقُ بِهِم؛ نَسأَلُ اللهَ العَافِيَةَ.

٤٧ ـ بَاب قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾﴾ [المطففين: ٤ ـ ٦] وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾﴾ [البقرة: ١٦٦]: قَالَ: الْوُصُلَاتُ فِي الدُّنْيَا

الشرح

(ع): الَّتِي لَيسَتْ للهِ، تَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسبَابُ الَّتِي كَانَتْ بَينَهُمْ فِي غَيرِ طَاعَةِ اللهِ، مَا تَنفَعُهُمْ: ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [المؤمنون: ١٠١].

* * *

﴿٦٥٣١﴾ حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبَانَ، حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ يُونُسَ، حَدَّثَنَا ابْنُ عَوْنٍ عَنْ نَافِعٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ

ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾ [المطففين: ٦] قَالَ: «يَقُومُ أَحَدُهُمْ فِي رَشْحِهِ إِلَى أَنْصَافِ أُذُنَيْهِ». [سبق برقم ٤٩٣٨]

الشَّرح

(ع): يَعْنِي: يَعرَقُ النَّاسُ يَومَ القِيَامَةِ مِن شِدَّةِ الهَولِ، مِنهُم مَن يَأخُذُهُ العَرقُ إِلَى كَعبَيهِ، إِلَى رُكبَتَيهِ، إِلَى حَقْوِه، إِلَى فَمِهِ، اللهُ المُستَعَانُ، مِن شِدَّةِ الهَولِ، اللهُ أَكْبَرُ.

المَقصُودُ: أنَّ بَعضَ النَّاسِ ـ نَسأَلُ اللهَ العَافِيَةَ ـ يَقومُ ويُلجِمُه العَرقُ من شِدَّةِ الخَوفِ والخَطرِ والذُّعرِ، وما حَمَل مِنَ الأوزَارِ، وبَعضُ النَّاسِ رَشحُه إِلَى كَعبَيهِ، يَخوضُ فِيهِ خَوضًا، وبَعضُهم إِلَى رُكبَتِه، وبَعضُهُم إِلَى حَقوِه، النَّاسُ يَختلِفُون عَلَى حَسَبِ ما عِندَهُم مِنَ الشَّرِّ والخَيرِ، كُلَّما كَانتِ الأَعمَالُ الصَّالِحةُ أَكثَرَ صَارَ الخَوفُ أقلَّ والرَّشحُ قَليلٌ، وكُلَّما عَظُمتِ الذُّنوبُ والأَوزارُ صَارَ الرَّشحُ أَكثَرَ؛ نَسأَلُ اللهَ العَافِيَةَ.

قوله: «في رَشحِه» بسُكونِ الشِّينِ، هَذَا المَعروفُ، العَرقُ يَعنِي.

* * *

٦٥٣٢ ـ **حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ عَبْدِ اللهِ، قال: حَدَّثَنِي سُلَيْمَانُ عَنْ ثَوْرِ بْنِ زَيْدٍ، عَنْ أَبِي الْغَيْثِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قال: «يَعْرَقُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يَذْهَبَ عَرَقُهُمْ فِي الأَرْضِ سَبْعِينَ ذِرَاعًا، وَيُلْجِمُهُمْ حَتَّى يَبْلُغَ آذَانَهُمْ».** [وأخرجه مسلم، برقم ٢٨٦٣]

الشَّرح

(ع): كَالسَّيلِ، اللهُ أَكْبَرُ، لَا حَولَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ، اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ.

• **س: أَلَا يَكُونُ مِنْ شِدَّةِ الحَرِّ فِي ذَلِكَ اليَومِ؟**

○ **ج**: اللهُ أَعلَمُ.

• س: عَفَا اللهُ عَنكَ، الَّذِينَ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّ عَرشِهِ يَسلَمُونَ مِن هَذَا؟

○ ج: نَرجُو ذَلِكَ؛ لِأَنَّ الشَّمسَ تَدْنُو مِنهُمْ قَدرَ مِيلٍ، وَدُنُوُّ الشَّمسِ مِنهُمْ يَتَرَتَّبُ عَلَيهِ شِدَّةُ الحَرِّ، وَالحَرُّ يَنجُمُ عَنهُ العَرقُ العَظِيمُ.

• س: عَفَا اللهُ عَنكَ يَا شَيخُ، هَلْ نَسلُ يَأجُوجَ وَمَأجُوجَ مَوجُودٌ الآنَ، أَمْ أَنَّهُمْ سَيَخرُجُونَ فِي آخِرِ الزَّمَانِ فَيَتَكَاثَرُونَ؟

○ ج: مَوجُودُونَ وَيَخرُجُونَ فِي آخِرِ الزَّمَانِ، هُمْ مَوجُودُونَ وَيَخرُجُونَ فِي آخِرِ الزَّمَانِ مِن جِهَةِ الْمَشرِقِ مِنْ جِهَةِ الصِّينِ وَمَا حَولَهَا.

• س: أَحسَنَ اللهُ عَمَلَكَ يَا شَيخُ، فِي الحَدِيثِ: «وَمِنهُمْ إِلَى رُكبَتَيهِ وَمِنهُمْ إِلَى حَقْوَيهِ»، وَمِنهُمْ إِلَى قَدَمَيهِ؟

○ ج: يُخَفِّفُ اللهُ عَمَّنْ يَشَاءُ سُبحَانَهُ، الْمُؤمِنُونَ عَلَى خَيرٍ عَظِيمٍ، لَيسَ عَلَيهِم خَطَرٌ، الْمُؤمِنُونَ لَيسَ عَلَيهِمْ خَطَرٌ، وَلَو عَرِقُوا، اللهُ أَكْبَرُ.

٤٨ ـ بَاب القِصَاصِ يَوْمَ القِيَامَةِ، وهي الحاقة؛ لأن فيها الثَّوابَ، وحواقَّ الأمور، الحَقَّةُ، والحَاقَّةُ: واحد، والقارعة، والغاشية، والصاخة، والتغابن: غبنُ أهلِ الجنة أهلَ النار

الشَّرح

(ع): كُلُّهَا مِن أَسمَاءِ يَومِ القِيَامَةِ؛ الغَاشِيَةُ، وَالحَاقَّةُ، وَالقَارِعَةُ، كُلُّهَا مِنْ أَسمَاءِ يَومِ القِيَامَةِ، وَالصَّاخَّةُ وَالطَّامَّةُ، اللهُ المُستَعَانُ، أَمْرُهَا عَظِيمٌ.

يَعنِي: القِيَامَةَ، أَسماؤُهَا كَثيرةٌ؛ لِعِظَمِ خَطَرِها وعِظَمِ شَأنِها لَهَا أَسمَاءٌ، هِيَ الحاقَّةُ، وهِيَ القَارِعةُ، وهِيَ الطَّامَّةُ، وهِيَ الصَّاخَّةُ، وهِيَ الغَاشِيةُ، لَهَا أَسمَاءٌ كَثيرةٌ؛ نَسأَلُ اللهَ العَافِيةَ من خَطَرِها.

وقَولُه: ﴿وَالتَّغَابُنُ: غَبْنُ أَهْلِ الجَنَّةِ أَهْلَ النَّارِ﴾؛ يَعنِي: يَومَ التَّغابُنِ، يَومُ القِيامَةِ يَومُ التَّغابُنِ، هَذَا من أَسمَائِها يَومُ التَّغابُنِ؛ لأنَّ أَهلَ الجَنَّةِ يَغبِنُون أَهلَ النَّارِ؛ هَؤلَاءِ يَربَحُون وهَؤلَاءِ يَخسَرون، هَذَا أعظَمُ الغَبنِ عَلَى أَهلِ النَّارِ نَسأَلُ اللهَ العَافِيةَ، وأَعظمُ الرِّبحِ لأَهلِ الجَنَّةِ، قَومٌ يَسعَدُون سَعادةً أَبدًا لَا شَقاءَ بَعدَها، وآخَرُونَ يَخسَرُون خَسارَةً لَا نَجاحَ بَعدَها، هَذَا هُوَ الغَبنُ العَظيمُ؛ ما هُوَ غَبنُ الدُّنيَا، غَبنُ الدُّنيَا قد يُغبَنُ اليَومَ ثُمَّ يَربَحُ غدًا، لكِنَّ الغَبنَ يَومَ القِيامَةِ هُوَ الغَبنُ الَّذِي لَيسَ بَعدَهُ غَبنٌ؛ نَسأَلُ اللهَ العَافِيةَ، لَا حَولَ ولَا قُوَّةَ إلَّا بِاللهِ.

* * *

٦٥٣٣ ﴿ حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ حَفْصٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا الأَعْمَشُ، حَدَّثَنِي شَقِيقٌ سَمِعْتُ عَبْدَ اللهِ ﷺ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَوَّلُ مَا يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ فِي الدِّمَاءِ». [طرفه في: ٦٨٦٤، وأخرجه مسلم، برقم ١٦٧٨]

الشَّرح

(ع): يَعْنِي: فِيمَا بَينَهُمْ مِنَ الدِّمَاءِ، اللهُ المُستَعَانُ.

وهَذَا يُبيِّنُ خَطَرَها، وأنَّ الوَاجِبَ الحَذرُ مِنهَا، وهِيَ القَتلُ بغَيرِ حقٍّ ـ نَسأَلُ اللهَ العَافِيةَ ـ فأَوَّلُ ما يُقضَى بَينَ النَّاسِ فِي الدِّماءِ؛ لشِدَّةِ جَريمَتِها، وشِدَّةِ خَطَرِها، وكَثرةِ وُقوعِها بَينَ النَّاسِ، نَسأَلُ اللهَ العَافِيةَ، ولهَذَا جَاءَ فِي الحَديثِ الصَّحِيحِ: «**لا يَزالُ المَرءُ فِي فُسحةٍ من دِينِه مَا لَمْ يُشرِكْ بِاللهِ شَيئًا، وَمَا لَمْ يَسفِكْ دَمًا حَرَامًا**»[1]، نَسأَلُ اللهَ العَافِيةَ.

• **س: هَذَا يَدخلُ فِيهِ ـ يا شَيخُ ـ الجُروحُ البَسيطَةُ؟**

○ ج: المَقصُودُ ما كَانَ مِنَ العُدوانِ والظُّلمِ داخِلٌ فِي هَذَا؛ نَسأَلُ اللهَ العَافِيةَ.

* * *

(١) أخرجه البخاري (٦٨٦٢)، وأحمد (٩/ ٤٩٣) رقم (٥٦٨١) عن ابن عمر ﷺ.

٦٥٣٤ حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، قال: حَدَّثَنِي مَالِكٌ، عَنْ سَعِيدٍ الْمَقْبُرِيِّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قال: «مَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ مَظْلَمَةٌ لأَخِيهِ، فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهَا، فَإِنَّهُ لَيْسَ ثَمَّ دِينَارٌ، وَلَا دِرْهَمٌ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُؤْخَذَ لأَخِيهِ مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ أَخِيهِ، فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ». [سبق برقم ٢٤٤٩]

الشرح

والمَعنَى: أنَّ فِي الدُّنيَا هُناكَ قَضَاءٌ بِالمُسامَحةِ، وبِالدَّراهِمِ والدَّنانيرِ والعُرُوضِ، ولكِنْ يَومَ القِيامَةِ القَضَاءُ بِالحَسَناتِ والسَّيِّئاتِ، فليَحذَرْ وليُبادِرِ اليَومَ بِالتَّحلُّلِ من أخيهِ قبْلَ أن يَكُونَ يَومُ القِيامَةِ، ولهَذَا فِي اللَّفظِ الآخَرِ: «فلْيتَحَلَّلْه اليَومَ»[1]؛ يَعنِي: فِي الدُّنيَا قبْلَ ألَّا يَكُونَ دِرهَم ولَا دِينارٍ؛ يَعنِي: المَقصُودُ التَّحلُّلُ اليَومَ فِي حالِ السَّعةِ، فِي حالِ المُهلَةِ؛ فَإنَّهُ يَومَ القِيامَةِ لَيسَ عِندَه مالٌ يَتحلَّلُ بِهِ أَخاهُ لَا دَراهِمَ، ولَا دَنانِيرَ، ولَا عُرُوضَ، ما فِيهِ إلَّا الحَسَناتُ والسَّيِّئاتُ؛ فإنْ كَانَ لَهُ حَسَناتٌ أُخِذ من حَسَناتِه لصَاحِبِه حتَّى يُوفَّى حَقَّه؛ فإنْ لم يَكنْ لَهُ حَسَناتٌ أُخِذ من سَيِّئاتِ صاحِبِه فحُمِل عَليهِ، وفِي هَذَا الخَطرُ العَظيمُ.

ولهَذَا فِي الحَديثِ الآخَرِ يَقولُ ﷺ: «مَا تَعُدُّون المُفلِسَ فِيكُم؟» قَالُوا: مَن لَا دِرهَمَ لَهُ ولَا مَتاعَ، قَالَ: «ولكِنَّ المُفلِسَ يَومَ القِيامَةِ مَن يَأتِي بأَعمَالٍ: صَلاةٍ، وصَومٍ، وصَدَقةٍ، ويَأتِي وقَد ضَرَب هَذَا، وسَفَك دَمَ هَذَا، وأَخَذ مَالَ هَذَا، وشَتَم هَذَا، وقَذَف هَذَا؛ فيُعطَى هَذَا من حَسَناتِه، وهَذَا من حَسَناتِه؛ فإنْ فَنِيَت حَسَناتُه ولم يُقضَ ما عَليهِ أُخِذ من سَيِّئاتِهم فحُمِلَ عَليهِ ثُمَّ طُرِح فِي النَّارِ»[2].

(١) أخرجه أحمد (١٦/ ٣٣٧) رقم (١٠٥٧٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه.
(٢) أخرجه مسلم (٢٥٨١)، والترمذي (٢٤١٨) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

هَذَا هُوَ الإفلاسُ، أمَّا إفلاسُ الدُّنيَا فقَد تَرجِعُ إلَيهِ الدُّنيَا، وقد يُرزَقُ، لكِنْ إفلاسُ الآخِرَةِ فِيهِ الخَطرُ العَظيمُ، كَونُه تُؤخَذُ حَسَناتُه وتُدفَعُ لغَيرِه، أو يُحمَّلَ مِن سَيِّئاتِ غَيرِه؛ نَسأَلُ اللهَ العَافِيةَ.

والمَقصُودُ من هَذَا: المُبادَرةُ، وأن يَكُونَ الإنسَانُ حِينَ المَوتِ سَليمًا، إنْ كَانَ عِندَه حُقوقٌ يُبادِرُ بقَضائِها، وتَسدِيدِها، واستِحلَالِ أَصحابِهَا من ضَربٍ، أو سَرِقةٍ، أو شَتمٍ، أو غَيرِ هَذَا من حُقوقِ النَّاسِ، وأعظَمُ ذَلِكَ الدِّماءُ، القَتلُ والجِراحَاتُ المُؤثِّرةُ الخَطيرَةُ، هَذَا أعظَمُ ما يَكُونُ مِنَ الخَطرِ، وإذَا تَيسَّر لَهُ التَحلُّلُ فِي الدُّنيَا وإرضَاؤُهم وإنهاءُ المَوضُوعِ فِي الدُّنيَا كَانَ ذَلِكَ من أَسبَابِ سَلامَتِه.

(ع): **﴿مَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ مَظْلَمَةٌ لأَخِيهِ، فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهَا﴾**: وَهَذَا فِيهِ الحَثُّ عَلَى الْمُقَاصَّةِ فِي الدُّنْيَا وَالْمُسَامَحَةِ فِي الدُّنْيَا قَبلَ يَومِ القِيَامَةِ؛ وَلِهَذَا يَقُولُ ﷺ: **﴿مَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ لِأَخِيهِ مَظْلِمَةٌ فَلْيَتَحَلَّلْهُ اليوم قبل أَلَّا يَكُون دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ، إن كَانَ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِن حَسَنَاتِهِ بِقَدرِ مَظلَمَتِهِ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ صَاحِبِهِ فَحُمِلَ عَلَيْهِ﴾**؛ فَلْيَحرِصْ أَنْ يَتَحَلَّلَهُ اليَومَ، وَأَنْ يَتَبَايعَ مَعَهُ اليَومَ، وَأَنْ يَصطَلِحَ مَعَهُ اليَومَ، قَبلَ أَنْ تُؤخَذَ الظُّلَامَةُ مِنْ حَسَنَاتِهِ، اللهُ المُستَعَانُ.

• **س: أَحسَنَ اللهُ إِلَيكَ، كَفَّارَةُ الغِيبَةِ تَكفِي بِالدُّعَاءِ لِلمُغتَابِ؟**

○ **ج:** يَتَحَلَّلُهُ إِنْ تَيَسَّرَ، وَإِنْ لَمْ يَتَيَسَّرَ ذَكَرَهُ بِالخَيرِ الَّذِي يَعلَمُهُ مِنهُ فِي الْمَوَاضِعِ الَّتِي اغْتَابَهُ فِيهَا، يَذكُرُ مَحَاسِنَهُ فِي الْمَوَاضِعِ الَّتِي ذَكَرَ فِيهَا مَسَاوِيهِ مَعَ تَحَلُّلِهِ إِنْ تَيَسَّرَ، وَخَطَرُهَا عَظِيمٌ، خَطرُ الغِيبَةِ عَظِيمٌ. اللهُ يُعَافِينَا.

• **س: وَلَو دَعَا لَهُ وَاسْتَغفَرَ؟**

○ **ج:** الدُّعَاءُ لَهُ يُخَفِّفُ إِنْ شَاءَ اللهُ.

* * *

٦٥٣٥ حَدَّثَنَا الصَّلْتُ بْنُ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾ [الحجر: ٤٧] قال: حَدَّثَنَا سَعِيدٌ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَبِي الْمُتَوَكِّلِ النَّاجِيِّ أَنَّ أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَخْلُصُ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ، فَيُحْبَسُونَ عَلَى قَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيُقَصُّ لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ مَظَالِمُ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا، حَتَّى إِذَا هُذِّبُوا وَنُقُّوا، أُذِنَ لَهُمْ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لأَحَدُهُمْ أَهْدَى بِمَنْزِلِهِ فِي الْجَنَّةِ مِنْهُ بِمَنْزِلِهِ كَانَ فِي الدُّنْيَا». [سبق برقم ٢٤٤٠]

الشَّرح

هَذَا من رَحمةِ اللهِ ﷻ أنَّهم إذَا خَلُصُوا مِنَ الصِّراطِ، ونَجَا المُؤمِنونَ مِنَ الصِّراطِ وتَجاوَزُوه إلَى الجَنَّة وُقِفُوا فِي مَحلٍّ هُناكَ، قَنطَرةٍ بَينَ الجَنَّةِ والنَّارِ؛ يَعنِي: قبْلَ دُخُولِ الجَنَّة فيُقتَصُّ لبَعضِهِم من بَعضٍ، ويَتحاسَبُون ويُقتَصُّ لبَعضِهم من بَعضٍ؛ فإذَا هُذِّبوا ونُقُّوا فِيمَا بَينَهُم أُذن لَهُم فِي دُخُولِ الجَنَّةِ، وعِندَ ذَلِكَ يَقعُ ما قَالَ ﷻ: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٧﴾﴾. يَذهَبُ كلُّ ما فِي النُّفوسِ، ويُنزَعُ ما فِي النُّفوسِ ممَّا جَرَى فِي الدُّنيَا من أَحقَادٍ وجُحودٍ وشَحنَاءَ وغَيرِ ذَلِكَ كُلُّها ذَهَبَت، ونُقِّيَت قُلوبُهُم وهُذِّبُوا حتَّى سَلِمُوا من كُلِّ ما يُكدِّرُها؛ فيَدخُلُون الجَنَّةَ وهُم عَلَى غايَةٍ مِنَ الصَّفاءِ والمَحبَّةِ، وألَّا يَبقَى هُناكَ شَيءٌ يُكدِّرُ بَعضُهُم عَلَى بَعضٍ، وهَذَا من رَحمتِه وإحسَانِه ﷻ: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٧﴾﴾. نَسألُ اللهَ أن يَجعَلَنا وإيَّاكُم مِنهُم.

(ع): قوله: ﴿فَيُحْبَسُونَ عَلَى قَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ﴾: وَهَذَا بَعدَ القَضَاءِ بَينَ النَّاسِ، بَعدَ القَضَاءِ يَخلُصُ أَهلُ الجَنَّةِ، وَيَمُرُّونَ عَلَى الصِّرَاطِ، مُرُورُهُمْ عَلَى الصِّرَاطِ بَعدَ القَضَاءِ بَينَ النَّاسِ يَومَ القِيَامَةِ، فَيَخلُصُ الْمُؤمِنُونَ وَيَمُرُّونَ عَلَى الصِّرَاطِ، ثُمَّ يُحبَسُونَ عَلَى قَنطَرَةٍ وَحَدَهُم لَيسَ مَعَهُم أَحَدٌ بَينَ الجَنَّةِ

وَالنَّارِ، فَيُقتَصُّ لِبَعضِهِمْ مِن بَعضٍ، فَإِذَا هُذِّبُوا وَنُقُّوا أُذِنَ لَهُم فِي دُخُولِ الجَنَّةِ كَمَا بَيَّنَ هَذَا أَبُو العَبَّاسِ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «الوَاسِطِيَّةِ»، «العَقِيدَةُ الوَاسِطِيَّةُ» عَقِيدَةٌ جَيِّدَةٌ عَظِيمَةٌ مُفِيدَةٌ مُختَصَرَةٌ، النَّاسُ فِي الأَهوَالِ يَومَ القِيَامَةِ، هَذَا يُعطَى كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ، وَهَذَا يُعطَى كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ، وَهَذَا يَثقُلُ مِيزَانُهُ، وَهَذَا يَخِفُّ مِيزَانُهُ، فَإِذَا انتُهِي مِنَ النَّاسِ وَانْتَهَتِ الْمُحَاكَمَاتُ وَالقِصَاصُ بَينَ النَّاسِ أُذِنَ لِأَهلِ الجَنَّةِ فِي الذَّهَابِ إِلَى الصِّرَاطِ، فَعِندَ ذَلِكَ يَمُرُّونَ عَلَى الصِّرَاطِ؛ أَوَّلُهُمْ كَالبَرقِ، وَكَلَمحِ البَصَرِ، ثُمَّ يَتَفَاوَتُونَ: كَأَجَاوِيدِ الخَيلِ وَالرِّكَابِ، مِنهُم مَن يَمُرُّ كَالبَرقِ، وَمِنهُمْ مَن يَمُرُّ كَالرِّيحِ، وَمِنهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَأَجَاوِيدِ الخَيلِ وَالرِّكَابِ، تَجرِي بِهِمْ أَعمَالُهُمْ، فَإِذَا خَلَصُوا مِنَ الصِّرَاطِ وقِفُوا عَلَى قَنطَرَةٍ بَينَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيُهَذَّبُونَ وَيُنَقَّونَ وَيُقتَصُّ لِبَعضِهِمْ مِن بَعضٍ، فَإِذَا انْتَهَوا وَلَمْ يَبقَ بَينَهُمْ شَيءٌ أُذِنَ لَهُم فِي دُخُولِ الجَنَّةِ، هَذَا خَاصٌّ بِأَهلِ الإِيمَانِ بَعدَمَا يَتَجَاوَزُونَ الصِّرَاطَ.

- **س: نُصُوصُ الوَعدِ وَالوَعِيدِ تُحمَلُ عَلَى ظَاهِرِهَا؟**
  - ج: تَمُرُّ عَلَى ظَاهِرِهَا وَتَفسِيرِهَا يَومَ القِيَامَةِ.
- **س: أَحسَنَ اللهُ إِلَيكَ، الكَافِرُ يُقتَصُّ لَهُ مِنَ الْمُسلِمِ فِي الدُّنْيَا... يَومَ القِيَامَةِ من؟**
  - ج: إِذَا كَانَ لَهُ حَقٌّ يُعطَى حَقَّهُ.
- **س: أَحسَنَ اللهُ عَمَلَكَ، الَّذِي يُعطَى كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ هُمُ اثْنَانِ أَمْ الشَّخصُ الَّذِي يُعطَى وَرَاءَ ظَهرِهِ أو بِشِمَالِهِ؟**
  - ج: هُمْ وَاحِدٌ.
- **س: وَاحِدٌ؟**
  - ج: نَعَمْ، بِشِمَالِهِ مِن وَرَاءِ ظَهرِهِ، نَسأَلُ اللهَ العَافِيَةَ.
- **س: إِذَا طَلَبتُ مِن شَخصٍ أَنْ يُسَامِحَنِي؟**
  - ج: إِذَا سَامَحَكَ جَزَاهُ اللهُ خَيرًا، إِذَا سَامَحَكَ فِي الدُّنْيَا انْتَهَى الأَمرُ.

• **س: وإِذَا لَمْ يُسَامِحْ؟**

○ **ج:** يَبقَى حَقُّهُ مُعَلَّقًا، فَعَلَيكَ التوبَةُ وَذِكْرُ حِسَنَاتِهِ الَّتِي تَعلَمُهَا مِنهُ فِي الأَمَاكِنِ الَّتِي ذَكَرتَهُ فِيهَا بِالشَّرِّ، إِذَا كُنتَ تَعلَمُ شَيْئًا مِنَ الحَسَنَاتِ وَأَبشِرْ بِالخَيرِ، التَّوبَةُ يَنفَعُهُ اللهُ بِهَا، يَبقَى حَقُّهُ، قَدْ يُعطَى مِن حَسَنَاتِكَ يَومَ القِيَامَةِ، قَدْ يُعطَى شَيئًا، فَأَنتَ عَلَى خَيرٍ، مَا دُمتَ تُبتَ أَنتَ عَلَى خَيرٍ.

• **س: لَكِنْ لَو دَعَا لَهُ لَا يَسقُطُ حَقُّهُ يَا شَيخُ؟**

○ **ج:** لَا، الدُّعَاءُ مَا يُسقِطُ حَقَّهُ، لَا بُدَّ أَنْ يَتَحَلَّلَهُ، وَيَذكُرُ مَحَاسِنَهُ الَّتِي يَعلَمُهَا مِنهُ فِي الْمَوَاضِعِ الَّتِي ذَكَرَ فِيهَا سَيِّئَاتِهِ، الرَّسُولُ ﷺ قَالَ: «**فَلْيَتَحَلَّلْهُ اليَومَ قَبلَ أَلَّا يَكُونَ دِينَارٌ وَلَا دِرهَمٌ**»، لَكِنْ ذِكرُ حَسَنَاتِهِ كُلُّ هَذَا يُخَفِّفُ عَنهُ.

• **س: أَحسَنَ اللهُ إِلَيكَ، سَائِلٌ يَقُولُ: رَجُلٌ يَرغَبُ فِي الزَّوَاجِ مِن زَوجَةٍ ثَانِيَةٍ، وَلَكِنْ وَالِدَتُهُ تَقُولُ: لَا أُحِلُّكَ إِنْ فَعَلتَ ذَلِكَ؛ لِأَنَّهَا مُتَعَاطِفَةٌ مَعَ زَوجَتِهِ الأُولَى، فَهَلْ يَجِبُ عَلَيهِ طَاعَةُ وَالِدَتِهِ؟**

○ **ج:** اللهُ أَعلَمُ.

• **س: أَحسَنَ اللهُ إِلَيكَ يَا شَيخُ، القَنطَرَةُ الْمُرَادُ بِهَا: الصِّرَاطُ يَا شَيخُ؟**

○ **ج:** القَنطَرَةُ بَعدَ الصِّرَاطِ، القَنطَرَةُ بَعدَ أَنْ تَتَجَاوَزَ الصِّرَاطَ، الصِّرَاطُ فَوقَ النَّارِ، وَالقَنطَرَةُ بَعدَ أَنْ تَتَجَاوَزَ الصِّرَاطَ، قَنطَرةٌ أُخْرَى.

٤٩ ـ بَاب مَنْ نُوقِشَ الحِسَابَ عُذِّبَ

﴿ ٦٥٣٦ ﴾ **حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللهِ بْنُ مُوسَى عَنْ عُثْمَانَ بْنِ الأَسْوَدِ، عَنِ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ، عَنْ عَائِشَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال: «مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ عُذِّبَ»، قَالَتْ: قُلْتُ: أَلَيْسَ يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾﴾ [الانشقاق: ٨]؟ قَالَ: «ذَلِكِ الْعَرْضُ».**

حَدَّثَنِي عَمْرُو بْنُ عَلِيٍّ، حَدَّثَنَا يَحْيَى، عَنْ عُثْمَانَ بْنِ الأَسْوَدِ سَمِعْتُ ابْنَ أَبِي مُلَيْكَةَ قال: سَمِعْتُ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ مِثْلَهُ، وَتَابَعَهُ ابْنُ جُرَيْجٍ، وَمُحَمَّدُ بْنُ سُلَيْمٍ، وَأَيُّوبُ وَصَالِحُ بْنُ رُسْتُمٍ، عَنِ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ، عَنْ عَائِشَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ.

[سبق برقم ١٠٣، وأخرجه مسلم، برقم ٢٨٧٦].

الشَّرح

(ع): يَعْنِي: مَن نُوقِشَ الحِسَابَ عُذِّبَ؛ لِأَنَّهُ إِذَا نُوقِشَ لَا بُدَّ لَهُ سِيئَاتٌ وَأَعمَالٌ قَبِيحَةٌ، لَكِنْ مَن سَامَحَهُ اللهُ وَيَسَّرَ أَمرَهُ حَاسَبَهُ حِسَابًا يَسِيرًا، مَن أَعطَاهُ اللهُ الكِتَابَ بِيَمِينِهِ حَاسَبَهُ حِسَابًا يَسِيرًا.

المَعنَى: أَنَّ المُؤمِن يُحاسَبُ حِسابًا يَسيرًا، ثُمَّ يَدخُل الجَنَّةَ ولَا يَرَى إِلَّا الخَيرَ، كَمَا قَالَ ﷻ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ۝٩﴾ [الانشقاق: ٧ ـ ٩]، أَمَّا مَن يُناقَشُ الحِسابَ عَلَى أَعمَالِه وعَلَى أَخطَائِه وأَغلاطِه فَإِنَّهُ يُعذَّبُ؛ لأَنَّهُ لَا بُدَّ لَهُ من أَخطاءٍ وأَغلاطٍ وأَخطاءٍ كَثيرةٍ؛ واللهُ المُستَعانُ.

* * *

٦٥٣٧ حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ مَنْصُورٍ، حَدَّثَنَا رَوْحُ بْنُ عُبَادَةَ، حَدَّثَنَا حَاتِمُ بْنُ أَبِي صَغِيرَةَ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ، حَدَّثَنِي الْقَاسِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَتْنِي عَائِشَةُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قال: «لَيْسَ أَحَدٌ يُحَاسَبُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا هَلَكَ»، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَلَيْسَ قَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨﴾ [الانشقاق: ٨]؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّمَا ذَلِكِ الْعَرْضُ، وَلَيْسَ أَحَدٌ يُنَاقَشُ الْحِسَابَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا عُذِّبَ». [سبق برقم ١٠٣، وأخرجه مسلم، برقم ٢٨٧٦]

الشَّرح

و﴿العرَضُ﴾: أن تُعرَضَ أعمَالُه عَليهِ، ثُمَّ يُسمَحُ لَهُ بدُخولِ الجَنَّةِ، تُعرَضُ أعمَالُه عَليهِ مَعَ إقرَارِ عَينِه بعَدمِ إبرائِه ما يَسُوءُهُ.

(ع): يَعْنِي: عَرْضَ حَسَنَاتِهِ وَسَيِّئَاتِهِ عَلَيهِ، ثُمَّ يَغفِرُهَا اللهُ لَهُ، وَيُعطِيهِ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَضلًا مِنهُ ﷺ، فَإِذَا نُوقِشَ فِي سَيِّئَاتِهِ عُذِّبَ، لَا حَولَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ.

• س: لَا يُسَامِحُ فِي الدُّنْيَا؛ لِكَي يَجمَعُ الحَسَنَاتِ فِي الآخِرَةِ؟

○ ج: مَا بَلَغَنِي فِي هَذَا شَيءٌ، مَا أَعلَمُ فِي هَذَا شَيئًا.

* * *

٦٥٣٨ ﴿ حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللهِ، حَدَّثَنَا مُعَاذُ بْنُ هِشَامٍ، قال: حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، (ح)، وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ مَعْمَرٍ، حَدَّثَنَا رَوْحُ بْنُ عُبَادَةَ، حَدَّثَنَا سَعِيدٌ، عَنْ قَتَادَةَ، حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رضي الله عنه أَنَّ نَبِيَّ اللهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ: «يُجَاءُ بِالْكَافِرِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُقَالُ لَهُ: أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ لَكَ مِلْءُ الأَرْضِ ذَهَبًا، أَكُنْتَ تَفْتَدِي بِهِ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيُقَالُ لَهُ: قَدْ كُنْتَ سُئِلْتَ مَا هُوَ أَيْسَرُ مِنْ ذَلِكَ». [سبق برقم ٣٣٣٤، وأخرجه مسلم، برقم ٢٨٠٥]

الشَّرح

(ع): نَسأَلُ اللهَ العَافِيَةَ، لِلتَّقرِيعِ وَالتَّوبِيخِ، نَسأَلُ اللهَ العَافِيَةَ.

يَعنِي: سُئِلْتَ ما هُوَ أَيسَرُ، وهُوَ أَلَّا تُشرِكَ بِاللهِ، كَمَا جَاءَ فِي اللَّفظِ الآخَرِ: «فأَبَيتَ إِلَّا الشِّركَ»[1]، نَسأَلُ اللهَ العَافِيَةَ، وفِي اللَّفظِ الآخَرِ: «قَدْ

(١) أخرجه البخاري (٣٣٣٤)، ومسلم (٢٨٠٥) عن أنس بن مالك رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لأَهْوَنِ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا: لَوْ أَنَّ لَكَ مَا فِي الأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ كُنْتَ تَفْتَدِي بِهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَقَدْ سَأَلْتُكَ مَا هُوَ أَهْوَنُ مِنْ هَذَا وَأَنْتَ فِي صُلْبِ آدَمَ: أَنْ لَا تُشْرِكَ بِي، فَأَبَيْتَ إِلَّا الشِّرْكَ».

أَرَدْتُ مِنْكَ مَا هُوَ أَيسَرُ من ذَلِكَ: أَلَّا تُشْرِكَ بِي؛ فأَبَيتَ إِلَّا الشِّرْكَ»[1]، نَسأَلُ اللهَ العَافِيَةَ.

٦٥٣٩ حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ حَفْصٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، قال: حَدَّثَنِي الأَعْمَشُ، قال: حَدَّثَنِي خَيْثَمَةُ، عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ قال: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَسَيُكَلِّمُهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لَيْسَ بَيْنَ اللهِ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ، ثُمَّ يَنْظُرُ فَلَا يَرَى شَيْئًا قُدَّامَهُ، ثُمَّ يَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَتَسْتَقْبِلُهُ النَّارُ، فَمَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَّقِيَ النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ». [سبق برقم ١٤١٣، وأخرجه مسلم، برقم ١٠١٦]

٦٥٤٠ قَالَ الأَعْمَشُ: حَدَّثَنِي عَمْرٌو، عَنْ خَيْثَمَةَ، عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ قال: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «اتَّقُوا النَّارَ»، ثُمَّ أَعْرَضَ، وَأَشَاحَ ثُمَّ قَالَ: «اتَّقُوا النَّارَ» ثُمَّ أَعْرَضَ، وَأَشَاحَ ثَلَاثًا، حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ يَنْظُرُ إِلَيْهَا، ثُمَّ قَالَ: «اتَّقُوا النَّارَ، وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ». [سبق برقم ١٤١٣، وأخرجه مسلم، برقم ١٠١٦]

الشَّرح

اللَّهُمَّ صلِّ عَليهِ وسَلِّم، قد بَلَّغ وأنذَرَ؛ اللَّهُمَّ صلِّ عَليهِ وسَلِّم.

(ع): وَهَذَا فِيهِ الحَثُّ عَلَى الصَّدَقَةِ وَلَو بِالقَلِيلِ، يَقُولُ ﷺ: ﴿مَا مِنكُمْ مِن أَحَدٍ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ لَيسَ بَينَهُ وَبَينَهُ تُرجُمَانٌ، فَيَنظُرُ عَن يَمِينِهِ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ، وَيَنظُرُ عَنْ شِمَالِهِ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ، وَيَنظُرُ تِلقَاءَ وَجهِهِ فَلَا يَرَى إِلَّا النَّارَ، فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَو بِشِقِّ تَمرَةٍ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ﴾، شِقُّ التَّمرَةِ يَنفَعُ الفَقِيرَ إِذَا كَانَ مُضْطَرًا.

فِي «صَحِيح البُخَارِيِّ» عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَت: جَاءَتْنِي امْرَأَةٌ وَمَعَهَا ابْنَتَانِ تَسْحَذُ، قَالَت: فَلَمْ أَجِدْ فِي البَيتِ إِلَّا ثَلَاثَ تَمرَاتٍ - بَيتُ النَّبِيِّ ﷺ ذَاكَ الوَقْت مَا وَجَدَتْ فِي البَيتِ تَعْطِيهَا إِلَّا ثَلَاثَ تَمرَاتٍ، قَالَت: فَأَعطَتْ

(١) الحديث السابق.

كُلَّ وَاحِدَةٍ تَمرَةً، وَأَخذَتْ تَمرَةً لِتَأْكُلَهَا، الثَّالِثَةَ، فَاسْتَطعَمَتْهَا ابْنَتَاهَا التَّمْرَةَ الثَّالِثَةَ، فَشَقَّتْهَا بَينَهُمَا نِصْفَينِ، وَلَمْ تَأْكُلْ شَيئًا، قَالَت: فَأَعجَبَنِي شَأنُهَا، فَلَمَّا جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ أَخبَرتُهُ، فَقَالَ: «إِنَّ اللهَ قَدْ أَوجَبَ لَهَا بِهَا الجَنَّةَ»(١)، بِهَذِهِ الرَّحمَةِ.

هَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ شِقَّ التَّمرَةِ يَنفَعُ عِندَ الحَاجَةِ، شَقَّتِ الثَّالِثَةَ بَينَهُمَا وَلَمْ تَأكُلْ شَيئًا مَعَ أَنَّهَا مُحتَاجَةٌ.

• س: الكَلَامُ هَذَا خَاصٌّ بِالْمُؤمِنِينَ أو عَامٌّ؟ الكَلَامُ كَلَامُ اللهِ ﷻ: «مَا مِنكُمْ مِن أَحَدٍ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ»؟

○ ج: عَامٌّ.

• س: لِلكَافِرِ وَالْمُؤمِنِ؟

○ ج: نَعَمْ، يَومَ القِيَامَةِ.

• س: ثُمَّ أَعْرَضَ وَأَشَاحَ، عَفَا اللهُ عَنكَ؟

○ ج: عَلَى ظَاهِرِهِ.

• س: كلِمةُ «أَشاحَ» أَحسَنَ اللهُ إِلَيكَ؟

○ ج: أَعرَضَ، يَعنِي: «أَشاحَ بعُنُقِه»: الْتَفَت.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٣٠)، وأحمد (٤١/ ١٥٨) رقم (٢٤٦١١) عن عائشة رضي الله عنها قالت: جَاءَتْنِي مِسْكِينَةٌ تَحْمِلُ ابْنَتَيْنِ لَهَا، فَأَطْعَمْتُهَا ثَلَاثَ تَمَرَاتٍ، فَأَعْطَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا تَمْرَةً، وَرَفَعَتْ إِلَى فِيهَا تَمْرَةً لِتَأْكُلَهَا، فَاسْتَطْعَمَتْهَا ابْنَتَاهَا، فَشَقَّتِ التَّمْرَةَ، الَّتِي كَانَتْ تُرِيدُ أَنْ تَأْكُلَهَا بَيْنَهُمَا، فَأَعْجَبَنِي شَأْنُهَا، فَذَكَرْتُ الَّذِي صَنَعَتْ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «إِنَّ اللهَ قَدْ أَوْجَبَ لَهَا بِهَا الْجَنَّةَ، أَوْ أَعْتَقَهَا بِهَا مِنَ النَّارِ».
وأخرجه البخاري (١٤١٨) من وجه آخر عن عائشة رضي الله عنها قالت: دَخَلَتِ امْرَأَةٌ مَعَهَا ابْنَتَانِ لَهَا تَسْأَلُ، فَلَمْ تَجِدْ عِنْدِي شَيْئًا غَيْرَ تَمْرَةٍ، فَأَعْطَيْتُهَا إِيَّاهَا، فَقَسَمَتْهَا بَيْنَ ابْنَتَيْهَا، وَلَمْ تَأْكُلْ مِنْهَا، ثُمَّ قَامَتْ، فَخَرَجَتْ، فَدَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْنَا، فَأَخْبَرْتُهُ فَقَالَ: «مَنِ ابْتُلِيَ مِنْ هَذِهِ البَنَاتِ بِشَيْءٍ كُنَّ لَهُ سِتْرًا مِنَ النَّارِ».

• **س: وَرَد الدُّعاءَ فِي الصَّلاةِ: «اللَّهُمَّ حَاسِبْنِي حِسابًا يَسِيرًا»**[1]؟

○ **ج**: ما أتذكَّرُ شَيئًا.

[قالَ الحَافِظُ ابنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللهُ فِي «فتْحِ البَارِي» (١١/ ٤٠١)]: «وَلِأَحْمَدَ مِنْ وَجْهٍ آخَرَ عَنْ عَائِشَةَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ فِي بَعْضِ صَلَاتِهِ: **«اللَّهُمَّ حَاسِبْنِي حِسَابًا يَسِيرًا»**؛ فَلَمَّا انْصَرَفَ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا الْحِسَابُ الْيَسِيرُ؟ قَالَ: **«أَنْ يَنْظُرَ فِي كِتَابِهِ فَيَتَجَاوَزَ لَهُ عَنْهُ، إِنَّ مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ يَا عَائِشَةُ يَوْمَئِذٍ هَلَكَ»**. [انتهى كلامه].

(**الشَّيخُ**): ما هُوَ بَعِيدٌ؛ لأنَّ مَنْ حُوسِبَ الحِسَابَ اليَسِيرَ فهُوَ ناجٍ، والعَرْضُ مِثلَما قَالَ النَّبيُّ ﷺ: ﴿**ذَاكِ العَرضُ**﴾. راجِعْ هَذَا - يا شَيخُ عبدَ المُحسِنِ - تُراجِعُ سَنَدَه فِي مُسندِ عَائِشةَ.

[قالَ الحَافِظُ ابنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللهُ فِي «فتْحِ البَارِي» (١١/ ٤٠٢)]: «قَوْلُهُ: ﴿**إِنَّمَا ذَلِكَ الْعَرْضُ**﴾ فِي رِوَايَةِ الْقَطَّانِ قَالَ: **«ذَاكَ الْعَرْضُ تُعْرَضُونَ، وَمَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ هَلَكَ»**. وَأَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ لِهَذَا الْحَدِيثِ شَاهِدًا مِنْ رِوَايَةِ هَمَّامٍ عَنْ قَتَادَةَ عَنْ أَنَسٍ رَفعه: **«من حُوسِبَ عذِّب»**. وَقَالَ: غَرِيبٌ.

قُلْتُ: وَالرَّاوِي لَهُ عَنْ هَمَّامٍ عَلَيُّ بْنُ أَبِي بَكْرٍ صَدُوقٌ وَرُبَّمَا أَخْطَأَ. قَالَ الْقُرْطُبِيُّ: مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿**إِنَّمَا ذَلِكَ الْعَرْضُ**﴾ أَنَّ الْحِسَابَ الْمَذْكُورَ فِي الْآيَةِ إِنَّمَا هُوَ أَنْ تُعْرَضَ أَعْمَالُ الْمُؤْمِنِ عَلَيْهِ؛ حَتَّى يَعْرِفَ مِنَّةَ اللهِ عَلَيْهِ فِي

---

(١) أخرجه أحمد (٤٠/ ٢٦٠) رقم (٢٤٢١٥)، وابن خزيمة (٨٤٩)، وابن حبان (٧٣٧٢)، والحاكم (١/ ٥٧)، عن عائشة رضي الله عنها قالت: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ فِي بَعْضِ صَلَاتِهِ: **«اللَّهُمَّ حَاسِبْنِي حِسَابًا يَسِيرًا»**، فَلَمَّا انْصَرَفَ قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللهِ، مَا الْحِسَابُ الْيَسِيرُ؟ قَالَ: **«أَنْ يَنْظُرَ فِي كِتَابِهِ فَيَتَجَاوَزَ عَنْهُ، إِنَّهُ مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ يَوْمَئِذٍ يَا عَائِشَةُ هَلَكَ، وَكُلُّ مَا يُصِيبُ الْمُؤْمِنَ يُكَفِّرُ اللهُ عز وجل بِهِ عَنْهُ، حَتَّى الشَّوْكَةُ تَشُوكُهُ»**. وصححه الحاكم.

سَتْرِهَا عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا، وَفِي عَفْوِهِ عَنْهَا فِي الْآخِرَةِ كَمَا فِي حَدِيث ابن عُمَرَ فِي النَّجْوَى.

قَالَ عِيَاضٌ: قَوْلُهُ: «عُذِّبَ» لَهُ مَعْنَيَانِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّ نَفْسَ مُنَاقَشَةِ الْحِسَابِ وَعَرْضِ الذُّنُوبِ وَالتَّوْقِيفِ عَلَى قَبِيحِ مَا سَلَفَ، وَالتَّوْبِيخِ تَعْذِيبٌ.

وَالثَّانِي: أَنَّهُ يُفْضِي إِلَى اسْتِحْقَاقِ الْعَذَابِ؛ إِذْ لَا حَسَنَةَ لِلْعَبْدِ إِلَّا مِنْ عِنْد الله؛ لإقداره عَلَيْهَا، وتفضله عَلَيْهِ بِهَا، وَهِدَايَتِهِ لَهَا، وَلِأَنَّ الْخَالِصَ لِوَجْهِهِ قَلِيلٌ. وَيُؤَيِّدُ هَذَا الثَّانِيَ قَوْلُهُ فِي الرِّوَايَةِ الْأُخْرَى: «هَلَكَ»، وَقَالَ النَّوَوِيُّ: التَّأْوِيلُ الثَّانِي هُوَ الصَّحِيحُ؛ لِأَنَّ التَّقْصِيرَ غَالِبٌ عَلَى النَّاسِ فَمَنِ اسْتُقْصِيَ عَلَيْهِ وَلَمْ يُسَامَحْ هَلَكَ». [انتهى كلامه].

قَالَ ابنُ بَازٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: جَاءَ فِي حَدِيثِ النَّجوَى: أنَّ العَرضَ عَليهِ أَنَّهُ تُعرَضُ عَليهِ أَعمَالُه خَيرُها وشَرُّها؛ فإِذَا رَأَى شَرَّها قَالَ: يا رَبِّ أَلَم تَغفِرْهَا لي؟ قَالَ: **«سَتَرْتُها عَلَيْكَ فِي الدُّنيَا وأَنَا أَغفِرُهَا لَكَ اليَومَ»**[1].

[قَالَ الحَافِظُ رَحِمَهُ اللَّهُ]: «وَقَالَ غَيْرُهُ: وَجْهُ الْمُعَارَضَةِ أَنَّ لَفْظَ الْحَدِيثِ عَامٌّ فِي تَعْذِيبِ كُلِّ مَنْ حُوسِبَ، وَلَفْظُ الْآيَةِ دَالٌّ عَلَى أَنَّ بَعْضَهُمْ لَا يُعَذَّبُ، وَطَرِيقُ الْجَمْعِ أَنَّ الْمُرَادَ بِالْحِسَابِ فِي الْآيَةِ الْعَرْضُ، وَهُوَ إِبْرَازُ الْأَعْمَالِ وَإِظْهَارُهَا؛ فَيُعَرِّفُ صَاحِبَهَا بِذُنُوبِهِ، ثُمَّ يَتَجَاوَزُ عَنْهُ وَيُؤَيِّدُهُ مَا وَقَعَ عِنْدَ الْبَزَّارِ وَالطَّبَرِيِّ مِنْ طَرِيقِ عَبَّادِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ الزُّبَيْرِ: سَمِعْتُ عَائِشَةَ تَقُولُ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنْ الْحِسَابِ الْيَسِيرِ قَالَ: «**الرَّجُلُ تُعْرَضُ عَلَيْهِ ذُنُوبُهُ، ثُمَّ يُتَجَاوَزُ لَهُ عَنْهَا**». وَفِي حَدِيثِ أَبِي ذَرٍّ عِنْدَ مُسْلِمٍ: «**يُؤْتَى بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُقَالُ: اعْرِضُوا عَلَيْهِ صِغَارَ ذُنُوبِهِ...**» الْحَدِيثَ.

وَفِي حَدِيثِ جَابر عِنْد ابن أَبِي حَاتِمٍ وَالْحَاكِمِ: «**مَنْ زَادَتْ حَسَنَاتُهُ عَلَى**

---

(١) أخرجه البخاري (٢٤٤١)، ومسلم (٢٧٦٨) عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

سَيِّئَاتِهِ فَذَاكَ الَّذِي يَدْخُلُ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ، وَمَنِ اسْتَوَتْ حَسَنَاتُهُ وَسَيِّئَاتُهُ فَذَاكَ الَّذِي يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا، ثُمَّ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ، وَمَنْ زَادَتْ سَيِّئَاتُهُ عَلَى حَسَنَاتِهِ فَذَاكَ الَّذِي أَوْبَقَ نَفْسَهُ، وَإِنَّمَا الشَّفَاعَةُ فِي مِثْلِهِ»، وَيَدْخُلُ فِي هَذَا حَدِيث ابن عُمَرَ فِي النَّجْوَى، وَقَدْ أَخْرَجَهُ الْمُصَنِّفُ فِي كِتَابِ الْمَظَالِمِ وَفِي تَفْسِيرِ سُورَةِ هود، وَفِي التَّوْحِيد، وَفِيه: «**يدنو أَحَدُكُمْ مِنْ رَبِّهِ حَتَّى يَضَعَ كَنَفَهُ عَلَيْهِ؛ فَيَقُولُ: أَعَمِلْتَ كَذَا وَكَذَا؟! فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيُقَرِّرُهُ، ثُمَّ يَقُولُ: إِنِّي سَتَرْتُ عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ**».

وَجَاءَ فِي كَيْفِيَّةِ الْعَرْضِ مَا أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ مِنْ رِوَايَةِ عَلِيِّ بْنِ عَلِيٍّ الرِّفَاعِيِّ عَنِ الْحَسَنِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَفَعَهُ: «**تُعْرَضُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَلَاثَ عَرْضَاتٍ، فَأَمَّا عَرْضَتَانِ فَجِدَالٌ وَمَعَاذِيرُ، وَعِنْدَ ذَلِكَ تَطِيرُ الصُّحُفُ فِي الْأَيْدِي، فَآخِذٌ بِيَمِينِهِ، وَآخِذٌ بِشِمَالِهِ**». قَالَ التِّرْمِذِيُّ: لَا يَصِحُّ؛ لِأَنَّ الْحَسَنَ لَمْ يَسْمَعْ مِنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَقَدْ رَوَاهُ بَعْضُهُمْ عَنْ عَلِيِّ بْنِ عَلِيٍّ الرِّفَاعِيِّ عَنِ الْحَسَنِ عَنْ أَبِي مُوسَى. انْتَهَى.

وَهُوَ عِنْدَ ابن مَاجَهْ وَأَحْمَدَ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ مَرْفُوعًا، وَأَخْرَجَهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي «الْبَعْثِ» بِسَنَدٍ حَسَنٍ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ مَوْقُوفًا، قَالَ التِّرْمِذِيُّ الْحَكِيمُ: الْجِدَالُ لِلْكُفَّارِ يُجَادِلُونَ؛ لِأَنَّهُمْ لَا يَعْرِفُونَ رَبَّهُمْ؛ فَيَظُنُّونَ أَنَّهُمْ إِذَا جَادَلُوا نَجَوْا، وَالْمَعَاذِيرُ اعْتِذَارُ اللهِ لِآدَمَ وَأَنْبِيَائِهِ بِإِقَامَتِهِ الْحُجَّةَ عَلَى أَعْدَائِهِ، وَالثَّالِثَةُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَهُوَ الْعَرْضُ الْأَكْبَرُ.

تَنْبِيهٌ: وَقَعَ فِي رِوَايَةٍ لِابْنِ مَرْدَوَيْهِ، عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَائِشَةَ مَرْفُوعًا: «**لَا يُحَاسَبُ رَجُلٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ**». [انتهى كلامه].

قَالَ ابنُ بَازٍ رَحِمَهُ اللهُ: ظاهِرُه ـ واللهُ أعلَمُ ـ أنَّهُ انقِلابٌ؛ لأنَّهُ فِي ابنِ مَردُويهِ، وهُوَ يَجمَعُ الغَثَّ والسَّمينَ، قد يَكُونُ ممَّا انقَلَب عَلَى بَعضِ الرُّواةِ من شَيخِه أو بَعدَ شَيخِه، كَلامُه: ﴿**لا يُناقَشُ الحِسابَ أحَدٌ إلَّا هَلَك**﴾ انقَلَب عَليهِ، الظَّاهِرُ ـ واللهُ أعلَمُ ـ أنَّهُ انقِلَابٌ.

• س: أَحسَنَ اللهُ إِلَيكَ، مَن تَساوَت حَسَناتُه وسَيِّئاتُه يَكُونُ من أَهلِ الأَعرَافِ؟

○ ج: قَولُ بَعضِ السَّلفِ.

• س: حَديثُ جابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عِندَ ابنِ أَبِي حاتِم: «مَن زَادَت حَسَناتُه عَلَى سَيِّئاتِه فذَاكَ الَّذِي يَدخُلُ الجَنَّةَ بغَيرِ حِسابٍ»[1]؟

○ ج: ما ذَكَر الرَّفعَ، هَذَا نصُّ القُرآنِ: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧﴾ [القارعة: ٦، ٧]، مَن زَادَتِ الحَسَناتُ عَلَى السَّيِّئاتِ نَجَا، نصُّ القُرآنِ هَذَا.

٥٠ ـ بَاب يَدْخُلُ الجَنَّةَ سَبْعُونَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ

٦٥٤١ حَدَّثَنَا عِمْرَانُ بْنُ مَيْسَرَةَ، حَدَّثَنَا ابْنُ فُضَيْلٍ، حَدَّثَنَا حُصَيْنٌ، (ح)، وَحَدَّثَنِي أَسِيدُ بْنُ زَيْدٍ، حَدَّثَنَا هُشَيْمٌ عَنْ حُصَيْنٍ قال: كُنْتُ عِنْدَ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ فَقال: حَدَّثَنِي ابْنُ عَبَّاسٍ قال: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «عُرِضَتْ عَلَيَّ الأُمَمُ، فَأَخَذَ النَّبِيُّ يَمُرُّ مَعَهُ الأُمَّةُ، وَالنَّبِيُّ يَمُرُّ مَعَهُ النَّفَرُ، وَالنَّبِيُّ يَمُرُّ مَعَهُ الْعَشَرَةُ، وَالنَّبِيُّ يَمُرُّ مَعَهُ الْخَمْسَةُ، وَالنَّبِيُّ يَمُرُّ وَحْدَهُ، فَنَظَرْتُ فَإِذَا سَوَادٌ كَثِيرٌ، قُلْتُ: يَا جِبْرِيلُ، هَؤُلَاءِ أُمَّتِي؟ قال: لَا، وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الأُفُقِ، فَنَظَرْتُ فَإِذَا سَوَادٌ كَثِيرٌ، قَالَ: هَؤُلَاءِ أُمَّتُكَ، وَهَؤُلَاءِ سَبْعُونَ أَلْفًا قُدَّامَهُمْ، لَا حِسَابَ عَلَيْهِمْ وَلَا عَذَابَ، قُلْتُ: وَلِمَ؟ قَالَ: كَانُوا لَا يَكْتَوُونَ، وَلَا يَسْتَرْقُونَ، وَلَا يَتَطَيَّرُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ»، فَقَامَ إِلَيْه عُكَّاشَةُ بْنُ مِحْصَنٍ فَقَالَ: ادْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، قَالَ: «اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ مِنْهُمْ»، ثُمَّ قَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ آخَرُ، فقَالَ: ادْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، قَالَ: «سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ». [سبق برقم ٣٤١٠، وأخرجه مسلم، برقم ٢٢٠]

---

(١) عزاه ابن كثير في «تفسيره» (٨/ ٤٦٤)، لابن أبي حاتم، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا موقوفًا.

الشَّرح

(ع): وَهَذَا يُفِيدُ أَنَّ أَتبَاعَ الأَنْبِيَاءِ مُتَفَاوِتُونَ، بَعضُ الأَنْبِيَاءِ تَبِعَهُمْ جَمٌّ غَفِيرٌ، وَبَعضُهُم مَا تَبِعَهُ إِلَّا الأَفْرَادُ، خَمسَةٌ وَسِتَّةٌ وَثَلَاثَةٌ، وَبَعضُهُمْ مَا تَبِعَهُ أَحَدٌ؛ بَلْ كَفَرُوا بِهِ وَأَنْكَرُوا؛ بَلْ قَتَلُوهُ.

وَفِي هَذَا فَضلُ مُوسَى وَبَنِي إِسرَائِيلَ، وَأَنَّ أَتبَاعَ مُوسَى عليه الصلاة والسلام كَثِيرُونَ مِن بَنِي إِسرَائِيلَ، وَأَنَّ أَتبَاعَ مُحَمَّدٍ أَكثَرُ عَلَيهِ الصلاة والسلام.

قَولُه: ﴿«وَهَؤُلَاء سَبْعُونَ أَلْفًا قُدَّامَهُمْ»﴾: والمَعنَى: أَنَّهُم كَانُوا غايَةً فِي الاستِقَامةِ وأَداءِ الفَرائِضِ وتَركِ المَحارِمِ، وتَركِ بَعضِ الأَشيَاءِ الَّتِي فِي قِسمِ المُباحِ تَوكُّلًا عَلَى اللهِ ﷻ، وتَلذُّذًا بِمَا يُصِيبُهُم، واكتِفَاءً بِمَا شُرِع مِنَ الأَسبَابِ المُبَاحَةِ، والمَشرُوعةِ، وتَرَكوا ما يَكرَهُ كالكَيِّ وما يَنبَغِي تَركُه أَيضًا، وهُوَ السُّؤالُ والاِستِرقاءُ؛ اكتفاءً بِمَا لَدَيهِم مِنَ الأَسبَابِ الأُخرَى، وتَوكُّلًا عَلَى اللهِ ﷻ وثِقةً بِهِ ﷻ، أَمَّا الطِّيَرةُ فَهِيَ مِنَ الشِّركِ من قِسمِ الشِّركِ؛ لأَنَّها تَشاؤمٌ فتَرَكُوها أَيضًا؛ ولم يَأتُوا مِنَ الأَسبَاب إِلَّا ما هُوَ صَرِيحٌ فِي أَنَّهُ مَشروعٌ أو مُباحٌ لَا شُبهةَ فِيهِ؛ حِرصًا مِنهُم عَلَى كَمالِ إِيمَانِهِم وكَمالِ تَقواهُم.

وتَقدَّم فِي الأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ ما يَدلُّ عَلَى جَوازِ الاِستِرقَاءِ إِذَا دَعتِ الحَاجةُ إِلَيهِ، وجَوازُ الكَيِّ إِذَا دَعتِ الحَاجةُ إِلَيهِ، ولكِنْ تَرْكُهُما أَفضَلُ عِندَ الاِستِغنَاءِ عَنهُما، وعِندَ وُجودِ ما يَكفِي عَنهُما؛ ولهَذَا أُمِر أن يُستَرقَى مِنَ العَينِ، وكَوَى بَعض أَصْحَابِه وقَالَ: «**الشِّفاءُ فِي ثَلاثٍ: كَيَّةُ نَارٍ، وشَرْطَةُ مِحْجَم، وشَرْبةُ عَسَلٍ، ومَا أُحِبُّ أَنْ أَكتَوِيَ**»[1]، وفِي اللَّفظِ الآخَرِ: «**وأَنهَى أُمَّتِي عَنِ الكَيِّ**»[2]؛ فدَلَّ عَلَى أَنَّهُ مَكروهٌ لكِنْ عِندَ الحَاجةِ إِلَيهِ تَزولُ الكَراهةُ.

وهَكَذا الاِستِرقَاءُ عِندَ عَدمِ الحَاجةِ إِلَيهِ لوُجودِ ما يُغنِي عَن ذَلِكَ يَكُونُ

---

(١) أخرجه البخاري (٥٧٠٢)، ومسلم (٢٢٠٥) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه البخاري (٥٦٨٠) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

تَركُه أَولَى؛ لأَنَّهُ سُؤالٌ وحاجَةٌ إِلَى النَّاسِ، والأَصْلُ فِي سُؤالِ النَّاسِ أَنَّهُ أَمرٌ مَذمُومٌ، وتَركُه أَولَى، أَمَّا إِذَا رَقَى أَخاهُ من دُونِ أن يَسأَلَ هَذَا مَطلوبٌ؛ ولهَذَا فِي اللَّفظِ الآخَرِ عِندَ مُسلِمٍ: «مَنِ اسْتَطَاعَ مِنكُمْ أن يَنفَعَ أَخَاهُ فلْيفْعَلْ»(١).

• س: أَحسَنَ اللهُ إِليكَ، يَدخلُ فِي ذَلِكَ تَركُ العِلاجِ مِنَ الطِّبِّ الحَديثِ؟

○ ج: لَا، ما يَدخُلُ فِي هذا؛ لأنَّ هَذَا مُباحٌ: «عِبادَ اللهِ تَداوَوْا»(٢)، أَمَر بِهِ النَّبيُّ ﷺ.

• س: لو رَقَى نَفسَه بنَفسِه؟

○ ج: كَذَلِكَ كَانَ النَّبيُّ يَرقِي نَفسَه؛ اللَّهُمَّ صلِّ عَليهِ وسَلِّم.

• س: مَفهومُ العَددِ فِي سَبعِينَ؟

○ ج: جَاءَ فِي الرِّوايَة الأُخرَى: «زَادَنِي مَعَ كلِّ أَلفٍ سَبعِينَ أَلفًا» كَمَا ذَكَره المُؤلِّفُ، وذَكَره الحافِظُ ابنُ كَثِيرٍ عِندَ قَولِه سُبحَانَهُ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]؛ فَإِنَّهُ جَاءَ لَهُ طُرقٌ: «زَادَنِي مَعَ كُلِّ أَلْفٍ سَبعِينَ أَلفًا»(٣)، وفِي لَفظٍ: «معَ كلِّ وَاحِدٍ سَبعِينَ أَلفًا»(٤)، وفِي بَعضِها:

---

(١) أخرجه مسلم (٢١٩٩)، والنسائي في «الكبرى» (٧٤٩٨) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٩١٠)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٠/ ٥) عن أنس رضي الله عنه بلفظ: «إِنَّ اللهَ أَنْزَلَ الدَّاءَ وَالدَّوَاءَ وَجَعَلَ لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءً فَتَدَاوَوْا وَلَا تَدَاوَوْا بِحَرَامٍ».
قال البيهقي: وهذان الحديثان إن صحا فمحمولان على النهي عن التداوي بالمسكر، أو على التداوي بكل حرام في غير حال الضرورة ليكون جمعًا بينهما وبين حديث العرنيين والله أعلم.

(٣) أخرجه أحمد (١٤/ ٣٢٦) رقم (٨٧٠٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه.
قال الهيثمي: أخرجه أحمد، ورجاله رجال الصحيح. «مجمع الزوائد» (١٠/ ٤٠٥).
وقال البوصيري: أخرجه أحمد بن حنبل، ورواته ثقات. «إتحاف الخيرة المهرة» (٧٩٠٨).
وقال ابن حجر: سنده جيد. «فتح الباري» (١١/ ٤١٠).

(٤) أخرجه أحمد (١/ ٢٠٣) رقم (٢٢) عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أُعْطِيتُ سَبْعِينَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ، وُجُوهُهُمْ كَالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، وَقُلُوبُهُمْ =

«ثلاثُ حَثَيَاتٍ من حَثَيَاتِ رَبِّي»[1]؛ فالَّذِينَ يَدخُلونَ الجَنَّة بغَيرِ حِسابٍ ولَا عَذَابٍ لَا يُحصِيهِم إلَّا اللهُ ﷻ.

• س: عَفَا اللهُ عَنكَ، هَؤُلَاءِ الَّذِينَ لَيسَ عَلَيهِم حِسَابٌ رُتبَتُهُمْ فَوقَ الَّذِينَ يُحَاسَبُونَ حِسَابًا يَسِيرًا؟

○ ج: اللهُ أَعلَمُ.

(الشَّيخُ): تَكلَّم عَلَى ﴿أَسِيد بنِ زَيدٍ﴾؟ هَذَا غَرِيبٌ، شَيخٌ غَرِيبٌ.

[قالَ الحَافِظُ ابنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللهُ فِي «فتْحِ البَارِي» (١١/ ٤٠٦)]: «قَوْلُهُ: ﴿وَحَدَّثَنِي أَسِيدٌ﴾ بِفَتْحِ الْهمزَة وَكسْرِ الْمُهْملَة هُوَ: ابنُ زَيْدٍ الْجَمَّالُ بِالْجِيم، كُوفِيٌّ حَدَّثَ بِبَغْدَادَ، قَالَ أَبُو حَاتِم: كَانُوا يَتَكَلَّمُونَ فِيهِ، وَضَعَّفَهُ جَمَاعَةٌ، وأفحش ابن مَعِينٍ فِيهِ الْقَوْلَ، وَلَيْسَ لَهُ عِنْدَ الْبُخَارِيِّ سِوَى هَذَا الْمَوْضِعِ، وَقَدْ قَرَنَهُ فِيهِ بِغَيْرِهِ، وَلَعَلَّهُ كَانَ عِنْدَهُ ثِقَةً، قَالَهُ أَبُو مَسْعُودٍ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ لَا يَكُونَ خَبُرَ أَمْرَهُ كَمَا يَنْبَغِي، وَإِنَّمَا سَمِعَ مِنْهُ هَذَا الْحَدِيثَ الْوَاحِدَ، وَقد وَافَقَهُ عَلَيْهِ جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ شُرَيْحُ بْنُ النُّعْمَانِ عِنْدَ أَحْمَدَ».

(الشَّيخُ): «مِنهُم سُرَيج» بِالجِيمِ والسِّينِ.

(القَارِئُ): عِندَنا بِالشِّينِ.

(الشَّيخُ): لا، غَلطٌ، ما هُناكَ شُرَيحُ بنُ النُّعمانِ، سُرَيجُ بنُ النُّعمَانِ...

= عَلَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، فَاسْتَزَدْتُ رَبِّي ﷻ فَزَادَنِي مَعَ كُلِّ وَاحِدٍ سَبْعِينَ أَلْفًا».
قَالَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه: فَرَأَيْتُ أَنَّ ذَلِكَ آتٍ عَلَى أَهْلِ الْقُرَى، وَمُصِيبٌ مِنْ حَافَّاتِ الْبَوَادِي.
قال الهيثمي: أخرجه أحمد، وأبو يعلى، وفيهما المسعودي وقد اختلط، وتابعيه لم يسم، وبقية رجال أحمد رجال الصحيح. «مجمع الزوائد» (١٠/ ٤١٠).
وقال البوصيري: أخرجه أبو داود الطيالسي، وأحمد بن حنبل، وأبو يعلى بسند فيه راو لم يسم. «إتحاف الخيرة المهرة» (٧٨٩٨).

(١) أخرجه الترمذي (٢٤٣٧)، وابن ماجه (٤٢٨٦)، وأحمد (٣٦/ ٦٣٩) رقم (٢٢٣٠٣) عن أبي أُمامة الباهلي رضي الله عنه. قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.

[قَالَ الحَافِظُ رَحِمَهُ اللَّهُ]: «مِنْهُمْ شُرَيْحُ بْنُ النُّعْمَانِ عِنْدَ أَحْمَدَ، وَسَعِيدِ بْنِ مَنْصُورٍ عِنْدَ مُسْلِمٍ، وَغَيْرِهِمَا، وَإِنَّمَا احْتَاجَ إِلَيْهِ فِرَارًا مِنْ تَكْرِيرِ الْإِسْنَادِ بِعَيْنِهِ؛ فَإِنَّهُ أَخْرَجَ السَّنَدَ الْأَوَّلَ فِي الطِّبِّ فِي «بَابُ مَنِ اكْتَوَى» ثُمَّ أَعَادَهُ هُنَا فَأَضَافَ إِلَيْهِ طَرِيقَ هُشَيْمٍ، وَتَقَدَّمَ لَهُ فِي الطِّبِّ أَيْضًا فِي «بَابِ مَنْ لَمْ يَرْقِ» مِنْ طَرِيقِ حُصَيْنِ بْنِ بَهْزٍ عَنْ حُصَيْنِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ، وَتَقَدَّمَ بِاخْتِصَارٍ قَرِيبًا مِنْ طَرِيقِ شُعْبَةَ عَنْ حُصَيْنِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ». [انتهى كلامه].

[قَالَ الحَافِظُ ابنُ حَجرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «تَقرِيبِ التَّهْذِيبِ» (٥١٢)]: «أَسِيد بنُ زَيدِ بنِ نُجيحٍ الجمَّالُ ـ بالجِيمِ ـ الهَاشِميُّ مَولاهُمُ، الكُوفِيُّ، ضَعيفٌ، أفرَطَ ابنُ مَعينٍ فكَذَّبَه، وما لَهُ فِي البُخارِيِّ سِوَى حَديثٍ وَاحِدٍ مَقرُونٍ بغَيرِه، مِنَ العَاشِرةِ، مَاتَ قَبْلَ العِشرِينَ، خ».

• **س: عَفَا اللهُ عَنكَ يَا شَيخُ: زِيادةُ «يَرقُون» عِندَ مُسلِم[1]؟**

○ **ج**: هَذِه رَواهَا مُسلِمٌ لكِنَّها ضَعيفةٌ عِندَ أَهلِ العِلمِ، غَلطٌ من بَعضِ الرُّواةِ؛ لأنَّ الرُّقيةَ من دُونِ سُؤالٍ لَا بَأسَ بِهَا مَشرُوعةٌ.

نبِّهَ عِندَكَ الشَّارِحُ عَلَى رِوايَةِ ﴿يَرقُون﴾ عِندَ مُسلِمٍ لَيسَت عِندَ البُخارِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ؟ أو العَينِيُّ؟

[قَالَ الحَافِظُ ابنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «فتْحِ البَارِي» (١١/٤٠٦)]: «وَوَقَعَ فِي رِوَايَةِ سَعِيدِ بْنِ مَنْصُورٍ عِنْدَ مُسْلِمٍ: «وَلَا يَرْقُونَ» بَدَلَ «وَلَا يَكْتَوُونَ»، وَقَدْ أَنْكَرَ الشَّيْخُ تَقِيُّ الدِّينِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ هَذِهِ الرِّوَايَةَ وَزَعَمَ أَنَّهَا غَلَطٌ مِنْ رَاوِيهَا، وَاعْتَلَّ بِأَنَّ الرَّاقِيَ يُحْسِنُ إِلَى الَّذِي يَرْقِيهِ فَكَيْفَ يَكُونُ ذَلِكَ مَطْلُوبَ التَّرْكِ؟! وَأَيْضًا فَقَدْ رَقَى جِبْرِيلُ النَّبِيَّ ﷺ وَرَقَى النَّبِيُّ أَصْحَابَهُ». [انتهى كلامه].

قَالَ ابنُ بَازٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: رَقَى مِن بَابِ رَمَى. رقَى يَرقِي، بخِلافِ رَقِيَ بمَعنَى صَعِدَ.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٢٠) عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

[قَالَ الحَافظُ رَحِمَهُ اللَّهُ]: «وَأَذِنَ لَهُمْ فِي الرُّقى وَقَالَ: **«مَنِ اسْتَطَاعَ أَنْ يَنْفَعَ أَخَاهُ فَلْيَفْعَلْ»**، وَالنَّفْعُ مَطْلُوبٌ. قَالَ: وَأَمَّا الْمُسْتَرقِي فَإِنَّهُ يَسْأَلُ غَيْرَهُ وَيَرْجُو نَفْعَهُ، وَتَمَامُ التَّوَكُّلِ يُنَافِي ذَلِكَ. قَالَ: وَإِنَّمَا الْمُرَادُ وَصْفُ السَّبْعِينَ بِتَمَامِ التَّوَكُّلِ فَلَا يَسْأَلُونَ غَيْرَهُمْ أَنْ يَرْقِيَهُمْ وَلَا يَكْوِيَهُمْ وَلَا يَتَطَيَّرُونَ مِنْ شَيْءٍ.

وَأَجَابَ غَيْرُهُ بِأَنَّ الزِّيَادَةَ مِنَ الثِّقَةِ مَقْبُولَةٌ، وَسَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ حَافِظٌ وَقَدِ اعْتَمَدَهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَاعْتَمَدَ مُسْلِمٌ عَلَى رِوَايَتِهِ هَذِهِ، وَبِأَنَّ تَغْلِيطَ الرَّاوِي مَعَ إِمْكَانِ تَصْحِيحِ الزِّيَادَةِ لَا يُصَارُ إِلَيْهِ وَالْمَعْنَى الَّذِي حَمَلَهُ عَلَى التَّغْلِيطِ مَوْجُودٌ فِي الْمُسْتَرقِي؛ لِأَنَّهُ اعْتَلَّ بِأَنَّ الَّذِي لَا يَطْلُبُ مِنْ غَيْرِهِ أَنْ يَرْقِيَهُ تَامُّ التَّوَكُّلِ، فَكَذَا يُقَالُ لَهُ وَالَّذِي يَفْعَلُ غَيْرُهُ بِهِ ذَلِكَ يَنْبَغِي أَنْ لَا يُمَكِّنَهُ مِنْهُ لِأَجْلِ تَمَامِ التَّوَكُّلِ، وَلَيْسَ فِي وُقُوعِ ذَلِكَ مِنْ جِبْرِيلَ دَلَالَةٌ عَلَى الْمُدَّعَى وَلَا فِي فِعْلِ النَّبِيِّ ﷺ لَهُ أَيْضًا دَلَالَةٌ؛ لِأَنَّهُ فِي مقَام التشريع وتبيين الْأَحْكَامِ.

وَيُمْكِنُ أَنْ يُقَالَ: إِنَّمَا تَرَكَ الْمَذْكُورُونَ الرُّقَى وَالِاسْتِرْقَاءَ حَسْمًا لِلْمَادَّةِ؛ لِأَنَّ فَاعِلَ ذَلِكَ لَا يَأْمَنُ أَنْ يَكِلَ نَفْسَهُ إِلَيْهِ، وَإِلَّا فَالرُّقْيَةُ فِي ذَاتِهَا لَيْسَتْ مَمْنُوعَةً، وَإِنَّمَا مُنِعَ مِنْهَا مَا كَانَ شِرْكًا أَوِ احْتَمَلَهُ، وَمِنْ ثَمَّ قَالَ ﷺ: **«اعْرِضُوا عَلَيَّ رُقَاكُمْ، وَلَا بَأْسَ بِالرُّقَى مَا لَمْ يَكُنْ شِرْكٌ»**. فَفِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى عِلَّةِ النَّهْيِ كَمَا تَقَدَّمَ تَقْرِيرُ ذَلِكَ وَاضِحًا فِي كِتَابِ الطِّبِّ.

وَقَدْ نَقَلَ الْقُرْطُبِيُّ عَنْ غَيْرِهِ أَنَّ اسْتِعْمَالَ الرُّقَى وَالْكَيِّ قَادِحٌ فِي التَّوَكُّلِ بِخِلَافِ سَائِرِ أَنْوَاعِ الطِّبِّ، وَفُرِّقَ بَيْنَ الْقِسْمَيْنِ بِأَنَّ الْبُرْءَ فِيهِمَا أَمْرٌ مَوْهُومٌ، وَمَا عَدَاهُمَا مُحَقَّقٌ عَادَةً كَالْأَكْلِ وَالشُّرْبِ، فَلَا يَقْدَحُ. قَالَ الْقُرْطُبِيُّ: وَهَذَا فَاسِدٌ مِنْ وَجْهَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّ أَكْثَرَ أَبْوَابِ الطِّبِّ مَوْهُومٌ.

وَالثَّانِي: أَنَّ الرُّقَى بِأَسْمَاءِ اللهِ تَعَالَى تَقْتَضِي التَّوَكُّلَ عَلَيْهِ وَالِالْتِجَاءَ إِلَيْهِ وَالرَّغْبَةَ فِيمَا عِنْدَهُ وَالتَّبَرُّكَ بِأَسْمَائِهِ، فَلَوْ كَانَ ذَلِكَ قَادِحًا فِي التَّوَكُّلِ لَقَدَحَ

الدُّعَاءُ؛ إِذْ لَا فَرْقَ بَيْنَ الذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ، وَقَدْ رُقِيَ النَّبِيُّ ﷺ وَرَقَى وَفَعَلَهُ السَّلَفُ وَالْخَلَفُ، فَلَوْ كَانَ مَانِعًا مِنَ اللَّحَاقِ بِالسَّبْعِينَ أَوْ قَادِحًا فِي التَّوَكُّلِ لَمْ يَقَعْ مِنْ هَؤُلَاءِ وَفِيهِمْ مَنْ هُوَ أَعْلَمُ وَأَفْضَلُ مِمَّنْ عَدَاهُمْ.

وَتُعُقِّبَ بِأَنَّهُ بَنَى كَلَامَهُ عَلَى أَنَّ السَّبْعِينَ الْمَذْكُورِينَ أَرْفَعُ رُتْبَةً مِنْ غَيْرِهِمْ مُطْلَقًا، وَلَيْسَ كَذَلِكَ لِمَا سَأُبَيِّنُهُ، وَجَوَّزَ أَبُو طَالِبِ بْنُ عَطِيَّةَ فِي مُوَازَنَةِ الْأَعْمَالِ أَنَّ السَّبْعِينَ الْمَذْكُورِينَ هُمُ الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۝١١ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝١٢﴾ [الواقعة: ١٠ ـ ١٢] فَإِنْ أَرَادَ أَنَّهُمْ مِنْ جُمْلَةِ السَّابِقِينَ فَمُسَلَّمٌ، وإلا فَلَا.

وَقد أَخْرَجَ أَحْمَدُ وَصَحَّحَهُ ابن خُزَيْمَة وابن حِبَّانَ مِنْ حَدِيثِ رِفَاعَةَ الْجُهَنِيِّ قَالَ: أَقْبَلْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ... فَذَكَرَ حَدِيثًا وَفِيهِ: «**وَعَدَنِي رَبِّي أَنْ يُدْخِلَ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعِينَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ، وإني لأرجو أن لَا يَدخُلُوها حَتَّى تبوؤا أَنْتُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَذُرِّيَّاتِكُمْ مَسَاكِنَ فِي الْجَنَّةِ**». فَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ مَزِيَّةَ السَّبْعِينَ بِالدُّخُولِ بِغَيْرِ حِسَابٍ لَا يَسْتَلْزِمُ أَنَّهُمْ أَفْضَلُ مِنْ غَيْرِهِمْ؛ بَلْ فِيمَنْ يُحَاسَبُ فِي الْجُمْلَةِ مَنْ يَكُونُ أَفْضَلَ مِنْهُمْ، وَفِيمَنْ يَتَأَخَّرُ عَنِ الدُّخُولِ مِمَّنْ تَحَقَّقَتْ نَجَاتُهُ وَعُرِفَ مَقَامُهُ مِنَ الْجَنَّةِ يَشْفَعُ فِي غَيْرِهِ مَنْ هُوَ أَفْضَلُ مِنْهُمْ، وَسَأَذْكُرُ بَعْدَ قَلِيلٍ مِنْ حَدِيثِ أُمِّ قَيْسٍ بِنْتِ مُحْصَنٍ أَنَّ السَّبْعِينَ أَلْفًا مِمَّنْ يُحْشَرُ مِنْ مَقْبَرَةِ الْبَقِيعِ بِالْمَدِينَةِ وَهِيَ خُصُوصِيَّةٌ أُخْرَى». [انتهى كلامه].

قَالَ ابنُ بَازٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: عَلَى كلِّ حَالٍ مِثْلُ ما قَالَ المُؤلِّفُ مُحتمِلٌ، الشَّيخُ تَقيُّ الدِّينِ رَحِمَهُ اللَّهُ ومَن قَالَ بتَوهِينِ رِوايَةِ ﴿يَرقُونَ﴾ وَجهُه أنَّ الرُّقيةَ إحسانٌ، مُجرَّدُ إحسَانٍ وفَضْلٍ لَيسَ فِيهَا سُؤالٌ لأحدٍ، فَعَلَها النَّبيُّ ﷺ وفَعَلَها مَعَ أَصحَابِه رضي الله عنهم وفَعَلَها فِي نَفسِه؛ فلهَذَا استَنبَطَ من هَذَا أنَّهَا وَهمٌ من بَعضِ الرُّواةِ، والحافِظ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ: لَا يَلزَمُ من ذَلِكَ أنَّهُ يَكُونُ وَهمًا؛ لأنَّ الأَصلَ عَدمُ تَوهيم الثِّقةِ إلَّا بحُجَّةٍ؛ فلَا يَلزَمُ من ذَلِكَ أنْ تَكُونَ رِوايَةُ مُسلِمٍ هَذِه فِيهَا غَلطٌ، ويَكُونُ مِثلَ: ﴿يَستَرقُونَ﴾ يَكُونُ هَذَا شَيئًا بخُصوصِ الرُّقيةِ فَقطْ تَركُها أَفضَلُ، وإذَا دَعتِ

الحاجَةُ إِلَيهَا فلَا بَأسَ، وفَعَلَها النَّبيُّ ﷺ من بَابِ التَّشرِيعِ، وفَعَل جَبرائِيلُ كَذَلِكَ، ولَا يَلزمُ من ذَلِكَ تَغليطُ الرَّوايِ؛ فهُوَ أَمرٌ مُحتمِلٌ.

وبكُلِّ حالٍ كَونُ الرَّسُولِ ﷺ فَعَلَها وفَعَلَها أَصحابُه يَكفِي، وهَكَذا الِاستِرقَاءُ عِندَ الحَاجةِ إِلَيهِ، فلَا كَراهَةَ، وكَونُ هَؤلَاءِ فَعَلوا ذَلِكَ حِرصًا عَلَى كَمالِ التَّوكُّلِ، وتَمامِ التَّوكُّلِ لَهُم أَجرُهُم فِيهِ، ولَهُم فَضلُهُم فِيهِ، ولَا يَلزَمُ من ذَلِكَ كَراهَةُ الِاستِرقاءِ، أو كَراهةُ الرُّقيَةِ، أو كَراهَةُ الكَيِّ لغَيرِهِم إِذَا دَعتِ الحَاجةُ إِلَى ذَلِكَ.

• **س: أَحسَنَ اللهُ إِليكَ، إِذَا طُلِبَ مِنهُ أن يَرقِيَ يَمتنِعُ؟**

○ **ج**: لَا يَمتنِعُ، لَا يَمتنِعُ؛ لأَنَّهُ إِحسَانٌ، مِن بَابِ الإِحسَانِ، الكَراهَةُ مُوجَّهةٌ لِمَن يَطلُبُ لَا لِلمَطلُوبِ، ثُمَّ إِنَّها لَيسَت كَراهَةً، وإِنَّما هُوَ خَبرٌ، والنَّبيُّ ﷺ أَمَر بِالِاستِرقَاءِ فِي حَديثِ أُمِّ سَلمَةَ رضي الله عنها، وفِي حَديثِ عَائِشةَ رضي الله عنها، وفِي حَديثِ أَسمَاءَ بِنتِ عُمَيسٍ رضي الله عنها؛ فالأَحَادِيثُ ثابِتةٌ فِي أَمرِهِ بِالِاستِرقاءِ؛ فدَلَّ عَلَى أَنَّهُ لَا حَرَجَ فِيهِ ولَا كَراهَةَ أَيضًا.

• **س: هَل مُباحٌ لِلإِنسَانِ أن يَدعُوَ: اللَّهُمَّ اجعَلْني مِنَ السَّبعِينَ أَلفًا؟**

○ **ج**: لَا بَأسَ طيِّبٌ مِثلَما قَالَ النَّبيُّ ﷺ فِي عُكَّاشةَ رضي الله عنه: «**اللَّهُمَّ اجْعَلْه مِنهُم**»[1]، لكَمالِ تَقواهُ وكَمالِ إِيمَانِه.

• **س: عَفَا اللهُ عَنكَ يا شَيخُ، هل تَركُ الإِحسَانِ سَببٌ إِلَى سَبقِ الدُّخُولِ إِلَى الجَنَّةِ؟**

○ **ج**: لا، الإِحسَانُ لَهُم وَاجِبٌ، الإِحسَانُ قِسمَانِ: إِحسَانٌ واجِبٌ وإِحسَانٌ لَيسَ بواجِبٍ، الإِحسَانُ الواجِبُ تَركُه مَعصِيةٌ، والإِحسَانُ الَّذِي لَيسَ بواجِبٍ لَيسَ تَركُه مَعصِيةً.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٨١١)، ومسلم (٢١٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

• **س: السَّبعونَ ألفًا كُلُّهم قُبِروا فِي البَقيعِ؟**

○ **ج**: اللهُ أعلَمُ، هَذَا يَحتاجُ إِلَى نَظرٍ.

• **س**: ...؟

○ **ج**: هُوَ أعلَمُ بنَفسِه إِذَا طَلَبَها، والمَسؤُولُ مُخيَّرٌ، إِنْ شَاءَ أَجابَ وإِنْ شَاءَ تَرَكَ، هُوَ مُخيَّرٌ، إِنْ أَجَابَ أَخاهُ فلَا بَأسَ، وإِنْ تَرَكَ فلَا بَأسَ؛ الأَمرُ واسِعٌ، والنَّبيُّ ﷺ أَمَر أن يُستَرقَى مِنَ العَينِ والحُمَةِ[1]؛ فدَلَّ ذَلِكَ عَلَى أنَّ مَن سُئِل تُشرَعُ لَهُ الإِجابَةُ لِينفَعَ أَخاهُ.

• **س: القَولُ بأنَّ... السَّبعِينَ أَفضَلُ مِنهُم؟**

○ **ج**: ما يَلزَمُ من هَذَا الفَضلِ الَّذِي خَصَّهمُ اللهُ بِهِ أن يَكُونَ غَيرُهُم دُونَهُم، لكِنْ فِيهِ فَضلٌ لَهُم: «**يَدخُلُون الجَنَّةَ بغَيرِ حِسابٍ**»، ثُمَّ دُخُولُ الجَنَّةِ بغَيرِ حِسابٍ مُتفاوِتٌ، قد يَدخُلونَ الجَنَّةَ جَميعًا وهم مَلايِينُ بغَيرِ حِسابٍ لكِنَّهُم طَبَقاتٌ، بَعضُهُم فَوقَ بَعضٍ؛ فالصِّدِّيقُ ﷺ مَثلًا يَدخُلُ الجَنَّةَ بغَيرِ حِسابٍ، وعُمرُ ﷺ يَدخلُ الجَنَّةَ بغَيرِ حِسابٍ، والصِّدِّيقُ أَفضَلُ مِن عُمرَ ﷺ، ما يَلزَمُ مِن كَونِهِم يَدخُلونَ الجَنَّة بغَيرِ حِسابٍ أن تَكُونَ حَالُهُم وَاحِدةً، قد يَكُونُ السَّبعُونَ والمَلايِينُ مِنَ الدَّاخِلينَ الجَنَّةَ بغَيرِ حِسابٍ مَعلومٌ أَنَّهُم طَبَقاتٌ فِي فَضلِهِم عِندَ اللهِ ﷻ، ومَقامُهُم عِندَه ﷻ.

• **س: حَديثُ: «لا يَدخُلونَ الجَنَّةَ حتَّى تَبلُغُوا أَنتُم مَنازِلَكُم»؟**

○ **ج**: هَذَا يَدلُّ عَلَى أَنَّهُ لَا يَلزَمُ أن يَكُونُوا سَابِقينَ، وإِنْ كَانُوا يَدخُلونَها بغَيرِ حِسابٍ، لكِنْ لَا يَلزَمُ أن يَكُونُوا أَسبَقَ النَّاسِ إِلَيهَا، قد يَسبِقُهُم غَيرُهُم كالصَّحابَةِ ﷺ وأرضاهم، بالنِّسبةِ إِلَى مَن بَعدَهُم؛ ولهَذَا قَالَ: «**إِنِّي لَأَرجُو أَلَّا يَدخُلُوهَا إِلَّا وقَد تَبوَّأتُم مَنازِلَكُم أَنتُم**»؛ يَعنِي: فِي الجَنَّةِ الصَّحابَةُ ﴿وَمَن

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٨٨٤)، والترمذي (٢٠٥٧)، عن عمران بن حصين ﷺ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**لَا رُقْيَةَ إِلَّا مِنْ عَيْنٍ أَوْ حُمَةٍ**».

صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ﴾ [غافر: ٨] اللَّهُمَّ ارْضَ عَنهُم.

• س: يَدلُّ عَلَى تَفضِيلِ الصَّحابَةِ ﷺ عَلَى السَّبعِينَ؟

○ ج: عَلَى مَن دُونَهُم.

• س: يا شَيخُ: الأَفضلُ لِلمَريضِ عَدمُ طَلَبِ الرُّقيَةِ؟

○ ج: أَفضَلُ نَعَم، لخَبرِ السَّبعِينَ، إِلَّا إِذَا دَعتِ الحَاجةُ إِلَى ذَلِكَ، إِذَا ما تَيسَّرَ لَهُ أَسبَابٌ أُخرَى؛ ولهَذَا أَمَر النَّبيُّ ﷺ أن يُسترقَى مِنَ العَينِ، مِثلُ الكَيِّ تَركُه أَولَى مَكروهٌ، وإِذَا دَعتِ الحَاجةُ إِلَيهِ زَالتِ الكَراهةُ.

* * *

٦٥٤٢ حَدَّثَنَا مُعَاذُ بْنُ أَسَدٍ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللهِ، أَخْبَرَنَا يُونُسُ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، قال: حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ حَدَّثَهُ قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «يَدْخُلُ مِنْ أُمَّتِي زُمْرَةٌ، هُمْ سَبْعُونَ أَلْفًا، تُضِيءُ وُجُوهُهُمْ إِضَاءَةَ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ» وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَقَامَ عُكَّاشَةُ بْنُ مِحْصَنٍ الأَسَدِيُّ، يَرْفَعُ نَمِرَةً عَلَيْهِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، ادْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، قَالَ: «اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ مِنْهُمْ»، ثُمَّ قَامَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، ادْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، فَقَالَ: «سَبَقَكَ بها عُكَّاشَةُ». [سبق برقم ٥٨١١، وأخرجه مسلم، برقم ٢١٦]

الشَّرح

(ع): قَالَ هَذَا سَدًّا لِلبَابِ؛ لِئَلَّا يَقُومَ مَن لَا يَستَحِقُّ، قَفلَ البَابَ بِقَولِهِ: ﴿سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ﴾ عَلَيهِ الصلاة والسلام، وَهَذَا فِيهِ تَفَاوُتُ المُؤمِنِينَ فِي أَعمَالِهِمُ الصَّالِحَةِ، مِنهُمْ مَن يَدخُلُ أَوَّلَ زُمرَةٍ تُضِيءُ وُجُوهُهُم كَلَيلَةِ القَمرِ لَيْلَةَ البَدرِ، وَالزُّمرَةُ الَّتِي بَعدَهَا عَلَى أَضْوَاءِ كَوكَبٍ دُرِّيٍّ فِي السَّمَاءِ.

• س: عَفَا اللهُ عَنكَ، العَدَدُ سَبعُونَ أَلفًا، هَلْ لَهُ مَعنًى يَا شَيخُ فِي التَّحدِيدِ؟

○ ج: طَائِفَةٌ مِنَ المُؤمِنِينَ.

* * *

٦٥٤٣ حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ أَبِي مَرْيَمَ، حَدَّثَنَا أَبُو غَسَّانَ، قال: حَدَّثَنِي أَبُو حَازِمٍ عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ قال: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَيَدْخُلَنَّ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعُونَ أَلْفًا، أَوْ سَبْعُمِئَةِ أَلْفٍ ـ شَكَّ فِي أَحَدِهِمَا ـ مُتَمَاسِكِينَ، آخِذٌ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ، حَتَّى يَدْخُلَ أَوَّلُهُمْ وَآخِرُهُمُ الْجَنَّةَ، وَوُجُوهُهُمْ عَلَى ضَوْءِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ». [سبق برقم ٣٢٤٧، وأخرجه مسلم، برقم ٢١٩]

الشَّرح

(ع): اللهُ أَكْبَرُ، اللهُ يَجعَلْنَا وَإِيَّاكُمْ مِنهُم، اللهُ المُستَعَانُ.

* * *

٦٥٤٤ حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللهِ، حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، حَدَّثَنَا أَبِي، عَنْ صَالِحٍ، حَدَّثَنَا نَافِعٌ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال: «يدْخلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ، ثُمَّ يَقُومُ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ: يَا أَهْلَ النَّارِ لَا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ الْجَنَّةِ لَا مَوْتَ، خُلُودٌ». [طرفه في: ٦٥٤٨، وأخرجه مسلم، برقم ٢٨٥٠]

الشَّرح

(ع): يَعْنِي: هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ، يَا أَهلَ الجَنَّةِ خُلُودٌ فَلَا مَوتَ؛ فَيَزدَادُ نَعِيمُهُمْ وَسُرُورُهُمْ، وَيَا أَهلَ النَّارِ خُلُودٌ فَلَا مَوتَ فَيَزدَادُ شَقَاؤُهُمْ وَيَأسُهُمْ، نَسأَلُ اللهَ العَافِيَةَ، بَعدَ خُرُوجِ الْمُوَحِّدِينَ مِنَ النَّارِ.

وذَلِكَ لِيَزدَادَ أَهلُ الجَنَّةِ نَعِيمًا وطُمَأنِينةً وسُرُورًا، ويَزدَادَ أَهلُ النَّارِ حَسْرةً وثُبُورًا؛ فإنَّ هَذَا المُؤذِّنَ يُنادِي بَينَهُم يَقولُ: «يَا أَهلَ الجَنَّةِ، خُلُودٌ فلَا مَوتَ، ويَا أَهلَ النَّارِ خُلودٌ فلَا مَوتَ». نَسأَلُ اللهَ العَافِيةَ؛ فيَزدَادَ أَهلُ الخَيرِ غِبْطةً وسُرورًا، ويَزدَادَ المُعذَّبونَ شَرًّا وثُبورًا.

• س: أَحسَنَ اللهُ إِلَيكَ، هَذَا بَعدَ خُروجِ العُصَاةِ مِنَ النَّارِ؟

○ ج: لَعلَّه.

* * *

٦٥٤٥ حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، حَدَّثَنَا أَبُو الزِّنَادِ، عَنِ الأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قال: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «يُقَالُ لأَهْلِ الْجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ، خُلُودٌ لَا مَوْتَ، وَلأَهْلِ النَّارِ: يَا أَهْلَ النَّارِ، خُلُودٌ لَا مَوْتَ».

الشَّرح

وهَذَا بَعدَ التَّمحِيصِ وإخرَاجِ العُصاةِ؛ لأنَّ العُصاةَ لَهُم أَمَدٌ يَنتَهُونَ إِلَيهِ؛ فإِذَا ميَّزَ اللهُ أُولئِكَ وأَخرَجَهُم بَقِيَ أَهلُ النَّارِ الَّذِينَ هم أَهلُها ـ نَسأَلُ اللهَ العَافِيةَ ـ فِي الرِّوَايَةِ الأُخْرَى: «ويُؤتَى بِالمَوتِ فِي صُورةِ كَبشٍ أَملَحَ؛ فيُقامُ بَينَ الجَنَّةِ والنَّارِ، ويُدعَى هَؤلَاءِ وهَؤلَاءِ، ويُقالُ: هَل تَعرِفُون هَذَا؟ قَالُوا: نَعَم، قَالَ: هَذَا المَوتُ؟ فيُذبَحُ، ثُمَّ يُقالُ: يَا أَهلَ الجَنَّةِ خُلودٌ فلَا مَوتَ، ويا أَهلَ النَّارِ خُلودٌ فلَا مَوتَ»[1]، نَسأَلُ اللهَ السَّلامةَ، اللهُ أَكْبَرُ.

- **س: أَحسَنَ اللهُ إِلَيكَ يَا شَيخُ، القَنطَرَةُ تَكُونُ بَعدَ الْمُرُورِ عَلَى الصِّرَاطِ؟**

○ ج: نَعَمْ، القَنطَرَةُ بَينَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ بَعدَ الصِّرَاطِ، خَاصَّةٌ بِالْمُؤمِنِينَ.

- **س: أَحسَنَ اللهُ إِلَيكَ يَا شَيخُ، الرَّاجِحُ فِي أَهلِ الأَعرَافِ؟**

○ ج: اللهُ أَعلَمُ.

- **س: أَحسَنَ اللهُ إِلَيكَ يَا شَيخُ، عَرَفنَا أَنَّ الصِّفَاتِ لَا تُدْعَى، فَبَعضُ النَّاسِ مَثَلًا إِذَا أَهَمَّهُ أَمرٌ أَوِ اسْتَغرَبَ مِن أَمرٍ يَقُولُ: يَا وَجهَ اللهِ، هَلْ يَكُونُ هَذَا مِن بَابِ دُعَاءِ الصِّفَةِ؟**

○ ج: يُعلَّمُ، يَقُولُ: يَا اللهُ. يُعَلَّمُ: يَا اللهُ، يَا رَحمٰنُ يَا رَحِيمُ، لَا يَقُولُ: يَا رَحمَةَ اللهِ أَوْ يَا وَجهَ اللهِ، أَوْ يَا عِلمَ اللهِ، يَدعُو الرَّبَّ ﷻ.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٧٣٠)، ومسلم (٢٨٤٩) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

• **س: أَحسَنَ اللهُ إليكَ، ما ثَبَت فِي زِيادَةٍ عَلَى السَّبعِينَ أَلفًا: «وحَثَيَاتٌ من حَثَيَاتِ رَبِّي»[1]؟**

○ ج: بَلَى، تَقدَّمتِ الإشارَةُ إِلَى هَذَا.

• **س: مُناسَبةُ الحَديثِ الأَخيرِ لِلبَابِ: «بَابٌ: يَدْخُلُ الجَنَّةَ سَبْعُونَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ»؟**

○ ج: الظَّاهِرُ من بَابِ كَمالِ الفَائِدةِ؛ يَعنِي: لأنَّ لَهُ تَعلُّقًا بأهلِ الجَنَّةِ؛ لأنَّ هَذَا يَعُمُّ السَّبعِينَ وغَيرَ السَّبعِينَ.

• **س: أَحسَنَ اللهُ إِلَيكَ، يَدلُّ عَلَى كَمالِ إيمَانِهم؟**

○ ج: بَلَى لكَمالِ إيمَانِهِم؛ لكِنْ كُمِّلُ الإيمَانِ فِيهِم مِنْ غَيرِ السَّبعِينَ؛ اللهُ المُستَعانُ.

• **س: أَحسَنَ اللهُ إِليكَ، كَونُ الرَّسُولِ ﷺ دَعَا لعُكَّاشةَ رضي الله عنه ولم يَدعُ للآخَرِ؟**

○ ج: سدًّا للبَابِ؛ يَقولُ العُلَماءُ: سَدًّا لِلبَابِ؛ لِئلَّا يَتسرَّبَ مَن لَيسَ أهلًا لذَلِكَ فيُفتضَحَ.

(الشَّيخُ): ما تَكلَّم عَلَى زِيادَةِ: ﴿مَعَ كلِّ أَلفٍ سَبعُونَ أَلفًا﴾ تَعرَّض لِلزِّيادةِ ﴿الحَثَيَاتِ﴾؟

[قالَ الحَافِظُ ابنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «فتْحِ البَارِي» (١١/ ٤١٠)]: «وَقَدْ وَقَعَ فِي أَحَادِيثَ أُخْرَى أَنَّ مَعَ السَّبْعِينَ أَلْفًا زِيَادَةً عَلَيْهِمْ، فَفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ عِنْدَ أَحْمَدَ وَالْبَيْهَقِيِّ فِي «الْبَعْثِ» مِنْ رِوَايَةِ سُهَيْلِ بْنِ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**سَأَلْتُ رَبِّي فَوَعَدَنِي أَنْ يُدْخِلَ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي...**» فَذَكَرَ الْحَدِيثَ نَحْوَ سِيَاقِ حَدِيثِ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ثَانِي

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٤٣٧)، وابن ماجه (٤٢٨٦)، وأحمد (٣٦/ ٦٣٩) رقم (٢٢٣٠٣) عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه. قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.

أَحَادِيث الْبَاب، وَزَاد: «**فاسْتَزدْتُ رَبِّي فَزَادَنِي مَعَ كُلِّ أَلْفٍ سَبْعِينَ أَلْفًا**». وَسَنَدُهُ جَيِّدٌ، وَفِي الْبَابِ عَنْ أَبِي أَيُّوبَ عِنْدَ الطَّبَرَانِيِّ وَعَنْ حُذَيْفَةَ عِنْدَ أَحْمَدَ، وَعَنْ أَنَسٍ عِنْد الْبَزَّار وَعَن ثَوْبَان عِنْد ابن أَبِي عَاصِمٍ. فَهَذِهِ طُرُقٌ يُقَوِّي بَعْضُهَا بَعْضًا.

وَجَاء فِي أَحَادِيث أُخْرَى أَكثر من ذَلِك: فَأخْرج التِّرْمِذِيّ وَحسَّنه، وَالطَّبَرَانِيّ وابن حِبَّانَ فِي «صَحِيحِهِ» مِنْ حَدِيثِ أَبِي أُمَامَةَ رَفَعَهُ: «**وَعَدَنِي رَبِّي أَنْ يُدْخِلَ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعِينَ أَلْفًا مَعَ كُلِّ أَلْفٍ سَبْعِينَ أَلْفًا لَا حِسَابَ عَلَيْهِمْ وَلَا عَذَابَ، وَثَلَاثَ حَثَيَاتٍ مِن حَثَيَاتِ رَبِّي**». وَفِي «صَحِيح ابن حِبَّانَ» أَيْضًا وَالطَّبَرَانِيِّ بِسَنَدٍ جَيِّدٍ مِنْ حَدِيثِ عُتْبَةَ بْنِ عَبْدٍ نَحْوُهُ بِلَفْظِ: «**ثُمَّ يَشْفَعُ كُلُّ أَلْفٍ فِي سَبْعِينَ أَلْفًا، ثُمَّ يُحْثِي رَبِّي ثَلَاثَ حَثَيَاتٍ بِكَفَّيْهِ**» وَفِيهِ: فَكَبَّرَ عُمَرُ؛ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنَّ السَّبْعِينَ أَلْفًا يُشَفِّعُهُمُ اللهُ فِي آبَائِهِمْ وَأُمَّهَاتِهِمْ وَعَشَائِرِهِمْ، وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ أَدْنَى أُمَّتِي الْحَثَيَاتِ**». وَأَخْرَجَهُ الْحَافِظُ الضِّيَاءُ وَقَالَ: لَا أَعْلَمُ لَهُ عِلَّةً.

قُلْتُ: عِلَّتُهُ الِاخْتِلَافُ فِي سَنَدِهِ؛ فَإِنَّ الطَّبَرَانِيَّ أَخْرَجَهُ مِنْ رِوَايَةِ أَبِي سَلَامٍ: حَدَّثَنِي عَامِرُ بْنُ زَيْدٍ أَنَّهُ سَمِعَ عُتْبَةَ. ثُمَّ أَخْرَجَهُ مِنْ طَرِيقِ أَبِي سَلَامٍ أَيْضًا فَقَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ اللهِ بْنُ عَامِرٍ: أَنَّ قَيْسَ بْنَ الْحَارِثِ حَدَّثَهُ، أَنَّ أَبَا سَعِيدٍ الْأَنْمَارِيَّ حَدَّثَهُ... فَذَكَرَهُ، وَزَادَ: قَالَ قَيْسٌ؛ فَقُلْتُ لِأَبِي سَعِيدٍ: سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**وَذَلِكَ يَسْتَوْعِبُ مُهَاجِرِي أُمَّتِي، وَيُوَفِّي اللهُ بَقِيَّتَهُمْ مِنْ أَعْرَابِنَا**». وَفِي رِوَايَةٍ لِابْنِ أَبِي عَاصِمٍ قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: فَحَسَبْنَا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَبَلَغَ أَرْبَعَةَ آلَافِ أَلْفٍ وَتِسْعَمِائَةِ أَلْفٍ؛ يَعْنِي: مَنْ عَدَا الْحَثَيَاتِ.

وَقَدْ وَقَعَ عِنْدَ أَحْمَدَ وَالطَّبَرَانِيِّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي أَيُّوبَ نَحْوَ حَدِيثِ عُتْبَةَ بْنِ عَبْدٍ، وَزَادَ «وَالْخَبِيئَةُ»، بِمُعْجَمَةٍ ثُمَّ مُوَحَّدَةٍ وَهَمْزَةٍ وَزْنَ عَظِيمَةٍ، «عِنْدَ رَبِّي» وَوَرَدَ مِنْ وَجْهٍ آخَرَ مَا يَزِيدُ عَلَى الْعَدَدِ الَّذِي حَسَبَهُ أَبُو سَعِيدٍ الْأَنْمَارِيُّ، فَعِنْدَ

أَحْمَدَ وَأَبِي يَعْلَى مِنْ حَدِيثِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ نَحْوُهُ بِلَفْظِ: «**أَعْطَانِي مَعَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ السَّبْعِينَ أَلْفًا سَبْعِينَ أَلْفًا**»، وَفِي سَنَدِهِ رَاوِيَانِ: **أَحَدُهُمَا** ضَعِيفُ الْحِفْظِ، **وَالْآخَرُ** لَمْ يُسَمَّ. وَأَخْرَجَ الْبَيْهَقِيُّ فِي «الْبَعْثِ» مِنْ حَدِيثِ عَمْرِو بْنِ حَزْمٍ مِثْلَهُ، وَفِيهِ رَاوٍ ضَعِيفٌ أَيْضًا، وَاخْتُلِفَ فِي سَنَدِهِ وَفِي سِيَاقِ مَتْنِهِ.

وَعِنْدَ الْبَزَّارِ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ بِسَنَدٍ ضَعِيفٍ نَحْوُهُ، وَعِنْدَ الْكَلَابَاذِيِّ فِي «مَعَانِي الْأَخْبَارِ» بِسَنَدٍ وَاهٍ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ: فَقَدْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ فَاتَّبَعْتُهُ؛ فَإِذَا هُوَ فِي مَشْرُبَةٍ يُصَلِّي، فَرَأَيْتُ عَلَى رَأْسِهِ ثَلَاثَةَ أَنْوَارٍ؛ فَلَمَّا قَضَى صَلَاتَهُ قَالَ: «**رَأَيْتِ الْأَنْوَارَ**». قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: «**إِنَّ آتِيًا أَتَانِي مِنْ رَبِّي فَبَشَّرَنِي أَنَّ اللهَ يُدْخِلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعِينَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ، ثُمَّ أَتَانِي فَبَشَّرَنِي أَنَّ اللهَ يُدْخِلُ مِنْ أُمَّتِي مَكَانَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ السَّبْعِينَ أَلْفًا سَبْعِينَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ، ثُمَّ أَتَانِي فَبَشَّرَنِي أَنَّ اللهَ يُدْخِلُ مِنْ أُمَّتِي مَكَانَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ السَّبْعِينَ أَلْفًا الْمُضَاعَفَةِ سَبْعِينَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ، فَقُلْتُ: يَا رَبِّ لَا يَبْلُغُ هَذَا أُمَّتِي؟ قَالَ: أُكَمِّلُهُمْ لَكَ مِنَ الْأَعْرَابِ مِمَّنْ لَا يَصُومُ وَلَا يُصَلِّي**».

قَالَ الْكَلَابَاذِيُّ: الْمُرَادُ بِالْأُمَّةِ أَوَّلًا أُمَّةُ الْإِجَابَةِ، وَبِقَوْلِهِ آخِرًا: «**أُمَّتِي**» أُمَّةُ الِاتِّبَاعِ؛ فَإِنَّ أُمَّتَهُ ﷺ عَلَى **ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ: أَحَدُهَا**: أَخَصُّ مِنَ الْآخَرِ أُمَّةُ الِاتِّبَاعِ، {**ثُمَّ**} أُمَّةُ الْإِجَابَةِ، {**ثُمَّ**} أُمَّةُ الدَّعْوَةِ؛ فَالْأُولَى أَهْلُ الْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَالثَّانِيَةُ مُطْلَقُ الْمُسْلِمِينَ، وَالثَّالِثَةُ مَنْ عَدَاهُمْ مِمَّنْ بُعِثَ إِلَيْهِمْ.

وَيُمْكِنُ الْجَمْعُ بِأَنَّ الْقَدْرَ الزَّائِدَ عَلَى الَّذِي قَبْلَهُ هُوَ مِقْدَارُ الْحَثَيَاتِ، فَقَدْ وَقَعَ عِنْدَ أَحْمَدَ مِنْ رِوَايَةِ قَتَادَةَ عَنِ النَّضْرِ بْنِ أَنَسٍ أَوْ غَيْرِهِ، عَنْ أَنَسٍ رَفَعَهُ: «**إِنَّ اللهَ وَعَدَنِي أَنْ يُدْخِلَ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي أَرْبَعَمِائَةِ أَلْفٍ**» فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: زِدْنَا يَا رَسُولَ اللهِ؛ فَقَالَ: «**هَكَذَا**»، وَجَمَعَ كَفَّيْهِ فَقَالَ: زِدْنَا فَقَالَ: «**وَهَكَذَا**»، فَقَالَ عُمَرُ: حَسْبُكَ أَنَّ اللهَ إِنْ شَاءَ أَدْخَلَ خَلْقَهُ الْجَنَّةَ بِكَفٍّ وَاحِدَةٍ؛ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**صَدَقَ عُمَرُ**». وَسَنَدُهُ جَيِّدٌ، لَكِنِ اخْتُلِفَ عَلَى قَتَادَةَ فِي سَنَدِهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا». [انتهى كلامه].

قَالَ ابنُ بَازٍ رَحِمَهُ اللهُ: هَذِه الزِّيادَةُ الَّتِي ذُكِرَت: «مِمَّن لَا يَصُومُ ولَا يُصَلِّي» مِثلَما تَقدَّمَ سَندُها واهٍ لَيسَ بصَحِيحٍ، والمُهِمُّ ما تَقدَّم فِي رِوايَةِ الصَّحِيحِ: «**مَعَ كُلِّ أَلفٍ سَبعُونَ أَلفًا**»، والحَثَيَاتُ لَا يُحصِي ما فِيهَا إلَّا اللهُ ﷻ؛ فإنَّ فضْلَه واسِعٌ وجُودُه عَظيمٌ ﷻ، أمَّا زِيادةُ: «ممَّن لَا يَصومُ ولَا يُصلِّي»؛ فهِيَ رِوايَةٌ واهِيةٌ مِثلَما قَالَ المُؤلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ، وكَذَلِكَ «مَعَ كلِّ وَاحِدٍ»[1]، كُلُّها رِوايَاتٌ ضَعيفَةٌ، وإنَّما المَحفُوظُ: «**مَعَ كُلِّ أَلْفٍ سَبعُونَ أَلفًا**»[2]، وفَضلُ اللهِ واسِعٌ ﷻ، كلُّ الَّتِي ذَكَرَها طُرُقُها ضَعِيفَةٌ، وإنَّمَا المَحفُوظُ: «**مَعَ كُلِّ أَلفٍ سَبعُونَ أَلفًا**».

- **س: أَحسَنَ اللهُ إلَيكَ، قَولُ الرَّسُولِ ﷺ: «إنَّ آتٍ أَتانِي» غَيرُ جِبرِيلَ عليه السلام؟**

○ **ج:** اللهُ أعلَمُ قد يَأتِي بَعضُ المَلائِكةِ غَيرُ جَبرَائِيلَ عليه السلام.

- **س: الحَثَيَاتُ بغَيرِ حِسابٍ؟**

○ **ج:** لَا يَعلَمُها إلَّا اللهُ ﷻ.

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٢٠٣) رقم (٢٢) عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أُعطِيتُ سَبْعِينَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ، وُجُوهُهُمْ كَالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، وَقُلُوبُهُمْ عَلَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، فَاسْتَزَدْتُ رَبِّي ﷻ فَزَادَنِي مَعَ كُلِّ وَاحِدٍ سَبْعِينَ أَلْفًا**». قَالَ أَبو بَكْرٍ رضي الله عنه: فَرَأَيْتُ أَنَّ ذَلِكَ آتٍ عَلَى أَهْلِ الْقُرَى، وَمُصِيبٌ مِنْ حَافَّاتِ الْبَوَادِي. قال الهيثمي: أخرجه أحمد، وأبو يعلى، وفيهما المسعودي وقد اختلط، وتابعيه لم يسم، وبقية رجال أحمد رجال الصحيح. «مجمع الزوائد» (١٠/ ٤١٠).

وقال البوصيري: أخرجه أبو داود الطيالسي، وأحمد بن حنبل، وأبو يعلى بسند فيه راو لم يسم. «إتحاف الخيرة المهرة» (٧٨٩٨).

(٢) أخرجه أحمد (١٤/ ٣٢٦) رقم (٨٧٠٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه.
قال الهيثمي: أخرجه أحمد، ورجاله رجال الصحيح. «مجمع الزوائد» (١٠/ ٤٠٥).
وقال البوصيري: أخرجه أحمد بن حنبل، ورواته ثقات. «إتحاف الخيرة المهرة» (٧٩٠٨).
وقال ابن حجر: سنده جيد. «فتح الباري» (١١/ ٤١٠).

٥١ ـ بَاب صِفَةِ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ

لها وَقَالَ أَبُو سَعِيدٍ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَوَّلُ طَعَامٍ يَأْكُلُهُ أَهْلُ الْجَنَّةِ زِيَادَةُ كَبِدِ حُوتٍ، ﴿عَدْنٍ﴾ [التوبة: ٧٢]»: خُلْدٍ، عَدَنْتُ بِأَرْضٍ: أَقَمْتُ، وَمِنْهُ الْمَعْدِنُ، (فِي مَعْدِنِ صِدْقٍ): فِي مَنْبِتِ صِدْقٍ.

الشَّرح

[قالَ الحَافِظُ ابنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «فتْحِ البَارِي» (١١/ ٤١٠)]: «قَوْلُهُ: ﴿وَقَالَ أَبُو سَعِيدٍ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَوَّلُ طَعَامٍ يَأْكُلُهُ أَهْلُ الْجَنَّةِ زِيَادَةُ كَبِدِ حُوتٍ﴾، فِي رِوَايَةِ أَبِي ذَرٍّ «كَبِدُ الْحُوتِ»، وَقَدْ تَقَدَّمَ هَذَا الْحَدِيثُ مُطَوَّلًا فِي «بَابُ يَقْبِضُ اللهُ الْأَرْضَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» وَهُوَ مَذْكُورٌ هُنَا بِالْمَعْنَى، وَتَقَدَّمَ بِلَفْظِهِ فِي بَدْءِ الْخَلْقِ، لَكِنْ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ فِي سُؤَالِ عَبْدِ اللهِ بْنِ سَلَامٍ». [انتهى كلامه].

(الشَّيخُ): مَاشٍ.

* * *

٦٥٤٦ حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ الْهَيْثَمِ، حَدَّثَنَا عَوْفٌ، عَنْ أَبِي رَجَاءٍ، عَنْ عِمْرَانَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال: «اطَّلَعْتُ فِي الْجَنَّةِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا الْفُقَرَاءَ، وَاطَّلَعْتُ فِي النَّارِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ». [سبق برقم ٣٢٤١، وأخرجه مسلم، برقم ٢٧٣٨]

الشَّرح

(ع): وَهَذَا يُبَيِّنُ لَنَا أَنَّ الفَقرَ وَإِنْ كَانَ مُصِيبَةً لَكِنْ يَنبَغِي لِمَنْ أُصِيبَ بِهِ أَنْ يَحمَدَ اللهَ وَأَنْ يَصبِرَ؛ لِأَنَّ اللهَ قَدْ يَجعَلُ لَهُ بذَلِكَ خَيْرًا عَظِيمًا وَفَرَاغًا لِطَاعَةِ اللهِ وَابْتِعَادًا عَن مَعَاصِي اللهِ ﷻ، فَيَكُونُ لَهُ فِي الفَقرِ خَيرٌ عَظِيمٌ، وَعَاقِبَةٌ حَمِيدَةٌ؛ وَلِهَذَا كَانَ أَكثَرُ أَهلِ الجَنَّةِ فُقَرَاءَ؛ لِأَنَّ الدُّنْيَا قَد تَشغَلُ أَهلَهَا، وَقَدْ تُوقِعُهُمْ فِي الْمَحَارِمِ، وَقَدْ تَجُرُّهُمْ إِلَى الطُّغْيَانِ ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۝٧﴾ [العلق: ٦، ٧].

فَالفَقرُ وَإِنْ كَانَ مُصِيبَةً لَكِنْ عَلَى صَاحِبِهِ أَنْ يَصبِرَ وَأَنْ يَتَحَمَّلَ، وَأَنْ يَتَذَكَّرَ أَنَّ هَذَا الفَقرَ قَدْ يَكُونُ سَبَبًا لِسَعَادَتِهِ وَنَجَاتِهِ، وَأَنَّ الغِنَى قَدْ يَكُونُ سَبَبًا لِهَلَاكِ الإِنسَانِ وَشَقَاوَتِهِ؛ فَلَا يَجزَعْ، وَلَا يَتَبَرَّمْ مِنْ هَذَا الفَقرِ؛ بَلْ يَتَحَمَّلُ وَيَتَصَبَّرُ، وَيَسأَلْ رَبَّهُ التوفِيقَ وَالإِعَانَةَ، وَالتَّسدِيدَ.

قَولُهُ: «**جَنَّاتُ عَدنٍ**»: يَعْنِي: جَنَّاتِ إِقَامَةٍ، عَدَنَ فِي الْمَكَانِ إِذَا أَقَامَ بِهِ، وَأَمَّا كَونُ أَكثَرِ أَهلِ النَّارِ النِّسَاءَ فَلِمَا جَاءَ فِي الرِّوَايَاتِ الأُخْرَى: «**يَكفُرنَ العَشِيرَ وَيَكفُرنَ الإِحسَانَ**»[1]، وَيُكثِرنَ التَّشَكِّيَ، وَيَكثُرُ مِنهُنَّ كُفرَانُ العَشِيرِ، وَإِنكَارُ الْمَعرُوفِ، وَيَكثُرُ مِنهَا السَّبُّ وَالشَّتمُ، وَعَدَمُ حِفظِ اللِّسَانِ، إِلَى غَيرِ هَذَا مِمَّا قَدْ يَقَعُ، فَهَذَا يُوجِبُ عَلَى الْمَرْأَةِ الحَذَرَ، وَأَنْ تَتَّقِيَ اللهَ، وَأَنْ تُرَاقِبَ اللهَ، وَأَنْ تَحذَرَ شَرَّ لِسَانِهَا، وَإِنكَارَهَا الْمَعرُوفَ، وَأَنْ تَعرِفَ لِزَوجِهَا قَدرَهُ وَحَقَّهُ وَمَعرُوفَهُ؛ حَتَّى لَا تَقَعَ مِنْ جُملَةِ هَؤُلَاءِ.

* * *

٦٥٤٧ - حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، أَخْبَرَنَا سُلَيْمَانُ التَّيْمِيُّ، عَنْ أَبِي عُثْمَانَ عَنْ أُسَامَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال: «قُمْتُ عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ، فَكَانَ عَامَّةُ مَنْ دَخَلَهَا الْمَسَاكِينَ، وَأَصْحَابُ الْجَدِّ مَحْبُوسُونَ، غَيْرَ أَنَّ أَصْحَابَ النَّارِ قَدْ أُمِرَ بِهِمْ إِلَى النَّارِ، وَقُمْتُ عَلَى بَابِ النَّارِ، فَإِذَا عَامَّةُ مَنْ دَخَلَهَا النِّسَاءُ». [سبق برقم ٥١٩٦، وأخرجه مسلم، برقم ٢٧٣٦]

الشَّرح

هَذانِ الحَديثانِ فِيهِمَا تَسلِيةٌ وتَعزِيةٌ لِلفُقراءِ، وحَثٌّ لَهُم عَلَى الصَّبرِ، وأنَّهُم يَسبِقُونَ النَّاسَ إِلَى الجَنَّة بسَبَبِ صَبرِهِم وإِيمَانِهِم وتَقوَاهُم وقِلَّةِ حِسابِهِم.

وأَهلُ الجَدِّ ـ وهُو الغِنَى والسَّعةُ ـ مَحبُوسُون؛ قِيلَ: لأنَّ هُناكَ تَبِعاتٍ

(١) أخرجه البخاري (٢٩)، ومسلم (٩٠٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

يُحاسَبونَ عَليهَا، ويَتأخَّرُونَ بأَسبَابِها عَن دُخُولِ الجَنَّةِ، وإنْ كَانُوا من أَهلِها؛ ففِي هَذَا تَسلِيةٌ لِلفَقيرِ، وجَبرٌ لَهُ، وإرشادٌ لَهُ إِلَى أن يَحمَدَ اللهُ عَلَى ما قُدِّر لَهُ وأَصابَه، وأَنَّهُ عَلَى خَيرٍ وعَلَى عَاقِبةٍ حَميدَةٍ فِي صَبرِهِ واحتِسَابِه، وما حُرِمَه فِي الدُّنيَا مِنَ المَلذَّاتِ الَّتِي حَصَلت لغَيرِه، ورَبُّك حَكيمٌ عَليمٌ ﷻ، يَبتَلِي بِالسَّرَّاءِ والضَّرَّاءِ والغِنَى والفَقرِ، والمُؤمِنُ صَبورٌ عِندَ البَلاء شَكورٌ عِندَ الرَّخاءِ.

وفِي هَذَا أَيضًا دَلالَةٌ عَلَى كَثرةِ مَن يَدخُلُ النَّارَ مِنَ النِّساءِ، وأنَّ عامَّةَ أَهلِها النِّساءُ؛ لقِلَّةِ صَبرِهِنَّ، وكَثرَةِ جَزَعِهِنَّ، وخُبثِ أَلسِنَتِهِنَّ؛ ولهَذَا فِي الحَديثِ الآخَرِ لمَّا سَأَلتْه امرَأَةٌ قَالَت: ولِمَ؟ قَالَ: «**لِأَنَّكُنَّ تُكثِرْنَ اللَّعنَ وتَكفُرْنَ العَشيرَ**»[1]. وأَوصَاهُنَّ بالصَّدَقةِ، وبِالاستِغفَارِ، كَثرَةُ الاستِغفَارِ والصَّدَقةِ؛ لأنَّ هَذَا ممَّا يُكفِّرُ اللهُ بِهِ الخَطَايَا؛ فَالتَّوبةُ والصَّدَقاتُ مِمَّا يَعتِقُ اللهُ بِهِ الرِّقابَ مِنَ النَّارِ، والمَرأةُ يَغلِبُ عَليهَا بَذاءَةُ لِسَانِها وقِلَّةُ صَبرِها، ونِسيَانُها المَعرُوفَ عِندَ أَقلِّ تَكدُّرٍ؛ فتُؤذِي زَوجَها وتَقولُ لَهُ: ما رَأَيتُ مِنكَ خَيرًا قَطُّ؛ عِندَ أَقلِّ ما قد يَقَعُ مِن تَقصِيرٍ.

وفِي هَذَا الدَّلالَةُ عَلَى أنَّ الجَنَّةَ والنَّارَ مَوجُودَتانِ؛ ولهَذَا اطَّلَع عَليهِما عليه الصلاة والسلام، فهُمَا مَوجُودَتانِ، ولَا تَزَالانِ فِي مَزيدٍ مِنَ الإعدَادِ لأَهلِهِما؛ فَالجَنَّةُ فِي مَزيدٍ مِنَ الإعدَادِ بقُصورِهَا ونَعيمِهَا، والنَّارُ فِي مَزيدٍ مِنَ الإعدَادِ لأَهلِهَا فِي عَذَابِها وسَلاسِلِهَا وأَغلَالِها، وأَنوَاعِ شَرِّها.

والمَقصُودُ من إِخبَارِنَا: أن نُعِدَّ العُدَّةَ للفَوزِ بِالجَنَّةِ والكَرامَةِ والسَّلامَةِ مِنَ العَذابِ ومن دُخُولِ النَّارِ، وبيَّن اللهُ أَعمَالَ هَؤلَاءِ وأَعمَالَ هَؤلَاءِ فِي كِتابِهِ العَظِيمِ، وعَلَى لِسانِ نَبيِّهِ الكَريمِ؛ لِيَحذَرَ كُلُّ ذي لُبٍّ وكُلُّ ذي رَغبَةٍ فِي الخَيرِ أَسبَابَ النَّارِ وأَعمَالَ أَهلِ النَّارِ، ولِيَحرِصَ ذُو اللُّبِّ السَّليمِ والرَّغبَةِ فِيمَا عِندَ اللهِ عَلَى الأَخذِ بأَعمَالِ أَهلِ الجَنَّةِ، والثَّباتِ عَليهَا، والمُنافَسةِ فِيهَا، والمُسارَعةِ

(١) أخرجه البخاري (١٤٦٠)، ومسلم (٨٠) عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

إِلَيهَا والحَثُّ عَليهَا، كَمَا قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ﴿٦١﴾﴾ [الصافات: ٢١]، ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [المطففين: ٢٦]، ﴿فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ [البقرة: ١٤٨]، ﴿سَابِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [الحديد: ٢١]، ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [آل عمران: ١٣٣]، هَذَا كُلُّه حثٌّ عَلَى المُسارَعةِ والمُنافَسَةِ فِي أَعمَالِ الخير الَّتِي وَعَد اللهُ أَهلَها الكَرامَةَ، والفَوزَ بجَنَّاتِ النَّعيمِ، وبالمَنازِلِ العَالِيةِ فِي الجَنَّةِ.

وفِي هَذَا: أنَّ أوَّلَ طَعَامِ أَهلِ الجَنَّةِ زِيادةُ كَبدِ الحُوتِ، الحُوتُ المُنعَّمُ فِي الجَنَّةِ تَكونُ زِيادَةُ كَبدِهِ أوَّلَ طَعامِهِم؛ فكَيفَ يَكُونُ حالُ هَذَا الحَيوانِ؟! وكَيفَ تَكونُ حالَةُ عِظَمِهِ؟! إِذَا كَانَ زِيادَةُ كَبِدِه أوَّلُ طَعامٍ؛ هَذَا يَدلُّ عَلَى أنَّهُ حَيوانٌ عَظيمٌ لَا يَقدُرُ قَدْرَه إلَّا الَّذِي خَلَقَه، وأنَّ فِي هَذِه الزِّيادَةِ الزَّائِدةِ هَذِه شَيئًا مِنَ النَّعيمِ، وشَيئًا مِنَ التَّرفُّهِ والحَلاوَةِ واللَّذَّةِ لَا تَخطِرُ بِالبَالِ؛ ولهَذَا كَانَ ذَلِكَ أوَّلَ طَعامِهِم؛ واللهُ المُستَعانُ.

(ع): قوله: ﴿وَأَصْحَابُ الْجَدِّ مَحْبُوسُونَ﴾، وَهَذَا مِثْلمَا تَقَدَّمَ، أَهلُ الجَدِّ؛ يَعْنِي: الثَّرَاءَ، مَحبُوسُونَ؛ لِمَا يَتَعَلَّقُ بِثَرَائِهِمْ مِنَ الْمُحَاسَبَةِ، وَعَامَّةُ الفُقَرَاءِ هُمْ أَهلُ الجَنَّةِ، فهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الفَقرَ مِن أَسبَابِ السَّلَامَةِ مِن كَثِيرٍ مِنَ الشُّرُورِ، فَلْيَصبِرِ الفَقِيرُ وَلْيَحتَسِبْ، وَلْيَعلَمْ أَنَّ رَبَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ، وَأَنَّهُ لَو شَاءَ لَأَعطَاهُ الْمَالَ كَمَا أَعطَاهُ فُلَانًا وَفُلَانًا، فَلْيَصبِرْ وَلْيَحتَسِبْ، وَلْيَأخُذْ بِالأَسبَابِ الَّتِي تُعينُهُ عَلَى سَدِّ حَاجَتِهِ وَالاسْتِغنَاءِ عَمَّا فِي أَيدِي النَّاسِ، وَلَا يَجزَعْ وَلَا يَتَبَرَّمْ مِنَ الفَقرِ، وَلَكِنْ يَتَصَبَّرُ وَيَحمَدُ اللهَ وَيَسأَلُ رَبَّهُ حُسنَ العَاقِبَةِ.

﴿وَأَصحَابُ الجِدِّ﴾؛ يَعْنِي: الثَّروَةَ، مَحبُوسُونَ؛ لِمَا يَترَتَّبُ عَلَى ثَرْوَتِهِمْ مِنَ الْمُحَاسَبَةِ، فِي اللَّفظِ الآخَرِ: «أَنَّهُم يَدخُلُونَ الجَنَّةَ قَبلَهُمْ بِنِصفِ يَومٍ»[1].

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٦٦٦)، والترمذي (٢٣٥٤)، وابن ماجه (٤١٢٢) عن أبي سعيد الخدري ﷺ. قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

• **س: أَحسَنَ اللهُ عَمَلَكَ، قَولُهُ: «قُمْتُ» هَذَا فِي أَروَاحِهِمْ لَمَّا أُسْرِيَ بِهِ؟**

○ ج: اللهُ أَعلَمُ، ظَاهِرُهُ أَنَّ اللهَ ﷻ أَخبَرَ بِهَذَا.

وَالمَعْنَى وَاللهُ أَعلَمُ؛ يَعْنِي: أَنَّهُ صُوِّرَ لَهُ هَذَا الْمَقَام، مَقَامًا يَقِفُ عَلَى بَابِ الجَنَّةِ حِينَ دَخَلَهَا أَهلُهَا، صُوِّرُوا لَهُ كَأَنَّهُمْ قَدْ دَخَلُوهَا، وَالآنَ مَا بَعدُ دَخَلُوهَا، مُؤَجَّلٌ حَتَّى تَقُومَ القِيَامَةُ، لَكِنْ يَجِينُهُمْ مِنْ نَعِيمِهَا وَطِيبِهَا فِي قُبُورِهِمْ.

• **س: الشُّهَدَاءُ أَحسَنَ اللهُ إِلَيكَ لَمْ يَدْخُلُوهَا؟**

○ ج: الشُّهَدَاءُ وَالْمُؤمِنُونَ أَروَاحُهُمْ، لَكِنْ حَتَّى الآنَ بَقِيَّتُهُمْ مَا بَعدُ دَخَلُوا، الشُّهَدَاءُ تَسرَحُ أَروَاحُهُمْ فِي الجَنَّةِ، ثُمَّ تَرجِعُ إِلَى قَنَادِيلَ مُعَلَّقَةٍ تَحتَ العَرشِ، وكُلُّ مُؤمِنٍ رُوحُهُ تَسرَحُ فِي الجَنَّةِ وَتَأكُلُ مِن ثِمَارِهَا، وَتَرجِعُ إِلَى أَجسَادِهَا إِذَا أَرَادَ اللهُ، لَكِنْ هَؤُلَاءِ بَعضُ الأُمَّةِ، بَعضُ النَّاسِ، لَكِنِ البَقِيَّةُ مَا بَعدُ جَاؤوا.

• **س: يَعْنِي: الأَجسَادَ فَقَطْ هِيَ الَّتِي؟**

○ ج: الأَجسَادُ فِي القُبُورِ، أَوْ فِي جَوفِ السِّبَاعِ، أَوْ فِي البِحَارِ، عَلَى مَا قَدَّرَ اللهُ أَنَّهُمْ مَاتُوا فِيهِ.

• **س: وَلَا تَدخُلُ إِلَّا يَومَ القِيَامَةِ، أَمَّا الأَروَاحُ فِي الجَنَّةِ؟**

○ ج: نَعَمْ، أَروَاحُ المُؤمِنِينَ وَأَروَاحُ الشُّهَدَاءِ.

• **س: أَحسَنَ اللهُ إِلَيكَ، أَيُّهُما أَفضَلُ الغَنِيُّ الشَّاكِرُ أَمِ الفَقِيرُ الصَّابِرُ؟**

○ ج: الصَّحِيحُ: أَنَّ الغَنِيَّ الشَّاكِرَ أَفضَلُ، لَكِنْ لَا يَلزَمُ مِنهُ أَن يَتقدَّمَ عَلَيهِ فِي الدُّخُولِ، قد يَتأَخَّرُ لأَسبَابٍ .اللهُ أَكبَرُ.

• **س: أَحسَنَ اللهُ إِلَيكَ، قَولُ النَّبِيِّ ﷺ: «فرَأَيتُ أَكثَر...» هل صُوِّرَت لَهُ أَحوَالُهم، أو أَنَّهُ عَرَفَهُم من حَالِ مَساكِنِهِم؟**

○ ج: لا، مُثِّلوا لَهُ.

• س: عَفَا اللهُ عَنكَ: «مَعدِن»؟

○ ج: يُفسِّر قَولَه تَعالَى: ﴿جَنَّٰتِ عَدۡنٍ﴾ [التوبة: ٧٢]؛ يَعنِي: جنَّاتِ خُلدٍ، جنَّاتِ إِقامَةٍ، لَيسَت بَساتِينَ ظَعنٍ وانتِقَالٍ؛ فسَمَّاهَا اللهُ جنَّاتِ عَدنٍ؛ يَعنِي: جنَّاتِ إِقامَةٍ وخُلدٍ، لَا ظَعَنَ فِيهَا ولَا زَوالَ لَهَا، والمَعدِنُ سُمِّي مَعدِنًا؛ لأَنَّهُ عَدَن فِيهِ الشَّيءُ الَّذِي نَبَت فِيهِ؛ فَالمَعادِنُ لأَنَّهُ عَدَن فِيهَا ما خُلِق فِيهَا من ذَهبٍ أو فِضَّةٍ أو حَديدٍ قدِ استَقَرَّ فِيهَا.

• س: ...؟

○ ج: لَا؛ مَقصُودُه الِاستِطرادُ فِي مَعنَى «العَدنِ»، سُمِّيَت مَعادِنَ لأَنَّها عَادِنةٌ مُقيمَةٌ فِي مَحلِّها خَالِدةٌ؛ يَعنِي: مُقِيمةٌ فِيهَا إِقامَةً تُناسِبُها.

• س: عَفَا اللهُ عَنكَ: ضَبَطَها مَعدِن؟

○ ج: نَعَم، هَذَا اسمُ مَكَانٍ «مَفعِل» مِنَ الثُّلاثِي مِن فَعَل يَفعِل، اسمُ مَكانٍ «مَفعِل» مِثلُ مَنزِلٍ ومَجلِسٍ ومَنبِتٍ وأَشبَاهُها.

• س: هل وَرَد أَنَّ أَكثَرَ أَهلِ الجَنَّةِ أَيضًا النِّساءُ؟

○ ج: هُنَّ أَكثَرُ أَهلُ الجَنَّةِ، وهُنَّ أَكثَر أَهلِ النَّارِ، جَميعًا، هنَّ أَكثَرُ أَهلِ الجَنَّةِ؛ لأَنَّ كلَّ وَاحِدٍ من أَهلِ الجَنَّةِ لَهُ زَوجَتانِ فأَكثَرُ ولَيسَ فِيهِم أَعزَبُ؛ فصَارَ النِّساءُ أَضعَافَ أَهلِ الجَنَّةِ، وهُنَّ أَيضًا أَكثَرُ أَهلِ النَّارِ لكَثرَةِ الشَّرِّ فِي نِساءِ الدُّنيَا، هنَّ أَكثَرُ أَهلِ النَّارِ نِساءُ الدُّنيَا لمَعاصِيهِنَّ وكُفرِهِنَّ، وهنَّ أَكثَر أَهلِ الجَنَّةِ لِمَا مَعهُم مِنَ الحُورِ العِينِ مِثلَما قَالَ أبو هُرَيرةَ ﷺ: هنَّ أَكثَرُ أَهلِ الجَنَّةِ وهنَّ أَكثَرُ أَهلِ النَّارِ، ولكِنَّ الَّذِينَ فِي النَّارِ نِساءُ الدُّنيَا، وأَمَّا الَّذِينَ فِي الجَنَّةِ مُخلَّطُونَ مِنْ نِسَاءِ الدُّنيَا ومنَ الحُورِ، وهَذَا عَامٌّ لِلنِّسَاءِ والرِّجالِ مِنَ الجِنِّ والإِنسِ جَميعًا.

* * *

٦٥٤٨ - حَدَّثَنَا مُعَاذُ بْنُ أَسَدٍ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللهِ، أَخْبَرَنَا عُمَرُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ زَيْدٍ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّهُ حَدَّثَهُ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

«إِذَا صَارَ أَهْلُ الْجَنَّةِ إِلَى الْجَنَّةِ، وَأَهْلُ النَّارِ إِلَى النَّارِ، جِيءَ بِالْمَوْتِ، حَتَّى يُجْعَلَ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، ثُمَّ يُذْبَحُ، ثمَّ يُنَادِي مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ لَا مَوْتَ، يَا أَهْلَ النَّارِ لَا مَوْتَ، فَيَزْدَادُ أَهْلُ الْجَنَّةِ فَرَحًا إِلَى فَرَحِهِمْ، وَيَزْدَادُ أَهْلُ النَّارِ حُزْنًا إِلَى حُزْنِهِمْ». [سبق برقم ٦٥٤٤، وأخرجه مسلم، برقم ٢٨٥٠]

الشَّرح

وتَقَدَّم فِي الحَدِيثَينِ السَّابِقَينِ، وأنَّهُ يُنادِي مُنادٍ فِي أَهْلِ الجَنَّةِ من عِندِ اللهِ ﷻ يَقُولُون: «يَا أَهْلَ الجَنَّةِ، خُلودٌ فلَا مَوتَ، وَيَا أَهلَ النَّارِ خُلودٌ فلَا مَوتَ»[1]؛ ليَزدَادَ أَهلُ الجَنَّةِ نَعيمًا ويَزدَادَ أَهلُ النَّارِ عَذابًا، والظَّاهِرُ ـ واللهُ أَعلَمُ ـ أنَّ هَذَا بَعدَما يُخرِجُ اللهُ مَن كَانَ فِي النَّارِ من أَهْلِ التَّوحِيدِ؛ فإِذَا لم يَبقَ فِيهَا إِلَّا أَهلُها وهُمُ الكَفَرةُ يُنادَى فِيهِم هَذَا النِّدَاءُ، وأنَّهُم خُلُودٌ فلَا مَوتَ.

وفِي هَذَا: أنَّ المَوْتَ يُصوَّرُ لَهُم فِي صُورَةِ كَبشٍ أَملَحَ مِنَ الغَنم، ثُمَّ يُذبَحُ فِي مَكَانٍ يَراهُ هَؤلَاءِ وهَؤلَاءِ، وهَذِه مِن آيَاتِ اللهِ، النَّارُ فِي أَسفَلِ سَافِلِينَ وهِيَ أَبعَدُ شَيءٍ، والجَنَّةُ فِي أَعلَى عِلِّيِّين وبَينَهُما يَرَى هَؤلَاءِ ويَرَى هَؤلَاءِ، وهَذِه من آيَاتِ اللهِ، وهُوَ عَلَى كلِّ شَيءٍ قَديرٌ ﷻ، ثُمَّ يُذبَحُ ويُقالُ لَهُم: يا أَهلَ الجَنَّةِ خُلودٌ فلَا مَوتَ، ويَا أَهلَ النَّارِ خُلُودٌ فلَا مَوتَ؛ حتَّى يَيأَسَ أَهلُ النَّارِ مِنَ الفَرجِ ويَزدادَ شَرُّهُم وعَذابُهُم وبَلاؤُهُم، وحَتَّى يَزدادَ أَهلُ الجَنَّةِ نَعيمًا بعِلمِهِم بأَنَّهُ لَا مَوتَ، وأَنَّهُ نَعيمٌ دَائِمٌ وحَياةٌ دَائِمةٌ لَيسَ فِيهَا تَنغِيصٌ بِالمَوتِ، فيَا لَهَا من نِعمَةٍ عَظيمَةٍ! اللَّهُمَّ وَفِّقْنا لَهَا، نَسأَلُ اللهَ أن يَجعَلَنَا وإِيَّاكُم من أَهلِ السَّعادَةِ، ولَا حَولَ ولَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ، اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ.

وهَذَا المَوتُ غَيرُ المَلَكِ، المَلَكُ ما يُذبَحُ، المَوتُ نَفسُه، المَوتُ الَّذِي هُوَ فِي يَدِ المَلِكِ يُقبَضُ بِهِ الأَروَاحُ، وهُوَ مَعنًى مِنَ المَعانِي خَلَقَه اللهُ، اللهُ

(١) أخرجه البخاري (٤٧٣٠)، ومسلم (٢٨٤٩) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

أَعلَمُ بصِفَتِه وحَقيقَتِهِ، هَذَا المَوتُ الَّذِي فِي يدِ المَلَكِ وهُوَ الَّذِي يَتصرَّفُ فِيهِ المَلَكُ يُجعَلُ حَيوانًا يُجعَلُ فِي صُورةِ حَيَوَانٍ ورَبُّك عَلَى كلِّ شَيءٍ قَديرٌ، كَمَا أنَّهُ يَجعَلُ الأعمَالَ أجسَامًا تُوزَنُ يَجعَلُ المَوتَ حَيوانًا يُذبَحُ، اللهُ أكبَرُ.

(ع): **قَوْلُهُ: ﴿جِيءَ بِالْمَوْتِ، حَتَّى يُجْعَلَ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، ثُمَّ يُذْبَحُ﴾**، اللهُ أَكْبَرُ، نَسأَلُ اللهَ العَافِيَةَ؛ يَعْنِي: الْمَوتَ الَّذِي كَتَبَهُ اللهُ عَلَى النَّاسِ يُؤتَى بِهِ فِي صُورَةِ كَبشٍ، مَا هُوَ بِالْمَلَائِكَةِ، الْمَوتُ نَفسُهُ، يَجعَلُ اللهُ هَذَا الْمَوتَ الَّذِي هُوَ عَرضٌ مِنَ الأَعرَاضِ، يَجعَلُهُ اللهُ فِي صُورَةِ كَبشٍ، ثُمَّ يُذبَحُ بَينَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ، فيُقَالُ: «**يَا أَهلَ الجَنَّةِ خُلُودٌ فَلَا مَوتَ، وَيَا أَهلَ النَّارِ خُلُودٌ فَلَا مَوتَ**»؛ فَيَزدَادُ أَهلُ النَّعِيمِ نَعِيمًا، وَيَزدَادُ أَهلُ العَذَابِ عَذَابًا.

وَفِيمَا جَاءَ مِن النُّصُوصِ أَنَّ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِن أَهلِ الجَنَّةِ زَوجَتَينِ مِنَ الحُورِ العِينِ، يَدُلُّ عَلَى أَنَّ أَكثَرَ أَهلِ الجَنَّةِ النِّسَاءُ الصَّالِحَاتُ، وَإِنْ كَانُوا أَكثَرَ أَهلِ النَّارِ، فَلَا مَانِعَ أَنْ يَكُونُوا أَيْضًا أَكثَرَ أَهلِ الجَنَّةِ بِسَبَبِ الحُورِ العِينِ. اللهُ المُستَعَانُ.

- **س: لَكِنْ لَو أَرَادَ أَكثَرَ مِن زَوجَتَينِ يَا شَيخُ؛ لِعُمُومِ الآيَةِ يَكُونُ لَهُ ذَلِك؟**

○ **ج**: يُعطَى مِنَ الحُورِ العِينِ مَا لَا يُحصِيهِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ، لَكِنْ لِكُلِّ وَاحِدٍ زَوجَتَانِ مِنَ الحُورِ العِينِ، عَامٌّ، أَمَّا الزِّيَادَةُ فَعَلَى حَسبِ فَضلِ اللهِ ﷻ.

- **س: سَلَّمَك اللهُ، الحُورُ العِينُ يُخلَقُونَ فِي الجَنَّةِ خَلقًا لَيسُوا مِنْ أَهلِ الأَرضِ؟**

○ **ج**: نَعَمْ، مِن أَهلِ الجَنَّةِ، يُنشِئُهُمُ اللهُ مِنَ الجَنَّةِ.

- **س: عَفَا اللهُ عَنكُم يَا شَيخُ، مَا وَرَدَ فِي أَنَّ أَهلَ الجَنَّةِ يَكُونُونَ مُردًا، الرِّجَالُ يَكُونُون مُردًا؟**

○ **ج**: نَعَمْ، مَا لَهُم شَعرٌ، مَا فِيهِ لِحًى.

* * *

٦٥٤٩ حَدَّثَنَا مُعَاذُ بْنُ أَسَدٍ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللهِ، أَخْبَرَنَا مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ تبارَكَ وتعالَى يَقُولُ لأَهْلِ الْجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، فيَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ، فَيَقُولُ: هَلْ رَضِيتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لَا نَرْضَى، وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، فَيَقُولُ: أَنَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، قَالُوا: يَا رَبِّ، وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُ: أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي، فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا». [طرفه في: ٧٥١٨، وأخرجه مسلم، برقم ٢٨٢٩]

الشَّرح

(ع): اللهُ يجعلُنَا وَإِيَّاكُمْ مِنهُم، نَسأَلُ اللهَ أَنْ يَجعَلَنَا وَإِيَّاكُمْ مِنهُمْ، اللهُ المُستَعَانُ، ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ [التوبة: ٧٢]، هَذَا فَضلُهُ ﷻ وَجُودُهُ ﷻ، رضي الله عَنهُم وَأَرضَاهُمْ، واللهُ المُستَعَانُ، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾﴾ [البينة: ٧، ٨]، وَمِنْ رِضَاهُ عَنهُم أَدخَلَهُمُ الجَنَّةَ ﷻ.

قوله: ﴿أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي، فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا﴾، وهَذَا أَمنٌ آخَرُ، وهُوَ أَنَّهُم فِي رضًا دَائِم، وأَنَّهُ لَا خَطَرَ عَليهِم من سَخَطِ اللهِ ﷻ، الأَوَّلُ أَمنٌ مِنَ المَوتِ، وهَذَا أَمنٌ مِنَ السَّخَطِ، وأَنَّهُم أبدًا فِي مَرضَاةٍ مِنَ اللهِ، وأَنَّ اللهَ راضٍ عَنهُم أبدًا.

• س: بَعضُ النَّاسِ يَقُولُ: أَسأَلُكَ رِضَاكَ وَالجَنَّةَ؟

○ ج: كُلُّهَا، نَعَمْ جَاءَ فِي الحَدِيثِ الصَّحِيحِ.

* * *

٦٥٥٠ - حَدَّثَنِي عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا مُعَاوِيَةُ بْنُ عَمْرٍو، حَدَّثَنَا أَبُو إِسْحَاقَ عَنْ حُمَيْدٍ قال: سَمِعْتُ أَنَسًا يَقُولُ: أُصِيبَ حَارِثَةُ يَوْمَ بَدْرٍ، وَهُوَ غُلَامٌ، فَجَاءَتْ أُمُّهُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، قَدْ عَرَفْتَ مَنْزِلَةَ حَارِثَةَ مِنِّي، فَإِنْ يَكُ فِي الْجَنَّةِ أَصْبِرْ وَأَحْتَسِبْ، وَإِنْ تَكُنِ الأُخْرَى تَرَى مَا أَصْنَعُ؟ فَقَالَ: «وَيْحَكِ، أَوَهَبِلْتِ، أَوَجَنَّةٌ وَاحِدَةٌ هِيَ؟ إِنَّها جِنَانٌ كَثِيرَةٌ، وَإِنَّهُ لَفِي جَنَّةِ الْفِرْدَوْسِ». [سبق برقم ٢٨٠٩]

الشَّرح

(ع): اللَّهُمَّ ارْضَ عَنهُ، الفِردَوسُ الأَعلَى كَمَا فِي الرِّوَايَاتِ الأُخْرَى. اللهُ أَكْبَرُ.

وهَذَا حارِثَةُ ﷺ أُصِيبَ يَومَ بَدرٍ؛ جَاءَ يَشرَبُ مِنَ الحَوضِ فأَصابَهُ سَهمٌ غَربٌ فقَتَله؛ فجَاءَت أُمُّه إِلَى النَّبيِّ تَقولُ: يا رَسُولَ اللهِ، تَعلَمُ مَنزِلةَ حَارِثَةَ مِنِّي فإِذَا كَانَ فِي الجَنَّة صَبَرتُ، وإِنْ كَانَ غَيرَ ذَلِكَ رَأيتَ ما أَصنَعُ؛ يَعنِي: مِنَ البُكاءِ ونَحوِ ذَلِكَ؛ فأَخبَرَهَا أَنَّهُ أَصابَ الفِردَوسَ، بِشارَةٌ لَهَا ولَهُ ﷺ، وأَنَّ الشُّهَداءَ عَلَى خَيرٍ عَظيمٍ، لَهُم مَنزِلَةٌ عِندَ اللهِ عَظيمَةٌ.

* * *

٦٥٥١ - حَدَّثَنَا مُعَاذُ بْنُ أَسَدٍ، أَخْبَرَنَا الْفَضْلُ بْنُ مُوسَى، أَخْبَرَنَا الْفُضَيْلُ، عَنْ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال: «مَا بَيْنَ مَنْكِبَيِ الْكَافِرِ مَسِيرَةُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ لِلرَّاكِبِ الْمُسْرِعِ». [وأخرجه مسلم، برقم ١٨٥٢]

الشَّرح

(ع): يَعْنِي: يُعظَّمُ فِي النَّارِ حَتَّى يَكُونَ مَا بَينَ مَنْكِبَيهِ مَسِيرَةَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ لِلرَّاكِبِ الْمُسرِعِ، يُعظَّمُ فِي النَّارِ؛ لِتَأخُذَ مِنهُ مَأخَذَهَا، نَسأَلُ اللهَ العَافِيَةَ، ضِرسُهُ كَأُحُدٍ.

وهَذَا مَعناهُ أَنَّ الكُفَّارَ يُعظَّمونَ فِي النَّارِ تَعظِيمًا عَظيمًا، تُعظَّمُ أَجسَامُهُم

حتَّى يَكُونَ ذَلِكَ أَشَدَّ لعَذابِهِم نَسأَلُ اللهَ العَافِيَةَ، «**مَا بَينَ مَنكِبَيهِ مَسيرَةُ ثَلاثَةِ أيَّامٍ لِلرَّاكِبِ المُجِدِّ**»، هَذَا يَدلُّ عَلَى أنَّهُ يَكبُرُ جِدًّا، وهَكَذا ما جَاءَ فِي ضِرسِه، وأن ضِرسَ أَحَدِهِم مِثلُ أُحدٍ، وهَذَا يَدلُّ عَلَى أنَّ الأمرَ عَظيمٌ، وأنَّهُم يُعَظَّمون فِي هَذِه النَّارِ الَّتِي قَعرُها مَسيرَةُ سَبعِينَ خَريفًا ما بَينَ أعلاهَا وأسفَلِها مَسيرَةُ سَبعِينَ عَامًا، ولَا يَعلَمُ سَعَتَها إلَّا الَّذِي خَلَقَها ﷻ؛ فيُعظَّمُ الكَفَرةُ فِيهَا حتَّى تَكُونَ أَجسَامُهُم بهَذِه المَثابَةِ، ما بَينَ مَنكِبَيهِ مَسيرَةُ ثَلاثةِ أيَّامٍ، هَذَا شَيءٌ عَظيمٌ، نَحوُ مِائةٍ وخَمسِينَ كِيلُو تَقريبًا أو ما يُقارِبُ هَذَا، ولَا حَولَ ولَا قُوَّةَ إلَّا بِاللهِ!، أو مِائةٌ وعِشرُون كِيلُو.

• **س**: أَحسَنَ اللهُ إليكَ، ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم﴾ [النساء: ٥٦]؟

○ **ج**: هَذَا مَعنًى آخَرُ: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾.

• **س**: ...؟

○ **ج**: هَذَا المُرادُ؛ لأنَّهُم يَعرِفُونَه، كُلُّهُم يَعرِفُونَه ذَاكَ الوَقتَ، أَهلُ الإبِلِ والخَيلِ والبِغالِ. مَاذَا قَالَ الشَّارِحُ عَلَى الكَافِرِ، تَكَلَّمَ؟

[قالَ الحَافِظُ ابنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «فتْحِ البَارِي» (١١/ ٤٢٣)]: «قَوْلُهُ: ﴿**مَنْكِبَيِ الْكَافِرِ**﴾ بِكَسْرِ الْكَافِ تَثْنِيَةُ مَنْكِبٍ، وَهُوَ مُجْتَمَعُ الْعَضُدِ وَالْكَتِفِ. قَوْلُهُ: ﴿**مَسِيرَةُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ لِلرَّاكِبِ الْمُسْرِعِ**﴾ فِي رِوَايَةِ يُوسُفَ بْنِ عِيسَى عَنِ الْفَضْلِ بْنِ مُوسَى بِسَنَدِ الْبُخَارِيِّ فِيهِ «خَمْسَةُ أَيَّامٍ». أَخْرَجَهُ الْحَسَنُ بْنُ سُفْيَانَ فِي «مُسْنَدِهِ» عَنْهُ، وَفِي حَدِيثِ ابنِ عُمَرَ عِنْدَ أَحْمَدَ مِنْ رِوَايَةِ مُجَاهِدٍ عَنْهُ مَرْفُوعًا: «**يَعْظُمُ أَهْلُ النَّارِ فِي النَّارِ حَتَّى إِنَّ بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِ أَحَدِهِمْ إِلَى عَاتِقِهِ مَسِيرَةَ سَبْعِمِائَةِ عَامٍ**».

وَلِلْبَيْهَقِيِّ فِي «الْبَعْثِ» مِنْ وَجه آخر عَن مُجَاهِد عَن ابن عَبَّاس: «مَسِيرَةَ سَبْعِينَ خَرِيفًا». وَلِابْنِ الْمُبَارَكِ فِي «الزُّهْدِ» عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: «**ضِرْسُ الْكَافِرِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْظَمُ من أُحُدٍ، يُعظَّمُونَ لِتَمتَلئَ مِنْهُمْ، وَلِيَذُوقُوا الْعَذَابَ**»، وَسَنَدُهُ صَحِيحٌ». [انتهى كلامه].

قَالَ ابنُ بَازٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: وهَذَا يَدلُّ عَلَى أَنَّهُم أنواعٌ فِي النَّارِ، وأنَّهُم يَختَلِفُون فِي العِظَمِ، وأنَّهُم لَيسُوا عَلَى حدٍّ سَواءٍ، مِنهُم من يَكُونُ مَسيرَةَ ثَلاثَةِ أيَّام، ومِنهُم مَن يَكُونُ مِثلَما ذُكِرَ: «**ما بَينَ عَاتِقِه إِلَى شَحمَةِ أُذُنِه مَسِيرَةُ سَبعِمِائَةِ عام**»، هَذَا يَدلُّ عَلَى عَظَمةٍ عَظيمَةٍ، لَا حَولَ ولَا قُوَّةَ إلَّا بِاللهِ؛ فظَاهِرُ الأَحَادِيثِ أنَّهُم أَقسامٌ وأَصنَافٌ فِي عِظَمِ أَجسَامِهِم فِي النَّارِ؛ نَسأَلُ اللهَ العَافِيَةَ.

[قَالَ الحَافظُ رَحِمَهُ اللَّهُ]: «وَسَنَدُهُ صَحِيحٌ، وَلَمْ يُصَرِّحْ بِرَفْعِهِ، لَكِنْ لَهُ حُكْمُ الرَّفْعِ؛ لِأَنَّهُ لَا مَجَالَ لِلرَّأْيِ فِيهِ، وَقَدْ أَخْرَجَ أَوَّلَهُ مُسْلِمٌ مِنْ وَجْهٍ آخَرَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ مَرْفُوعًا وَزَادَ: «**وَغِلَظُ جِلْدِهِ مَسِيرَةَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ**». وَأَخْرَجَهُ الْبَزَّارُ مِنْ وَجْهٍ ثَالِثٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ بِلَفْظِ: «**غِلَظُ جِلْدِ الْكَافِرِ وَكَثَافَةُ جِلْدِهِ اثْنَانِ وَأَرْبَعُونَ ذِرَاعًا بِذِرَاعِ الْجَبَّارِ**».

- **س: بذَراعِ الجبَّارِ؟**
  - ج: مِثلُ سائِرِ الصِّفاتِ، إذَا صَحَّ.
- **س: غِاظُ جلد الكافرِ...**
  - ج: الكَفَرةُ أَقسامٌ وأَصنَافٌ.

[قَالَ الحَافظُ رَحِمَهُ اللَّهُ]: «وَأَخْرَجَهُ الْبَيْهَقِيُّ وَقَالَ: أَرَادَ بِذَلِكَ التَّهْوِيلَ؛ يَعْنِي: بِلَفْظِ «الْجَبَّارِ» قَالَ: وَيَحْتَمِلُ أَنْ يُرِيدَ جَبَّارًا مِنَ الْجَبَابِرَةِ، إِشَارَةً إِلَى عِظَمِ الذِّرَاعِ، وَجزَمَ ابن حِبَّانَ لِمَا أَخْرَجَهُ فِي «صَحِيحِهِ» بِأَنَّ الْجَبَّارَ مَلِكٌ كَانَ بِالْيَمَنِ. [انتهى كلامه].

- **س: هَذَا تَأْوِيلٌ، أَحسَنَ اللهُ إِلَيكَ؟**
  - ج: نَعَمْ، الظَّاهِرُ، المَقصُودُ هَذَا الاختِلَافُ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُمْ أَنوَاعٌ، الكَفَرَةُ تَعظِيمُهُم فِي النَّارِ أَنوَاعٌ، مِنهُم مَنْ يَكُونُ مَا بَينَ مَنْكِبَيهِ ثَلَاثَةَ أَيَّام، وَمِنهُمْ مَن يَكُونُ أَكثَرَ مِن ذَلِكَ، هَذَا الجَمعُ بَينَ الرِّوَايَاتِ أَنَّهُمْ مُتَفَاوِتُونَ، يُعَظَّمُونَ فِي النَّارِ، وَتَعظِيمُهُمْ فِي النَّارِ مُتَفَاوِتٌ، نَسأَلُ اللهَ العَافِيَةَ.

• **س: قَولُ ـ أَحسَنَ اللهُ إِلَيكَ ـ البَيهَقِيِّ وَابنِ حِبَّانَ أَنَّهُ مَلَكٌ مِنَ الْمُلُوكِ، تَأْوِيلٌ هَذَا، يُعتَبَرُ تَأوِيلًا هَذَا؟**

○ **ج**: هُوَ الأَقرَبُ وَاللهُ أَعلَمُ، نَسأَلُ اللهَ العَافِيَةَ وَالسَّلَامَةَ.

• **س: يُعظَمُ أَهلِ الجَنَّةِ فِي الجَنَّةِ كَذَلِكَ؟**

○ **ج**: عَلَى طُولِ أَبِيهِم سِتُّونَ ذِرَاعًا.

• **س: كَلِمَةُ ذِرَاعٍ هُنَا المَقصُودُ بِهَا الجَبَّارُ اللهُ ﷻ؟**

○ **ج**: مَا يُروَى عَن صِحَّةِ الحَدِيثِ، مَن رَوَى «ذِرَاعَ الجَبَّارِ»؟ البَيهَقِيُّ يَقُولُ؟

[قالَ الحَافِظُ ابنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ في «فتْحِ البَارِي» (١١/ ٤٢٣)]: «وَأَخْرَجَهُ الْبَزَّارُ مِنْ وَجْهٍ ثَالِثٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ بِلَفْظِ: «غِلَظُ جِلْدِ الْكَافِرِ وَكَثَافَةُ جِلْدِهِ اثْنَانِ وَأَرْبَعُونَ ذِرَاعًا بِذِرَاعِ الْجَبَّارِ». وَأَخْرَجَهُ الْبَيْهَقِيُّ وَقَالَ: أَرَادَ بِذَلِكَ التَّهْوِيلَ؛ يَعْنِي: بِلَفْظِ «الْجَبَّارِ»، قَالَ: وَيَحْتَمِلُ أَنْ يُرِيدُ جَبَّارًا مِنَ الْجَبَابِرَة إِشَارَة إِلَى عزم الذِّرَاعِ». [انتهى كلامه].

(الشَّيخُ): نَسأَلُ اللهَ العَافِيَةَ وَالسَّلَامَةَ.

(الطَّالِبُ): ذَكَرَ أَحسَنَ اللهُ إِلَيكَ، هُنَا يَقُولُ فِي «الفتح» (١١/ ٤٢٣): «وَكَأَنَّ اخْتِلَافَ هَذِهِ الْمَقَادِيرِ مَحْمُولٌ عَلَى اخْتِلَافِ تَعْذِيبِ الْكُفَّارِ فِي النَّارِ». [انتهى كلامه].

قَالَ ابنُ بَازٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: نَعَمْ مَا فِيه شَيءٌ، هَذَا يَدُلُّ عَلَى تَنَوُّعِ تَعظِيمِهِمْ فِي النَّارِ، وَأَنَّهُمْ أَنوَاعٌ، وَأَقسَامٌ، نَسأَلُ اللهَ العَافِيَةَ، عَلَى حَسبِ حَالِهِمْ وَكُفرِهِمْ وَضَلَالِهِمْ، نَسأَلُ اللهَ العَافِيَةَ.

• **س: بِذِرَاعِ اللهِ ﷻ؟**

○ **ج**: اللهُ أَعلَمُ.

[قَالَ الحَافِظُ رَحِمَهُ اللَّهُ]: وَفِي مُرْسَلِ عُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ عِنْد ابن الْمُبَارَكِ فِي

«الزُّهْدِ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ: «**وَكَثَافَةُ جِلْدِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا**». وَهَذَا يُؤَيِّدُ الِاحْتِمَالَ الْأَوَّلَ؛ لِأَنَّ السَّبْعِينَ تُطْلَقُ لِلْمُبَالَغَةِ، وَلِلْبَيْهَقِيِّ مِنْ طَرِيقِ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: «وَفَخِذُهُ مِثْلُ وَرِقَانَ، وَمَقْعَدُهُ مِثْلُ مَا بَيْنَ الْمَدِينَةِ وَالرَّبَذَةِ». وَأَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ وَلَفْظُهُ: «بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ وَوَرْقَانُ» بِفَتْحِ الْوَاوِ وَسُكُونِ الرَّاءِ، بَعْدَهَا قَافٌ، جَبَلٌ مَعْرُوفٌ بِالْحِجَازِ، وَالرَّبَذَةُ تَقَدَّمَ ضَبْطُهَا قَرِيبًا فِي حَدِيثِ أَبِي ذَرٍّ، وَكَأَنَّ اخْتِلَافَ هَذِهِ الْمَقَادِيرِ مَحْمُولٌ عَلَى اخْتِلَافِ تَعْذِيبِ الْكُفَّارِ فِي النَّارِ.

وَقَالَ الْقُرْطُبِيُّ فِي «الْمُفْهِمِ»: إِنَّمَا عَظُمَ خَلْقُ الْكَافِرِ فِي النَّارِ لِيَعْظُمَ عَذَابُهُ وَيُضَاعَفُ أَلَمُهُ. ثُمَّ قَالَ: وَهَذَا إِنَّمَا هُوَ فِي حَقِّ الْبَعْضِ، بِدَلِيلِ الْحَدِيثِ الْآخَرِ: «**إِنَّ الْمُتَكَبِّرِينَ يُحْشَرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْثَالَ الذَّرِّ فِي صُوَرِ الرِّجَالِ، يُسَاقُونَ إِلَى سِجْنٍ فِي جَهَنَّمَ يُقَالُ لَهُ: بُولَسُ**». [انتهى كلامه].

قَالَ ابنُ بَازٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: هَذَا وَقتَ حَشرِهِمْ، غَيرَ دُخُولِهِمُ النَّارِ، وَقتَ حَشرِهِمْ يَومَ القِيَامَةِ، يُحَقَّرُونَ فَيَكُونُون كَأَمثَالِ الذَّرِّ، ثُمَّ يُعَظَّمُونَ فِي النَّارِ، نَسأَلُ اللهَ العَافِيَةَ.

[قَالَ الحَافِظُ رَحِمَهُ اللَّهُ]: قَالَ: وَلَا شَكَّ فِي أَنَّ الْكُفَّارَ متفاوتون فِي الْعَذَاب كَمَا عُلِمَ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَلِأَنَّا نَعْلَمُ عَلَى الْقَطْعِ أَنَّ عَذَابَ مَنْ قَتَلَ الْأَنْبِيَاءَ وَفَتَكَ فِي الْمُسْلِمِينَ وَأَفْسَدَ فِي الْأَرْضِ لَيْسَ مُسَاوِيًا لِعَذَابِ مَنْ كَفَرَ فَقَطْ وَأَحْسَنَ مُعَامَلَةَ الْمُسْلِمِينَ مَثَلًا.

قُلْتُ: أَمَّا الْحَدِيثُ الْمَذْكُورُ فَأَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ بِسَنَدٍ جَيِّدٍ عَنْ عَمْرِو بن شُعَيْبٍ عَن أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ، وَلَا حُجَّةَ فِيهِ لِمُدَّعَاهُ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ إِنَّمَا هُوَ فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ عِنْدَ الْحَشْرِ». [انتهى كلامه].

قَالَ ابنُ بَازٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: يَعنِي: يُحشَرُون أَمثَالَ الذَّرِّ إِهانَةً لَهُم، ثُمَّ يُعَظَّمُون فِي النَّارِ ـ نَسأَلُ اللهَ العَافِيَةَ ـ لَا مُنافَاةَ مِثلَما قَالَ المُؤلِّفُ، يُحشَرُون يَومَ القِيامَةِ المُتكبِّرُونَ إِهانَةً لَهُم وصَغارًا لَهُم، ثُمَّ يُعظَّمُون فِي النَّارِ كَمَا يَشاءُ اللهُ ﷻ.

[قَالَ الحَافظُ رَحِمَهُ اللَّهُ]: «وَأَمَّا الْأَحَادِيثُ الْأُخْرَى فَمَحْمُولَةٌ عَلَى مَا بَعْدَ الِاسْتِقْرَارِ فِي النَّارِ، وَأَمَّا مَا أخرجه التِّرْمِذِيّ من حَدِيث ابن عُمَرَ رَفَعَهُ: «إِنَّ الْكَافِرَ لَيُسْحَبُ لِسَانُهُ الْفَرْسَخَ وَالْفَرْسَخَيْنِ يَتَوَطَّؤُهُ النَّاسُ» فَسَنَدُهُ ضَعِيفٌ». [انتهى كلامه].

قَالَ ابنُ بَازٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: يَكفِي، ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [النحل: ٨٨]. فهُم مُتفاوِتُون بلا شَكٍّ؛ نَسألُ اللهَ العَافِيةَ!

* * *

٦٥٥٢ - قال: وَقَالَ إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ: أَخْبَرَنَا الْمُغِيرَةُ بْنُ سَلَمَةَ، حَدَّثَنَا وُهَيْبٌ، عَنْ أَبِي حَازِمٍ عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قال: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَشَجَرَةً يَسِيرُ الرَّاكِبُ فِي ظِلِّهَا مِئَةَ عَامٍ لَا يَقْطَعُهَا». [وأخرجه مسلم، برقم ٢٨٢٧]

الشَّرح

(ع): يُقَالُ لَهَا: شَجَرَةُ طُوبَى.

«وُهَيبٌ عَن أَبِي حازِمٍ»؛ يَعنِي: وُهَيبَ بنَ خالِدٍ.

* * *

٦٥٥٣ - قَالَ أَبُو حَازِمٍ: فَحَدَّثْتُ بِهِ النُّعْمَانَ بْنَ أَبِي عَيَّاشٍ فَقال: حَدَّثَنِي أَبُو سَعِيدٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَشَجَرَةً يَسِيرُ الرَّاكِبُ الْجَوَادُ، الْمُضَمَّرُ السَّرِيعُ، مِئَةَ عَامٍ مَا يَقْطَعُهَا». [وأخرجه مسلم، برقم ٢٨٢٨]

الشَّرح

(ع): اللهُ أَكْبَرُ، سُبحَانَ الخَلَّاقِ العَلِيمِ، شَجَرَةٌ وَاحِدَةٌ، سُبحَانَ اللهِ!

* * *

٦٥٥٤ حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ، عَنْ أَبِي حَازِمٍ عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قال: «لَيَدْخُلَنَّ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعُونَ، أَوْ سَبْعُمِئَةِ أَلْفٍ ـ لَا يَدْرِي أَبُو حَازِمٍ أَيُّهُمَا قَالَ ـ مُتَمَاسِكُونَ، آخِذٌ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، لَا يَدْخُلُ أَوَّلُهُمْ حَتَّى يَدْخُلَ آخِرُهُمْ، وُجُوهُهُمْ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ». [سبق برقم ٣٢٤٧، وأخرجه مسلم، برقم ٢١٩]

الشَّرح

اللهُ أَكْبَرُ، وهَذَا عَلَى ما سَمِعناهُ صُورةُ القَمرِ لَيلةَ البَدرِ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلونَهُم عَلَى أَشدِّ كَوكَبٍ دُرِّيٍّ إِضاءَةً فِي السَّماءِ، وَرَد فِي فَتاوَى الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ ما يَدلُّ على أَنَّهُ وَرَد: «عَلَى صُورَةِ الشَّمسِ»، ولم أَقِفْ عَليهِ، فيَنبَغِي أن يُلتمَسَ هَذَا هل وَرَد؟ والحَافِظُ ـ فِيمَا أَعلَمُ ـ ما ذَكَرَه هُنَا، لَعلَّهُ يُلتمَسُ هَل وَرَد شَيءٌ فِي هَذَا؟ لأنَّ الَّذِي فِي الرِّوايَةِ القَمرُ.

- **س: أَحسَنَ اللهُ إِليكَ، الرِّوايَةُ السَّابِقةُ: وقَالَ إِسحَاقُ بنُ إِبرَاهِيمَ هل تَكونُ مُعلَّقةً؟**

ج: نَعَم؛ إِسحاقُ بنُ إِبراهِيمَ شَيخُه.

- **س: شَيخٌ لَهُ لكِنْ تُعتبَرُ مِن بابِ التَّعلِيقِ؟**

ج: نَعَم.

- **س: تَعليقٌ أو سَمِعَه مُذاكَرةً؟**

ج: إِذَا قَالَ: «قَالَ لَنَا» فهُوَ مُذاكَرةٌ فِي الغَالِبِ، وإِذَا لم يَقُل: «لَنَا»؛ فهُوَ مُعلَّقٌ.

* * *

٦٥٥٥ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْلَمَةَ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ، عَنْ أَبِيهِ عَنْ سَهْلٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال: «إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ لَيَتَرَاءَوْنَ الْغُرَفَ فِي الْجَنَّةِ، كَمَا تَتَرَاءَوْنَ الْكَوْكَبَ فِي السَّمَاءِ». [وأخرجه مسلم، برقم ٢٨٣٠]

الشَّرح

يَعنِي: من أجلِ تَفاوُتِ المَنازِلِ، وأنَّهُم يَتراءَوْنَ الغُرَفَ فَوقَهُم شَيئًا عَظيمًا كَمَا يُتراءَى الآنَ الكَواكِبُ فِي السَّماءِ مِن هُنَا ومِن هُنَا؛ لاختِلَافِ مَنازِلِ أهلِ الجَنَّةِ وتَنوُّعِها؛ لعِظَمِ ثَوابِهِم، وتَفاوُتِ ما أعطَاهُمُ اللهُ مِنَ النَّعيمِ من دُونِ أن يَكُونَ فِي قَلبِ أحدٍ مِنهُم شَيءٌ مِنَ التَّألُّمِ أو حُزنٍ؛ بَل كُلُّهم فِي نَعيمِهِ، رَاضٍ بنَعيمِهِ، وفِي لَذَّةٍ بنَعيمِهِ لَا يَرَى أنَّ أحدًا فَوقَه فِي ذَلِكَ النَّعِيمِ، كُلُّهم فِي نَعيمٍ وفِي سُرورٍ، ولَيسَ هُناكَ حُزنٌ ولَا تَألُّمٌ ولَا حَسدٌ ولَا غَيرُ ذَلِكَ، كلٌّ فِي نَعيمٍ دائِمٍ، وفِي خَيرٍ دائِمٍ وفِي رِضًا وسُرورٍ بِمَا أعطَاهُ اللهُ مِنَ النَّعيمِ، لَا يَرَى أنَّ أحدًا فَوقَه؛ اللهُ المُستَعانُ.

* * *

٦٥٥٦ قَالَ أَبِي: فَحَدَّثْتُ النُّعْمَانَ بْنَ أَبِي عَيَّاشٍ فَقَالَ: أَشْهَدُ لَسَمِعْتُ أَبَا سَعِيدٍ يُحَدِّثُ، وَيَزِيدُ فِيهِ: «كَمَا تَرَاءَوْنَ الْكَوْكَبَ الْغَارِبَ فِي الأُفُقِ الشَّرْقِيِّ وَالْغَرْبِيِّ». [سبق برقم ٣٢٥٦، وأخرجه مسلم، برقم ٢٨٣١]

الشَّرح

(ع): لِأَنَّهُمْ يَتَفَاوَتُونَ فِيمَا بَينَهُمْ فِي النَّعِيمِ، يَتَفَاوَتُونَ فِيمَا بَينَهُمْ فِي الغُرَفِ وَالنَّعِيمِ، مَعَ أَنَّهُمْ كُلُّ وَاحِدٍ يَرَى أَنَّهُ لَمْ يُعطَ أَحَدٌ أَفضَلَ مِنهُ، كُلُّهُمْ مَسْرُورُونَ، كُلُّهُمْ فِي نَعِيمٍ وَلَذَّةٍ، اللهُ أَكْبَرُ.

- **س: أَحسَنَ اللهُ إِلَيكُمْ، الغُرَفُ يُرَادُ بِهَا الدَّرَجَاتُ أو عَلَى حَقِيقَتِهَا؟**

○ ج: الْمَنَازِلُ؛ يَعْنِي: مَنَازِلُهُمْ.

- **س: الحَدِيثُ السَّابِقُ سَبْعُونَ أَلفًا يَدخُلُونَ الجَنَّةَ يَدًا وَاحِدَةً[1]، الَّذِينَ يَدخُلُونَ بِغَيرِ حِسَابٍ؟**

(١) أخرجه البخاري (٦٥٥٤)، ومسلم (٢١٩) عن سهل بن سعد رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ =

○ ج: نَعَمْ.

٦٥٥٧ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، حَدَّثَنَا غُنْدَرٌ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ أَبِي عِمْرَانَ قال: سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال: «يَقُولُ اللهُ تَعَالَى لأَهْوَنِ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ: لَوْ أَنَّ لَكَ مَا فِي الأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ أَكُنْتَ تَفْتَدِي بِهِ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: أَرَدْتُ مِنْكَ أَهْوَنَ مِنْ هَذَا وَأَنْتَ فِي صُلْبِ آدَمَ: أَنْ لَا تُشْرِكَ بِي شَيْئًا، فَأَبَيْتَ إِلَّا أَنْ تُشْرِكَ بِي». [سبق برقم ٣٣٣٤، وأخرجه مسلم، برقم ٢٨٠٥]

الشرح

اللهُ أكبَرُ، نَسأَلُ اللهَ العَافِيَةَ.

وهَذِه الإرادَةُ الشَّرعيَّةُ، أرادَهَا اللهُ شَرعًا مِنهُ بإرسَالِ الرُّسُلِ وإنزَالِ الكُتبِ، أرادَ اللهُ من جَميعِ العِبادِ ألَّا يُشرِكُوا بِهِ وهُم فِي أصلَابِ آبَائِهِم، ولكِنْ مَن غَلَب عَليهِ الشَّقاءُ؛ أبَى إلَّا أن يُشرِكَ باللهِ ﷻ، مَن سَبَق لَهُ مِنَ اللهِ الشَّقاوَةُ؛ فَإنَّهُ لَا حِيلةَ فِيهِ، نَسأَلُ اللهَ العَافِيةَ؛ ولهَذَا يَقولُ سُبحانَهُ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٩١﴾﴾ [آل عمران: ٩١]. نَسأَلُ اللهَ العَافِيةَ.

وهَذَا يُوجِبُ للمُؤمِنِ شُكْرَ اللهِ كَثيرًا وحَمْدَه كَثيرًا عَلَى ما مَنَّ بِهِ مِنَ الهِدايَةِ، ويُوجِبُ لَهُ أيضًا الضَّراعَةَ إلَى اللهِ سُبحانَهُ كَثيرًا أن يُثبِّتَه عَلَى الهُدَى، وأن يُعِيذَه مِن نَزَغاتِ الشَّيطَانِ، وشَرِّ نَفسِه وهَواهُ، ومِن دُعاةِ البَاطلِ وشَياطِينِ الإنسِ؛ فهُوَ عَلَى خَطرٍ حتَّى يَلقَى رَبَّه؛ فلْيَسأَلْ رَبَّه الهِدايَةَ والثَّباتَ عَلَى

= قَالَ: «لَيَدْخُلَنَّ الجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعُونَ أَلْفًا، أَوْ سَبْعُ مِائَةِ أَلْفٍ ـ لَا يَدْرِي أَبُو حَازِمٍ أَيُّهُمَا قَالَ ـ مُتَمَاسِكُونَ، آخِذٌ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، لَا يَدْخُلُ أَوَّلُهُمْ حَتَّى يَدْخُلَ آخِرُهُمْ، وُجُوهُهُمْ عَلَى صُورَةِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ».

الحَقِّ، وليَجتهِدْ فِي طَلبِ الحَقِّ، وطَلبِ العِلمِ، والتَّفقُّهِ فِي الدِّينِ، وسُؤالِ اللهِ العَافِيةَ مِن مُضِلَّاتِ الفِتَنِ حتَّى يَلقَى رَبَّه سُبحانَهُ بخُروجِ رُوحِهِ عَلَى الإسلَامِ.

* * *

٦٥٥٨ حَدَّثَنَا أَبُو النُّعْمَانِ، حَدَّثَنَا حَمَّادٌ عَنْ عَمْرٍو عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال: «يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ بِالشَّفَاعَةِ كَأَنَّهُمُ الثَّعَارِيرُ» قُلْتُ: مَا الثَّعَارِيرُ؟ قَالَ: الضَّغَابِيسُ، وَكَانَ قَدْ سَقَطَ فَمُهُ، فَقُلْتُ لِعَمْرِو بْنِ دِينَارٍ: أَبَا مُحَمَّدٍ، سَمِعْتَ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ يَقُولُ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «يَخْرُجُ بِالشَّفَاعَةِ مِنَ النَّارِ» قَالَ: نَعَمْ. [وأخرجه مسلم، برقم ١٩١]

الشَّرح

(ع): يَخرُجُونَ بِشَفَاعَةِ النَّبِيِّ ﷺ وَغَيرِ شَفَاعَتِهِ، ثُمَّ يُلقَونَ فِي نَهرِ الحَيَاةِ فَيَنبُتُونَ كَمَا تَنبُتُ الحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيلِ - اللهُ أَكْبَرُ - وَالنَّبِيُّ يَشفَعُ عِدَّةَ شَفَاعَاتٍ عَلَيهِ الصلاة والسلام، وَالصَّالِحُونَ يَشفَعُونَ، وَالأَنبِيَاءُ يَشفَعُونَ، فِي الْمُوَحِّدِينَ الَّذِينَ دَخَلُوا النَّارَ بِذُنُوبِهِمْ.

وهَذَا فِيهِ الرَّدُّ عَلَى الخَوارِجِ والمُعتزِلَةِ، ومَن سَارَ فِي طَرِيقِهِم مِنَ القَائِلِينَ بأَنَّ العَاصِيَ مُخلَّدٌ فِي النَّارِ، وأنَّ هَذِه الأَحَادِيثَ عَن رَسُولِ اللهِ ﷺ - وهِيَ مُتَواتِرةٌ تَلقَّاهَا أَهلُ الإيمَانِ وأَهلُ السُّنَّةِ بِالقَبولِ - كُلُّها دالَّةٌ عَلَى أنَّ العَاصِيَ مُوحِّدٌ، وأنَّهُ إنْ مَاتَ عَلَى الإسلَامِ لَا يُخلَّدُ فِي النَّارِ؛ بل يُعذَّبُ فِيهَا ما شَاءَ اللهُ إذَا دَخَلَها؛ فإذَا طُهِّر من سَيِّئاتِه وخُبثِه انتَقل إلَى الجَنَّةِ؛ ولهَذَا تَواتَرتِ الأَخبَارُ عَن رَسُولِ اللهِ ﷺ بذَلِكَ.

وأمَّا العُمومَاتُ الَّتِي فِيهَا: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدۡخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدۡ أَخۡزَيۡتَهُۥۖ﴾ [آل عمران: ١٩٢]، وما أَشبَهَ ذَلِكَ؛ فهَذِه كُلُّها فِي الكُفَّارِ، وكَذَلِكَ قَولُه ﷻ: ﴿كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعۡمَٰلَهُمۡ حَسَرَٰتٍ عَلَيۡهِمۡۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ١٦٧﴾ [البقرة: ١٦٧]، ﴿يُرِيدُونَ أَن يَخۡرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنۡهَاۖ وَلَهُمۡ

عَذَابٌ مُقِيمٌ ﴿٣٧﴾﴾ [المائدة: ٣٧] وما أَشبَهَ ذَلِكَ هَذِه فِي الكَفَرةِ؛ فلَا يَجوزُ حَملُها عَلَى العُصاةِ، مَعَ أنَّ مَن دَخَل النَّارَ فقَد أُخزِيَ بَعضَ الخِزيِ، وإنْ كَانَ غَيرَ كافِرٍ، الآيَاتُ فِيهَا التَّصرِيحُ بِبَقائِهِم وعَدمُ خُروجِهِم؛ هَذِه فِي الكَفَرةِ، فلَا يَجوزُ ضَربُ الكِتابِ بَعضِه بِبَعضٍ، ولَا ضَربُ السُّنَّةِ بَعضِهَا بِبَعضٍ؛ بلِ السُّنَّةُ تُفسِّرُ القُرآنَ وتُبيِّنُ مَعناهُ، وأنَّ العُصاةَ وإنْ كَانُوا مُتوعَّدِينَ بِالنَّارِ وإنْ دَخَلُوها لكِنْ مَصِيرُهُم إلَى الخُروجِ مِنهَا بَعدَ التَّطهِيرِ والتَّمحِيصِ؛ فلَا يَبقَى فِيهَا إلَّا مَن كَفَرَ بِاللهِ ﷻ، هُمُ الَّذِينَ يَبقَونَ فِيهَا أَبَدَ الآبَادِ، كَمَا قَالَ ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾﴾ [الأحزاب: ٦٤، ٦٥] نَسأَلُ اللهَ العَافِيةَ، وكَذَلِكَ: ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا﴾ [فاطر: ٣٦] هَذِه كُلُّها فِي الكُفَّارِ.

والعُصاةُ إذَا خَرَجوا مِنَ النَّارِ يُسمَّونَ الجَهنَّمِيِّينَ، ثُمَّ تَزولُ عَنهُم هَذِه التَّسمِيةُ بَعدَ ذَلِكَ.

* * *

٦٥٥٩ حَدَّثَنَا هُدْبَةُ بْنُ خَالِدٍ، حَدَّثَنَا هَمَّامٌ، عَنْ قَتَادَةَ، حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال: «يَخْرُجُ قَوْمٌ مِنَ النَّارِ بَعْدَ مَا مَسَّهُمْ مِنْهَا سَفْعٌ، فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ، فَيُسَمِّيهِمْ أَهْلُ الْجَنَّةِ: الْجَهَنَّمِيِّينَ». [طرفه في: ٧٤٥٠]

الشَّرح

(ع): عَلَيهِم عَلَامَةٌ، ثُمَّ جَاءَ فِي الرِّوَايَاتِ بَعدَ ذَلِكَ تَزُولُ العَلَامَةُ، وَيُنَعَّمُونَ فِيهَا.

[قالَ الحَافِظُ ابنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللهُ في «فتحِ البَارِي» (١١/ ٤٢٩)]: «قَوْلُهُ: «كَأَنَّهُمُ الثَّعَارِيرُ» بِمُثَلَّثَةٍ مَفْتُوحَةٍ ثُمَّ مُهْمَلَةٍ، وَاحِدُهَا ثُعْرُورٌ كَعُصْفُورٍ. قَوْلُهُ: «قُلْتُ: «وَمَا الثَّعَارِيرُ؟» سَقَطَتِ الْوَاوُ لِغَيْرِ الْكُشْمِيهَنِيِّ. قَوْلُهُ: «قَالَ:

الضَّغَابِيسُ» بِمُعْجَمَتَيْنِ ثُمَّ مُوَحَّدَةٍ بَعْدَهَا مُهْمِلَة، أَمَّا الثَّعَارِيرُ فَقَالَ ابنُ الْأَعْرَابِيِّ: هِيَ قِثَّاءٌ صِغَارٌ، وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ مِثْلُهُ، وَزَادَ: وَيُقَالُ بِالشِّينِ الْمُعْجَمَةِ بَدَلَ الْمُثَلَّثَةِ، وَكَأَنَّ هَذَا هُوَ السَّبَبُ فِي قَوْلِ الرَّاوِي: «وَكَانَ عَمْرٌو ذَهَبَ فَمُهُ»؛ أَيْ: سَقَطَتْ أَسْنَانُهُ فَنَطَقَ بِهَا ثَاءً مُثَلَّثَةً وَهِيَ شِينٌ مُعْجَمَةٌ، وَقِيلَ: هُوَ نَبْتٌ فِي أُصُولِ الثُّمَامِ كَالْقُطْنِ يَنْبُتُ فِي الرَّمْلِ يَنْبَسِطُ عَلَيْهِ وَلَا يَطُولُ.

وَوَقَعَ تَشْبِيهُهُمْ بِالطَّرَاثِيثِ فِي حَدِيثِ حُذَيْفَةَ، وَهِيَ بِالْمُهْمَلَةِ ثُمَّ الْمُثَلَّثَةِ هِيَ الثُّمَامُ بِضَمِّ الْمُثَلَّثَةِ وَتَخْفِيفِ الْمِيمِ، وَقِيلَ: الثُّعْرُورُ الْأَقِطُ الرَّطْبُ. وَأَغْرَبَ الْقَابِسِيُّ فَقَالَ: هُوَ الصَّدَفُ الَّذِي يَخْرُجُ مِنَ الْبَحْرِ فِيهِ الْجَوْهَرُ، وَكَأَنَّهُ أَخَذَهُ مِنْ قَوْلِهِ فِي الرِّوَايَةِ الْأُخْرَى: «**كَأَنَّهُمْ اللُّؤْلُؤ**»، ولَا حُجَّةَ فِيهِ؛ لِأَنَّ أَلْفَاظَ التَّشْبِيهِ تَخْتَلِفُ، وَالْمَقْصُودُ الْوَصْفُ بِالْبَيَاضِ وَالدِّقَّةِ، وَأَمَّا الضَّغَابِيسُ فَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ: شَيْءٌ يَنْبت فِي أُصُولِ الثمامِ يُشْبِهُ الْهِلْيُونَ، يُسْلَقُ ثُمَّ يُؤْكَلُ بِالزَّيْتِ وَالْخَلِّ. وَقيل: ينْبت فِي أُصُول الشَّجرِ وَفِي الإِذْخِرِ يَخْرُجُ قَدْرَ شِبْرٍ فِي دِقَّةِ الْأَصَابِعِ، لَا وَرَقَ لَهُ وَفِيهِ حُمُوضَةٌ.

وَفِي «غَرِيبِ الْحَدِيثِ» للحربي: الضُّغبُوسُ: شَجَرَةٌ عَلَى طُولِ الْإِصْبَعِ، وَشُبِّهَ بِهِ الرَّجُلُ الضَّعِيفُ، وَأَغْرَبَ الدَّاوُدِيُّ فَقَالَ: هِيَ طُيُورٌ صِغَارٌ فَوْقَ الذُّبَابِ وَلَا مُسْتَنَدَ لَهُ فِيمَا قَالَ.

تَنْبِيهٌ: هَذَا التَّشْبِيهُ لِصِفَتِهِمْ بَعْدَ أَنْ يَنْبُتُوا، وَأَمَّا فِي أَوَّلِ خُرُوجِهِمْ مِنَ النَّارِ فَإِنَّهُمْ يَكُونُونَ كَالْفَحْمِ كَمَا سَيَأْتِي فِي الْحَدِيثِ الَّذِي بَعْدَهُ، وَوَقَعَ فِي حَدِيثِ يَزِيدَ الْفَقِيرِ عَنْ جَابِرٍ عِنْدَ مُسْلِمٍ: «**فَيَخْرُجُونَ كَأَنَّهُمْ عِيدَانُ السَّمَاسِمِ، فَيَدْخُلُونَ نَهْرًا فَيَغْتَسِلُونَ فَيَخْرُجُونَ كَأَنَّهُمُ الْقَرَاطِيسُ الْبِيضُ**». وَالْمُرَادُ بَعِيدَانِ السَّمَاسِمِ مَا يَنْبُتُ فِيهِ السَّمْسِمُ؛ فَإِنَّهُ إِذَا جُمِعَ وَرُمِيَتِ الْعِيدَانُ تَصِيرُ سُودًا دِقَاقًا.

وَزَعَمَ بَعْضُهُمْ أَنَّ اللَّفْظَةَ مُحَرَّفَةٌ، وَأَنَّ الصَّوَابَ «السَّاسَمُ» بِمِيمٍ وَاحِدَةٍ

وَهُوَ خَشَبٌ أَسْوَدُ، وَالثَّابِتُ فِي جَمِيعِ طُرُقِ الْحَدِيثِ بِإِثْبَاتِ الْمِيمَيْنِ وَتَوْجِيهُهُ وَاضِحٌ». [انتهى كلامه].

قَالَ ابنُ بَازٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: المَقصُودُ يَجمَعُهَا كَمَا فِي الحَدِيثِ، يَخْرُجُونَ مِنَ النَّارِ وَقَدِ امْتُحِشُوا قَدِ احْتَرَقُوا، فَيُلقَونَ فِي نَهرِ الحَيَاةِ فَيَنْبُتُونَ كَمَا تَنبُتُ الحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيلِ، وَبَعدَ ذَلِكَ يَختَلِفُونَ فِي نَبَاتِهِمْ فِي هَذَا الحَمِيلِ، اللهُ المُستَعَانُ، ثُمَّ بَعدَمَا يَتِمُّ خَلقُهُمْ يُدخِلُهُمُ اللهُ الجَنَّةَ ﷻ، بَعدَمَا ذَاقُوا نَصِيبَهُمْ مِنَ النَّارِ، وَلَا حَولَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ.

(ع): **المَقصُودُ**: أَنَّهُم عِندَ خُروجِهِم مِنَ النَّارِ قد امتُحِشُوا واحتَرَقُوا، وصَارُوا كعِيدَانِ السَّماسِمِ سُودٌ بسَبَبِ حَرِيقِ النَّارِ، ثُمَّ يَنبُتُونَ كَمَا تَنبُتُ الحِبَّةُ كَمَا تَقدَّم، وعِندَ ارتِفَاعِهِم يَكونُونَ كالضَّغابِيسِ والثَّعارِيرِ شَيئًا فشَيئًا حتَّى يَتِمَّ خَلقُهُم؛ نَسأَلُ اللهَ العَافِيَةَ.

• **س: وَهَذَا فِي عُصَاةِ الْمُوَحِّدِينَ؟**

○ **ج**: نَسأَلُ اللهَ العَافِيَةَ، كُلُّ هَذَا فِي الْمُوَحِّدِينَ، الكُفَّارُ مَا يَخرُجُونَ ﴿كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾﴾ [الإسراء: ٩٧] نَسأَلُ اللهَ العَافِيَةَ، إِنَّمَا يَخرُجُ العُصَاةُ.

• **س: يَخرُجُونَ بِالشَّفَاعَةِ، أَحسَنَ اللهُ إِلَيكَ؟**

○ **ج**: بَعدَمَا يَحتَرِقُونَ، نَسأَلُ اللهَ العَافِيَةَ.

• **س: قَولُهُ: «يَخرُجُ بِالشَّفَاعَةِ»، أَوْ بِالبِنَاءِ لِلمَجهُولِ «يُخرَجُ بِالشَّفَاعَةِ»؟**

○ **ج**: بِالشَّفَاعَةِ، وَالبَقِيَّةُ بِرَحمَةِ اللهِ مِنْ دُونِ شَفَاعَةِ أَحَدٍ، البَقِيَّةُ يَخرُجُونَ بِرَحمَتِهِ ﷻ مِنْ دُونِ شَفَاعَةٍ.

• **س: عَلَى هَذَا يَكُونُ أَصحَابُ الْمَعَاصِي قَدْ يُعَذَّبُونَ فِي النَّارِ يَا شَيخُ؟**

○ **ج**: مِنهُمْ مَنْ يُعَذَّبُ وَمِنهُمْ مَن يَغفِرُ اللهُ لَهُ ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨]، مِنهُمْ مَن يُعَذَّبُ وَمِنهُمْ مَن يَعفُو اللهُ عَنهُ وَلَا يَدخُلُهَا،

جُملَةٌ مِنهُم يَدخُلُونَهَا وَيُعَذَّبُونَ فِيهَا عَلَى قَدرِ مَعَاصِيهِمْ، ثُمَّ يُخرِجُهُمُ اللهُ مِنَ النَّارِ وَقَدْ امْتُحِشُوا وَقَدْ احْتَرَقُوا، «فَيُلْقَوْنَ فِي نَهَرِ الْحَيَاةِ»[1].

• **س: القَولُ بِفَنَاءِ النَّارِ وَمَن فِيهَا بَعدَ فَترَةٍ؟**

○ **ج:** قَولٌ بَاطِلٌ لَيسَ بِصَحِيحٍ، النَّارُ لَا تَفنَى ﴿فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾﴾ [النبأ: ٣٠]، نَسأَلُ اللهَ العَافِيَةَ ﴿كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾﴾ [الإسراء: ٩٧]، نَسأَلُ اللهَ العَافِيَةَ، الَّذِي عَلَيهِ أَهلُ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ أَنَّ الجَنَّةَ وَالنَّارَ بَاقِيَتَانِ أَبَدَ الآبَادِ.

• **س: الْمَشِيئَةُ فِي الآيَةِ ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الأعلى: ٧]؟**

○ **ج:** هَذَا فِي الجَنَّةِ وَالنَّارِ، قِيلَ: مُقَامُهُ فِي يَومِ القِيَامَةِ فِي البَرزَخِ، وَقِيلَ: مَقَامُهُ يَومَ القِيَامَةِ فِي الحِسَابِ، بَعدَ دُخُولِ النَّارِ وَبَعدَ دُخُولِ الجَنَّةِ مَا فِيهِ مَشِيئَةٌ، كُلُّهَا خُلُودٌ دَائِمٌ.

• **س: أَحسَنَ اللهُ إِلَيكُمْ يَا شَيخُ، هَلِ الكُفرُ الأَكبَرُ مِثلُ الشِّركِ فِي الخُلُودِ فِي النَّارِ؟**

○ **ج:** نَعَمْ؛ هَذَا كُلُّهُ فِي الكُفَّارِ، الْمُشرِكُ شِركًا أَكبَرَ، والكُفرُ أَكبَرَ، هَذَا وَعِيدُهُمْ، لَا يَخرُجُونَ مِنهَا أَبَدًا، أَمَّا الكُفرُ الأَصغَرُ وَالشِّركُ الأَصغَرُ كَالْمَعَاصِي لَهُ نِهَايَةٌ، إِذَا عُذِّبُوا لَهُ نِهَايَةٌ.

• **س: أَحسَنَ اللهُ إِلَيكَ، شَخصٌ أَوْ جَمَاعَةٌ هَلْ يَجُوزُ لَهُم أَنْ يَقُولُوا: تَبَرَّأنَا مِن عُمُرِنَا، يَبْرَؤونَ مِن عُمُرِهِمْ؟**

○ **ج:** انْتَهَتِ الأُمُورُ، الآجَالُ مَحدُودَةٌ، انْتَهَتْ.

* * *

(١) أخرجه البخاري (٢٢)، ومسلم (١٨٣) عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وهو الحديث القادم أيضًا.

٦٥٦٠ - حَدَّثَنَا مُوسَى، حَدَّثَنَا وُهَيْبٌ، حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ، يَقُولُ اللهُ: مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرَجُونَ قَدِ امْتُحِشُوا، وَعَادُوا حُمَمًا، فَيُلْقَوْنَ فِي نَهَرِ الْحَيَاةِ، فَيَنْبُتُونَ كَمَا تَنْبُتُ الْحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ» - أَوْ قَالَ: «حَمِيَّةِ السَّيْلِ» -، وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَلَمْ تَرَوْا أَنَّهَا تَنْبُتُ صَفْرَاءَ مُلْتَوِيَةً؟». [سبق برقم ٢٢، وأخرجه مسلم، برقم ١٨٣]

الشَّرح

(الشَّيخُ): كَذَا عِندَك ضَبَط ﴿امتُحِشُوا﴾[1]؟ ضَبَطَها هَكَذا بِالضَّمِّ أو ﴿امتَحَشُوا﴾: احتَرَقُوا؟ ما ضَبَط؟

(الطَّالبُ): قَالَ العَينِيُّ: «عَلَى صِيغةِ المَجهُولِ».

قَالَ ابنُ بَازٍ رَحِمَهُ اللهُ: لَا بَأسَ ﴿امتُحِشُوا﴾؛ يَعنِي: أُحرِقُوا؛ نَسأَلُ اللهَ العَافِيةَ.

- **س: «حُممًا»؛ يَعني: مَاتُوا مَوتَتَانِ؟**

○ ج: نَعَم؛ يَعنِي: مَاتُوا مِيتةً خَاصَّةً لهَؤلَاءِ، ثُمَّ يُلقَونَ فِي نَهرِ الحَياةِ فَينبُتُونَ كَمَا تَنبُتُ الحِبَّةُ فِي حَميلِ السَّيلِ؛ فإِذَا تمَّ خَلْقُهُم أدخَلَهمُ اللهُ الجَنَّةَ.

- **س: أَحسَنَ اللهُ إِلَيكَ، مَنِ اسْتَدَلَّ بِهَذَا الحَدِيثِ عَلَى عَدَمِ كُفرِ تَارِكِ الصَّلَاةِ، فَمَاذَا يَكُونُ الرَّدُّ عَلَيهِ؟**

○ ج: الكُفرُ يَمحُو، الكُفرُ مَا يُبقِي شَيْئًا فِي القُلوبِ، مَا يُبقِي إِيمَانًا، هَذَا بَقِيَتْ لَهُم خَردَلَةٌ مِنْ إِيمَانٍ مِن تَوحِيدِهِمْ للهِ، وَالكَافِرُ مَا بَقِي لَهُ شَيءٌ، مَا يَبقَى لَهُ شَيءٌ لَا قَلِيلٌ وَلَا كَثِيرٌ، ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾.

* * *

(١) قرأه الطالب بضم التاء.

٦٥٦١ - حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، حَدَّثَنَا غُنْدَرٌ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ قال: سَمِعْتُ أَبَا إِسْحَاقَ قال: سَمِعْتُ النُّعْمَانَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ أَهْوَنَ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَرَجُلٌ تُوضَعُ فِي أَخْمَصِ قَدَمَيْهِ جَمْرَةٌ يَغْلِي مِنْهَا دِمَاغُهُ». [طرفه في: ٦٥٦٢، وأخرجه مسلم، برقم ٢١٣]

الشَّرح

(ع): هَذَا أَهْوَنُهُمْ عَذَابًا مَن يُوضَعُ فِي أَخمَصِ قَدَمَيهِ جَمرَةٌ؛ يَعْنِي: جَمْرَتَينِ عَلَى كُلِّ قَدَمٍ، الجَمرَتَانِ يَغلِي مِنهُمَا دِمَاغُهُ، وَمِنهُمْ أَبُو طَالِبٍ، مِنْ أَخَفِّهِمْ عَذَابًا أَبُو طَالِبٍ، وَلَهُ نَعلَانِ مِن نَارٍ، نَسأَلُ اللهَ العَافِيَةَ.

• س: عَفَا اللهُ عَنكَ يَا شَيخُ، أَبُو إِسحَاقَ مَن هُوَ يَا شَيخُ هَذَا؟

○ ج: السَّبِيعِيُّ يَعْنِي.

(الشَّيخُ): مَاذَا قَالَ عِندَكَ عَلَى ﴿أَخمُص﴾ ضَبطه؟ الَّذِي نَعرِفُه «أَخمَص».

[قالَ الحَافِظُ ابنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «فتْحِ البَارِي» (١١/ ٤٣٠)]: «قَوْلُهُ: أَخْمَصَ بخاء مُعْجمَة وصاد مُهْملَة وزن أحمَر مَا لَا يَصِلُ إِلَى الْأَرْضِ مِنْ بَاطِنِ الْقَدَمِ عِنْدَ الْمَشْيِ». [انتهى كلامه].

* * *

٦٥٦٢ - حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ رَجَاءٍ، حَدَّثَنَا إِسْرَائِيلُ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ أَهْوَنَ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ: رَجُلٌ عَلَى أَخْمَصِ قَدَمَيْهِ جَمْرَتَانِ، يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ، كَمَا يَغْلِي الْمِرْجَلُ بِالْقُمْقُمِ». [سبق برقم ٦٥٦١، وأخرجه مسلم، برقم ٢١٣]

الشَّرح

اللهُ أكبَرُ، هَذَا أَهوَنُهم عَذابًا مَن يُوضَعُ عَلَى أَخمَصِ قَدَميهِ جَمرَتانِ مِنَ النَّارِ يَغلِي مِنهُما دِماغُهُ؛ فكَيفَ بمَن تَكونُ النَّارُ فَوقَه وتَحتَه وعَن يَمينِهِ وعَن

شِمالِهِ؟! كَمَا قَالَ تَعالَى: ﴿يَوْمَ يَغْشَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ [العنكبوت: ٥٥]. كَيفَ حَالُهُم؟! نَسأَلُ اللهَ العَافِيةَ والسَّلامَةَ.

وتَقدَّم فِي حَديثِ أَبِي طالِبٍ: «**أَنَّهُ تَنفَعُه شَفَاعَتِي؛ فيَكُونُ فِي ضَحْضَاحٍ مِنَ النَّارِ تَغلِي مِنهُما دِماغُهُ**»(١)، وفِي بَعضِهَا: «**إِنَّ أَهوَنَ أَهلِ النَّارِ عَذَابًا مَن يَكُونُ لَهُ نَعلَانِ مِنَ النَّارِ**»(٢)؛ فَالنَّعلانِ والجَمرَتانِ والضَّحضَاحُ كُلُّها مُتقارِبةٌ فِي المَعنَى؛ فهَؤلَاءِ أَهوَنُهُم عَذابًا؛ نَسأَلُ اللهَ العَافِيةَ.

[قالَ الحَافِظُ ابنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «فتْحِ البَارِي» (١١/ ٤٣٠)]: «قَوْلُهُ: ﴿**كَمَا يَغْلِي الْمِرْجَلُ بِالْقُمْقُمِ**﴾ زَادَ فِي رِوَايَةِ الْأَعْمَشِ: «**لَا يَرَى أَنَّ أَحَدًا أَشَدُّ عَذَابًا مِنْهُ، وَأَنَّهُ لَأَهْوَنُهُمْ عَذَابًا**». وَالْمِرْجَلُ بِكَسْرِ الْمِيمِ وبسكُونِ الرَّاء وَفتحِ الْجِيمِ بَعْدَهَا لَامٌ: قِدْرٌ مِنْ نُحَاسٍ، وَيُقَالُ أَيْضًا لِكُلِّ إِنَاءٍ يَغْلِي فِيهِ الْمَاءُ مِنْ أَيِّ صِنْفٍ كَانَ، وَالْقُمْقُمُ مَعْرُوفٌ مِنْ آنِيَةِ الْعَطَّارِ، وَيُقَالُ: هُوَ إِنَاءٌ ضَيِّقُ الرَّأْسِ يُسَخَّنُ فِيهِ الْمَاءُ يَكُونُ مِنْ نُحَاسٍ وَغَيْرِهِ، فَارِسِيٌّ وَيُقَالُ: رُومِيٌّ، وَهُوَ مُعَرَّبٌ، وَقَدْ يُؤَنَّثُ فَيُقَالُ: قَمقَمة، قَالَ ابنُ التِّينِ: فِي هَذَا التَّرْكِيبِ نَظَرٌ. وَقَالَ عِيَاضٌ: الصَّوَابُ كَمَا يَغْلِي الْمِرْجَلُ وَالْقُمْقُمُ بِوَاوِ الْعَطْفِ لَا بِالْبَاءِ». [انتهى كلامه].

قَالَ ابنُ بَازٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: لأَنَّهُما إِناءَانِ يُسخَّنُ فِيهِمَا المَاءُ، «المِرجَلُ»: القِدرُ، و«القُمقُمُ» يُسمُّونَه مِنَ الأول: مُسخَنَةً، أَسفَلُها واسِعٌ، وأَعلَاهَا ضَيِّقٌ، يُسَمُّونَها مَسَاخِنَ عِندَنا، مُسخنَةً؛ يَعنِي: يُسخَّنُ فِيهَا المَاءُ؛ فهُوَ إِناءٌ ضيِّقُ الرَّأسِ واسِعُ الجَوفِ؛ فالمَعنَى: كَمَا يَغلِي المِرجَلُ والقُمقُمُ أو القُمقُمُ، الوَاوُ أو «أوْ» كَأَنَّهُ وَهمٌ مِن بَعضِ الرُّواةِ.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٨٨٥)، ومسلم (٢١٠) عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٢) أخرجه مسلم (٢١٣) عن النعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

[قَالَ الحَافظُ رَحِمَهُ اللَّهُ]: «وَجَوَّزَ غَيْرُهُ أَنْ تَكُونَ الْبَاءُ بِمَعْنَى مَعَ، وَوَقَعَ فِي رِوَايَةِ الْإِسْمَاعِيلِيِّ كَمَا يغْلِى الْمرْجلُ أَو القُمقُمْ بِالشَّكِّ». [انتهى كلامه].

قَالَ ابنُ بَازٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: هَذَا أَظهَرُ.

[قَالَ الحَافظُ رَحِمَهُ اللَّهُ]: «وَتقدم شَيْءٌ مِنْ هَذَا فِي قِصَّةِ أَبِي طَالِبٍ». [انتهى كلامه].

* * *

٦٥٦٣ حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ عَمْرٍو عَنْ خَيْثَمَةَ، عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ ذَكَرَ النَّارَ، فَأَشَاحَ بِوَجْهِهِ، فَتَعَوَّذَ مِنْهَا، ثُمَّ ذَكَرَ النَّارَ، فَأَشَاحَ بِوَجْهِهِ، فَتَعَوَّذَ مِنْهَا»، ثُمَّ قَالَ: «اتَّقُوا النَّارَ، وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ». [سبق برقم ١٤١٣، وأخرجه مسلم، برقم ١٠١٦]

الشَّرح

وهَذَا يُبيِّنُ لَنَا أَنَّ الصَّدَقاتِ مِمَّا يَدفَعُ اللهُ بِهِ النَّارَ، الصَّدَقَاتُ والإِحْسَانُ إِلَى الفُقَراءِ والمَحاوِيجِ من أَسبَابِ الوِقايَةِ مِنَ النَّارِ؛ ولهَذَا قَالَ: ﴿**اتَّقُوا النَّارَ ولَو بشِقِّ تَمرَةٍ**﴾؛ فيَنبَغِي للمُؤمِنِ أن يُكثِرَ مِنَ الصَّدَقاتِ والإِحسَانِ إِلَى عِبادِ اللهِ ما دَامَ يَستَطِيعُ ذَلِكَ، ﴿**اتَّقُوا النَّارَ ولو بشِقِّ تَمرَةٍ؛ فإنْ لَم يَجِدْ فبِكَلِمةٍ طَيِّبةٍ**﴾؛ يَعنِي: يَرُدُّ السَّائِلَ والفَقيرَ بِالكَلامِ الطَّيِّبِ، لَا بِالنَّهرِ ولَا بِالشِّدَّةِ، ﴿**وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾**﴾ [الضحى: ١٠] يَرُدُّه بكَلامٍ طيِّبٍ: أَغنَاكَ اللهُ، أو مَا أَشبَهَ ذَلِكَ، ولَا يَردُّهُ بكَلامٍ شَديدٍ.

وسَبَق لَنَا فِي دَرسٍ مَضَى: أنَّ عَائِشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَت: أَتَتنِي امرَأَةٌ ومَعهَا ابنَتَانِ تَسأَلُ فلَم تَجِد عِندِي إِلَّا ثَلاثَ تَمَراتٍ، ما وَجَدَت عِندَ عَائِشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا إِلَّا ثَلاثَ تَمَراتٍ فِي البَيتِ؛ فأَعطَتْها إِيَّاهَا، فأَعطَتْ كُلَّ بِنتٍ من بِنتَيهَا وَاحِدةً؛ فرَفَعتِ الثَّالِثةَ إِلَى فَمِها لتَأكلَها فسَبَقتِ البِنتَانِ إِلَى أَكلِ تَمرَتَيهِما وجَعَلَتَا تَنظُرانِ إِلَى أُمِّهِما تُرِيدَانِ الثَّالِثةَ؛ فشَقَّتْها بَينَهُما ولم تَأكُلْها، شَقَّتْها بَينَ ابنَتَيهَا

ولَم تَأكُلْها، قَالَت عَائِشةُ: فأعجَبَنِي أَمْرُها؛ فلمَّا جَاءَ النَّبيُّ ﷺ، أَخبَرتُه بذَلِكَ فقَالَ: «**إِنَّ اللهَ أَوجَبَ لَهَا بِهَا الجَنَّةَ**»(١)، فهَذَا مِنَ الرَّحمةِ، هَذِه ثَلاثُ تَمَراتٍ لَهَا قِيمَةٌ سَهْلَةٌ فِي المَالِيَّةِ؛ لكِنَّهَا عِندَ اللهِ عَظيمَةٌ فِي مَحلِّها، ثُمَّ فِي رَحمةِ الوَالِدةِ، وأنَّ الإِحسَانَ إِلَى البَناتِ والأَولَادِ والفُقَراءِ من أَسبَابِ دُخُولِ الجَنَّةِ، وفِي اللَّفظِ الآخَرِ: «**مَن وَلِيَ مِنْ هَذِه البَناتِ شَيْئًا فأَحْسَنَ إِلَيهِنَّ كُنَّ لَهُ سِتْرًا مِنَ النَّارِ**»(٢). فمَن أَحسَنَ إِلَى بَناتِه أو أَخَواتِه أو أَيتَامِه كَانَ ذَلِكَ لَهُ عِتقًا مِنَ النَّارِ، وسَبَبًا لِلنَّجاةِ مِنَ النَّارِ.

فيَنبَغِي الإِحسَانُ والرَّأفَةُ بِالفَقيرِ والمِسكِينِ والحَيَوانِ، وتَقدَّمَ فِي قِصَّةِ البَغيِّ من بَنِي إِسرَائِيلَ أَنَّهَا رَأَتْ كَلبًا يَأكُلُ الثَّرَى مِنَ العَطَشِ؛ فنَزَلَتْ إِلَى بِئرٍ فأَخَذَتْ فِي خُفِّها ماءً، ثُمَّ صَعِدَتْ فأَسقَتْه؛ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**فشَكَرَ اللهَ لَهَا ذَلِكَ فغَفَرَ لَهَا**»(٣). بسَبَبِ رَحمَتِها لهَذِهِ البَهيمَةِ.

* * *

٦٥٦٤ - حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ حَمْزَةَ، حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي حَازِمٍ وَالدَّرَاوَرْدِيُّ، عَنْ يَزِيدَ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ خَبَّابٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَذُكِرَ عِنْدَهُ عَمُّهُ أَبُو طَالِبٍ، فَقَالَ:

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٣٠)، وأحمد (٤١/١٥٨) رقم (٢٤٦١١) عن عائشة ﵂ قالت: جَاءَتْنِي مِسْكِينَةٌ تَحْمِلُ ابْنَتَيْنِ لَهَا، فَأَطْعَمْتُهَا ثَلَاثَ تَمَرَاتٍ، فَأَعْطَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا تَمْرَةً، وَرَفَعَتْ إِلَى فِيهَا تَمْرَةً لِتَأْكُلَهَا، فَاسْتَطْعَمَتْهَا ابْنَتَاهَا، فَشَقَّتِ التَّمْرَةَ الَّتِي كَانَتْ تُرِيدُ أَنْ تَأْكُلَهَا بَيْنَهُمَا، فَأَعْجَبَنِي شَأْنُهَا، فَذَكَرْتُ الَّذِي صَنَعَتْ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «**إِنَّ اللهَ قَدْ أَوْجَبَ لَهَا بِهَا الْجَنَّةَ، أَوْ أَعْتَقَهَا بِهَا مِنَ النَّارِ**».

(٢) أخرجه البخاري (١٤١٨)، ومسلم (٢٦٢٩) عن عائشة ﵂ قالت: دَخَلَتِ امْرَأَةٌ مَعَهَا ابْنَتَانِ لَهَا تَسْأَلُ، فَلَمْ تَجِدْ عِنْدِي شَيْئًا غَيْرَ تَمْرَةٍ، فَأَعْطَيْتُهَا إِيَّاهَا، فَقَسَمَتْهَا بَيْنَ ابْنَتَيْهَا، وَلَمْ تَأْكُلْ مِنْهَا، ثُمَّ قَامَتْ، فَخَرَجَتْ، فَدَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْنَا، فَأَخْبَرْتُهُ فَقَالَ: «**مَنِ ابْتُلِيَ مِنْ هَذِهِ الْبَنَاتِ بِشَيْءٍ كُنَّ لَهُ سِتْرًا مِنَ النَّارِ**».

(٣) أخرجه البخاري (٢٣٦٣)، ومسلم (٢٢٤٤) عن أبي هريرة ﷺ.

«لَعَلَّهُ تَنْفَعُهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُجْعَلُ فِي ضَحْضَاحٍ مِنَ النَّارِ، يَبْلُغُ كَعْبَيْهِ، يَغْلِي مِنْهُ أُمُّ دِمَاغِهِ». [سبق برقم ٣٨٨٥، وأخرجه مسلم، برقم ٢١٠]

الشَّرح

لَا حَولَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ، نَسأَلُ اللهَ العَافِيَةَ، نَعُوذُ بِاللهِ.

هَذَا؛ وقد حَمَى النَّبيَّ ﷺ ونَصَرَه، ودافَعَ دُونَهُ بكُلِّ ما يَستَطِيعُ، لكِنْ هَذَا ما نَفَعه لمَّا مَاتَ عَلَى دِينِ قَومِه، لمَّا مَاتَ عَلَى الكُفرِ بِاللهِ ما نَفَعَه فِي الآخِرَةِ، إنَّمَا خُفِّف عَنهُ بَعضُ العَذابِ؛ وهَذَا يُبيِّنُ مَعنَى قَولِه سُبحانَهُ: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنعام: ٨٨]، هَذَا العَملُ العَظِيمُ الَّذِي فَعَله لمَّا كَانَ لغَيرِ اللهِ؛ حَميَّةً لقَومِه، حَميَّةً لِابنِ أَخِيهِ، ولَم يَكُن للهِ وَحدَه ولم يُوحِّدِ اللهَ ولم يُسلِمْ؛ كَانَ هباءً مَنثُورًا: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ [الفرقان: ٢٣]. نَسأَلُ اللهَ العَافِيَةَ، وهُوَ القَائِلُ:

ولَقَد عَلِمتُ بِأَنَّ دِينَ مُحَمَّدٍ ... مِن خَيرِ أَديَانِ البَرِيَّةِ دِينَا
لَولَا المَلامَةُ أو حِذارُ مَسبَّةٍ ... لَوَجَدْتَنِي سَمحًا بِذَاكَ مُبِينَا

لكِنْ خَافَ المَلامَةَ يُلامُ مِن أَسلَافِه، وأَشيَاخِه يُقالُ: مَاتُوا عَلَى البَاطِلِ؛ نَسأَلُ اللهَ العَافِيَةَ.

وفِي البَيتِ الآخَرِ:

فَوَاللَّهِ لَولَا أن أَجِيءَ بِسُبَّةٍ ... تَجُرُّ عَلَى أَشيَاخِنَا فِي المَحافِلِ
لَكُنَّا اتَّبعْنَاهُ عَلَى كُلِّ حَالَةٍ ... مِنَ الدَّهرِ جِدًّا غَيرَ قَولِ التَّهازُلِ

فتَرَك اتِّباعَهُ لِئلَّا يُقَالَ: إنَّ أَشياخَهُ كَانُوا عَلَى ضَلالَةٍ، ولَا حَولَ ولَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ.

* * *

٦٥٦٥ حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَجْمَعُ اللهُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَقُولُونَ: لَوِ اسْتَشْفَعْنَا عَلَى رَبِّنَا، حَتَّى يُرِيحَنَا مِنْ مَكَانِنَا، فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ: أَنْتَ

الَّذِي خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَمَرَ الْمَلَائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ، فَاشْفَعْ لَنَا عِنْدَ رَبِّنَا، فَيَقُولُ، لَسْتُ هُنَاكُمْ، وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ وَيَقُولُ: ائْتُوا نُوحًا أَوَّلَ رَسُولٍ بَعَثَهُ اللهُ، فَيَأْتُونَهُ، فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ، وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ، ائْتُوا إِبْرَاهِيمَ الَّذِي اتَّخَذَهُ اللهُ خَلِيلًا، فَيَأْتُونَهُ، فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ، وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ، ائْتُوا مُوسَى الَّذِي كَلَّمَهُ اللهُ، فَيَأْتُونَهُ، فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ، فَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ، ائْتُوا عِيسَى، فَيَأْتُونَهُ، فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ، ائْتُوا مُحَمَّدًا ﷺ، فَقَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، فَيَأْتُونِي فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي، فَإِذَا رَأَيْتُهُ وَقَعْتُ لَهُ سَاجِدًا، فَيَدَعُنِي مَا شَاءَ اللهُ، ثُمَّ يُقَالُ لِي: ارْفَعْ رَأْسَكَ، وسَلْ تُعْطَهْ، وَقُلْ يُسْمَعْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَرْفَعُ رَأْسِي، فَأَحْمَدُ رَبِّي بِتَحْمِيدٍ يُعَلِّمُنِي، ثُمَّ أَشْفَعُ، فَيَحُدُّ لِي حَدًّا، ثُمَّ أُخْرِجُهُمْ مِنَ النَّارِ، وَأُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ، ثُمَّ أَعُودُ فَأَقَعُ سَاجِدًا مِثْلَهُ فِي الثَّالِثَةِ، أَوِ الرَّابِعَةِ، حَتَّى مَا بَقِيَ فِي النَّارِ إِلَّا مَنْ حَبَسَهُ الْقُرْآنُ»، وَكَانَ قَتَادَةُ يَقُولُ عِنْدَ هَذَا: أَيْ: وَجَبَ عَلَيْهِ الْخُلُودُ. [سبق برقم ٤٤، وأخرجه مسلم، برقم ١٩٣]

الشَّرح

(ع): وَهَذِهِ الشَّفَاعَةُ الثَّانِيَةُ، وَالشَّفَاعَةُ...[1] الثَّالِثَةُ، الرَّسُولُ ﷺ لَهُ ثَلَاثُ شَفَاعَاتٍ، الشَّفَاعَةُ الأُولَى: فِي أَهلِ الْمَوقِفِ؛ حَتَّى يُقضَى بَينَهُمْ، الَّتِي تَأَخَّرَ عَنْهَا آدَمُ وَمَنْ مَعَهُ، وَالشَّفَاعَةُ الثَّانِيَةُ: الشَّفَاعَةُ فِي أَهلِ الجَنَّةِ أَنْ يَدخُلُوا الجَنَّةَ، وَهَذِهِ خَاصَّةٌ بِهِ عَلَيهِ الصلاة والسلام، وَالشَّفَاعَةُ الثَّالِثَةُ: فِيمَنِ اسْتَحَقَّ النَّارَ لَا يَدخُلُهَا، وَفِيمَنْ دَخَلَهَا أَنْ يُخرَجَ مِنهَا كَمَا ذُكِرَ هُنَا، وَلَهُ شَفَاعَةٌ خَاصَّةٌ أَيْضًا فِي أَبِي طَالِبٍ، شَفَاعَةٌ فِي تَخفِيفِ عَذَابِهِ مِنَ النَّارِ، وَأَنْ يَكُونَ فِي ضَحضَاحٍ مِنَ النَّارِ، وَيَبقَى مَن حَبَسَهُ القُرْآنُ بِذُنُوبِهِ وَسَيِّئَاتِهِ حَتَّى يُخرِجَ اللهُ مَن شَاءَ بَعدَ ذَلِكَ مِنْ بَقِيَّةِ الْمُوَحِّدِينَ.

(١) كلمة غير واضحة.

قوله: ﴿وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ﴾، وهَذَا أيضًا من أَحَادِيثِ إخرَاجِ العُصَاةِ مِنَ النَّارِ، هَذَا هُوَ المَقامُ المَحْمُودُ المَذكُورُ فِي قَولِهِ ﷻ: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾﴾ [الإسراء: ٧٩]، هَذَا المَقامُ المَحمُودُ يَحمَدُه فِيهِ الأَوَّلُون والآخِرُون؛ لكَونِه شَفَع فِي راحَةِ النَّاسِ من كَربِ المَوقِفِ والقَضاءِ بَينَهُم؛ فيُخرِجُ اللهُ بشَفاعَتِه مِنَ النَّارِ خَلقًا كَثيرًا، وهَكَذا بشَفاعَةِ الأَنبِياءِ والمُؤمِنينَ والأَبرَارِ والمَلائِكةِ، وَيَبْقَى فِي النَّارِ بَقيَّةٌ مِنْ أَهلِ التَّوحِيدِ لم يَخرُجُوا بهَذِه الشَّفَاعَاتِ فيُخرِجُهمُ اللهُ ﷻ برَحمَتِه، وهُم آخِرُ مَن يَخرُجُ مِنَ النَّارِ مِنَ العُصَاةِ، ثُمَّ بَعدَ هَذَا تُطبَقُ عَلَى أَهْلِها فلَا يَخرُج مِنهُم أحدٌ؛ نَسأَلُ اللهَ العَفوَ والعَافِيةَ.

ثمَّ يُنادِي مُنادٍ: «**يَا أَهلَ الجَنَّةِ خُلُودٌ فلَا مَوْتَ، ويَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ فلَا مَوْتَ**»، نَسأَلُ اللهَ العَافِيةَ[1].

• **س: أَحسَنَ اللهُ إِلَيكَ، خَطيئَةُ نُوحٍ مَا هِيَ؟**

○ **ج**: جَاءَ فِي رِوايَةٍ أُخرَى أَنَّهُ سَأَلَ رَبَّه نَجاةَ وَلَدِه ﴿رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [هود: ٤٥، ٤٦].

(**الشَّيخُ**): تَكلَّمَ عَلَى قَولِهِ: ﴿**لا يَبقَى فِي النَّارِ إِلَّا مَنْ وَجَبَ عَليهِ الخُلُودُ**﴾ تَكلَّم عَليهِ بشَيءٍ؟ لأَنَّهُ جَاءَ فِي الرِّوايَةِ أَنَّهُ يَبقَى بَقيَّةٌ كأَنَّ مَقصُودَه ـ واللهُ أَعلَمُ ـ أَنَّهُ حَسَبَ عِلمِه ﷺ، لَا يَبقَى فِيهَا حَسَبَ عِلمِه إِلَّا مَن حَبَسه القُرآنُ، أو مِن أُمَّتِه.

[قالَ الحَافِظُ ابنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «فتْحِ البَارِي» (١١/ ٤٤٠)]: «قَوْله: «حَتَّى مَا يبْقى مَا بَقِيَ»، وَفِي رِوَايَةِ هِشَام بَعْدَ الثَّالِثَةِ: «حَتَّى أَرْجِعَ فَأَقُولَ». قَوْلُهُ: «إِلَّا مَنْ حَبَسَهُ الْقُرْآنُ» وَكَانَ قَتَادَةُ يَقُولُ عِنْدَ هَذَا: أَيْ: وَجَبَ عَلَيْهِ الْخُلُودُ. فِي رِوَايَةِ هَمَّامٍ: «إِلَّا مَنْ حَبَسَهُ الْقُرْآنُ»؛ أَيْ: وَجَبَ عَلَيْهِ الْخُلُودُ،

---

(١) أخرجه البخاري (٤٧٣٠)، ومسلم (٢٨٤٩) عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

كَذَا أَبْهَمَ قَائِلُ: «أَيْ: وَجَبَ»، وَتَبَيَّنَ مِنْ رِوَايَةِ أَبِي عَوَانَةَ أَنَّهُ قَتَادَةُ، أَحَدُ رُوَاتِهِ، وَوَقَعَ فِي رِوَايَةِ هِشَامٍ وَسَعِيدٍ: «**فَأَقُولُ: مَا بَقِيَ فِي النَّارِ إِلَّا مَنْ حَبَسَهُ الْقُرْآنُ وَوَجَبَ عَلَيْهِ الْخُلُودُ**». وَسَقَطَ مِنْ رِوَايَةِ سَعِيدٍ عِنْدَ مُسْلِمٍ «وَوَجَبَ عَلَيْهِ الْخُلُودُ» وَعِنْدَهُ مِنْ رِوَايَةِ هِشَامٍ مِثْلُ مَا ذَكَرْتُ مِنْ رِوَايَةِ هَمَّامٍ؛ فَتَعَيَّنَ أَنَّ قَوْلَهُ: «وَوَجَبَ عَلَيْهِ الْخُلُودُ فِي رِوَايَةِ هِشَامٍ» مُدْرَجٌ فِي الْمَرْفُوعِ؛ لِمَا تَبَيَّنَ مِنْ رِوَايَةِ أَبِي عَوَانَةَ أَنَّهَا مِنْ قَوْلِ قَتَادَةَ؛ فَسَّرَ بِهِ قَوْلَهُ: «**مَنْ حَبَسَهُ الْقُرْآنُ**»؛ أَيْ: مَنْ أَخْبَرَ الْقُرْآنُ بِأَنَّهُ يَخْلُدُ فِي النَّارِ.

وَوَقَعَ فِي رِوَايَةِ هَمَّامٍ بَعْدَ قَوْلِهِ: «أَيْ: وَجَبَ عَلَيْهِ الْخُلُودُ» «وَهُوَ الْمَقَامُ الْمَحْمُودُ الَّذِي وَعَدَهُ اللهُ»، وَفِي رِوَايَةِ شَيْبَانَ: «إِلَّا مَنْ حَبَسَهُ الْقُرْآنُ يَقُولُ وَجَبَ عَلَيْهِ الْخُلُودُ» وَقَالَ: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ٧٩﴾ [الإسراء: ٧٩]. وَفِي رِوَايَةِ سَعِيدٍ عِنْدَ أَحْمَدَ بَعْدَ قَوْلِهِ: «**إِلَّا مَنْ حَبَسَهُ الْقُرْآنُ**» قَالَ: فَحَدَّثَنَا أَنَسُ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**فَيَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ شَعِيرَةً...**» الْحَدِيثَ، وَهُوَ الَّذِي فَصَّلَهُ هِشَامٌ مِنَ الْحَدِيثِ، وَسَبَقَ سِيَاقُهُ فِي كِتَابِ الْإِيمَانِ مُفْرَدًا.

وَوَقَعَ فِي رِوَايَةِ مَعْبَدِ بْنِ هِلَالٍ بَعْدَ رِوَايَتِهِ عَنْ أَنَسٍ مِنْ رِوَايَتِهِ عَنِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ عَنْ أَنَسٍ قَالَ: «**ثُمَّ أَقُومُ الرَّابِعَةَ فَأَقُولُ: أَيْ: رَبِّ ائْذَنْ لِي فِيمَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ؛ فَيَقُولُ لِي لَيْسَ ذَلِكَ لَكَ...**» فَذَكَرَ بَقِيَّةَ الْحَدِيثِ فِي إِخْرَاجِهِمْ.

وَقَدْ تَمَسَّكَ بِهِ بَعْضُ الْمُبْتَدِعَةِ فِي دَعْوَاهُمْ أَنَّ مَنْ دَخَلَ النَّارَ مِنَ الْعُصَاةِ لَا يَخْرُجُ مِنْهَا؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ٢٣﴾ [الجن: ٢٣]. وَأَجَابَ أَهْلُ السُّنَّةِ بِأَنَّهَا نَزَلَتْ فِي الْكُفَّارِ، وَعَلَى تَسْلِيمِ أَنَّهَا فِي أَعَمَّ مِنْ ذَلِكَ فَقَدْ ثَبَتَ تَخْصِيصُ الْمُوَحِّدِينَ بِالْإِخْرَاجِ، وَلَعَلَّ التَّأْبِيدَ فِي حَقِّ مَنْ يَتَأَخَّرُ بَعْدَ شَفَاعَةِ الشَّافِعِينَ حَتَّى يَخْرُجُوا بِقَبْضَةِ أَرْحَمِ الرَّاحِمِينَ كَمَا سَيَأْتِي بَيَانُهُ فِي شَرْحِ حَدِيثِ الْبَابِ الَّذِي يَلِيهِ؛ فَيَكُونُ التَّأْبِيدُ مُؤَقَّتًا.

وَقَالَ عِيَاضٌ: اسْتَدَلَّ بِهَذَا الْحَدِيثِ مَنْ جَوَّزَ الْخَطَايَا عَلَى الْأَنْبِيَاءِ كَقَوْلِ

كُلِّ مَنْ ذُكِرَ فِيهِ مَا ذُكِرَ، وَأَجَابَ عَنْ أَصْلِ الْمَسْأَلَةِ بِأَنَّهُ لَا خِلَافَ فِي عِصْمَتِهِمْ مِنَ الْكُفْرِ بَعْدَ النُّبُوَّةِ، وَكَذَا قَبْلَهَا عَلَى الصَّحِيحِ، وَكَذَا الْقَوْلُ فِي الْكَبِيرَةِ عَلَى التَّفْصِيلِ الْمَذْكُورِ، وَيُلْتَحَقُ بِهَا مَا يُزْرِي بِفَاعِلِهِ مِنَ الصَّغَائِرِ، وَكَذَا الْقَوْلُ فِي كُلِّ مَا يَقْدَحُ فِي الْإِبْلَاغِ مِنْ جِهَةِ الْقَوْلِ، وَاخْتَلَفُوا فِي الْفِعْلِ فَمَنَعَهُ بَعْضُهُمْ حَتَّى فِي النِّسْيَانِ، وَأَجَازَ الْجُمْهُورُ السَّهْوَ لَكِنْ لَا يَحْصُلُ التَّمَادِي، وَاخْتَلَفُوا فِيمَا عَدَا ذَلِكَ كُلِّهِ مِنَ الصَّغَائِرِ؛ فَذَهَبَ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ النَّظَرِ إِلَى عِصْمَتِهِمْ مِنْهَا مُطْلَقًا، وَأَوَّلُوا الْأَحَادِيثَ وَالْآيَاتِ الْوَارِدَةَ فِي ذَلِكَ بِضُرُوبٍ مِنَ التَّأْوِيلِ، وَمِنْ جُمْلَةِ ذَلِكَ أَنَّ الصَّادِرَ عَنْهُمْ إِمَّا أَنْ يَكُونَ بِتَأْوِيلٍ مِنْ بَعْضِهِمْ، أَوْ بِسَهْوٍ، أَوْ بِإِذْنٍ، لَكِنْ خَشوا أَنْ لَا يَكُونَ ذَلِكَ مُوَافِقًا لِمَقَامِهِمْ؛ فَأَشْفَقُوا مِنَ الْمُؤَاخَذَةِ أَوِ الْمُعَاتَبَةِ.

قَالَ: وَهَذَا أَرْجَحُ الْمَقَالَاتِ، وَلَيْسَ هُوَ مَذْهَبُ الْمُعْتَزِلَةِ، وَإِنْ قَالُوا بِعِصْمَتِهِمْ مُطْلَقًا؛ لِأَنَّ مَنْزَعَهُمْ فِي ذَلِكَ التَّكْفِيرُ بِالذُّنُوبِ مُطْلَقًا، وَلَا يَجُوزُ عَلَى النَّبِيِّ الْكُفْرُ، وَمَنْزَعُنَا أَنَّ أُمَّةَ النَّبِيِّ مَأْمُورَةٌ بِالِاقْتِدَاءِ بِهِ فِي أَفْعَالِهِ، فَلَوْ جَازَ مِنْهُ وُقُوعُ الْمَعصِية لَلَزِمَ الْأَمْرُ بِالشَّيْءِ الْوَاحِدِ وَالنَّهْيِ عَنْهُ فِي حَالَةٍ وَاحِدَةٍ، وَهُوَ بَاطِلٌ. ثُمَّ قَالَ عِيَاضٌ: وَجَمِيعُ مَا ذُكِرَ فِي حَدِيثِ الْبَابِ لَا يَخْرُجُ عَمَّا قُلْنَاهُ؛ لِأَنَّ أَكْلَ آدَمَ مِنَ الشَّجَرَةِ كَانَ عَنْ سَهْوٍ، وَطَلَبَ نُوحٍ نَجَاةَ وَلَدِهِ كَانَ عَنْ تَأْوِيلٍ، وَمَقَالَاتِ إِبْرَاهِيمَ كَانَتْ مَعَارِيضَ وَأَرَادَ بِهَا الْخَيْرَ، وَقَتِيلَ مُوسَى كَانَ كَافِرًا كَمَا تَقَدَّمَ بَسْطُ ذَلِكَ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

وَفِيهِ جَوَازُ إِطْلَاقِ الْغَضَبِ عَلَى اللهِ، وَالْمُرَادُ بِهِ مَا يُظْهِرُ مِنِ انْتِقَامِهِ مِمَّنْ عَصَاهُ وَمَا يُشَاهِدُهُ أَهْلُ الْمَوْقِفِ مِنَ الْأَهْوَالِ الَّتِي لَمْ يَكُنْ مِثَالُهَا وَلَا يَكُونُ، كَذَا قَرَّرَهُ النَّوَوِيُّ، وَقَالَ غَيْرُهُ: الْمُرَادُ بِالْغَضَبِ لَازِمُهُ وَهُوَ إِرَادَةُ إِيصَالِ السُّوءِ لِلْبَعْضِ». [انتهى كلامه].

قَالَ ابنُ بَازٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: كلُّ هَذَا تَأويلٌ لَا وَجْهَ لَهُ، عِندَ أَهلِ السُّنَّةِ، اللهُ يَغضَبُ كَمَا يَليقُ بجَلالِه، يَغضَبُ اللهُ يومَ القِيامَةِ ويَغضَبُ فِي الدُّنيَا غَضَبًا يَليقُ

بجَلالِه سُبحانَهُ، لَا يُشابِهُ غَضبَ المَخلُوقِينَ، وهَكَذا الرِّضَا، وهَكَذا المَحبَّةُ، وهَكَذا الكَراهَةُ، وهَكَذا بَقيَّةُ الصِّفاتِ، كُلُّها حَقٌّ، وكُلُّها تَليقُ بِاللهِ، عَلَى الوَجهِ الَّذِي أرادَهُ ﷻ، لَا يَعلَمُ كَيفِيَّتَها إلَّا هُوَ ﷻ. هَذَا قَولُ أهلِ السُّنَّةِ والجَماعَةِ فِي جَميعِ الصِّفاتِ أنَّهُ لَا يَجوزُ تَأويلُها؛ فمَا قَالَه النَّوويُّ أو غَيرُه، الحَافِظُ أو غَيرُه كُلُّه لَيسَ بشَيءٍ، الصَّوابُ أنَّهَا تُمَرُّ عَلَى ظَاهِرِهَا كسَائِرِ آياتِ الصِّفاتِ وأحادِيثِهَا؛ عَلَى الوَجهِ اللَّائِقِ بِاللهِ ﷻ، ومِن آثَارِ الغَضبِ الِانتِقَامُ والعُقُوباتُ.

(**الشَّيخُ**): ما تَكلَّم عَلَى مَسألَةِ مَن حَبَسَه القُرآنُ، زِيادةً عَلَى الكَلامِ السَّابِقِ؟ العَينِيُّ ما ذَكَر شَيئًا؟ ما ذَكَر الجَمعَ بَينَ هَذَا وبَينَ ﴿**وَيَبْقَى فِي النَّارِ بَقِيَّةٌ فَيُخْرِجُهُمُ اللهُ**﴾؟

(**الطَّالبُ**): ما تَكلَّم.

قَالَ ابنُ بَازٍ رَحِمَهُ اللهُ: الظَّاهِرُ ـ واللهُ أعلَمُ ـ أنَّ قَولَه: ﴿**مَن حَبَسَه القُرآنُ**﴾؛ يَعنِي: فِي اعتِقَادِه أو مِن أُمَّتِه ﷺ، وأُولئِكَ أُناسٌ بَقوا فِي النَّارِ حَبَستْهُم ذُنوبُهُم، ثُمَّ يُخرِجهُمُ اللهُ مِنَ النَّار بفَضلِه وإحسَانِه؛ لأنَّهُم مَاتُوا عَلَى التَّوحِيدِ وعَلَى الحَقِّ.

[قالَ الحَافِظُ ابنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللهُ فِي «فتْحِ البَارِي» (١١/ ٤٣٩)]: «قَوْلُهُ: ﴿**ثُمَّ أَعُودُ فَأَقَعُ سَاجِدًا**﴾ مِثْلَهُ فِي الثَّالِثَةِ أَوِ الرَّابِعَةِ فِي رِوَايَةِ هِشَام: ﴿**فَأَحُدُّ لَهُمْ حَدًّا فَأُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ، ثُمَّ أَرْجِعُ ثَانِيًا فَأَسْتَأْذِنُ**﴾ إِلَى أَنْ قَالَ: ﴿**ثُمَّ أَحُدُّ لَهُمْ حَدًّا ثَالِثًا فَأُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ، ثُمَّ أَرْجِعُ**﴾ هَكَذَا فِي أَكْثَرِ الرِّوَايَاتِ وَوَقَعَ عِنْدَ أَحْمَدُ مِنْ رِوَايَةِ سَعِيدِ بْنِ أَبِي عَرُوبَةَ عَنْ قَتَادَةَ: ﴿**ثُمَّ أَعُودُ الرَّابِعَةَ فَأَقُولُ: يَا رَبِّ مَا بَقِيَ إِلَّا مَنْ حَبَسَهُ الْقُرْآنُ**﴾ وَلَمْ يَشُكَّ؛ بَلْ جَزَمَ بِأَنَّ هَذَا الْقَوْلَ يَقَعُ فِي الرَّابِعَةِ.

وَوَقَعَ فِي رِوَايَةِ مَعْبَدِ بْنِ هِلَالٍ عَنْ أَنَسٍ أَنَّ الْحَسَنَ حَدَّثَ مَعْبَدًا بَعْدَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: «فَأَقُومُ الرَّابِعَةَ» وَفِيهِ قَوْلُ اللهِ لَهُ: «**لَيْسَ ذَلِكَ لَكَ**»، وَأَنَّ اللهَ يُخرِج مِنَ النَّار من قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَإِنْ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ؛ فَعَلَى هَذَا فَقَوْلُهُ: «حَبَسَهُ الْقُرْآنُ يَتَنَاوَلُ الْكُفَّارَ وَبَعْضَ الْعُصَاةِ مِمَّنْ وَرَدَ فِي الْقُرْآنِ فِي حَقِّهِ التَّخْلِيدُ، ثُمَّ

يَخْرُجُ الْعُصَاةُ فِي الْقَبْضَةِ وَتَبْقَى الْكُفَّارُ، وَيَكُونُ الْمُرَادُ بِالتَّخْلِيدِ فِي حَقِّ الْعُصَاةِ الْمَذْكُورِينَ الْبَقَاءَ فِي النَّارِ بَعْدَ إِخْرَاجِ من تقدمهم». [انتهى كلامه].

قَالَ ابنُ بَازٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: يَعنِي: بَعدَ إخرَاجِ مَن أَذِن لَهُ فِي إِخرَاجِهِم، هَذَا تَأوِيلٌ.

والتَّأويلُ الآخَرُ غَيرُ هَذَا: أَنَّهُ يُمكِنُ أن يُقَالَ: يَبقَى فِي النَّارِ أُناسٌ مِن غَيرِ أُمَّتِه عليه الصلاة والسلام، أو لم يَظهَرْ لَهُ ولم يَعلَمْ أَنَّهُم من أَهلِ التَّوحِيدِ، ولكِنَّ اللهَ عَلِم أنَّ فِي قُلوبِهِم ما فِي قُلوبِهِم؛ فَإِنَّهُ لَا يَعلَمُ إِلَّا ما عَلَّمَه اللهُ عليه الصلاة والسلام.

- **س: عَفَا اللهُ عَنكَ، بالنِّسبَةِ لِلعُصاةِ الَّذِينَ يَدخُلونَ النَّارَ ثُمَّ يُطهَّرونَ مِنهَا؛ يَعنِي: كَيفَ حَالُهُم فِي القَبرِ؟**

○ **ج:** هم أَقسَامٌ، واللهُ أَعلَمُ بحَالِهِم، مِنهُم مَن يُعذَّبُ، ومِنهُم مَن لَا يُعذَّبُ، ومِنهُم مَن يُعذَّبُ بَعضَ الأَحيَانِ ويُترَكُ، اللهُ ﷻ جَعَلَهم فِي بَرزَخٍ، ويُقالُ لَهُ: ذُو الشَّائِبَتَينِ، ذَكَر أَحوالَ أَهلِ الإِيمَانِ وسَلامَتَهُم، وذَكَر الكُفَّارَ وعَذابَهُم، وأَمَّا ذُو الشَّائِبَتَينِ - وهمُ العَصاةُ - ففِي غالِبِ النُّصُوصِ السُّكوتُ عَنهُم، فِي غَالبِ النُّصوصِ السُّكوتُ عَن حَالِهِم فِي القَبرِ، وفِي بَعضِ النُّصُوصِ بَيانُ ما يُصِيبُهُم فِي القَبرِ كَالَّذِي عُذِّب فِي القَبرِ بسَبَبِ عَدمِ التَّنزُّهِ مِنَ البَولِ، والَّذِي عُذِّب بسَبَبِ النَّميمَةِ؛ نَسأَلُ اللهَ العَافِيةَ.

فالحَاصِلُ: أَنَّهُم عَلَى خَطَرٍ مِنَ العَذَابِ فِي النَّارِ وفِي القَبرِ جَميْعًا، لكِنْ لَيسُوا مِثْلَ الكُفَّارِ، الكُفَّارُ عَذابُهُم مُحتَّمٌ، أَمَّا العُصَاةُ فقَد يُعفَى عَن بَعضِهِم لحَسَناتٍ وأَعمَالٍ صَالِحَاتٍ، وعَملٍ صالِحٍ رَجَحَ بالسَّيِّئَاتِ، وقد يَكُونُ يُعذَّبُ بَعضَ الوَقتِ ويُعفَى عَنهُ، وقد يُؤجَّلُ عَذابُه إِلَى النَّارِ؛ فهُم تَحتَ مَشيئَةِ اللهِ ﷻ؛ فتَفصِيلُ أَمرِهِم إِلَى اللهِ ﷻ.

- **س: عَفَا اللهُ عَنكَ، بِالنِّسبةِ لهَذَا الحَديثِ ذَكَر أَنَّ أَوَّلَ الرُّسلِ نُوحٌ، وفِي حَديثٍ آخَرَ أَنَّ أَوَّلَهم آدَمُ؟**

○ ج: أَوَّلُ الرُّسُلِ لأَهلِ الأَرْضِ بَعدَما وَقَعَ الشِّرْكُ فِيهَا هُوَ نُوحٌ عليه السلام، مِثلَما قَالَ آدَمُ عليه السلام: «أَوَّلُ رَسُولٍ أَرسَلَه اللهُ إِلَى أَهلِ الأَرضِ»[1]؛ يَعنِي: بَعدَما وَقَعَ الشِّركُ، أَمَّا آدَمُ عليه السلام فهُوَ رَسُولٌ ونَبِيٌّ بِالنِّسبَةِ إِلَى نَفسِه وذُرِّيَّتِه قَبْلَ وُقوعِ الشِّركِ.

• س: النَّاسُ يَذكُرُونَ بِأَنَّ آدَمَ...؟

○ ج: هَكَذا قَالَ ابنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما.

• س: أَحسَنَ اللهُ إِلَيكَ، سَمَّاهُم جَهنَّمِيِّينَ لأَجلِ ذُنوبِهِم؟

○ ج: لأَنَّهُم دَخَلوا جَهنَّمَ؛ يَعنِي: وأُخرِجُوا مِنهَا، جَاءَ فِي النُّصُوصِ أَنَّهُم بَعدَ ذَلِكَ يَسأَلُونَ رَبَّهُم أن اللهَ يَمحُوَ عَنهُم هَذَا الِاسمَ فيُمحَى عَنهُم هَذَا الِاسمُ بَعدَ ذَلِكَ[2].

• س: الجَهَنَّمِيُّونَ أَلَمْ يَتَقَدَّم أَنَّهُمْ هُمُ الَّذِينَ يُخرِجُهُمُ اللهُ وَلَمْ يَفعَلُوا خَيرًا قَطُّ؟

○ ج: هَذِهِ طَائِفَةٌ أُخْرَى نَعَمْ، بَقِيَّةُ العُصَاةِ.

• س: بَارَكَ اللهُ فِيكُمْ، المَقصُودُ بِمَنْ حَبَسَهُ القُرْآنُ؟

---

(١) الحديث السابق، وفيه: «... فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ: أَنْتَ الَّذِي خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَمَرَ الْمَلَائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ، فَاشْفَعْ لَنَا عِنْدَ رَبِّنَا، فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ، وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ وَيَقُولُ: ائْتُوا نُوحًا أَوَّلَ رَسُولٍ بَعَثَهُ اللهُ...».

(٢) قال البيهقي في «شعب الإيمان» بعد حديث (٣١٣): وَرُوِّينَا فِي حَدِيثِ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِيمَنْ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ فَيَمْكُثُونَ فِي الْجَنَّةِ حِينًا، فَيُقَالُ لَهُمْ: هَلْ تَشْتَهُونَ شَيْئًا؟ فَيَقُولُونَ: تَرْفَعَ عَنَّا هَذَا الِاسْمَ فَيُرْفَعْ عَنْهُمْ.
وأخرجه في «البعث والنشور» (٥٩٣) بسند فيه رجل مبهم، عن أبي هريرة رضي الله عنه، وفيه: فينبتون كنبات الطراثيث حتى يكونوا مثل الدر مكتوبة في رقابهم الجهنميون عتقاء الله عز وجل، فيعرفهم أهل الجنة بذلك الكتاب ما عملوا خيرًا قط، فيمكثون في الجنة ما شاء الله، وذلك الكتاب في رقابهم، ثم يقولون: ربنا امح عنا هذا الكتاب، فيمحاه عنهم.
وقال ابن حجر: وأخرجه مسلم من وجه آخر عن أبي سعيد وزاد: فيدعون الله فيذهب عنهم هذا الاسم، وفي حديث حذيفة عند البيهقي في «البعث» من رواية حماد بن أبي سليمان عن ربعي عنه يقال لهم: الجهنميون، فذكر لي أنهم استعفوا الله من ذلك الاسم فأعفاهم. «فتح الباري» (١١/ ٤٣٠).

○ ج: حَبَسَهُ القُرْآنُ بِمَعَاصِيهِ وَسَيِّئَاتِهِ، أَوْ كُفرِهِ.

* * *

﴿٦٥٦٦﴾ حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، حَدَّثَنَا يَحْيَى، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ ذَكْوَانَ، حَدَّثَنَا أَبُو رَجَاءٍ، حَدَّثَنَا عِمْرَانُ بْنُ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال: «يَخْرُجُ قَوْمٌ مِنَ النَّارِ بِشَفَاعَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ، يُسَمَّوْنَ الْجَهَنَّمِيِّينَ».

﴿٦٥٦٧﴾ حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ، حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ جَعْفَرٍ، عَنْ حُمَيْدٍ، عَنْ أَنَسٍ أَنَّ أُمَّ حَارِثَةَ أَتَتْ رَسُولَ اللهِ ﷺ، وَقَدْ هَلَكَ حَارِثَةُ يَوْمَ بَدْرٍ، أَصَابَهُ سهمٌ غَرْبٌ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، قَدْ عَلِمْتَ مَوْقِعَ حَارِثَةَ مِنْ قَلْبِي، فَإِنْ كَانَ فِي الْجَنَّةِ لَمْ أَبْكِ عَلَيْهِ، وَإِلَّا سَوْفَ تَرَى مَا أَصْنَعُ، فَقَالَ لَهَا: «هَبِلْتِ! أَجَنَّةٌ وَاحِدَةٌ هِيَ؟ إِنَّهَا جِنَانٌ كَثِيرَةٌ، وَإِنَّهُ فِي الْفِرْدَوْسِ الأَعْلَى». [سبق برقم ٢٨٠٩]

الشَّرح

وهَذَا يَدلُّ عَلَى أنَّ حارِثةَ رضي الله عنه من جُملَةِ مَن شُهِد لَهُ بِالجَنَّةِ، مَعَ العَشَرةِ، ومَعَ ثابِتِ بنِ قَيسٍ، ومَعَ عُكَّاشةَ رضي الله عنهم وأَشبَاهِهِم، وهُوَ حارِثةُ بنُ سُراقَةَ الَّذِي قُتِل يَومَ بَدرٍ، اللهُ أَكبَرُ.

[قال الإمَامُ العَينيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «عُمدَةِ القَارِي» (٢٣/ ١٢٠)]: «قَوْله: ﴿أَوَهَبِلْتِ﴾ الْهمزَةُ فِيهِ للِاستِفهَام، وَالْوَاوُ للْعَطْفِ عَلَى مُقَدَّرٍ بَعدَ الْهَمزَةِ، وهَبِلتِ عَلَى صِيغَةِ الْمَجْهُولِ والمَعلُومِ مِن هَبِلَتْه أُمُّه إذا ثَكِلَتْه». [انتهى كلامه].

قَالَ ابنُ بَازٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: هَبِلْتِ وهُبِلْتِ. «هَبِلْتِ» مَعلومٌ، و«وهُبِلْتِ» مَجهولٌ.

• س: أَحسَنَ اللهُ إِليكَ، عِمرانُ بنُ حُصَينٍ رضي الله عنه أَبوهُ صَحابِيٌّ؟

○ ج: نَعَم، حُصَينُ بنُ عُبَيدٍ رضي الله عنه.

* * *

٦٥٦٨ وَقَالَ: «غَدْوَةٌ فِي سَبِيلِ اللهِ، أَوْ رَوْحَةٌ، خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَلَقَابُ قَوْسِ أَحَدِكُمْ، أَوْ مَوْضِعُ قَدَمٍ مِنَ الْجَنَّةِ، خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَلَوْ أَنَّ امْرَأَةً مِنْ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، اطَّلَعَتْ إِلَى الأَرْضِ؛ لأَضَاءَتْ مَا بَيْنَهُمَا، وَلَمَلأَتْ مَا بَيْنَهُمَا رِيحًا، وَلَنَصِيفُهَا؛ يَعْنِي: الْخِمَارَ، خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا». [سبق برقم ٢٧٩٢، وأخرجه مسلم، برقم ١٨٨٠]

٦٥٦٩ حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، حَدَّثَنَا أَبُو الزِّنَادِ، عَنِ الأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا يَدْخُلُ أَحَدٌ الْجَنَّةَ إِلَّا أُرِيَ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ لَوْ أَسَاءَ؛ لِيَزْدَادَ شُكْرًا، وَلَا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ إِلَّا أُرِيَ مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ لَوْ أَحْسَنَ؛ لِيَكُونَ عَلَيْهِ حَسْرَةً».

الشَّرح

اللهُ أَكبَرُ، نَسأَلُ اللهَ العَافِيَةَ.

(ع): وَهَذَا كُلُّهُ يُبَيِّنُ عَظَمَةَ الجَنَّةِ وَمَا فِيهَا، وَأَنَّ أَمرَهَا عَظِيمٌ، حَتَّى ذَكَرَ أَمرَ الحَورَاءِ، المَقصُودُ أَنَّ الجَنَّةَ هِيَ دَارُ النَّعِيمِ، هِيَ دَارُ البَقَاءِ فِي سُرُورٍ دَائِمٍ وَخَيرٍ دَائِمٍ، وَأَهلُهَا فِيمَا يُرِيدُونَ وَيَشتَهُونَ، كَمَا أَخبَرَ اللهُ عَنهُمْ: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾﴾ [الدخان: ٥١ ـ ٥٦]، هَذِهِ الدَّارُ الَّتِي يَنبَغِي السَّعْيُ لَهَا وَالحِرصُ عَلَى أَنْ تَكُونَ مِنْ أَهلِهَا، اللهُ المُستَعَانُ.

* * *

٦٥٧٠ حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ جَعْفَرٍ، عَنْ عَمْرٍو، عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ الْمَقْبُرِيِّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّهُ قال: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ. مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَقَالَ: «لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لَا يَسْأَلَنِي عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلُ مِنْكَ؛ لِمَا

رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الْحَدِيثِ، أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ قال: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ خَالِصًا مِنْ قِبَلِ نَفْسِهِ». [سبق برقم ٩٩]

الشَّرح

(ع): فِي اللَّفظِ الآخَرِ: «خَالِصًا مِن قَلبِهِ»[1]؛ يَعْنِي: قَالَها عَنْ إِيمَانٍ وَصِدقٍ وَإِخلَاصٍ للهِ ﷻ، وَمَاتَ عَلَى ذَلِكَ.

وهَذَا يَدلُّ عَلَى فَضلِ التَّوحِيدِ، وأَنَّهُ أَعظَمُ الأَعمَالِ وأَفضَلُها، وأَنَّ مَن مَاتَ عَلَى التَّوحِيدِ الخَالصِ فهُوَ أَسعَدُ النَّاسِ بشَفاعَةِ النَّبيِّ ﷺ، وهَذَا مُوافِقٌ لقَولِه ﷺ فِي حَديثِ أَنسٍ رضي الله عنه: «وإِنِّي اختَبَأْتُ دَعوَتِي شَفاعَةً لأُمَّتِي يومَ القِيامَةِ؛ فهِيَ نَائِلةٌ إِنْ شَاءَ اللهُ مَن مَاتَ من أُمَّتِي لَا يُشرِكُ بِاللهِ شَيئًا»[2]؛ يَعنِي: العُصاةَ.

[قالَ الحَافِظُ ابنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «فتْحِ البَارِي» (١١/ ٤٤٣)]: «وَقَوْلُهُ: ﴿مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ خَالِصًا مِنْ قِبَلِ نَفْسِهِ﴾ بِكَسْرِ الْقَافِ وَفَتْحِ الْمُوَحَّدَةِ؛ أَيْ: قَالَ ذَلِكَ بِاخْتِيَارِهِ، وَوَقَعَ فِي رِوَايَةِ أَحْمَد وَصَححهُ ابن حِبَّانَ مِنْ طَرِيقٍ أُخْرَى عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ نَحْوَ هَذَا الْحَدِيثِ وَفِيهِ: «لَقَدْ ظَنَنْتُ أَنَّكَ أَوَّلُ مَنْ يَسْأَلُنِي عَنْ ذَلِكَ مِنْ أُمَّتِي، وَشَفَاعَتِي لِمَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُخْلِصًا يُصَدِّقُ قَلْبُهُ لِسَانَهُ، وَلِسَانُهُ قَلْبَهُ». وَالْمُرَادُ بِهَذِهِ الشَّفَاعَةِ الْمَسْؤولُ عَنْهَا هُنَا بَعْضُ أَنْوَاعِ الشَّفَاعَةِ، وَهِيَ الَّتِي يَقُولُ ﷺ: «أُمَّتِي أُمَّتِي» فَيُقَالُ لَهُ: أَخْرِجْ مِنَ النَّارِ مَنْ فِي قَلْبِهِ وَزْنُ كَذَا مِنَ الْإِيمَانِ. فَأَسْعَدُ النَّاسِ بِهَذِهِ الشَّفَاعَةِ مَنْ يَكُونُ إِيمَانُهُ أَكْمَلَ مِمَّنْ دُونَهُ». [انتهى كلامه].

* * *

٦٥٧١ حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ عَنْ عَبِيدَةَ، عَنْ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنه قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنِّي لأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنْهَا، وَآخِرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولًا، رَجُلٌ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ

(١) أخرجه البخاري (٩٩)، ومسلم (٦٥٧٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه.
(٢) أخرجه مسلم (٢٠٠) عن أنس رضي الله عنه.

حَبْوًا، فَيَقُولُ اللهُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ، فَيَأْتِيهَا فَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلأَى، فَيَرْجِعُ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، وَجَدْتُهَا مَلأَى، فَيَقُولُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ، فَيَأْتِيهَا فَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلأَى، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، وَجَدْتُهَا مَلأَى، فَيَقُولُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ، فَإِنَّ لَكَ مِثْلَ الدُّنْيَا، وَعَشَرَةَ أَمْثَالِهَا، أَوْ إِنَّ لَكَ مِثْلَ عَشَرَةِ أَمْثَالِ الدُّنْيَا، فَيَقُولُ: تَسْخَرُ مِنِّي، أَوْ تَضْحَكُ مِنِّي، وَأَنْتَ الْمَلِكُ»، فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ، وَكَانَ يُقَالُ: ذَلِكَ أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً». [طرفه في: ٧٥١١ وأخرجه مسلم، برقم ١٨٦]

* * *

٦٥٧٢ - حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ، عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ نَوْفَلٍ، عَنِ الْعَبَّاسِ رضي الله عنه «أَنَّهُ قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: هَلْ نَفَعْتَ أَبَا طَالِبٍ بِشَيْءٍ؟». [سبق برقم ٣٨٨٣، وأخرجه مسلم، برقم ٢٠٩]

الشَّرح

(الشَّيخُ): ﴿هَلْ نَفَعْتَ﴾، كَذَا عِندَكُمْ ﴿هَلْ نَفَعْتَ﴾؟ مَا بَعدَهُ شَيءٌ، وَالعَينِيُّ كَذَلِكَ؟[1]

[قالَ الحَافِظُ ابنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللهُ في «فتح البَارِي» (١١/ ٤٤٤)]: «قَوْلُهُ: ﴿هَلْ نَفَعْتَ أَبَا طَالِبٍ بِشَيْءٍ﴾ هَكَذَا ثَبَتَ فِي جَمِيعِ النُّسَخِ بِحَذْفِ الْجَوَابِ، وَهُوَ اخْتِصَارٌ مِنَ الْمُصَنِّفِ، وَقَدْ رَوَاهُ مُسَدَّدٌ فِي «مُسْنَدِهِ» بِتَمَامِهِ، وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي كِتَابِ الْأَدَبِ عَنْ مُوسَى بْنِ إِسْمَاعِيلَ عَنْ أَبِي عَوَانَةَ بِالسَّنَدِ الْمَذْكُورِ هُنَا بِلَفْظِ: فَإِنَّهُ كَانَ يَحُوطُكَ وَيَغْضَبُ لَكَ، قَالَ: «نَعَمْ هُوَ فِي ضَحْضَاحٍ مِنْ نَارٍ، وَلَوْلَا أَنَا لَكَانَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ». وَوَقَعَ فِي رِوَايَةِ الْمُقَدَّمِيِّ عَنْ أَبِي عَوَانَةَ عِنْدَ

(١) ورد هنا هذا السؤال:
س: عَفَا اللهُ عَنكَ يَا شَيخُ، مَا مَدَى صِحَّةِ أَنَّ العَملَ الصَّالِحَ يُخَيَّلُ إِلَيهِ كَأَنَّهُ رَجُلٌ صَالِحٌ؟ وانشغل الشيخ عن الجواب.

الْإِسْمَاعِيلِيِّ: «الدَّرَكَةُ» بِزِيَادَةِ هَاءٍ، وَقَدْ تَقَدَّمَ شَرْحُ مَا يَتَعَلَّقُ بِذَلِكَ فِي شَرْحِ الْحَدِيثِ الرَّابِعَ عَشَرَ، وَمَضَى أَيْضًا فِي قِصَّةِ أَبِي طَالِبٍ فِي الْمَبْعَثِ النَّبَوِيِّ لِمُسَدَّدٍ فِيهِ سَنَدٌ آخَرُ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عُمَيْرٍ الْمَذْكُور، وَالله اعْلَم». [انتهى كلامه].

قَالَ ابنُ بَازٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: المَقصُودُ أَنَّهُ كَانَ فِي ضَحضَاحٍ مِنَ النَّارِ، خَفَّفَ اللهُ عَنهُ بِشَفَاعَتِهِ ﷺ، وَهَذِهِ شَفَاعَةٌ خَاصَّةٌ فِي أَبِي طَالِبٍ.

وقَولُهُ: «**لَولَا أَنَا**»، فِي رِوَايَةٍ إِنْ كَانَتْ مَحفُوظَةً فهَذَا كَانَ فِي أَوَّلِ الأَمرِ ثُمَّ نُسِخَ ذَلِكَ، وَنَهى النَّبِيُّ ﷺ عَن ذَلِكَ أَنْ يَقُولَ: لَولَا، «**لَا تَقُولُوا مَا شَاءَ اللهُ وَشَاءَ فُلَانٌ، وَلَكِنْ قُولُوا: مَا شَاءَ اللهُ ثُمَّ شَاءَ فُلَانٌ**»[1] وَلَمَّا قِيلَ: مَا شَاءَ اللهُ وَشِئتَ قَالَ: «**لَا تَجعَلُونِي للهِ نِدًّا، قُولُوا: مَا شَاءَ اللهُ وَحْدَهُ**»[2]، فِي اللَّفظِ الآخَرِ: «**ما شَاءَ اللهُ ثُمَّ شَاءَ مُحَمَّدٌ**»[3] أَنْ يَأتُوا بـ (ثُمَّ).

- **س: أَحسَنَ اللهُ إِلَيكَ، هُنَاكَ مَن يُحذِّرُ الصِّغَارَ مِن بَعضِ الذُّنُوبِ، وَيَقُولُ: مَن يَفعَلْ كَذَا يُعَذِّبْهُ اللهُ فِي النَّارِ، مَثَلًا مَنْ يَكذِبْ يُعَذِّبْهُ اللهُ فِي النَّارِ، مِن بَابِ التَّحذِيرِ، فَهَلْ هَذَا يَجُوزُ؟**

○ **ج**: صَحِيحٌ، الكَذَّابُ مَوعُودٌ بِالنَّارِ.

- **س: أَمَّا إِذَا أَطلَقَهَا مِثلُ هَذَا الحَدِيثِ؟**

○ **ج**: لِأَنَّ اللهَ ﷻ لَهُ الْمَشِيئَةُ الكَامِلَةُ، وَلَهُ التَّصَرُّفُ الكَامِلُ، وَالعَبدُ إِنَّمَا يَكُونُ بِإِذنِ اللهِ وَبِتَبرِيكِ اللهِ لَهُ، وَلِهَذَا يُؤتَى بـ(ثُمَّ) لِلتَّأَخُّرِ وَالانْفِصَالِ.

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٩٨٠)، والنسائي في «الكبرى» (١٠٧٥٥)، وأحمد (٣٨/ ٢٩٩) رقم (٢٣٢٦٥) عن حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.
قال العراقي: سنده صحيح. «تخريج إحياء علوم الدين» (١٠٥٥).

(٢) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٧٨٣)، والنسائي في «الكبرى» (١٠٧٥٩)، وابن ماجه (٢١١٧)، وأحمد (٤/ ٣٤١) (٢٥٦١) عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٣) أخرجه ابن ماجه (٢١١٨)، وأحمد (٣٨/ ٣٦٤) رقم (٢٣٣٣٩) عن حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.
قال البوصيري: هذا إسناد رجاله ثقات على شرط البخاري، لكنه منقطع بين سفيان وبين عبد الملك بن عمير. «مصباح الزجاجة» (٧٥٢).

• س: لَكِنْ هُنَا مَا فِيهِ ذِكرُ اللهِ ﷻ: قَالَ: «لَولَا»؟

○ ج: لَولَا اللهُ ثُمَّ أَنَا.

٥٢ ـ بَاب الصِّرَاطُ جِسْرُ جَهَنَّمَ

٦٥٧٣ حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، أَخْبَرَنِي سَعِيدٌ وَعَطَاءُ بْنُ يَزِيدَ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ أَخْبَرَهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، وَحَدَّثَنِي مَحْمُودٌ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَزِيدَ اللَّيْثِيِّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قال: «قَالَ أُنَاسٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَقال: «هَلْ تُضَارُّونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ؟» قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «هَلْ تُضَارُّونَ فِي الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لَيْسَ دُونَهُ سَحَابٌ؟» قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ، يَجْمَعُ اللهُ النَّاسَ فَيَقُولُ: مَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَيْئًا فَلْيَتَّبِعْهُ، فَيَتْبَعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الشَّمْسَ، وَيَتْبَعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الْقَمَرَ، وَيَتْبَعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الطَّوَاغِيتَ، وَتَبْقَى هَذِهِ الأُمَّةُ فِيهَا مُنَافِقُوهَا، فَيَأْتِيهِمُ اللهُ فِي غَيْرِ الصُّورَةِ الَّتِي يَعْرِفُونَ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: نَعُوذُ بِاللهِ مِنْكَ، هَذَا مَكَانُنَا حَتَّى يَأْتِيَنَا رَبُّنَا، فَإِذَا أَتَانَا رَبُّنَا عَرَفْنَاهُ، فَيَأْتِيهِمُ اللهُ فِي الصُّورَةِ الَّتِي يَعْرِفُونَ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا، فَيَتْبَعُونَهُ، وَيُضْرَبُ جِسْرُ جَهَنَّمَ» قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُ، وَدُعَاءُ الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ، وَبِهِ كَلَالِيبُ مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ، أَمَا رَأَيْتُمْ شَوْكَ السَّعْدَانِ؟» قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «فَإِنَّهَا مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ، غَيْرَ أَنَّهَا لَا يَعْلَمُ قَدْرَ عِظَمِهَا إِلَّا اللهُ، فَتَخْطَفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ: مِنْهُمُ الْمُوبَقُ بِعَمَلِهِ، وَمِنْهُمُ الْمُخَرْدَلُ، ثُمَّ يَنْجُو، حَتَّى إِذَا فَرَغَ اللهُ مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَ عِبَادِهِ، وَأَرَادَ أَنْ يُخْرِجَ مِنَ النَّارِ مَنْ أَرَادَ أَنْ يُخْرِجَ مِمَّنْ كَانَ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، أَمَرَ الْمَلَائِكَةَ أَنْ يُخْرِجُوهُمْ، فَيَعْرِفُونَهُمْ

بِعَلَامَةِ آثَارِ السُّجُودِ، وَحَرَّمَ اللهُ عَلَى النَّارِ أَنْ تَأْكُلَ مِنِ ابْنِ آدَمَ أَثَرَ السُّجُودِ، فَيُخْرِجُونَهُمْ قَدِ امْتُحِشُوا، فَيُصَبُّ عَلَيْهِمْ مَاءٌ يُقَالُ لَهُ: مَاءُ الْحَيَاةِ، فَيَنْبُتُونَ نَبَاتَ الْحِبَّةِ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ، وَيَبْقَى رَجُلٌ مُقْبِلٌ بِوَجْهِهِ عَلَى النَّارِ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، قَدْ قَشَبَنِي رِيحُهَا، وَأَحْرَقَنِي ذَكَاؤُهَا، فَاصْرِفْ وَجْهِي عَنِ النَّارِ، فَلَا يَزَالُ يَدْعُو اللهَ فَيَقُولُ: لَعَلَّكَ إِنْ أَعْطَيْتُكَ، أَنْ تَسْأَلَنِي غَيْرَهُ، فَيَقُولُ: لَا وَعِزَّتِكَ لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهُ، فَيَصْرِفُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ، ثُمَّ يَقُولُ بَعْدَ ذَلِكَ: يَا رَبِّ، قَرِّبْنِي إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ، فَيَقُولُ: أَلَيْسَ قَدْ زَعَمْتَ أَنْ لَا تَسْأَلَنِي غَيْرَهُ؟ وَيْلَكَ ابْنَ آدَمَ مَا أَغْدَرَكَ، فَلَا يَزَالُ يَدْعُو فَيَقُولُ: لَعَلِّي إِنْ أَعْطَيْتُكَ ذَلِكَ تَسْأَلَنِي غَيْرَهُ؟ فَيَقُولُ: لَا وَعِزَّتِكَ، لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهُ، فَيُعْطِي اللهَ ما شاء مِنْ عُهُودٍ، وَمَوَاثِيقَ أَنْ لَا يَسْأَلَهُ غَيْرَهُ، فَيُقَرِّبُهُ إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ، فَإِذَا رَأَى مَا فِيهَا سَكَتَ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَسْكُتَ، ثُمَّ يَقُولُ: رَبِّ أَدْخِلْنِي الْجَنَّةَ، ثُمَّ يَقُولُ: أَوَلَيْسَ قَدْ زَعَمْتَ أَنْ لَا تَسْأَلَنِي غَيْرَهُ، وَيْلَكَ يَا ابْنَ آدَمَ مَا أَغْدَرَكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ لَا تَجْعَلْنِي أَشْقَى خَلْقِكَ، فَلَا يَزَالُ يَدْعُو حَتَّى يَضْحَكَ، فَإِذَا ضَحِكَ مِنْهُ، أَذِنَ لَهُ بِالدُّخُولِ فِيهَا، فَإِذَا دَخَلَ فِيهَا قِيلَ: تَمَنَّ مِنْ كَذَا فَيَتَمَنَّى، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: تَمَنَّ مِنْ كَذَا فَيَتَمَنَّى، حَتَّى تَنْقَطِعَ بِهِ الأَمَانِيُّ، فَيَقُولُ لَهُ: هَذَا لَكَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ»، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: وَذَلِكَ الرَّجُلُ آخِرُ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولًا». [سبق برقم ٨٠٦، وأخرجه مسلم، برقم ١٨٢]

الشَّرح

(ع): وَهَذِهِ بِشَارَةٌ فِي رُؤيَةِ المُؤْمِنِينَ رَبَّهُمْ رُؤيَةً حَقِيقِيَّةً، كَمَا يَرَونَ الشَّمسَ صَحْوًا لَيسَ دُونَهَا سَحَابٌ، وَكَمَا يَرَونَ القَمرَ لَيلَةَ البَدرِ، وَهَذَا مِنْ عَقِيدَةِ أَهلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ خِلَافًا لِلمُبتَدِعَةِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣]، وَقَالَ تَعَالَى فِي حَقِّ الكُفَّارِ: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ۝١٥﴾ [المطففين: ١٥] فَإِذَا حُجِبَ الكُفَّارُ عُلِمَ أَنَّ المُؤْمِنِينَ يَرَونَ رَبَّهُمْ ﷻ.

وَالصِّرَاطُ جِسرٌ يُنصَبُ عَلَى مَتنِ جَهَنَّمَ يَمُرُّ النَّاس عَلَيهِ، فَمَنْ ثَبَتَ عَلَى هَذَا الصِّرَاطِ فِي الدُّنْيَا، ثَبَّتَهُ اللهُ عَلَى الصِّرَاطِ يومَ القِيَامَةِ: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ مَن ثَبَتَ عَلَى هَذَا الصِّرَاطِ الَّذِي هُوَ تَوحِيدُ اللهِ وَطَاعَتُهُ وَالاسْتِقَامَةُ عَلَى دِينِهِ، مَن ثَبَتَ عَلَيهِ ثَبَتَ عَلَى الصِّرَاطِ يومَ القِيَامَةِ وَنَجَا مِنَ النَّارِ، وَمَن زَلَّ عَنْ هَذَا الصِّرَاطِ زَلَّ عَن ذَاكَ الصِّرَاطِ، وَلَمْ يَمُر عَلَى ذَاكَ الصِّرَاطِ، مَن حَادَ عَنْ صِرَاطِ اللهِ الْمُستَقِيمِ صَارَ إِلَى النَّارِ، وَإِنَّمَا يَمُرُّ عَلَى الصِّرَاطِ يومَ القِيَامَةِ يَمُرُّ عَلَيهِ الْمُؤمِنُونَ النَّاجُونَ الَّذِينَ ثَبتُوا عَلَى الصِّرَاطِ فِي الدُّنْيَا، وَاسْتَقَامُوا عَلَى دِينِ اللهِ فِي الدُّنْيَا، فَاللهُ يُنَجِّيهِمْ يومَ القِيَامَةِ، وَيَمُرُّونَ عَلَى الصِّرَاطِ.

قوله: ﴿فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ كَذَلِكَ،....﴾: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ﴾.

وقَولُهُ: ﴿فَيَعْرِفُونَهُمْ بِعَلَامَةِ آثَارِ السُّجُودِ﴾: هَذَا يُبَيِّنُ لَنَا أَنَّ بَعضَ الْمُصَلِّينَ يَدخُلُونَ النَّارَ بِمَعَاصِيهِمْ، وَلَكِنْ حَرَّم اللهُ عَلَى النَّارِ أَنْ تَأكُلَ أَثَرَ السُّجُودِ، الجَبهَةَ وَالأَنفَ، وَالكَفَّينِ وَالرُّكبَتَينِ وَأَطرَافَ القَدَمَينِ، هَذِهِ الَّتِي يُسجَدُ عَلَيهَا، هَذِهِ عَلَامَةٌ عَلَى أَنَّهُمْ يُصَلُّونَ، لَكِنْ دَخَلُوا النَّارَ بِمَعَاصِيهِمْ، هَذَا دَخَلَهَا بِالزِّنَا، وَهَذَا دَخَلَهَا بِشُربِ الخَمرِ، هَذَا دَخَلَهَا بِالرِّبَا، هَذَا دَخَلَهَا بِعُقُوقِ الوَالِدَينِ، هَذَا دَخَلَهَا بِقَطعِ الطَّرِيقِ، هَذَا دَخَلَهَا بِغَيرِ هَذَا مِنَ الْمَعَاصِي، فَاللهُ يُخرِجُهُمْ بَعدَ ذَلِكَ كَمَا يَشَاءُ ﷻ.

فَإِذَا لَمْ يَبقَ إِلَّا الكُفَّارُ أَطبَقَتْ عَلَيهِم، وَجِيءَ بِالْمَوتِ نَفسِهِ فِي صُورَةِ كَبشٍ فَيُذبَحُ بَينَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ كَمَا تَقَدَّمَ.

فَهَذَا فِيهِ الحَذرُ مِنَ التَّهَاوُنِ بِالْمَعَاصِي، وَأَنَّ الْمَعصِيَةَ قَدْ تُسَبِّبُ دُخُولَ صَاحِبِهَا النَّارَ وَإِنْ كَانَ يُصَلِّي، إِذَا لَمْ تَمنَعْهُ صَلَاتُهُ مِنْ مَعَاصِي اللهِ فَهُوَ عَلَى خَطَرٍ مِن دُخُولِ النَّارِ حَتَّى يَمتَنِعَ مِمَّا حَرَّمَ اللهُ، وَحَتَّى يَستَقِيمَ عَلَى طَاعَةِ اللهِ، نَسأَلُ اللهَ لِلجَمِيعِ الهِدَايَةَ وَالتَّوفِيقَ.

قوله: ﴿فَيُخْرِجُونَهُمْ قَدْ امْتُحِشُوا﴾: لِأَنَّهُمْ إِذَا خَرَجُوا مِنَ النَّارِ قَدِ امْتُحِشُوا، النَّارُ مَا يُقَاوِمُهَا شَيءٌ، نَعُوذُ بِاللهِ، لَا يُقَاوِمُهَا شَيءٌ، فَيَخرُجُونَ فَحمًا، فَيُلقَونَ فِي نَهرِ الحَيَاةِ فَيَنبُتُونَ كَمَا تَنبُتُ الحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيلِ، فَإِذَا تَمَّ خَلقُهُمْ أُذِنَ لَهُم فِي دُخُولِ الجَنَّةِ.

وقوله: ﴿وَيَبْقَى رَجُلٌ مِنْهُمْ مُقْبِلٌ بِوَجْهِهِ عَلَى النَّارِ﴾: قَدْ يَكُونُ أَخبَرَ النَّبِيُّ ﷺ مِثلَهُ، ثُمَّ جَاءَ الخَبرُ أَيْضًا بِعَشرَةِ أَمثَالِهِ، وَهَذَا مِنْ فَضلِ اللهِ ﷻ، هَذَا أَدنَاهُمْ مَنزِلَةً، اللهُ المُستَعَانُ، اللهُ أَكْبَرُ.

• **س: الرُّؤيَا هُنَا؟**

○ ج: يَومَ القِيَامَةِ فِي الْمَوقِفِ، غَيرُ رُؤيَتِهِ فِي الجَنَّةِ، هَذِهِ رُؤيَةُ الْمَوقِفِ، قَبلَ الصِّرَاطِ.

• **س: الْمُنَافِقُونَ يَرَونَ اللهَ؟**

○ ج: لَا يَرَونَهُ، مَا يَرَاهُ إِلَّا الْمُؤمِنُونَ: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾ [المطففين: ١٥] الْمُنَافِقُونَ أَكفَرُ النَّاسِ، أَكفَرُ مِنَ الكُفَّارِ الْمُعلِنِينَ، يُكَلِّمُهُم ... ﷻ يُدْنِيهِمْ، وفِيهَا مُنَافِقُوهَا وَلَكِنْ لَا يَرَونَهُمْ، فَيَرَونَهُ سُبحَانَهُ: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾، نَسأَلُ اللهَ العَافِيَةَ.

• **س: أَحسَنَ اللهُ إِلَيكَ، الجَهْمِيَّةُ وَأَشبَاهُهُمْ؟**

○ ج: مِنَ الْمَحجُوبِينَ، نَسأَلُ اللهَ العَافِيَةَ.

• **س: الْمُوَحِّدُونَ يَرَونَ اللهَ أَوَّلًا ثُمَّ يَدخُلُونَ النَّارَ ثُمَّ يَخرُجُونَ مِنْهَا؟**

○ ج: اللهُ أَعلَمُ.

• **س: أَحسَنَ اللهُ إِلَيكَ: قَولُهُ: «فَيَأتِيهِمُ اللهُ فِي صُورَتِهِ الَّتِي يَعرِفُونَ» مَتَى عَرَفُوهَا؟**

○ ج: الَّتِي أَخبَرَهُمُ اللهُ بِهَا ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ﴾ [القلم: ٤٢].

* * *

٦٥٧٤ قَالَ عطاء: وَأَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ جَالِسٌ مَعَ أَبِي هُرَيْرَةَ لَا يُغَيِّرُ عَلَيْهِ شَيْئًا مِنْ حَدِيثِهِ، حَتَّى انْتَهَى إِلَى قَوْلِهِ: «هَذَا لَكَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ» قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «هَذَا لَكَ وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهِ»، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: «حَفِظْتُ: مِثْلُهُ مَعَهُ». [سبق برقم ٢٢، وأخرجه مسلم، برقم ١٨٣]

الشَّرح

هَذَا لَا مُنافَاةَ؛ فَإنَّهُ قد يَكُونُ ﷺ أخبَرَ بهذا، ثُمَّ أخبَرَه اللهُ بِمَا هُوَ أكثَرُ؛ حَفِظَه أبو سَعيدٍ رضي الله عنه: ﴿هَذَا لَكَ وعَشَرةُ أمثَالِه﴾. وهَذَا آخِرُ مَن يَخرُجُ مِنَ النَّارِ، وآخِرُ مَن يَدخُلُ الجَنَّةَ، اللهُ المُستَعانُ، اللهُ أكبَرُ.

وهَذَا الصِّراطُ مَن جَازَه دَخَل الجَنَّةَ، الصِّراطُ الَّذِي نَصَبَه اللهُ عَلَى مَتنِ جَهنَّمَ، يَمُرُّون عَليهِ عَلَى قَدرِ أعمَالِهِم؛ كلَمحِ البَصرِ، وكَالبَرقِ وكَالرِّيحِ، وكأَجَاوِيدِ الخَيلِ، والرِّكَابِ؛ عَلَى حَسبِ أعمَالِهِم؛ فمِنهُمُ المُوبِقُ الَّذِي تَحبِسُه أعمَالُه فيَسقُطُ، ومِنهمُ المُخَردَلُ الَّذِي يُصِيبُه مِن ذَلِكَ ما يُصِيبُه ثُمَّ يَنجُو؛ فمَن جَازَه نَجَا، مَن جَازَ هَذَا الصِّراطَ الَّذِي نُصِب عَلَى مَتنِ جَهنَّمَ نَجَا كَمَا تَقدَّم، ثُمَّ يُحبَسُونَ عَلَى قَنطَرةٍ هُناكَ حتَّى يُنقَّى بَعضُهُم مِن بَعضٍ، ويُهذَّبُ ما عَليهِم من حُقوقٍ، ويُنصَفُ بَعضُهُم مِن بَعضٍ؛ فإذَا انتَهَوا دَخَلُوا الجَنَّةَ وهُم فِي غَايةٍ مِن صَفاءِ القُلوبِ، كَمَا قَالَ ﷻ: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الحجر: ٤٧].

فَلا يَمُرُّ هَذَا الصِّراطُ ولَا يَجُوزُه إلَّا أهلُ الإيمَانِ، وأمَّا غَيرُهُم فلَا يَجُوزُه؛ بَل يُساقُونَ إلَى النَّارِ وَراءَ مَعبُودَاتِهِم؛ فمَن كَانَ يَعبُدُ الشَّمسَ مُثِّل لَهُ صُورَةُ الشَّمسِ فيَمشُونَ وَرَاءَها، ومَن كَانَ يَعبُدُ القَمرَ كَذَلِكَ، وهَكَذا مَن كَانَ يَعبُدُ الأَصنَامَ والأَنبِيَاءَ وغَيرَهُم تُمثَّلُ لَهُ صُورةُ مَن يَعبُدُ حتَّى يَتَّبِعَه إلَى النَّارِ؛ نَسأَلُ اللهَ العَافِيةَ.

وفِي مَجيءِ اللهِ إلَيهِم وكَلِمَاتِه مَعهُم ﷻ دَلالةٌ عَلَى حِلمِه وفَضلِه وإحسَانِه،

وأنَّ الوَاجِبَ عَلَى أَهلِ الإِيمَانِ الإِعدَادُ لهَذَا اللِّقاءِ، والإِستِقامَةُ عَلَى أَمرِ اللهِ، والمُحافَظةُ عَلَى حَقِّه؛ حتَّى يَفُوزُوا بهَذَا اللِّقاءِ العَظِيمِ والنَّجاةِ من دَارِ الهَوانِ.

وإِتيَانُه إِلَيهِم وكَشفُه عَن سَاقِه، واتِّباعُهُم لَهُ، كلُّ هَذِه صِفاتُ حقٍّ؛ يَجِبُ إِثبَاتُها عَلَى الوَجهِ اللَّائِقِ بِاللهِ، وعَلَى الوَجهِ الَّذِي جَاءَت بِهِ النُّصوصُ، وهُوَ إِتيَانٌ يَليقُ بِاللهِ، ومَجيءٌ يَليقُ بِاللهِ، وكَلامٌ يَليقُ بِاللهِ، لَا يُشابِهُ خَلْقَه فِي شَيءٍ من صِفاتِهِ ﷻ، ومَن تَأوَّلَه عَلَى غَيرِ ذَلِكَ فقَد غَلِط؛ بَل كَمَا جَاءَتْ بِهِ النُّصوصُ، وكَمَا أَخبَرَ فِي كِتَابِه العَظِيم: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾ [الأنعام: ١٥٨]؛ فمَجِيئُه شَيءٌ، ومَجيءُ الآيَاتِ الأُخرَى شَيءٌ آخَرُ؛ اللهُ المُستَعانُ.

• **س: الصِّراطُ بَعدَ الجِسرِ أو قَبلَهُ؟**

○ ج: الصِّراطُ هُوَ الجِسرُ المَنصُوبُ عَلَى مَتنِ جَهنَّمَ مِنَ الأَرضِ إِلَى فَوقَ، يَصعَدُون إِلَى فَوقَ إِلَى الجَنَّةِ، مَن سَقَط سَقَط فِي النَّارِ، وهُوَ كَمَا قَالَ ﷺ: «مَدْحَضةٌ مَزلَّةٌ»(١)، لكِنْ كَلالِيبُ عَظيمَةٌ لَا يَعلَمُ قَدرَ عِظَمِها إِلَّا اللهُ ﷻ تَخطِفُ النَّاسَ بأَعمَالِهِم.

والسَّيرُ لَيسَ عَلَى قَدرِ الأَبدَانِ والحِسِّ؛ لَا، إِنَّمَا هُوَ عَلَى حَسبِ الأَعمَالِ والقُوَّةِ المَعنوِيَّةِ العَمليَّةِ.

• **س: أَحسَنَ اللهُ إِليكَ، قَولُه: «ثُمَّ يَأتِيهِمُ اللهُ فِي الصُّورَةِ الَّتِي يَعرِفُونَ»؟**

○ ج: الَّتِي وَعَدهُم بِهَا يَومَ يَكشِفُ لَهُم عَن سَاقِه ﷻ.

• **س: قَولُه فِي الشَّهادَةِ: «أَنَّهُم يُعرَفُون بآثَارِ سُجودِهِم»؟**

○ ج: هَذَا يَدلُّ عَلَى أَنَّهُ يَدخُلُ النَّارَ بَعضُ المُصلِّينَ، يَدخُلُ النَّارَ نَاسٌ مِنَ المُصلِّينَ؛ دَخَلُوها بأَعمَالٍ أُخرَى؛ كَالزِّنَا، أوِ السَّرِقةِ، أوِ العُقوقِ، أو الرِّبَا، وهُم مُصَلُّون، حَرَّمَ اللهُ عَلَى النَّارِ أن تَأكُلَ أثَرَ السُّجُودِ، وفِي اللَّفظِ

(١) أخرجه البخاري (٧٤٣٩) عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الآخَرِ: «يُعرَفُونَ بدَارَاتِ وُجُوهِهِم»[١]؛ فيُعذَّبُون فِيهَا ما شَاءَ اللهُ عَلَى قَدرِ مَعاصِيهِم، ثُمَّ يُخرِجُهمُ الله ﷻ.

وفِيهِ ردٌّ عَلَى المُعتَزِلةِ والخَوارِجِ الَّذِينَ قَالُوا: مَن دَخَلَها لم يَخرُجْ مِنهَا، هَذَا غَلطٌ، مَن دَخَلَها مِنَ الكُفَّارِ لَا يَخرُجُ، وهُم مُخلَّدُون فِيهَا أَبدَ الآبَادِ، لكِنْ مَن دَخَلَها مِن عُصاةِ المُوحِّدِينَ؛ لَا، لَا يُخلَّدُ فِيهَا الخُلودَ الدَّائِمَ، لكِنَّهُ قد يُخلَّدُ خُلودًا مُؤقَّتًا عَلَى قَدرِ أَعمَالِه الخَبيثَةِ، ثُمَّ يُخرِجُه اللهُ مِنَ النَّارِ إِلَى نَهرِ الحَياةِ؛ هَذَا الَّذِي عَليهِ أَهلُ السُّنَّةِ والجَماعَةِ قَاطِبةً، وهُوَ الحَقُّ الَّذِي لَا رَيبَ فِيهِ، قد صَرَّح جَمعٌ من أَهلِ العِلمِ مِن أَهلِ السُّنَّةِ والجَماعَةِ بكُفرِ المُعتزِلةِ والخَوارِجِ بهَذِه العَقيدَةِ الفَاسِدةِ، وبدَّعُوهُم وأَنكَرُوا عَليهِم؛ نَسأَلُ اللهَ العَافِيةَ.

• **س: عَفَا اللهُ عَنكَ، المُنافِقُونَ يَرَون اللهَ ﷻ فِي هَذَا المَوقِفِ؟**

○ **ج:** لَا ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾ [المطففين: ١٥٦]، نَسأَلُ اللهَ العَافِيةَ.

• **س: فِي الحَديثِ ـ عَفَا اللهُ عَنكَ ـ: «تَبقَى هَذِه الأُمَّةُ وفِيهَا مُنافِقُوهَا»؟**

○ **ج:** لَا يَلزَمُ مِن بَقائِهِم الرُّؤيَة، يُطفِئُ اللهُ نُورَهُم ويُساقُونَ إِلَى النَّارِ؛ نَسأَلُ اللهَ العَافِيةَ.

• **س: الكَفَرةُ ما يَمُرُّون عَلَى الصِّراطِ؟**

○ **ج:** لَا ما يَمُرُّون، يُساقُونَ إِلَى النَّارِ سَوقًا.

• **س: عَفَا اللهُ عَنكَ، آثَارُ السُّجُودِ يُقصَدُ بِهَا الجَبهَةُ فَقَط؟**

○ **ج:** اللهُ أَعلَمُ، اللهُ أَعلَمُ، لكِنْ فِي اللَّفظِ الآخَرِ: «دَارَاتُ وُجوهِهِم» عِندَ مُسلِمٍ رَحِمَهُ اللهُ[٢].

---

(١) أخرجه مسلم (١٩١) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.
(٢) أخرجه مسلم (١٩١) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

٥٣ ـ بَاب فِي الْحَوْضِ، وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١﴾ [الكوثر: ١] وَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ زَيْدٍ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «اصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الْحَوْضِ»

٦٥٧٥ ـ حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ حَمَّادٍ، حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ، عَنْ سُلَيْمَانَ، عَنْ شَقِيقٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ». [طرفاه في: ٦٥٧٦، ٧٠٤٩، وأخرجه مسلم، برقم ٢٢٩٧]

الشرح

اللَّهُمَّ صلِّ عَليهِ وسَلِّم، ومَعنَى ﴿فَرَطُكُمْ﴾: يَعنِي: سَابِقَكُم، يَسبِقُهُم إِلَى الحَوضِ، والفَرَطُ هُوَ الَّذِي يَسبِقُ جَماعَتَه وقَومَه لِيُهيِّئَ لَهُم النُّزُلَ؛ فهُوَ فَرَطُهُم ومُقَدَّمُهُم عَلَى الحَوضِ حتَّى يَقدَمُوا عَليهِ فيَشرَبُوا.

* * *

٦٥٧٦ ـ وَحَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ عَلِيٍّ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنِ الْمُغِيرَةِ قال: سَمِعْتُ أَبَا وَائِلٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال: «أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ، وَلَيُرْفَعَنَّ رِجَالٌ مِنْكُمْ، ثُمَّ لَيُخْتَلَجُنَّ دُونِي، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أَصْحَابِي، فَيُقَالُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ»، تَابَعَهُ عَاصِمٌ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ، وَقَالَ حُصَيْنٌ: عَنْ أَبِي وَائِلٍ عَنْ حُذَيْفَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ. [سبق برقم ٦٥٧٥، وأخرجه مسلم، برقم ٢٢٩٧]

الشرح

وفِي هَذَا دَلالَةٌ عَلَى أَنَّهُ لَا يَدرِي ما أَحدَثَ النَّاسُ بَعدَه، لكِنْ مَتَى اختُلِجُوا يَومَ القِيامَةِ قَالَ: ﴿يَا رَبِّ أَصحَابِي﴾ قِيلَ لَهُ هَذَا الكَلامَ: ﴿إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ﴾؛ قَالَ: «فأَقُولُ: سُحْقًا سُحْقًا لِمَن بَدَّلَ بَعدِي»[1]، وفِي

(١) أخرجه البخاري (٦٥٨٤)، ومسلم (٢٢٩٠) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

اللَّفظِ الآخَرِ: «أَقولُ كَمَا قَالَ العَبدُ الصَّالِحُ: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾﴾ [المائدة: ١١٧]»[1].

هَذَا فِيهِ الدَّلالَةُ عَلَى أنَّ هُناكَ مَن غَيَّر وبَدَّلَ بَعدَه وهُم كَثيرٌ، فِي عَهدِ الصَّحابَةِ ﷺ وبَعدَ ذَلِكَ، ومِنهُمُ الَّذِينَ قَاتلهُمُ الصَّحابَةُ ﷺ فِي عَهْدِ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَأَرضَاهُ.

• **س: أَحسَنَ اللهُ إِليكَ، مَعرِفةُ الرَّسُولِ ﷺ لَهُم ويَقولُ: «أُصَيحَابِي»، مَعرِفَتُهُم بآثَارِ الوُضُوءِ غرًّا مُحجَّلِين؟**

○ **ج**: نَعَم؛ غرًّا مُحجَّلِين؛ هَذِه عَلامَةُ الأُمَّةِ.

* * *

٦٥٧٧ - حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، حَدَّثَنَا يَحْيَى، عَنْ عُبَيْدِ اللهِ، حَدَّثَنِي نَافِعٌ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال: «أَمَامَكُمْ حَوْضٌ كَمَا بَيْنَ جَرْبَاءَ وَأَذْرُحَ». [وأخرجه مسلم، برقم ٢٢٩٩]

* * *

٦٥٧٨ - حَدَّثَنِي عَمْرُو بْنُ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا هُشَيْمٌ، أَخْبَرَنَا أَبُو بِشْرٍ وَعَطَاءُ بْنُ السَّائِبِ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ قَالَ: «الْكَوْثَرُ الْخَيْرُ الْكَثِيرُ الَّذِي أَعْطَاهُ اللهُ إِيَّاهُ»، قَالَ أَبُو بِشْرٍ: قُلْتُ لِسَعِيدٍ: إِنَّ أُنَاسًا يَزْعُمُونَ أَنَّهُ نَهَرٌ فِي الْجَنَّةِ، فَقَالَ سَعِيدٌ: النَّهَرُ الَّذِي فِي الْجَنَّةِ مِنَ الْخَيْرِ الَّذِي أَعْطَاهُ اللهُ إِيَّاهُ. [سبق برقم ٤٩٦٦]

الشَّرح

هَذِه إِشارَةٌ إِلَى أنَّ الكَوثَرَ فُسِّرَ بأَمرَينِ:

أحدُهما: أنَّهُ الخَيرُ الكَثيرُ.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٤٩)، ومسلم (٢٨٦٠) عن ابن عباس ﷺ.

والثَّانِي: أَنَّهُ الحَوضُ والنَّهرُ الَّذِي أُعطِيَه فِي الجَنَّةِ.

ولا مُنافَاةَ؛ قد أَعطَاهُ اللهُ خَيرًا كَثيرًا ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ۝٥﴾ [الضحى: ٥]، ومِن جُملَةِ هَذَا الخَيرِ الكَثيرِ هَذَا النَّهرُ الَّذِي هُوَ الكَوثَرُ، وهُوَ يَصُبُّ مِنهُ مِيزَابَانِ فِي الأَرْضِ يَومَ القِيامَةِ؛ لإِمدَادِ الحَوْضِ الَّذِي يَرِدُه النَّاسُ، وهُوَ ماءٌ مِنَ الجَنَّةِ ونازِلٌ من هَذَا النَّهرِ العَظِيمِ، الَّذِي أَعطَاهُ اللهُ نبيَّه ﷺ فِي الجَنَّةِ، وقَد جَاءَتْ عِدَّةُ رِوايَاتٍ فِي مَسافَتِه يَجمَعُها: أَنَّ طُولَه شَهْرٌ وعَرضُه شَهرٌ، أَنَّ اللهَ وَسَّعَه لَهُ وزَادَه لَهُ حتَّى صَارَ بهَذِه المَثابَةِ آنِيَتُه عَدَدُ نُجومِ السَّماءِ.

• **س: عَفَا اللهُ عَنكَ، تَفسِيرُه بِالخَيرِ الكَثيرِ أَوسَعُ يَعني؟**

○ **ج**: أَوسَعُ نَعَم، لَا مُنافَاةَ، ذِكرُ الأَخَصِّ لَا يُنافِي ذِكرَ الأَعمِّ، لكِنْ هُوَ ﷺ فسَّرَه بهَذَا، لمَّا سُئِل عَنِ الكَوثَرِ قَالَ: «**نَهرٌ أَعْطَانِيهِ رَبِّي فِي الجَنَّةِ**»[1]، فمَن قَالَ مِنَ السَّلفِ: الخَيرُ الكَثيرُ؛ تأوَّلَ قَولَه تَعالَى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ۝٥﴾: يَعنِي: شَيئًا كَثيرًا، مِنَ الشَّفاعَةِ ومِن غَيرِ هَذَا ممَّا أَعطَاهُ اللهُ، ومن ذَلِكَ الحَوضُ.

* * *

٦٥٧٩ - حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ أَبِي مَرْيَمَ، حَدَّثَنَا نَافِعُ بْنُ عُمَرَ، عَنِ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ قال: قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرٍو: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ، مَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ اللَّبَنِ، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ، وَكِيزَانُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهَا فَلَا يَظْمَأُ أَبَدًا». [وأخرجه مسلم، برقم ٢٢٩٢]

---

(١) أخرجه أحمد (١٩/ ٥٤) رقم (١١٩٩٦) عن أنس بن مالك رضي الله عنه.
وأخرجه مسلم (٤٠٠)، وأبو داود (٧٨٤)، والنسائي (٢/ ١٣٣) بلفظ: «**أَتَدْرُونَ مَا الْكَوْثَرُ؟**» فَقُلْنَا اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «**فَإِنَّهُ نَهْرٌ وَعَدَنِيهِ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ، عَلَيْهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ**».
وسيأتي في الحديث بعد القادم: «**هَذَا الْكَوْثَرُ الَّذِي أَعْطَاكَ رَبُّكَ**».

الشَّرح

(الشَّيخُ): كَذَا عِندَكَ: وَرِيحُهُ أَطيَبُ مِنَ الْمِسكِ؟

(الطَّالِبُ): نَعَمْ، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسكِ.

(الشَّيخُ): اللهُ أَكْبَرُ.

• س: قَولُهُ: «لَا يَظمَأُ أَبَدًا» هَلْ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ مَنْ شَرِبَ مِن حَوضِ النَّبِيِّ ﷺ مَا يَعرَقُ؟

○ ج: لَا يَظمَأُ بَعدَهُ أَبَدًا.

• س: العَرَقُ؟

○ ج: لَا يَظمَأُ بَعدَهُ أَبَدًا.

• س: أَحسَنَ اللهُ عَمَلَكَ، الْمُوَحِّدُ الَّذِي أُمِرَ بِهِ فِي النَّارِ هَلْ يُذَادُ عَنْ حَوضِ النَّبِيِّ ﷺ؟

○ ج: اللهُ أَعلَمُ.

٦٥٨٠ حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ عُفَيْرٍ، قال: حَدَّثَنِي ابْنُ وَهْبٍ عَنْ يُونُسَ قَالَ ابْنُ شِهَابٍ، حَدَّثَنِي أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قال: «إِنَّ قَدْرَ حَوْضِي كَمَا بَيْنَ أَيْلَةَ وَصَنْعَاءَ مِنَ الْيَمَنِ، وَإِنَّ فِيهِ مِنَ الأَبَارِيقِ كَعَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ». [وأخرجه مسلم، برقم ٢٣٠٣]

٦٥٨١ حَدَّثَنَا أَبُو الْوَلِيدِ، حَدَّثَنَا هَمَّامٌ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، (ح)، وَحَدَّثَنَا هُدْبَةُ بْنُ خَالِدٍ، حَدَّثَنَا هَمَّامٌ، حَدَّثَنَا قَتَادَةُ، حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال: «بَيْنَمَا أَنَا أَسِيرُ فِي الْجَنَّةِ، إِذَا أَنَا بِنَهَرٍ حَافَتَاهُ قِبَابُ الدُّرِّ الْمُجَوَّفِ، قُلْتُ: مَا هَذَا يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَذَا الْكَوْثَرُ الَّذِي أَعْطَاكَ رَبُّكَ، فَإِذَا طِيبُهُ أَوْ طِينُهُ مِسْكٌ أَذْفَرُ، شَكَّ هُدْبَةُ». [سبق برقم ٣٥٧٠، وأخرجه مسلم، برقم ١٦٢]

الشَّرح

• س: هَذَا السَّيرُ فِي لَيلةِ المِعرَاجِ؟

○ ج: نَعَم، لمَّا عُرِج بِهِ ﷺ.

• س: دُخُولُ النَّبِيِّ ﷺ الجَنَّةَ لَيلَةَ الْمِعرَاجِ، يَقُولُ: «بَينَمَا أَنَا أَسِيرُ فِي الجَنَّةِ»؟

○ ج: لَعَلَّهُ، اللهُ أعلَمُ.

* * *

٦٥٨٢ - حَدَّثَنَا مُسْلِمُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، حَدَّثَنَا وُهَيْبٌ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ، عَنْ أَنَسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال: «لَيَرِدَنَّ عَلَيَّ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِي الْحَوْضَ، حَتَّى إِذَا عَرَفْتُهُمُ اخْتُلِجُوا دُونِي، فَأَقُولُ: أَصْحَابِي! فَيَقُولُ: لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ». [وأخرجه مسلم، برقم ٢٣٠٤]

الشَّرح

لَا حَولَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ.

• س: عَفَا اللهُ عَنكَ، الصَّحِيحُ فِي تَفسِيرِ الكَوثَرِ، هُوَ الحَوضُ أو الخَيرُ الكَثِيرُ؟

○ ج: الحَوضُ فِي الجَنَّةِ، نَهرٌ فِي الجَنَّةِ، يَصُبُّ مِنهُ مِيزَابَانِ فِي حَوضِ الدُّنْيَا.

• س: أَحسَنَ اللهُ إِلَيكَ، قَولُهُ: «أَصحَابِي»، هَلْ هُمُ الصَّحَابَةُ أَمْ أَتبَاعُهُ؟

○ ج: أَصحَابٌ مِنَ الَّذِينَ ارْتَدُّوا.

* * *

٦٥٨٣ - حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ أَبِي مَرْيَمَ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مُطَرِّفٍ، حَدَّثَنِي أَبُو حَازِمٍ عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ قال: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنِّي فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ، مَنْ مَرَّ عَلَيَّ شَرِبَ، وَمَنْ شَرِبَ لَمْ يَظْمَأْ أَبَدًا، لَيَرِدَنَّ عَلَيَّ أَقْوَامٌ أَعْرِفُهُمْ وَيَعْرِفُونِي، ثُمَّ يُحَالُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ». [طرفه في: ٧٠٥٠، وأخرجه مسلم، برقم ٢٢٩٠]

٦٥٨٤ - قَالَ أَبُو حَازِمٍ: فَسَمِعَنِي النُّعْمَانُ بْنُ أَبِي عَيَّاشٍ فَقَالَ: هَكَذَا سَمِعْتَ مِنْ سَهْلٍ؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ، فَقَالَ: أَشْهَدُ عَلَى أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ لَسَمِعْتُهُ وَهُوَ يَزِيدُ فِيهَا: «فَأَقُولُ: إِنَّهُمْ مِنِّي، فَيُقَالُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ، فَأَقُولُ: سُحْقًا، سُحْقًا لِمَنْ غَيَّرَ بَعْدِي»، وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: سُحْقًا: بُعْدًا، يُقَالُ: سَحِيقٌ: بَعِيدٌ، سَحَقَهُ، وَأَسْحَقَهُ: أَبْعَدَهُ. [طرفه في: ٧٠٥١]

الشَّرح

(ع): وَفِي هَذَا مِنَ الفَوَائِدِ: أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ لَا يَعلَمُ مَا جَرَى بَعدَهُ: ﴿إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعدَكَ﴾، بِمَوتِهِ انْقَطَعَ عِلْمُهُ بِأَحوَالِ النَّاسِ، وَلَا يَدْرِي مَا أَحدَثُوا بَعدَهُ، فَفِيهِ الرَّدُّ عَلَى الغُلَاةِ الَّذِينَ يَسأَلُونَهُ وَيَزعُمُونَ أَنَّهُ يَعلَمُ الغَيبَ، وَأَنَّ عِلمَهُ مُستَمِرٌّ، وَهَذَا كُلُّهُ مِن أَبَاطِيلِ الوَثَنِيِّينَ: ﴿إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحدَثُوا بَعدَكَ﴾ مِثْلَمَا قَالَ عِيسَى عليه الصلاة والسلام: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾﴾ [المائدة: ١١٧] فَيَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ: «سُحقًا سُحْقًا لِمَنْ بَدَّلَ بَعدِي»؛ يَعْنِي: بُعدًا بُعدًا لِمَنْ بَدَّلَ بَعدِي، نَسأَلُ اللهَ العَافِيَةَ.

- **س: أَحسَنَ اللهُ عَمَلَكَ، مَا رَأْيُكَ فِيمَنْ يَقُولُ: إِنَّ الكَوثَرَ هُوَ حَوضُهُ عَلَيهِ الصلاة والسلام الَّذِي فِي الجَنَّةِ خَاصَّةً؛ لِقَولِهِ عَلَيهِ الصلاة والسلام: «الكَوثَرُ هُوَ نَهرٌ فِي الجَنَّةِ وَعَدنِيهِ رَبِّي»[1]؟**

○ ج: وَالَّذِي فِي الأَرضِ مِنهُ، وَالحَوضُ الَّذِي فِي الدُّنْيَا مِنهُ، مِنَ الكَوثَرِ.

- **س: هَلْ وَرَدَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ هُوَ السَّاقِي بِيَدِهِ؟ بَعضُ النَّاسِ يَقُولُ: اسْقِنَا مِنْ حَوضِ نَبِيِّكَ شَربَةً بِيَدِهِ. هَلْ وَرَدَ هَذَا؟**

---

(١) أخرجه مسلم (٤٠٠)، وأبو داود (٧٨٤)، والنسائي (٢/ ١٣٣) عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

○ ج: جَاءَ فِي بَعضِ الرِّوَايَاتِ أَنَّهُ يَسقِيهِمْ بِيَدِهِ، يَسقِي جَمَاعَةً بِيَدِهِ عَلَيهِ الصلاة والسلام مِنَ الحَوضِ.

• س: مَا أَحدَثُوا بَعدَكَ، الْمُبتَدِعُ دَاخِلٌ فِيهِ؟

○ ج: اللهُ أَعلَمُ، المَقصُودُ الْمُرتَدُّونَ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَنْ دِينِهِمْ، نَسأَلُ اللهَ العَافِيَةَ، أَمَّا الْمُبتَدِعُ فِيهِ تَفصِيلٌ.

* * *

٦٥٨٥ - وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ شَبِيبِ بْنِ سَعِيدٍ الْحَبَطِيُّ: حَدَّثَنَا أَبِي، عَنْ يُونُسَ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ كَانَ يُحَدِّثُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قال: «يَرِدُ عَلَيَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَهْطٌ مِنْ أَصْحَابِي، فَيُجلَونَ عَنِ الْحَوْضِ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أَصْحَابِي، فَيَقُولُ: إِنَّكَ لَا عِلْمَ لَكَ بِمَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ، إِنَّهُمُ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمُ الْقَهْقَرَى». [طرفه في: ٦٥٨٦]

٦٥٨٦ - حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ صَالِحٍ، حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ قال: أَخْبَرَنِي يُونُسُ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنِ ابْنِ الْمُسَيَّبِ أَنَّهُ كَانَ يُحَدِّثُ عَنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال: «يَرِدُ عَلَى الْحَوْضِ رِجَالٌ مِنْ أَصْحَابِي، فَيُحَلَّؤُونَ عَنْهُ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أَصْحَابِي، فَيَقُولُ: إِنَّكَ لَا عِلْمَ لَكَ بِمَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ، إِنَّهُمُ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمُ الْقَهْقَرَى»، وَقَالَ شُعَيْبٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ: كَانَ أَبُو هُرَيْرَةَ يُحَدِّثُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «فَيُجْلَوْنَ»، وَقَالَ عُقَيْلٌ: «فَيُحَلَّؤُونَ»، وَقَالَ الزُّبَيْدِيُّ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ، عَنْ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ أَبِي رَافِعٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ». [سبق برقم ٦٥٨٥]

الشرح

اللهُ أَكبَرُ، نَسأَلُ اللهَ العَافِيَةَ.

وهَذِه الأَحَادِيثُ يَتأَوَّلُها الرَّافِضةُ - قبَّحهُمُ اللهُ ولَعَنهُم - عَلَى أَصحَابِ

النَّبيِّ ﷺ ورضي الله عنهم المَعرُوفِينَ فيَقُولُون: مِنهُم أَبُو بَكرٍ وعُمَرُ، ومِنهُم كَذَا ومِنهُم كَذَا، كُلُّهم يُذادُونَ يَومَ القِيامَةِ عَنِ الصِّراطِ؛ لأَنَّهُم ارتَدُّوا؛ بسَبَبِ أَنَّهُم لم يُعطُوا عليًّا ﷺ حَقَّه، ولم يُعطُوا فَاطِمةَ ﷺ حَقَّها، وهَذَا من ظُلمِهِم وجَهلِهِم وكُفرِهِم، نَسأَلُ اللهَ العَافِيةَ.

فَالرَّافِضةِ من أَخبَثِ النَّاسِ، ومِن أَضَلِّ النَّاسِ، ومن أَكثَرِهِم عَداوَةً لأَهلِ السُّنَّةِ والجَماعَةِ، حتَّى تَأَوَّلُوا هَذِه النُّصُوصَ عَلَى الصِّدِّيقِ وعُمرَ والعَشَرةِ وغَيرِهِم من أَكابِرِ الصَّحابَةِ ﷺ، وهِيَ فِي الَّذِينَ ارتَدُّوا مِنَ الأَعرَابِ وأَشباهِهِم الَّذِينَ عَرَفهُمُ المُسلِمونَ، ومَنِ الَّذِي قَاتَلَهُم إِلَّا أَبُو بَكرٍ وعُمَرُ والصَّحابَةُ ﷺ؟! همُ الَّذِينَ قَاتَلُوا أَهلَ الرِّدَّةِ، قاتَلَ اللهَ الرَّافِضةَ وأَبعَدَهُم؛ نَسأَلُ اللهَ العَافِيةَ.

(الشَّيخُ): (يُحَلَّؤونَ) بِالحَاءِ أَوْ بِالجِيمِ؟

(الطَّالبُ): فَرَوَى شُعَيبٌ: فَيُجلَونَ بِالجِيمِ، وَرَوَى عَقِيلٌ: فَيُحَلَّئُونَ بِالحَاءِ الْمُهمَلَةِ.

قَالَ ابنُ بَازٍ رَحِمَهُ اللهُ: وَالهَمزَةُ؛ يَعْنِي: المَقصُودُ أَنَّهُمْ يُبعَدُونَ عَنهُ، يُطرَدُونَ، نَسأَلُ اللهَ العَافِيَةَ.

* * *

٦٥٨٧ - حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمُنْذِرِ الحزامي، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ فُلَيْحٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، قال: حَدَّثَنِي هِلَالٌ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال: «بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ فإِذَا زُمْرَةٌ، حَتَّى إِذَا عَرَفْتُهُمْ، خَرَجَ رَجُلٌ مِنْ بَيْنِي وَبَيْنِهِمْ فَقَالَ: هَلُمَّ، فَقُلْتُ: أَيْنَ؟ قَالَ: إِلَى النَّارِ وَاللهِ، قُلْتُ: وَمَا شَأْنُهُمْ؟ قَالَ: إِنَّهُمُ ارْتَدُّوا بَعْدَكَ عَلَى أَدْبَارِهِمُ الْقَهْقَرَى، ثُمَّ فإِذَا زُمْرَةٌ، حَتَّى إِذَا عَرَفْتُهُمْ، خَرَجَ رَجُلٌ مِنْ بَيْنِي وَبَيْنِهِمْ فَقَالَ: هَلُمَّ، قُلْتُ: أَيْنَ؟ قَالَ: إِلَى النَّارِ وَاللهِ، قُلْتُ: مَا شَأْنُهُمْ؟ قَالَ: إِنَّهُمُ ارْتَدُّوا بَعْدَكَ عَلَى أَدْبَارِهِمُ الْقَهْقَرَى، فَلَا أُرَاهُ يَخْلُصُ مِنْهُمْ إِلَّا مِثْلُ هَمَلِ النَّعَمِ».

الشَّرح

اللهُ الْمُستَعَانُ، لَا حَولَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ، اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ.

• **س: فِي رِوَايَةٍ بَارَكَ اللهُ فِيكُمْ، وَأَنَا قَائِمٌ، وَلَيسَ نَائِمٌ؟**

(الشَّيخُ): مَا الَّذِي عِندَكَ؟ وَأَنَا قَائِمٌ أو نَائِمٌ؟

قَولُهُ: ﴿بَينَا أَنَا «نائمٌ» وفي رواية: قَائِمٌ﴾ بِالقَافِ فِي رِوَايَةِ الكُشْمِيهَنِيِّ، وَفِي رِوَايَةِ الأَكثَرِينَ بِالنُّونِ بَدَلَ القَافِ، وَالأَوَّلُ أَوجَهُ؛ لِأَنَّ الْمُرَادَ هُوَ قِيَامُهُ عَلَى الحَوضِ، وَوَجهُ الأَوَّلِ أَنَّهُ رَأَى فِي الْمَنَامِ مَا سَيَقَعُ لَهُ فِي الآخِرَةِ». [انتهى كلامه].

• **س: قَولُهُ: «أَصحَابِي أَصحَابِي»، فِي مَنْ كَانَ عَلَيهِ الصلاة والسلام يَظُنُّ أَنَّهُمْ مِن أَصحَابِهِ، أو هُمُ الْمُنَافِقُونَ؟**

○ ج: مِنْ أَصحَابِهِ لَكِن ارْتَدُّوا، كَمَا ارْتَدُّوا فِي زَمَنِ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، جَمَاعَةٌ مِنَ الأَعرَابِ ارْتَدُّوا، مِنْ بَنِي أَسَدٍ وَغَيرِهِمْ.

• **س: أَحسَنَ اللهُ إِلَيكَ، حَدِيثُ: «إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوضًا»[1] صَحِيحٌ؟**

○ ج: اللهُ أَعلَمُ، مَا أَدْرِي.

* * *

٦٥٨٨ حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمُنْذِرِ، حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ عِيَاضٍ عَنْ عُبَيْدِ اللهِ عَنْ خُبَيْبٍ عَنْ حَفْصِ بْنِ عَاصِمٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قال: «مَا بَيْنَ بَيْتِي وَمِنْبَرِي رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ، وَمِنْبَرِي عَلَى حَوْضِي». [سبق برقم ١١٩٦، وأخرجه مسلم، برقم ١٣٩١]

٦٥٨٩ حَدَّثَنَا عَبْدَانُ، أَخْبَرَنِي أَبِي، عَنْ شُعْبَةَ، عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٤٤٣) عن سمُرة بن جندب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
وقال: هذا حديث غريب وقد روى الأشعث بن عبد الملك، هذا الحديث عن الحسن، عن النبي ﷺ مرسلًا ولم يذكر فيه عن سمُرة، وهو أصح.

قال: سَمِعْتُ جُنْدَبًا قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ». [وأخرجه مسلم، برقم ٢٢٨٩]

الشَّرح

(ع): وَهَذَا حَوضُهُ ﷺ، «فَرطُكُمْ»؛ يَعْنِي: سَابِقَكُمْ، فَرطُ القَومِ الَّذِي يَسبِقُهُمْ لِتَهيِئَةِ الْمَاءِ، فَهُوَ يَسبِقُ أُمَّتَهُ إِلَى الحَوضِ، طَولُهُ شَهرٌ وَعَرضُهُ شَهرٌ، يَرِدُهُ الْمُؤمِنُونَ وَيُذَادُ عَنهُ مَنِ ارْتَدَّ عَنْ دِينِهِ، نَسأَلُ اللهَ العَافِيَةَ.

٦٥٩٠ حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ خَالِدٍ، حَدَّثَنَا اللَّيْثُ، عَنْ يَزِيدَ، عَنْ أَبِي الْخَيْرِ عَنْ عُقْبَةَ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ يَوْمًا، فَصَلَّى عَلَى أَهْلِ أُحُدٍ صَلَاتَهُ عَلَى الْمَيِّتِ، ثُمَّ انْصَرَفَ عَلَى الْمِنْبَرِ فَقَالَ: «إِنِّي فَرَطٌ لَكُمْ، وَأَنَا شَهِيدٌ عَلَيْكُمْ، وَإِنِّي وَاللهِ لأَنْظُرُ إِلَى حَوْضِي الآنَ، وَإِنِّي أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِ الأَرْضِ، أَوْ مَفَاتِيحَ الأَرْضِ، وَإِنِّي وَاللهِ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تُشْرِكُوا بَعْدِي، وَلَكِنْ أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنَافَسُوا فِيهَا».

[سبق برقم ١٣٤٤، وأخرجه مسلم، برقم ٢٢٩٦]

الشَّرح

(ع): لِمَا أَعطَاهُمُ اللهُ مِنَ الإِيمَانِ، أُولَئِكَ الصَّحَابَةُ وَالأَخيَارُ، خَافَ عَلَيهِمُ التَّنَافُسَ وَلَمْ يَخَفْ عَلَيهِمْ أَنْ يَرْتَدُّوا لِمَا عَلِمَهُ عَنهُمْ مِن قُوَّةِ إِيمَانٍ وَصِدقِ الالْتِجَاءِ إِلَى اللهِ ﷻ.

وهَذِه الخَزائِنُ فَتَحَها اللهُ عَلَى أَصحَابِهِ رضي الله عنهم وعَلَى أُمَّتِه حتَّى كَسَّروا كِسرَى، وقَصَّروا قَيصَرَ، أَخَذُوا أَموالَهُم وما عِندَهُم وأَنفَقُوها فِي سَبيلِ اللهِ ﷻ، هَذَا من فَضلِ اللهِ عَلَى هَذَا الأُمَّةِ، أنْ أَعطاهُمُ خَزائِنَ الأَرضِ وجَعَلَها لَهُم؛ فَاستَعَانُوا بِهَا عَلَى طَاعَتِه وجِهَادِ أَعدَائِه.

وقَولُه: ﴿مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تُشرِكُوا بَعدِي﴾ قَالَ العُلَماءُ؛ يَعنِي: الصَّحَابَةَ رضِيَ اللهُ عَنْهُم وأَرْضَاهُم؛ لِمَا أَعطاهُمُ اللهُ مِنَ العِلمِ والبَصيرَةِ

والهُدَى فَمَا خَافَ عَليهِم أن يَرتَدُّوا؛ يَعنِي: أَصحَابَه الَّذِينَ عَرَفُوا دِينَه، وتَبَصَّرُوا فِي دِينِهِ، وجَاهَدُوا مَعهُ؛ فهَؤلَاءِ قد عَافَاهمُ اللهُ من ذَلِكَ، بخِلافِ الَّذِينَ لَيسَ عِندَهُم مِنَ العُلومِ والبَصيرَةِ ما عِندَهُم؛ فهَؤلَاءِ الَّذِينَ ارتَدُّوا عَلَى أَعقَابِهِم مِن جَهَلَةِ العَربِ، ومَن كَانَ مَعهُم ممَّن شَارَكَهُم فِي الرِّدَّةِ؛ لقِلَّةِ بَصيرَتِه، وقِلَّةِ عِلمِه وقِلَّةِ إيمَانِه، وحُدوثِ عَهدِه بالإسلَامِ؛ فلَيسَ داخِلًا فِي ذَلِكَ أَعيانُ الصَّحابَةِ وخِيارُهُم ﷺ؛ بل هَذَا وَقَع لقَومٍ أَهلِ جِدَّة فِي الإسلَامِ، وحُدوثِ عَهدٍ بالإسلَامِ، ولَيسُوا مِمَّن تَمكَّن الإسلَامُ فِي قُلوبِهِم، أمَّا أُولئِكَ الأَخيَارُ فهُمُ المُرادُونَ بقَولِه: ﴿**ما أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تُشرِكُوا بَعدِي، ولكِنْ أَخْشَى عَلَيْكُم أَنْ تُبسَطَ عَليكُمُ الدُّنيَا**﴾ كَمَا قد وَقَعَ.

فبَعضُ أَهلِ العِلمِ ذَكَر الرِّوايَةَ الأُخرَى، وهِيَ «**أنَّ الشَّيطَانَ قد يَئِس أن يَعبُدَه المُصَلُّون فِي جَزيرَةِ العَرَبِ، ولكِنْ فِي التَّحرِيشِ بَينَهُم**»[1]؛ يَعنِي: أَصحَابَ النَّبيِّ عليه الصلاة والسلام ورضي الله عنهم؛ مِثلَما فِي هَذِه الرِّوايَةِ حَديثِ عُقبَةَ ﷺ؛ ولهَذَا أَخبَرَ ﷺ أنَّ الشِّركَ يَقَع فِي هَذِه الأُمَّةِ؛ ولهَذَا قَالَ ﷺ: «**لا تَقومُ السَّاعةُ حتَّى يَلحَقَ حَيٌّ مِن أُمَّتِي بالمُشرِكِينَ، وحتَّى تَعبُدَ فِئامٌ مِن أُمَّتِي الأَوثَانَ، ولَا تَقُومُ السَّاعَةُ حتَّى تَضْطَرِبَ أَلَياتُ نِسَاءِ دَوسٍ حَولَ ذِي الخَلَصَةِ**». رَواهُ البُخارِيُّ[2]. وقَالَ ﷺ: «**لَتتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَن كَانَ قَبلَكُم حَذْوَ القُذَّةِ بِالقُذَّةِ**»[3] مُتَّفقٌ عَليهِ، فِي أَحادِيثَ كَثيرَةٍ، كُلُّها دالَّةٌ عَلَى وُقوعِ الشِّركِ والكُفرِ، وارتِدَادِ كَثيرٍ مِنَ النَّاسِ؛ فوَجَبَ التَّوفِيقُ بَينَ الأَحَادِيثِ بِمَا قَالَهُ أَهلُ العِلمِ والإيمَانِ منْ أنَّ المُرادَ مِن قَولِه: «**أَخوَفُ ما أَخَافُ عَلَيكُم**»[4]، هم

---

(١) أخرجه مسلم (٢٨١٢)، والترمذي (١٩٣٧) عن جابر بن عبد الله ﷺ.
(٢) أخرجه البخاري (٧١١٦)، ومسلم (٢٩٠٦) عن أبي هريرة ﷺ.
(٣) أخرجه البخاري (٣٤٥٦)، ومسلم (٢٦٦٩) عن أبي سعيد الخدري ﷺ.
(٤) أخرجه أحمد (٥/ ٤٢٨) رقم (٢٣٦٣٠) عن محمود بن لبيد ﷺ.
قال العراقي: رجاله ثقات. «المغني عن حمل الأسفار» (١٢٠٣).
وقال الهيثمي: أخرجه أحمد، ورجاله رجال الصحيح. «مجمع الزوائد» (٢/ ٢٠٧).

الصَّحابَةُ الَّذِينَ تَمكَّنُوا فِي الدِّينِ، وتَبَصَّروا وعَرَفُوا ما جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ عَلَى بَصيرَةٍ، وصَارَت لَهُم بذَلِكَ البَصيرَةُ العَظيمَةُ، والنُّفوذُ فِي الإِسلَامِ؛ حتَّى عَصَمهُمُ اللهُ ممَّا وَقَع فِيهِ جَهالَةُ الأَعرَابِ، وحُدَثاءُ العَهدِ بِالإِسلَامِ.

وهَكَذا أيضًا جَوابُهُم عَلَى حَديثِ: «**الشَّيطَانُ قد يَئِسَ**» قَالُوا: الشَّيطَانُ غَيرُ مَعصُومٍ؛ فقَد يَيئَسُ مِنَ الشَّيءِ ويَحصُلُ، وقد يَرجُوهُ فلَا يَحصُلُ؛ فلَمَّا رَأَى ظُهورَ الإِسلَامِ وانتِشَارَ الدِّينِ يَئِس أن يَعُودَ النَّاسُ إِلَى كُفرِهِمُ الأوَّلِ وضَلالِهِم، ولكِنَّ هَذَا الَّذِي يَئِس مِنهُ قد عَادَ الكَثيرُ مِنهُ؛ فقَدِ ارتَدَّ كَثيرٌ مِنَ النَّاسِ عَنِ الإِسلَامِ كَمَا وَقَع فِي عَهدِ الصِّدِّيق رضي الله عنه وبَعدَه، وقَد وَقَع الشِّركُ فِي هَذِهِ الأُمَّةِ كَمَا أَخبَرَ بِهِ النَّبيُّ ﷺ، ووَقَع هَذَا وهَذَا، وَقَع التَّحرِيشُ والإِفسَادُ مِنَ الشَّيطَانِ، ووَقَع تَزيِينُ الكُفرِ حتَّى وَقَع هَذَا وهَذَا؛ فلَا مُنافَاةَ بَينَ الرِّوايَاتِ، ولَا تَعارُضَ بَينَ الرِّوايَاتِ، ولكِنَّهُ ﷺ بَيَّنَ هَذَا وهَذَا، وأَهلُ العِلمِ والإِيمَانِ يَضَعُونَ الأُمُورَ فِي مَواضِعِها، ويُنزِّلُونَ الأَحَادِيثَ فِي مَنازِلِها، ويُفسِّرُونَها بِمَا يَدفَعُ عَنهَا ما قد يُظَنُّ مِنَ التَّعارُضِ والتَّخالُفِ.

• **س: أَحسَنَ اللهُ إِليكَ، صَلاةُ النَّبيِّ ﷺ عَلَى أَهلِ أُحدٍ دُعاءٌ أو صَلاةٌ؟**

○ ج: المَشهُورُ عِندَ أَهلِ العِلمِ أَنَّهُ الدُّعاءُ، دَعَا لَهُم دُعاءَهُ لِلمَيِّتِ، دَعَا لَهُم بِالمَغفِرةِ والرَّحمةِ؛ كَمَا كَانَ يَدعُو لِلمَيِّتِ.

* * *

ذ ٦٥٩١ حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللهِ، حَدَّثَنَا حَرَمِيُّ بْنُ عُمَارَةَ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ مَعْبَدِ بْنِ خَالِدٍ أَنَّهُ سَمِعَ حَارِثَةَ بْنَ وَهْبٍ يَقُولُ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَذَكَرَ الْحَوْضَ فَقَالَ: «كَمَا بَيْنَ الْمَدِينَةِ وَصَنْعَاءَ». [وأخرجه مسلم، برقم ٢٢٩٨]

ذ ٦٥٩٢ وَزَادَ ابْنُ أَبِي عَدِيٍّ، عَنْ شُعْبَةَ عَنْ مَعْبَدِ بْنِ خَالِدٍ عَنْ حَارِثَةَ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «حَوْضُهُ مَا بَيْنَ صَنْعَاءَ وَالْمَدِينَةِ»، فَقَالَ لَهُ الْمُسْتَوْرِدُ: أَلَمْ تَسْمَعْهُ قَالَ الأَوَانِي؟ قال: لَا، قَالَ الْمُسْتَوْرِدُ: «تُرَى فِيهِ الآنِيَةُ مِثْلَ الْكَوَاكِبِ». [وأخرجه مسلم، برقم ٢٢٩٨]

الشَّرح

• س: عَفَا اللهُ عَنكَ، تَفَاوُتُ الْمُدُنِ الَّتِي يُحَدِّدُهَا عَلَيهِ الصلاة والسلام؟

○ ج: المَقصُودُ يَجمَعُهَا الحَدِيثُ الآخَرُ: «طُولُهُ شَهرٌ وَعَرضُهُ شَهرٌ»، اللهُ المُستَعَانُ.

* * *

٦٥٩٣ حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ أَبِي مَرْيَمَ عَنْ نَافِعِ بْنِ عُمَرَ، قال: حَدَّثَنِي ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنهما قَالَتْ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنِّي عَلَى الْحَوْضِ، حَتَّى أَنْظُرَ مَنْ يَرِدُ عَلَيَّ مِنْكُمْ، وَسَيُؤْخَذُ نَاسٌ دُونِي، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ مِنِّي وَمِنْ أُمَّتِي، فَيُقَالُ: هَلْ شَعَرْتَ مَا عَمِلُوا بَعْدَكَ؟ وَاللهِ مَا بَرِحُوا يَرْجِعُونَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ»، فَكَانَ ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ أَنْ نَرْجِعَ عَلَى أَعْقَابِنَا، أَوْ نُفْتَنَ عَنْ دِينِنَا، ﴿عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡ تَنكِصُونَ ٦٦﴾ [المؤمنون: ٦٦]: تَرْجِعُونَ عَلَى الْعَقِبِ». [طرفه في: ٧٠٤٨، وأخرجه مسلم، برقم ٢٢٩٣]

الشَّرح

نَسأَلُ اللهَ العَافِيَةَ، نَسأَلُ اللهَ العَافِيَةَ.

لَا حَولَ ولَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ، نَسأَلُ اللهَ السَّلامةَ، فإِذَا كَانَ فِي عَهدِه ﷺ بَعدَ وَفاتِه ﷺ مَن ارتَدَّ، فكَيفَ بِالقَرنِ الخَامِسَ عَشَرَ، وما بَعدَه وما قَبلَه؛ فهَذَا يُوجِبُ للمُؤمِنِ الحَذَرَ، وسُؤالَ اللهِ الثَّباتَ عَلَى دِينِه، ولَا سِيَّما فِي هَذَا العَصرِ الَّذِي انكَشَف فِيهِ الشَّرُّ، وظَهَر فِيهِ البَلاءُ، وكَثُر فِيهِ دُعاةُ الكُفرِ والضَّلالِ والفَسَادِ، وقلَّ أَهلُ الصَّبرِ والإِيمَانِ، ولَا حَولَ ولَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ، نَسأَلُ اللهَ السَّلامةَ، كُلَّما عَظُمتِ الفِتنُ والشُّرورُ صَارَ الواجِبُ عَلَى أَهلِ الإِيمَانِ من سُؤالِ اللهِ والضَّراعَةِ إِلَيهِ أَن يُثبِّتَهم، صَارَ الوَاجِبُ أَكثَرَ، وصَارَ الخَوفُ أَكبَرَ، ولَا حَولَ ولَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ.

[قالَ الحَافِظُ ابنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «فتْحِ البَارِي» (١١/ ٤٧٥)]: «قَولُه: «يزِيد» هُوَ: ابن أَبِي حَبِيبٍ، وَأَبُو الْخَيْرِ هُوَ: مَرْثَدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الْيَزَنِيُّ، وَعُقْبَةُ بْنُ

عَامِرٍ: هُوَ الْجُهَنِيُّ، وَقَدْ مَرَّ شَرْحُهُ فِي كِتَابِ الْجَنَائِزِ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِالصَّلَاةِ عَلَى الشُّهَدَاءِ، وَفِي عَلَامَاتِ النُّبُوَّةِ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِذَلِكَ، وَقَدْ تَقَدَّمَ الْكَلَامُ عَلَى الْمُنَافِسَةِ فِي شَرْحِ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ فِي أَوَائِلِ كِتَابِ الرِّقَاقِ هَذَا». [انتهى كلامه].

[قال الإمَامُ العَينيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «عُمدَةِ القَارِي» (٢٣/ ١٤٣)]: «قَوْله: «فصَلَّى عَلَى أَهلِ أُحدٍ»؛ أي: دَعَا لَهُم بِدُعَاءِ صَلَاةِ الْمَيِّتِ. قَالَه الْكِرْمَانِي، وَقِيلَ: صَلَّى صَلَاةَ الْمَوْتَى، وَهُوَ ظَاهِرُ الحَدِيثِ، وَكَانَ ذَلِكَ بَعدَ مَوْتِهِمْ بِثمَانِيَةِ أَعْوَامٍ». [انتهى كلامه].

قَالَ ابنُ بَازٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: المقدَّم هُوَ الأوَّلُ؛ ولهَذَا قَالَ: «وقِيلَ»، المُقدَّمُ عِندَ أَهلِ العِلمِ أنَّهُ دَعَا لَهُم، هَذَا الأَقرَبُ؛ لأنَّهُ ما كَانَ يُصلِّي عَلَى المَوتَى بَعد ذَلِكَ، إنَّمَا ثَبَت عَنهُ بَعدَ المَوتِ شَهرًا كَمَا صَلَّى عَلَى أُمِّ سَعدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، ولم يَثبُت أنَّهُ صَلَّى عَلَى أَحدٍ بَعدَ شَهرٍ؛ فيُحمَلُ عَلَى ما يُوافِقُ سُنَّتَه المَعرُوفةَ؛ اللَّهُمَّ صلِّ عَليهِ وسَلِّم.

• **س: قَولُه ـ أَحسَنَ اللهُ إِليكَ ـ: «أَعرِفُهُمْ ويَعرِفُونَنِي»؟**

○ **ج**: يَعرِفُونَه ظاهِرٌ؛ يَعنِي: يَعرِفُهُم ويَعرِفُونَه عليه الصلاة والسلام، ارتَدُّوا فِي عَهدِ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهُم يَعرِفُونَه ويَعرِفُهُم عليه الصلاة والسلام.

• **س: لكِنْ من غَيرِ الصَّحابَةِ لَا يَكونُونَ مِنَ الصَّحابَةِ؟**

○ **ج**: لا، صَحابَةٌ، ارتَدُّوا وهُم صَحابَةٌ مِنَ الأَعرَابِ؛ ولهَذَا يَقولُ: **{أُصَيحَابِي}**.

• **س: مَن يَستدِلُّ بِمِثلِ هَذِه الأَحَادِيثِ عَلَى أَنَّ الصَّحابَةَ لَيسُوا جَميعًا عُدولًا؛ بل فِيهِم غَيرُ ذَلِكَ؟**

○ **ج**: مَن ارتَدَّ مِنهُم كَفَر ما صَارَ مُسلِمًا، أَمَّا مَن بَقِي عَلَى صُحبَتِه وإِيمَانِه بَقِيَت لَهُ العَدالَةُ، ومَن ارتَدَّ زَالَ عَنهُ الإِسلَامُ والعَدالَةُ جَميعًا. نَسأَلُ اللهَ العَافِيةَ.

• **س: حَديثُ: «ولكِنْ أَخَافُ عَليكُمُ الدُّنيَا أن تَنافَسُوا فِيهَا»[1]؟**

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤٢٦)، ومسلم (٢٢٩٦) عن عقبة بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

○ ج: هَذَا هُوَ التَّنافُسُ فِي الدُّنيَا.

• س: «فتُهلِكَكُم كَمَا أَهلَكَت مَن قَبلَكُم»[1]؟

○ ج: الدُّنيَا - نَسأَلُ اللهَ العَافِيَةَ - فَتَنَتْهُم حتَّى صَدَّتهُم عَنِ الحَقِّ.

• س: الحَوضُ قَبْلَ الجَنَّةِ أو بَعدَ دُخُولِها؟

○ ج: قَبْلَ الجَنَّةِ، فِي المَوقِفِ يَومَ القِيامَةِ؛ ولهَذَا يَأتِي أُناسٌ مِنَ الكَفَرةِ فيُذَادُونَ عَنهُ، فلو كَانَ فِي الجَنَّةِ ما جَاءَه إلَّا المُؤمِنونَ، هَذَا فِي المَوقِفِ يَومَ القِيامَةِ فِي العَرَصاتِ قَبْلَ أن يَدخُلَ أَهلُ الجَنَّةِ وأَهلُ النَّارِ دُورَهُم.

• س: هل يَدخُلُ فِي الَّذِينَ يُذادُونَ عَن حَوضِه أَهلُ المَعاصِي؟

○ ج: لَا؛ الكُفَّار بَسْ.

• س: أَحسَنَ اللهُ إِليكَ، بَعدَ المُرورِ عَلَى الصِّراطِ الدُّخُولُ إِلَى الجَنَّةِ مُباشَرةً أو فِيهِ قَنطَرةٌ؟

○ ج: تقَدَّم فِي حَديثِ أَبِي سَعيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ هُناكَ قَنطَرةٌ قَبْلَ دُخُولِهمُ الجَنَّة يُحاسَبُ فِيهَا المُؤمِنونَ فِيمَا بَينهُم، ويَتقاصُّونَ فِيمَا بَينَهُم، أَهلُ الإِيمَانِ فَقطْ؛ فإِذَا هُذِّبُوا ونُقُّوا أُذِنَ لَهُم فِي دُخُولِ الجَنَّةِ. تَقدَّم فِي الحَديثِ قَريبًا.

• س: عَفَا اللهُ عَنكَ، القُرطُبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ: «وَالصَّحِيحُ أَنَّ لِلنَّبِيِّ ﷺ حَوضَينِ: أَحَدُهُمَا فِي الْمَوقِفِ قَبلَ الصِّرَاطِ. وَالآخَرِ دَاخِلَ الجَنَّةِ، وكُلُّ مِنهُمَا يُسَمَّى كَوثَرًا»؟

○ ج: اللهُ أَعلَمُ، الْمَعرُوفُ الحَوضُ الَّذِي قَبلَ الصِّرَاطِ، أَمَّا الجَنَّةُ فِيهَا كُلُّ النَّعِيمِ.

• س: قَولُهُ: «خَرجَ فَصَلَّى عَلَى أَهلِ أُحُدٍ صَلَاتَهُ عَلَى الْمَيِّتِ»؟

○ ج: الْمَعرُوفُ أَنَّهُ دَعَا لَهُم دُعَاءَ الْمَيِّتِ يَعْنِي.

---

(١) الحديث السابق، واللفظ لمسلم.

الملحق

أسئلة متنوعة، في أبواب مختلفة:

• س: عَفَا اللهُ عَنكَ يَا شَيخُ، أَيُّهُمَا أَفضَلُ فِي الذِّكرِ، قَولُ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلكُ وَلَهُ الحَمدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ» مَائَةَ مَرَّةٍ، أو قَولُ: «سُبحَانَ اللهِ» مِائَةَ مَرَّةٍ؟

○ ج: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ أَفضَلُ الذِّكرِ، يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ: «الإِيمَانُ بِضعٌ وَسَبعُونَ شُعبَةً، فَأَفضَلُهَا قَولُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»(١). «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مَن قَالَها مِائَةَ مَرَّةٍ فِي يَومٍ كَانَتْ لَهُ عَدلَ عَشرِ رِقَابٍ، وَكَتَبَ اللهُ لَهُ مِائَةَ حَسَنَةٍ، وَمَحَا عَنهُ مِائَةَ سَيِّئَةٍ، وَكَانَ فِي حَرزٍ مِنَ الشَّيطَانِ يَومَهُ ذَلِكَ حَتَّى يُمسِي»(٢)، وَفِي الحَدِيثِ الآخَرِ: «مَن قَالَ سُبحَانَ اللهِ العَظِيمِ وَبِحَمدِهِ مِائَةَ مَرَّةٍ ـ صَبَاحًا وَهَكَذَا مَسَاءً ـ غُفِرَتْ خَطَايَاهُ»، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَن قَالَ حِينَ يُصبِحُ وَحِينَ يُمسِي: سُبحَانَ اللهِ وَبِحَمدِهِ مِائَةَ مَرَّةٍ؛ لَمْ يَأتِ أَحَدٌ يَومَ القِيَامَةِ بِأَفضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ إِلَّا أَحَدٌ قَالَ مِثْلَمَا قَالَ أَوْ زاد عَلَيهِ»(٣).

• س: أَحسَنَ اللهُ إِلَيكَ، هَلْ يَجُوزُ لِمَنْ ذَهَبَ لِزِيَارَةِ بَعضِ أَقَارِبِهِ أَنْ يُصَلِّيَ عَلَى قُبُورِهِمْ صَلَاةَ الجَنَائِزِ لِفِعلِ الرَّسُولِ عَلَيهِ الصلاة والسلام؟

○ ج: إِذَا كَانَ شَهْرًا فَأَقَلَّ، هَذَا الْمَحفُوظُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، أَكثَرُ مَا وَرَدَ

---

(١) أخرجه البخاري (٩)، ومسلم (٣٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٣٢٩٣)، ومسلم (٢٦٩١) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه مسلم (٢٦٩٢)، وأبو داود (٥٠٩١) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

أَنَّهُ صَلَّى عَلَى أُمِّ سَعدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَقَدْ مَضَى عَلَيهَا شَهرٌ، وَأَمَّا هَذَا فَمَحمُولٌ عَلَى أَنَّهُ دَعَا لَهُم، صَلَّى عَلَى أَهلِ أُحُدٍ، الْمَعرُوفُ عِندَ أَهْلِ العِلمِ أَنَّهُ دَعَا لَهُم دُعَاءَ الْمَيِّتِ، دُعَاؤُهُ لَهُم بِالْمَغفِرَةِ وَالرَّحمَةِ.

• **س: هَلْ يُستَحَبُّ إِعَادَةُ صَلَاةِ الجَنَازَةِ إِذَا وُضِعَ الْمَيِّتُ فِي القَبرِ؟**

○ ج: إِذَا صَلَّى النَّاسُ صَلِّ مَعَهُم وَلَو أَنَّكَ صَلَّيتَ، مِثْلمَا تُصَلِّي مَعَهُم صَلَاةَ الجَمَاعَةِ وَلَو أَنَّكَ صَلَّيتَ.

• **س: إِذَا وُضِعَ فِي القَبرِ، عَفَا اللهُ عَنكَ؟**

○ ج: وَلَو فِي القَبرِ، فِي القَبرِ أو فِي الْمَقبَرَةِ، كُلُّهُ وَاحِدٌ.

• **س: وَلَو كَانَ صَلَّى عَلَيهَا فِي الْمَسجِدِ؟**

○ ج: وَلَو كَانَ صَلَّى عَلَيهَا، إِذَا حَضَرَ يُصَلِّي مَعَهُم، لَا بَأسَ؛ زِيَادَةُ خَيرٍ، دُعَاءٌ.

• **س: بَعضُ النَّاس يُنكِرُ الصَّلَاةَ عَلَى الجَنَازَةِ وَهِيَ عَلَى شَفِيرِ القَبرِ، يَقُولُ: لَا تُصَلُّوا عَلَيهَا إِلَّا بَعدَ أَنْ تُدفَنَ؟**

○ ج: هَذَا جَهلٌ، يُصَلَّى عَلَيهِ عَلَى القَبرِ وَبَعدُ.

• **س: بَارَكَ اللهُ فِيكُمْ، فِي نُسخَةٍ: عَنْ سُفيَانَ، عَنِ الأَعمَشِ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ، عَنْ خَبَّابٍ، بِدُونِ شَقِيقٍ؟**

○ ج: شَقِيقٌ هُوَ: أَبُو وَائِلٍ.

• **س: رَقِيبٌ عَتِيدٌ ـ أَحسَنَ اللهُ إِلَيكَ ـ اسمٌ لِلمَلَكَينِ؟**

○ ج: الظَّاهِرُ أَنَّهُ المَلَكُ الَّذِي يَكتُبُ عَلَيهِ سَيِّئَاتِه وحَسَنَاتِه، مَلَكٌ للحَسَنَاتِ، ومَلَكٌ للسَّيِّئَاتِ، يَحتمِلُ اسمَينِ لَهُما، ويَحتمِلُ المُرادُ جِنسُ الفَردِ؛ يَعنِي: رَقِيبٌ عَتِيدٌ وَصفٌ وَاحِد، كِلاهُما رَقِيبٌ وكِلاهُما عَتِيدٌ، كِلاهُما مُعَدٌّ لِهَذَا الشَّيءِ: كاتِبُ الحَسَناتِ وكاتِبُ السَّيِّئَاتِ.

• **س: عَفَا اللهُ عَنكَ يَا شَيخُ، بِالنِّسبَةِ لِصَلَاةِ الاسْتِخَارَةِ عَفَا اللهُ عَنكَ، بَعضُ النَّاسِ يَقُولُ إِنَّهَا لَا تُفعَلُ إِلَّا إِذَا كَانَ الشَّخصُ مُتَرَدِّدًا فِي الأَمرِ، أَمَّا إِذَا كَانَ جَازِمًا وَعَازِمًا...؟**

○ **ج**: الاسْتِخَارَةُ عِندَ التَّرَدُّدِ نَعَمْ، الاسْتِخَارَةُ عِندَ التَّرَدُّدِ وَخَفَاءِ الأَمرِ.

• **س: لَكِنْ إِذَا كَانَ جَازِمًا؟**

○ **ج**: جَازِمًا مَا فِيهِ اسْتِخَارَةٌ، لَا تَستَخِيرُ أَنَّكَ تُصَلِّي الظُّهرَ أو مَا تُصَلِّي الظُّهرَ، أَنْ تُصَلِّيَ الرَّاتِبَةَ أو مَا تُصَلِّي الرَّاتِبَةَ، لَا تَستَخِيرُ أَنْ تَبَرَّ وَالِدَيكَ أو لَا تَبَرَّ وَالِدَيكَ، لَا تَستَخِيرُ أَنْ تَتَغَدَّى أو مَا تَتَغَدَّى، لِشَيءٍ جَازِمٍ لَا، الاسْتِخَارَةُ فِي مَحلِّ الشَّكِّ، تُسَافِرُ لِحَاجَةٍ وَأَشكَلَ عَلَيكَ، هَذَا السَّفَرُ فِيهِ خَيرٌ أو مَا فِيهِ خَيرٌ، اسْتَخِرِ اللهَ، يَتَزَوَّجُ فُلَانَةً شَكَّ فِي زَوَاجِهِ بِهَا، اسْتَخِرِ اللهَ.

• **س: لَكِنْ إِذَا صَارَ جَازِمًا عَفَا اللهُ عَنكَ عَلَى أَنْ يَتَزَوَّجَهَا؟**

○ **ج**: مَا فِيهِ اسْتِخَارَةٌ.

• **س: أَحسَنَ اللهُ إِلَيكَ يَا شَيخُ، هَلِ الصَّومُ يُشتَرَطُ لِلاعْتِكَافِ؟**

○ **ج**: لَا يُشتَرَطُ، لَا، لَيسَ بِشَرطٍ، لَكِنَّهُ أَفضَلُ.

• **س: فِيهِ بَعضٌ مِنَ النَّاسِ مَثَلًا فِي بَعضِ البِلَادِ، يَقُولُ بَعْضُهُم لِبَعضٍ مَثَلًا فِي لَيلَةِ كَذَا فِي الشَّهرِ مَرَّةً، أَوْ فِي الشَّهرَينِ مَرَّةً، فِي الْمَسجِدِ الفُلَانِيِّ مَن أَحَبَّ أَنْ يَأتِيَ مَعَنَا لِنَذكُرَ اللهَ فِيهِ وَنَعتَكِفَ تِلكَ اللَّيلَةَ مَثَلًا إِلَى الفَجرِ مَثَلًا. فَهَلْ يُسَمَّى هَذَا اعْتِكَافًا، أَوْ مَا حُكمُ هَذَا العَمَلِ؟**

○ **ج**: إِذَا نَوَى بِهِ اعْتِكَافًا فَهُوَ اعْتِكَافٌ، لَيسَ لِلاعْتِكَافِ حَدٌّ مَحدُودٌ، لَا لِأَقَلِّهِ وَلَا لِأَكثَرِهِ.

• **س: يَعْنِي: وَلَا يُشتَرَطُ بِأَنْ يَكُونَ مَثَلًا النَّهَارَ مَعَ اللَّيلِ؟**

○ **ج**: بَسْ يَكُونُ فِي الْمَسجِدِ، النَّبِيُّ ﷺ قَالَ لِعُمَرَ رضي الله عنه: «**فَاعْتَكِفْ لَيلَةً**»[1].

---

(١) أخرجه البخاري (٢٠٤٢) عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وفيه: فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَوْفِ نَذْرَكَ**»، فَاعْتَكَفَ لَيْلَةً.

• **س: لَكِنْ حَفِظَكَ اللهُ لَا يُشتَرَطُ أَنْ يَكُونَ النَّهَارَ مَعَ لَيلٍ؟**

○ ج: لَا، مَا هُوَ بِلَازِمٍ.

• **س: لَو اللَّيل لَكَفَى؟**

○ ج: مَا هُوَ بِلَازِمٍ.

• **س: مَنِ اشْتَرَطَ يَا شَيخُ أَنَّهُ مَسجِدٌ جَامِعٌ؟**

○ ج: لَيسَ بِشَرطٍ.

• **س: أَحسَنَ اللهُ إِلَيكَ، هَذَا رَجُلٌ أُغضِبَ، أَحسَنَ اللهُ إِلَيكَ، وَقِيلَ لَهُ: كَيفَ تَفعَلُ هَذَا؟ أَلَستَ مُسلِمًا؟! قَالَ: لَا، أَنَا يَهُودِيٌّ، أَوْ نَصرَانِيٌّ، أَوْ أَنَا نَصرَانِيٌّ. أَحسَنَ اللهُ إِلَيكَ، هَلْ يُعتَبَرُ مُرتَدًّا بِذَلِكَ؟**

○ ج: الأَقرَبُ وَاللهُ أَعلَمُ أَنَّهُ كَمَا قَالَ، عَلَيهِ التَّوبَةُ إِلَى اللهِ، عَلَيهِ البِدَارُ بِالتَّوبَةِ؛ لِأَنَّ هَذَا جَزْمٌ بِأَنَّهُ يَهُودِيٌّ أَوْ نَصرَانِيٌّ، مَا هُوَ حَلَفَ بِذَلِكَ، جَزَمَ بِأَنَّهُ يَهُودِيٌّ أَوْ نَصرَانِيٌّ، هَذَا نَوعٌ مِنَ الرِّدَّةِ نَسأَلُ اللهَ العَافِيَةَ، الوَاجِبُ عَلَيهِ التَّوبَةُ وَالبِدَارُ بِالتَّوبَةِ، نَسأَلُ اللهَ العَافِيَةَ.

• **س: أَحسَنَ اللهُ إِلَيكَ: لَو قَالَهُ فِي حَالِ الغَضَبِ؟**

○ ج: إِنْ كَانَ شُعُورُهُ مَعَهُ عَلَيهِ التَّوبَةُ، وَإِنْ كَانَ مَا مَعَهُ شُعُورٌ مَا عَلَيهِ.

• **س: أَحسَنَ اللهُ إِلَيكَ يَا شَيخُ، سَمِعنَا بَعضَ الْمَشَايِخِ يَقُولُ: مَن نَظَرَ فِي وُجُوهِ الصَّالِحِينَ وَالأَولِيَاءِ يَزِيدُ الإِيمَانُ، مَا صِحَّةُ ذَلِكَ؟**

○ ج: مَا أَعرِفُه، إِنَّمَا النَّظَرُ فِي أَعمَالِهِم يَزِيدُ الإِيمَانَ، التَّأَسِّي بِهِمْ، وَالنَّظَرُ فِي أَعمَالِهِمْ الطَّيِّبَةِ وَالاقْتِدَاءُ بِهِمْ، أَمَّا النَّظَرُ فِي وُجُوهِهِمْ أَمرُهُ سَهَلٌ.

* * *

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
مقدمةُ المعتني بالكتابِ	٥
كِتَابُ الرِّقَاقِ	٩
١ ـ بَاب مَا جَاءَ فِي الرِّقَاقِ، وَأَنْ لَا عَيْشَ إِلَّا عَيْشُ الآخِرَةِ	٩
٣ ـ بَاب قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ، أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ»	١٣
٤ ـ بَاب فِي الأَمَلِ وَطُولِهِ، وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾﴾ [آل عمران: ١٨٥]، ﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا۟ وَيَتَمَتَّعُوا۟ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾﴾ [الحجر: ٣]	١٨
٥ ـ بَاب مَنْ بَلَغَ سِتِّينَ سَنَةً فَقَدْ أَعْذَرَ اللهُ إِلَيْهِ فِي الْعُمُرِ، لِقَوْلِهِ تعالى: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ﴾ [فاطر: ٣٧]	٢١
٦ ـ بَاب الْعَمَلِ الَّذِي يُبْتَغَى بِهِ وَجْهُ اللهِ، فِيهِ سَعْدٌ	٢٦
٧ ـ بَاب مَا يُحْذَرُ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا، وَالتَّنَافُسِ فِيهَا	٣٠
٨ ـ بَاب قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾﴾ [فاطر: ٥، ٦]، جَمْعُهُ: سُعُرٌ، قَالَ مُجَاهِدٌ: الْغَرُورُ الشَّيْطَانُ	٤٢
٩ ـ بَاب ذَهَابِ الصَّالِحِينَ، وَيُقَالُ: الذَّهَابُ: الْمَطَرُ	٤٨
١٠ ـ بَاب مَا يُتَّقَى مِنْ فِتْنَةِ الْمَالِ، وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [التغابن: ١٥]	٥٢
١١ ـ بَاب قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «هَذَا الْمَالُ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ»، وَقَوله تَعَالَى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [آل عمران: ١٤]، قَالَ عُمَرُ: اللَّهُمَّ إِنَّا لَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَفْرَحَ إِلَّا بِمَا زَيَّنْتَهُ لَنَا، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ أَنْ أُنْفِقَهُ فِي حَقِّهِ	٥٦

الموضوع | الصفحة

١٢ ـ بَاب مَا قَدَّمَ مِنْ مَالِهِ فَهُوَ لَهُ ٥٩
١٣ ـ بَاب الْمُكْثِرُونَ هُمُ الْمُقِلُّونَ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [هود: ١٥، ١٦] .. ٦١
١٤ ـ بَاب قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «مَا يسرُّني أَنَّ عِنْدِي مِثْلَ أُحُدٍ هَذَا ذَهَبًا» ٦٩
١٥ ـ بَاب الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ، وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾﴾ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مِن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَٰمِلُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [المؤمنون: ٥٥ ـ ٦٣]، قَالَ ابْنُ عُيَيْنَةَ: لَمْ يَعْمَلُوهَا: لَا بُدَّ مِنْ أَنْ يَعْمَلُوهَا ٧٢
١٦ ـ بَاب فَضْلِ الفَقْرِ ٧٦
١٧ ـ بَاب كَيْفَ كَانَ عَيْشُ النَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ وَتَخَلِّيهِمْ عن الدُّنْيَا ٨٦
١٨ ـ بَاب القَصْدِ وَالمُدَاوَمَةِ عَلَى العَمَلِ ١٠٣
١٩ ـ بَاب الرَّجَاءِ مَعَ الْخَوْفِ، وَقَالَ سُفْيَانُ: مَا فِي الْقُرْآنِ آيَةٌ أَشَدُّ عَلَيَّ مِنْ ﴿لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [المائدة: ٦٨] . ١١٤
٢٠ ـ بَاب الصَّبْرِ عَنْ مَحَارِمِ اللهِ، ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾﴾ [الزمر: ١٠] وَقَالَ عُمَرُ: وَجَدْنَا خَيْرَ عَيْشِنَا بِالصَّبْرِ ١١٧
٢١ ـ بَاب ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣]، وقَالَ الرَّبِيعُ بْنُ خُثَيْم: مِنْ كُلِّ مَا ضَاقَ عَلَى النَّاسِ ١٢١
٢٢ ـ بَاب مَا يُكْرَهُ مِنْ قِيلَ وَقَالَ ١٢٥
٢٣ ـ بَاب حِفْظِ اللِّسَانِ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا، أَوْ لِيَصْمُتْ، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ [ق: ١٨] ١٣٠
٢٤ ـ بَاب الْبُكَاءِ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ ١٣٧
٢٥ ـ بَاب الْخَوْفِ مِنَ اللهِ ١٣٩
٢٦ ـ بَاب الانتِهَاءِ عَنِ المَعَاصِي ١٤٣
٢٧ ـ بَاب قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا» . ١٤٩

الموضوع — الصفحة

٢٨ ـ بَاب حُجِبَتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ ١٥٠
٢٩ ـ بَاب الجَنَّةُ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ، والنَّارُ مِثْلُ ذَلِكَ ١٥١
٣٠ ـ بَاب لِيَنْظُرْ إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْهُ، وَلَا يَنْظُرْ إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَهُ ١٥٣
٣١ ـ بَاب مَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ أَوْ بِسَيِّئَةٍ ١٥٥
٣٢ ـ بَاب مَا يُتَّقَى مِنْ مُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ ١٥٩
٣٣ ـ بَاب الأَعْمَالُ بِالْخَوَاتِيمِ، وَمَا يُخَافُ مِنْهَا ١٦١
٣٤ ـ بَاب العُزْلَةُ رَاحَةٌ مِنْ خُلَاطِ السُّوءِ ١٦٤
٣٥ ـ بَاب رَفْعِ الأَمَانَةِ ١٦٧
٣٦ ـ بَاب الرِّيَاءِ وَالسُّمْعَةِ ١٧٣
٣٧ ـ بَاب مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ فِي طَاعَةِ اللهِ ١٧٦
٣٨ ـ بَاب التَّوَاضُعِ ١٧٩
٣٩ ـ بَاب قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةَ كَهَاتَيْنِ» ﴿وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٧﴾﴾ [النحل: ٧٧] ١٩٠
٤٠ ـ بَـاب ١٩١
٤١ ـ بَاب مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ ١٩٤
٤٢ ـ بَاب سَكَرَاتِ المَوْتِ ٢٠١
٤٣ ـ بَاب نَفْخِ الصُّورِ، قَالَ مُجَاهِدٌ: الصُّورُ كَهَيْئَةِ الْبُوقِ، ﴿زَجْرَةٌ﴾ [الصافات: ١٩]: صَيْحَةٌ وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: ﴿ٱلنَّاقُورِ﴾ [المدثر: ٨]: الصُّورُ، ﴿ٱلرَّاجِفَةُ﴾ [النازعات: ٦]: النَّفْخَةُ الأُولَى، وَ﴿ٱلرَّادِفَةُ﴾ [النازعات: ٧]: النَّفْخَةُ الثَّانِيَةُ ٢١٢
٤٤ ـ بَاب يَقْبِضُ اللَّهُ الأَرْضَ يوم القيامة، رَوَاهُ نَافِعٌ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ٢١٩
٤٥ ـ بَاب الحَشْرِ ٢٢٢
٤٦ ـ بَـاب قَـولـه ﷻ: ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾﴾ [الحج: ١]، ﴿أَزِفَتِ ٱلْآزِفَةُ﴾ [النجم: ٥٧]، ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ﴾ [القمر: ١] ٢٣١
٤٧ ـ بَاب قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾﴾ [المطففين: ٤ ـ ٦] وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾﴾ [البقرة: ١٦٦]: قَالَ: الْوُصُلَاتُ فِي الدُّنْيَا ٢٣٤

الموضوع | الصفحة

٤٨ ـ بَاب القِصَاصِ يَوْمَ القِيامَةِ، وهي الحاقة؛ لأن فيها الثَّوابَ، وحواقَّ الأمور، الحَقَّةُ، والحَاقَّةُ: واحد، والقارعة، والغاشية، والصاخة، والتغابن: غبنُ أهلِ الجنة أهلَ النار ٢٣٦
٤٩ ـ بَاب مَنْ نُوقِشَ الحِسَابَ عُذِّبَ ٢٤٢
٥٠ ـ بَاب يَدْخُلُ الجَنَّةَ سَبْعُونَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ ٢٥٠
٥١ ـ بَاب صِفَةِ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ ٢٦٦
٥٢ ـ بَاب الصِّرَاطُ جِسْرُ جَهَنَّمَ ٣٠٧
٥٣ ـ بَاب فِي الْحَوْضِ، وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١﴾ [الكوثر: ١] وَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ زَيْدٍ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «اصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الْحَوْضِ» ٣١٤
الملحق أسئلة متنوعة، في أبواب مختلفة ٣٢٩